

A0245





١٧١

الجزء السادس

من

جواهر

في تفسير القرآن الكريم

المتشمل على عجائب بدائع المكنونات وغرائب

الآيات الباهرات

( تأليف )

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا متع الله المسلمين بحياته آمين

---

طبع بمطبعة

مصطفى البنا بن الحسين وأولاده بمصر

( حقوق الطبع محفوظة )

---

محرم سنة ١٣٤٦ - ٥

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ﴿ سورة يونس مكية وهي تسع ومائة آية ﴾

( هي سبعة أقسام )

( القسم الأول ) في دلائل معرفة الله تعالى واليوم الآخر ونعيم الآخرة من أوّل السورة الى قوله - أن الحمد لله رب العالمين -

( القسم الثاني ) في أدلة مختلفة على التوحيد من النظر في النفس والنظر في القرون الخالية من قوله - ولولا يجعل الله للناس - الى قوله - فينبشكم بما كنتم تعملون -

( القسم الثالث ) في أدلة البعث وأحوال المبعوثين من قوله - انما مثل الحياة الدنيا - الى قوله - وضلّ عنهم ما كانوا يفترون -

( القسم الرابع ) في اثبات النبوة وتقريع الجاهلين وتوبيخهم مع أدلة اثبات الربوبية من قوله - قل من يرزقكم من السماء والأرض - الى قوله - بما كانوا يكفرون -

( القسم الخامس ) قصة نوح عليه السلام من قوله - واتل عليهم نبأ نوح - الى قوله - كذلك نطبع على قلوب المعتدين -

( القسم السادس ) قصة موسى وفرعون من قوله - ثم نبشنا من بعدهم موسى - الى قوله - فيها كانوا فيه يفتفنون -

( القسم السابع ) في تقرير ما تقدمت به من القصص والدلائل - من قوله - فان كنت في شك مما أنزلنا اليك - الى آخر السورة

## ( الْقِسْمُ الْأَوَّلُ )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

الرَّ • تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ • أَكُنْ لِلنَّاسِ حِجَابًا أَنْ أُوحِيَآ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِذْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ • إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَقْلًا تَذَكَّرُونَ • إِلَيْهِ تُرْجَعُكُمْ جَمِيعًا وَعِنْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ • هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ • إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ • أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ • إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ • دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ •

اعلم أن أول هذه السورة كلتمه لآخر السورة السابقة فان آخر تلك يرجع الى أن الرسول ﷺ (١) أرسل من العرب (٢) وهو رؤف رحيم بالمؤمنين (٣) وعلى الله وحده توكله (٤) ثم وصف الله تعالى بأنه رب العرش العظيم • وفي أول هذه السورة (١) أنه ليس من يجب أن يرسل الله للناس رسولا منهم وهو متمم للأول من السورة السابقة فكانه يقول انه ليس للعرب خاصة بل للناس عامة • وكما أنه من العرب هو من سائر الناس فهو لهم مرسل (٢) وأنه يبشر الذين آمنوا أنهم لهم منزلة رفيعة عند ربهم وهذا في مقابلة الأمر الثاني في السورة السابقة وهو انه رؤف رحيم بالمؤمنين (٣) ثم وصف الله بأنه استوى على العرش وهو في مقابلة الأمر الرابع هناك (٤) وقوله - اليه مرجعكم جميعا - تفيد الوحدة المستفادة من اختصاص التوكل به • ثم ان هذه السورة جاءت بعد الأنفال والتوبة اللتين اختصتا بالقتال والغزوات وقسمه الغنائم وذكر المنافقين ووعيدهم وما حكم عليهم به من العذاب والتوبيخ والترعيع وفيما ذكر الصدقات وقسمتها على المستحقين فهما للسائل الفقهاء والأحكام العملية فناسب أن يؤتى بعدهما بما يفيد الفصل من الحكمة والعلم فهناك عمل اسلامي وهنا علم حكيم ولذلك ختمت سورة التوبة بأن الله ذوالعرش العظيم توطئة لما سيذكر في أول هذه السورة من الجلال الالهي والحكمة العلية وذكر الشمس وضياؤها

والقمر ونوره وأقسام منازل ومعرفة غدّ السنين والحساب واختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان والجهاب  
الممنوعة والارتقاء من ذلك إلى تغذية الأرواح الانسانية بهذه الجباب النورية والارتجاع عن العالم الكثيف  
والاطمئنان بالعالم اللطيف . فمن الناس من يكتفى بالجنات الجارية أنهارها . ومنهم من يرتقى إلى سبحات  
الجلال ومقامات السلامة من المادة وتغيراتها ثم يرتقى إلى مقام الحمد الذي تتخفى النفس فيه بالمعارف الطلية  
ومعرفة ترتيب الكائنات ونظامها

### ( تفسير الألفاظ )

(الر) قد علمت حكمة هذه في أوّل سورة آل عمران واستبان هناك سرّ الحروف التي في أوائل السور  
وكيف كانت ١٤ وجعلت في أوائل ٢٩ سورة وكيف نوّعت إلى أحادية وثنائية وثلاثية الخ وكيف كان عدد  
٢٨ من الأعداد الثلاثة وهو ما له علاقة بنشرهم كثير من الحيوانات الفقرية وفقراتها وكيف كان في  
ذلك رموز وإشارات تلامس عقول الأمم التي نزل القرآن عليها لاعتيادها الرموز والاشارات في الكتب السابوية  
والعلوم القدسية في نظرهم . وكيف اتصل الكلام من ذلك إلى ماهو آثم وأكل من حيث أن لغة العربية  
النازل بها القرآن سبقي إلى آخر الزمان لمناسبتها للنازل الفلكية والفقرات الحيوانية وبعض الأحوال الطبيعية  
وكيف وافق ذلك رأى مؤلف ألماني في روايته مستنجا ذلك من تغير اللغات وثبات لغة العرب لبقاء القرآن  
بها فارجع إليه إن شئت ( تلك آيات الكتاب ) أي الآيات المذكورة الآتية في هذه السورة وما تقدمتها ( الحكيم )  
من الحكمة فهو ذو الحكمة أو هو قد وصف بوصف من تكلم به . قال الشاعر  
وغريبة تأتي للولك حكيمة • قد قلتها ليقال من ذا قالها

وهو الحاكم في الاعتقادات وحكم فيه بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى الخ وبالجنة لأهلها والنار  
لأهلها ( أكان للناس عجا ) استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمها ( أن أوحينا ) والعجب حالة تعجز  
الانسان من رؤية شيء على خلاف العادة . وقد كانوا يقولون ( العجب أن الله لم يجدرسولا يرسله إلى الناس إلا  
يقيم أبي طالب ) ( أن ) هي المفسرة ( قسم صدق ) سابقة ومنزلة رفيعة سميت قصدا لأن السبق بها كاسمت  
النعمة بدا لأنها تعطي باليد وأضيفت للصدق لتحقيقها وفي ذلك تنبيه على أنهم ينالونها بصدق القول والنية  
( لسحر ميين ) أو - لسحر ميين - أي - أكان للناس عجا أن أوحينا إلى رجل منهم - فلما جاءهم بالوحي  
وأفهمهم قال الكافرون الخ ( استوى على العرش ) استعمل بالقهر والغلبة كما جاء في آية أخرى - وجعل  
لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه - والعرش  
إتاء بمعنى الملك ولما بمعنى البناء فكل بناء يسمى عرشا وبانيه يسمى عارشا قال تعالى - ومن الشجر وما  
يعرشون - أي يبنون وقال في صفة القرية - فهي خلوة على عروشها - والمراد أنها خلّت منهم مع سلامة  
بنائها وقيام مقوفها - وكان عرشه على الماء - أي بناؤه ( بالقسط ) أي ببدلتهم وقيامهم على العدل في  
أمورهم وذلك لا يتم إلا بإيمانهم ( الحليم ) الماء الحار ( الشمس ضياء ) ذات ضياء ( والقمر نورا ) ذا نور وما  
باللغات يسمى ضوا وما بالعرض يسمى نورا ( وقدره منازل ) أي القمر وقدره منازل لأن سيره أسرع وبه  
يعرف انقضاء الشهور والسنين والشرع اعتبر الأهلّة أي قدره ذات منازل ( لتعلموا عدد السنين والحساب )  
حساب الأوقات من الأعهر والأيام في معاملاتكم وتصرفاتكم ( إلا بالحق ) ملتبسا بالحق مراعيًا فيه مقتضى  
الحكمة ( يفصل الآيات لقوم يعلمون ) إذ لا يتنفع به سواهم ( اختلاف الليل والنهار ) عجي . كل واحد منهما  
خلف الآخر ( وما خلقنا في السموات والأرض ) من أنواع الصور والأشكال والجهاب التي لا حصر لعددتها  
( يتقون ) العواقب ( لا يرجون لقاءنا ) لا يتوقعونه لانكارهم البعث وغرامهم بالمحسوسات عن المقولات  
( ورضوا بالحياة الدنيا ) فلفظهم عن الآخرة ( وطمأنوا بها ) سكنوا إليها مقصرين مهمهم على لذاتها وزخارفها

أوسكنوا فيها سكون من لا يزعمون عنها فبنوا شديدا وأملوا بعيدا (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يتذكرون فيها لانها بهم فيها يضاعفها فهم جامعون بين الحسنين<sup>١</sup> الانهماك في الشهوات والنسفة عن عجائب الآيات (بما كانوا يكسبون) بما وانظروا عليه وتغنوا عليه من المعاصي حتى صار سليقة لهم (يهدمهم ربهم بإعانهم) أى بسبب إعانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة أو لادراك الحقائق . ثم استأنف فقال (تجبرى من تحتهم الأنهار) حال كونهم (في جنات النعيم) وقوله (دعواهم فيها سبحانك اللهم) أى دعواؤهم لأن اللهم نداء لله ومعناه يا الله إنا نسبحك تسبيحا (وتحيتهم) ما يحى به بعضهم بعضا وتحية الملائكة لإياهم وتحية الله أيضا لهم (فيها سلام) • وآخر دعواهم (أن الحمد لله رب العالمين) أى أن يقولوا ذلك وأن تحفظة من التحية . انتهى التفسير

هذه الآيات التي في هذه السورة والتي تقتضيتها آيات القرآن الذي نزلت فيه الحكمة وحكم فيه بين الحق والباطل والضلال والهدى . ياغبيا للناس كيف يعجبون منا أن أرسلنا رسولا منهم ليندبرهم أجمعين ويشير المؤمنين . أظنوا أن العلم والحكمة والوحى تابعت للال والبين فلكل وجهة هو موليها . أليس الله بأعلم بمن استعدّ للعلم ومن حرم الحكمة . هما ضدان لا يجتمعان . وكيف ينزل الوحى إلا على المستعد له وليس الاستعداد بالعظمة والجاه ولا بكترة الأتباع . وإنما هو استعداد في القلوب وعطاء من علام الغيوب فكيف إذن يعجبون عن أوحينا اليه ليندبرهم ويشير المؤمنين أن لهم منزلة سامية ومقاما رفيعا ومجدا يوم يقفون ربهم . فلما أرسلناه اليهم قال الكافرون إن ماجئت به سحر ميين . إن هذا ليس بسحر بل هو حق قام عليه البرهان . أليس ربكم الله الذى خلق السموات والأرض في أزمان متطاولة عددها ستة وسبعت أياما واليوم عند كل بحسبه

### ( فصل في بيان قوله تعالى - ستة أيام - )

فاذا نظرنا لأهل الأرض رأينا اليوم عندهم عبارة عن دورتها مرة واحدة حول نفسها وكانت هذه المدة معتبرة في أزمان أخرى أنها بسبب سير الشمس حول الأرض كل يوم وليلة من الشرق الى الغرب فلما تبين بطلان هذا استقرّر الأمر على أنه بسبب دوران الأرض على محورها نفسها . فاذن أهل العقول مستعمتون أن يقبلوا أن يكون اليوم مقترنا بمقدار سير كوكب حول كوكب آخر وبناء عليه لو اعتبرناه كذلك ونظرنا لكوكب من الكواكب الثابتة فانه قديم دورته في مئات السنين بل في آلاف ومئات الآلاف وآلاف الآلاف كما تقتضي مواضع من هذا التفسير . فاذا قرأنا في القرآن - وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون - وقرأنا - في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - ونظرنا في علم الفلك الحديث فانا نقول ان اليوم اذا اعتبرناه من هذه الناحية وإن لم يكن عندنا كذلك والعقل الانسانى قبل ذلك سابقا قلنا ان اليوم قد يكون آلاف الآلاف من السنين ولذن تكون تلك الأيام للذكورة في القرآن لتفتح العقول الى البحث فاذا سمع الناس أن الله خلق العالم في ستة أيام صدق الجهلاء المؤمنون وكذب وشك أكثر للتلعبين وتركوا الدين وأصبحو في حيرة وفي شك من ليل الجهالة مظلم . ثم يبحث الحكماء منهم والصابرون في تحقيق ذلك فتكون نتيجة ذلك معرفة علم الفلك فهو يبحث عن عقيدته عسى أن يجد لها مصداقا من العلم ولو بالتأويل فينتهى الأمر أن الأئمة قد ظهر فيها عالم بهذا العلم . وهذا هو مقاصد الديانات أن تكون الشكوك مبدأ للبحث والبحث يولد الحكمة والفلسفة وإن يخرج النابغون في الأئمة . فالتابغون من هذا الباب خلقوا ومن عثر الشك درجوا ولا مفر من هذه المباحث في الدين ليخرج علماء مختلفون في علوم نافعة للأمة واعلم أنى قد وفيت هذا المقام حقه في أول سورة الأنعام فلا أعيد هنا وأبنت هناك كيف كانت تلك الأيام الستة وساعد على ما ذكرناه هناك آيات كثيرة من القرآن فارجع اليه إن شئت



واعلم أن الآية هنا أفادت أن خلق السموات والأرض في ستة أيام كان متداولاً معروفاً عند الناس بديل  
التعبير بالإسم الموصول ولا يكون الموصول إلا حيث تكون الصلة معروفة والصلة خلق السموات والأرض  
في ستة أيام . أقول أن هذا كان حقيقة معروفاً متداولاً عند اليهود والنصارى المذكورين في أوائل التوراة  
فكانت هذه الجلة شائعة عند رجال الدين ولأهل لك ملخصها من نفس التوراة

قال في الإصحاح الأول من سفر التكوين . في البدء خلق الله السموات والأرض ثم شرح بعد ذلك  
النور والظلمة والليل والنهار وأن الأرض كانت خربة مظلمة وروح الله ترف على وجه الماء وقال إن الماء خلق  
الله فيه جلداً فما فوقه صار سماء ومنه المساء والصباح ولما الباقى صار تحت السماء فاجتمع في مكان واحد  
وباقى الأرض صارياباً وأثبت الأرض عشباً وبقلاً وشجراً وجعل الله في السماء القمر والشمس والنجوم  
وجعل في الماء زحافات ذات نفس وخلق طيراً فوق الجلد وتنانين كبيرة والحوانات السبابة والبهائم والوحوش .  
ثم خلق الإنسان على صورة الله فسلطه على سمك البحر وطيور السماء وعلى البهائم وجعل الإنسان كبيره  
ذكراً وأنثى . ثم ختم الإصحاح بما نصه ﴿ ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً وكان مساء وكان  
صباح يوماً سادساً ﴾ وقد كان للمخلص الذي ذكرته لك مقبلاً على الأيام الستة اختصرته مخافة التوطيل  
عليك وعلى ذلك كانت الأيام الستة معلومة مشهورة من التوراة المتعارفة بين الناس فلذلك ذكرها القرآن  
بالإسم للموصول

﴿ فصل في قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الامر - ﴾

أى خلق الله السموات والأرض في أزمان متطاولة وأحوال متغايرة عدها ستة وسماها أياماً ومجرد الخلق  
ليس تمام القصد وإنما أهم الامور نظام الملك واحكامه وحسن هدايته . لذلك عطف بشم للترتيب التكرري  
اشارة لتباعد ما بين المرتبتين . مرتبة الخلق . ومرتبة ادارة الشؤون ونظام الامر فقال ثم استوى على بناءه  
الذى بناه بالتدريج والتشكيل بالأشكال ورفع السمك ونظام الكرات وادارتها وتنظيم ما عليها من مخلوقات  
وحساب دوراتها ونسبتها الى غيرها ونظام أيامها وشهورها وسننها وغير ذلك وهذا على اعتبارنا أن العرش  
هو البناء . أو يقال ثم استوى على الملك الذى شكله في الوجود وذلك الملك كالقصور الأربعة والمعادن والنبات  
والحيوان والإنسان وجميع ما خلق الله في الأرض والسماء من الصور والأشكال على اعتبار أن العرش عبارة  
عن الملك والملك عبارة عن المخلوقات والعناية يؤولان الى مقصد واحد مع فرق دقيق

﴿ فصل في قوله تعالى - يدبر الأمر مامن شفيع إلا من بعد إذنه - ﴾

أى يقتدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبق به كله ويهيئ بحركته أسبابها وينزلها بقدر  
والتيدير تنزيل الامور في مراتبها وعلى أحكام عواقبها لتلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي فهو يدبر أحوال الخلق  
في ملكوت السموات والأرض فلا يحدث في العالم السفلى ولا العلوى حادث إلا بتدييره . وقوله - مامن  
شفيع إلا من بعد إذنه - أى لا يشفع عنده شافع يوم القيامة الا من بعد أن يأذن له في الشفاعة لأنه عالم  
بصلح عباده وموضع الصواب والحكمة في تدييرهم فليس يجوز لأحد أن يسأله ما ليس له به علم وفي هذا رد  
على الكفار القائلين بشفاعة أصنامهم . وتدير العرش المذكور هنا يقرب منه ما سأتى في سورة هود عليه  
السلام - وكان عرشه على الماء - . فالعرش هنا مقرون بالتدبير وهناك فوق الماء والمضى متقارب فان  
معنى الماء هناك ما أشاره الله تعالى في قوله - أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها - الى قوله - كذلك  
يضرب الله الأمثال فقد جعل الماء هو الذى يبقى في الأرض لنفع الزرع والضرع والإنسان وقد نزع عنه الزيد  
فصار جفافاً وجعل مثلاً للقرآن والعلم \* وجاء في حديث البخارى ﴿ مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى -  
كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ﴾ فصرح ﷺ بأن للماء مثل للعلم . وهكذا جاء في سورة البقرة

- أو كصيب من السماء الخ - فجعل القرآن هناك كل طائر النازل من السماء وعليه صار الماء هنا هو العلم والحكمة والتدبير فافهم هذا المقام تجد أن قوله هنا - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - نظير قوله - وكان عرشه على الماء - فهنا يدبر العرش بالحكمة والعلم وهناك كان العرش على الحكمة والعلم وأيضاً إن الخلوقات على أقسام فمنها ما هو خير محض ومنها ما أكثر خيره ومنها ما قلّ خيره أو عدمه . والقسمان الأخيران لا وجود لهما إلا في مخيلات الناس والأولان موجودان . وترى الخلوقات الطبيعية من هذا القليل كالإنسان والحيوان وأعمّ هذه الخلوقات وأظهرها الماء فيه حياة النبات والحيوان والإنسان والطهارة ومع هذه النعم الجليلة يفرق فيه عالم نافع وناسك صالح ومحجوز مسكنة ويفرق السفن . وهذا الشر القليل اقتضت الحكمة أن يحتمل للخير الكثير فالله مثل العلم والحكمة ومن الحكمة أن يغتفر الضرر القليل في جانب النفع الكثير فعرض الله مبنى على الحكمة ومن الحكمة ألا تترك هذه الخلوقات الطبيعية وأن يتحمل الناس ما يصيبهم من الآلام في جانب النعم الكثيرة وأيضاً إن هذه العوالم الأرضية خيرها أكثر من شرّها فلذلك بقيت وما أبقاها الله إلا لهذه الحكمة الظاهرة في الماء المكونة في كل مخلوق مادي . فهذا من لطائف التعبير بلطف الماء الذي استوى العرش عليه . فكأنه سبحانه يقول اقتضت حكمتي أن أدبر الأمور على الخير المحض وعلى ما غلب خيره لأن من ترك الخير الكثير للشر القليل باء بالجهالة ورجع بالندامة وهو حسير . فما أجل التدبير بالماء هناك فتدبير العرش هنا للعامة وللعلماء . وكون العرش على الماء هناك للخواص وللحكّاء . وما يعقلها إلا العالمون - وما أبدع هذا التعبير ليرضى المفكرين وليقنع الجاهلين وكأن قول الله - وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض - رمز إلى حكمة الحكماء في هذا المقام فانه لا يبقى في الوجود إلا ما غلب نفعه والماء كذلك فلذلك مكث في الأرض . وهذا المقام معانيه في الحكمة مسطورة . ومقاصده فيها مبرهن عليها مبسطة فانظر كيف أشار الله في القرآن بلطف الماء إلى غاية الحكمة ونهاية العظمة فرمز بالماء إلى ما أحال به العلامة ابن سينا في كتاب الاشارات وشرح الشراح كلارنزي والطوسي بأطول العبارات . ولكن بالله ما أجل الحكمة والفلسفة اذا تجلّت في كتاب سلاوي ورمز لها في الوحي النبوي فله در الحكمة الدبّية والعلوم النبوية والآراء الحكمية . فانظر كيف اتفق العلم والدين والإيمان واليقين . واذا طالت الحياة وكتبت في سورة هود لا أذكر من هذا شيئاً إن شاء الله وإنما أحيلك على ماسطرته هنا . فافرح بنعمة الله وبهجة العلم وكن من الشاكرين

( جبال في اشراق شمس المعارف من قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - )

انما اخترت لك هذا العنوان في هذا المقام لأنك ستري فيه بهجة الناظرين وقرة أعين المفكرين وزينة الدنيا والدين وجالا يأخذ بالألباب وحسناً قصرت عن أقله زينب ويسلى والرباب وحكمة تسرّ الحكماء وتدعش الأدباء

حكم نسجت يد حكمت \* ثم انتسجت بالمنتسج

ذلك أنه بينما أنا جالس أرتب مسودّات هذا التفسير لأقدها للطبع إذ حضر صديق لي فقال يذكر الله تدبير الأمر ويقول في بعض آياته - يدبر الأمر بفضل الآيات لعلكم بقاء ربكم توقنون - فهل لك أن توضح لي هذا التدبير بشكل يفهمه الخاصة والعامة وأرجو ألا تحيلني على علم الفلك وطبقات الأرض وما أشبه ذلك وإنما أنا أحب أن تحضرنى موضوعاً واحداً يكون فكاكة المتفكرين وزينة العاقلين وسر الجالسين بحيث أحدث به ابني وأسرّ به بجليس وأتفع به في حقلي ويستعمله بجلي وتسير به الكهرواء وتستعين به السيارات ويشي الرضى وتحتاج إليه الأندية العلمية وأكثر أهل هذه الكرة الأرضية ففرضت عليه أنواعاً من النبات والحيوان فلم يرقه ما أقول ولم يهجه للمتقول ولا للمقول ففكرت ملياً وقلت قد

وقعت من حداثتك المشهورة وعرفت بها نيك للمعونة خذ القول على واسع التفصيل منى (فلك) من  
هناك عبر الاليت إلا فى (البرازيل) بأمرىكا وفى جنوب أمريكا وفى وسط استراليا وديها  
ينبت قليلا فى جهات أخرى كالفرىقا ولكن أثره فى كل مكان مشهود . ثمرة ليست بأكولة كالنخل  
ولا بمضروبة كتفوق الاقحاح ولا بدواء كالسنا للسكى وغيره من العقاقير ولا زيت كشجر الزيتون وإنما  
تستخرج منه مادة سائلة هى حدة المسفرين وزينة الكاتين وشفاء المرضى وبتاع للقوين تسقى الحدائق  
وللأزراع وتدفن النار عن المنازل لا يستغنى عنها مهندس ولا كاتب ولا يقوم بدونها درس مدوس ولا حساب  
حاسب تحت سائر طبقات للتطمين ودخلت جميع السواوين وجمالت الوزراء والأمرء وحافظت على قوة  
الكهرباء وكانت خير الحافظات للماء فى نوراثة فى أرضه واشراق شمس حكمته وعجيب حكمه وبديع  
صنمته . يحسبها الجاهل من سقط التلاع وهى عند الحكماء نور أضاء سائر البقاع . فلما سمع ذلك منى .  
قال صف لى هذه الشجرة وصفا مدقعا وبين أصلها محققا ودع الاجال وهات التفصيل . فقلت هذه  
الشجرة عظيمة الحجم كبيرة الساق قد ألم الله الأم قديما فتنبوا قسرتها السبكة ووضعوا تحت الثب إنا  
ينزل فيه سائل لينى وذلك السائل يصير جامدا بعد نزوله فى الاناء . وهذه تسمى (كلونشوك) باللسان  
الافرنجى (ريماوى) يعنى (شجرة الاستيك) كما قمتنا أو (مطاط) الأول بالانجليزية والثانى بالفرنسية  
والثالث بالعربية . وذلك أننا نشاهد فى بلادنا وفى جميع المدارس والسواوين مادة تحافظ على حجمها دائما  
سواء أردنا متها أم أردنا ضغطها فىس ترجع الى حالتها الأصلية . بها نحموا أردنا محوه مما سكنتناه  
وزيده (الاستيك) للذكور ففراها فى أبهى التلخيد والاستاذ والكاتب والحاسب وهكذا . وهذه المادة  
بعد أن يلقوها فى الأواني يملونها وينظفونها ثم يمتصونها بين اسطواتين من الصلب بهما تضغط وتصير قطعاً متنى  
وهذا هو الاستيك النقى الذى يكون فى الصيف طريا لزجا وفى الشتاء صلبا ثابتا

إن منفعة هذا النوع خاصة بأسلاك الكهرباء وله يمنع انقلاى أى ذرة منها فهو حافظها الأمين . إن  
هذا النوع تمكن لثابتة مسائل متخذ من (البترول) للماوم ومنى أحيل بذلك سى لذن (الاستيك المحلول)  
وهذا منفعة فى إطار الجلات التى تجرى بها البراجات (بيسكل) التى يركبها الناس اليوم ويحركونها بأرجلهم  
فلذا تهب ذلك الاطار أسكن رتق شقه بهذه المادة التى هى فى الحقيقة من مادته

### ( الاستيك والكبريت )

هذه المادة النقية المتخذة من الشجرة اذا أضيف اليها مقدار قليل من الكبريت فىس التى تراها بين  
ظهرانينا وهذه لها (خاصتان) احدها محافظتها على حجمها . ثانيتهما أنها أقوى مانع يمنع مرور الماء  
فبالحصة الأولى تصنع منها إطار الجلات فى البراجات التى وصفتها هنا وفى العربات وفى السيارات التى هى  
باللسان الافرنجى (متراك) فهذه الآلات تصلح للركوب بهذه المادة وتريح الركاب . وبالحصة الثانية  
تصنع منها قفل للماء التى تحافظ على درجة الحرارة الكائنة فيه والوسائد التى يكون حشوها هواء . والأواني  
التي يجهل فيها الماء الحار ليستشفى بها للمرضى يحتضى أمر الطبيب . وتصنع منها الأنايب التى فى أبهى  
الرجل القامين بلطفاء النار المشتعلة فى المنازل والمدن والقرى وهكذا الأنايب التى تسقى بها الحدائق وتصنع  
منها (معاظف وأردية) تمنع الطر عن لابسها . وهناك حال أخرى لهذه المادة . وهى أن يضاف اليها  
من (٢٠) الى (٣٠) جزأ من مادة جزء من الكبريت واذا ذاك تصبىح ذلت خواص وأوصاف مغايرة  
لنابقتها مائلة لأعمال غير أعمالها (ذلك) أنها مادة سوداء لامعة صلبة كصلابة قرن الحيوان . وهذه  
تصنع منها مسطر ومقايض توضع فى نهايتها أسنة الأكام وتدخل فى كثير من لازمة وحلية نوع الانسان  
انتهى وصف هذه الشجرة ومنافعها وخواصها

( رسم شجرة الاستيك )



الأثرى رعاك الله عجائبها . أنظر ثم انظر كيف  
خصها الله بأرض دون أرض وجعلها في أمم دون أمم .  
وانظر كيف جعل لها ثمرة غير ما نعرفه . نحن نأكل  
الفروشم والورد ونأكل اللبن والقشدة من شجرة  
القشدة المعلومة ونلبس من الكتان والقطن . كل  
ذلك معروف مفهوم إنما هذه فائدة غير ما عرفناه  
وحكمة غير ما أدركناه . فانظر كيف خزن الله هذه  
المنفعة في الشجرة حتى احتجنا إليها . علم الله أننا  
نحتاج الى الكهرباء بعد آلاف السنين . فإذا صنع

شكل ( ١ )

ودبر . خلق هذه الشجرة قبل خلق الناس ووضع فيها هذه الخاصة ولما جاء هذا العصر قال أتم لن  
تحفظوا ذوات الكهرباء لآلهة المذة وهي قبة فلاكبريت بمخالطها ولا غبار يتخرج بها فاذن تحفظت الكهرباء  
للأشياء والاشراق في كل مكان . مد الناس الأسلاك البرقية (التلغراف) في الأرض ولم يجد الناس سبيلا  
لمدّها في البحر حتى عثروا على هذه المادّة حفظت الأسلاك البحرية من أضرار الماء لها فيها كان  
تواصل الأمم وتعارفها كما قال تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل  
لتعارفوا - فهذه إحدى دواعي التعارف . أليس هذا هو التدبير . يقول الله - يدبر الأمر من السماء الى  
الأرض - ويقول - يدبر الأمر فيضل الآيات - فهذا من تدبير الأمر وهذا من تفصيل الآيات . هذا بعض  
أنواع التدبير والتفصيل . علم الله قبل أن نخلق حاجتنا الى الأسلاك البحرية التي سيخلقها فدبر هذه  
الحكمة والخاصة للمذرة

دبر الله هذه المادّة ووضعها في هذه الشجرة . وخزن الفحم في أعماق الأرض . ولما أراد ارتقاء  
نوع الانسان علمه البيان وأرسله الى باطن الأرض فاستخرج الفحم وجرت به القطرات وأدار السولاب  
وسقى الأرض وجعل على ذات ألواح ودرسى البر والبحر واستخرج الكهرباء واحتاج الى ما يحفظها فأرسله  
الى تلك الشجرة فقررت عنه واستخرج منها ذلك السائل (١) فكان حافظ الكهرباء (٧) ثم ألهمه أن  
يذيب تلك المادّة فأصبحت رقعا لفتق العجلات في سفره (٣) ثم ألهمه أن يضيف اليها الكبريت قليلا  
فكانت ساقية لبستانه مطفئة لئلا احتراق منزله الخ ما حرقتم . ثم زاد الكبريت فظلمت للنفحة في الكتابة  
ونظام رسم الخراف وجمال الكتب وزينة نوع الانسان تبارك اسمك وتعالى جدك . دبرت بحكمة (١)  
جعلت هذه الشجرة قليلة في الدنيا لأن كثرتها في الأرض مغطاة المنافع بأثرة التجارة . كيف لا وهل هي  
تشابه النخل تحتاج اليه في حوز الرطب والتمر وما أكثر حاجتنا اليه . أما هذه الشجرة فانها وإن عمت  
الحاجة اليها فان ما نستعمله منها لا يوزن عشر مشار ما نحتاج اليه من النخل وكثير من أشجار الفاكهة  
والزيت . لذلك قلت هذه الشجرات في الأرض (٢) ثم هي متباعدة في أقطار المسكونة ليرحل الناس اليها  
ولم تقرب من متناول كل حي فهي كالعلم يحرم منه من لا يستحقه وإن كان للعلوم مشاهد أعسوسا ولا يعطى  
به إلا من هم له شوقون ويتحصيهم مفرمون . لأن هذا الانسان خلق ليكون في حركة جسمية وعقلية  
أمد الحياة تباعدت مطالبه لتكثّر أعماله فتقوى روحه ويتعود الصبر واللبث . فالحكمة في هذه الشجرة  
أشبه شيء ببعض الحكم في الحجج . جعل الله الحجج ليكون من فضائله التدبير على فرق المؤلف والتعرف  
بغير ما هو معروف والتأني عن الكسل والمبادرة الى العمل والسعي لسفوف النفوس والبروة لتجسّل للناس .

معاني هذا الوجود (٣) كلما كان الشيء أشرف كان أعزّ مطلباً وأغلى ثمناً وأبعد في طلبه كما نرى في الذهب والفضة والأشجار الكريمة وهذه الشجرة

### ( آراء نوع الانسان في أمثال هذا المقام )

لعل أن الناس في أمثال هذا الموضوع ثلاث طبقات (١) طبقة دنيا وهم العاقبة وكثير من أنصاف المتعلمين ينظرون الى مثل هذه المذة وأمثالها نظرهم الى ما بالقون ولا ينظرون الحقائق الكامنة فيه (٢) وطبقة وسطى وهم الذين يدرسون منافعها كما يدرسون منافع كل مخلوق (٣) وطبقة عليا وهم الذين يجتهدون في فهمها ونظروا لهذا وأمثاله نظرة عامة محيطية ترجع الى التدبير العام والنظام الكلي أولئك هم أعلى نوع الانسان وهم آباء والناس جميعا أبناءهم ونسبهم الى الناس كنسبة للولك والأمراء الى عامة الشعوب . فهؤلاء يقدرون المفكرين في الأمم الى النظرات العامة الشارحة للصدور وانحو هذا جاء الأنبياء بطريق الوحي . فهؤلاء نظرهم كلى وحسبك ما ترى في القرآن من أمره للناس بالنظرات العاتقة . وكلما قلت هذه الطبقة من أمة قلت سعادتها . وكلما كثرت زاد ارتقائها . هؤلاء هم الذين يدرسون هذا الوجود درساً يفهمون به التدبير العام . وهذه الطائفة تقل في نوع الانسان كما قلت هذه الشجرة من بين الأشجار ولكن علمهم يعم الأقطار كما عمت منافع هذه الشجرة الأمصار

هذا كله تدبير حكيم منظم . إن هذا الوجود كله ساعة منظمة وهيكل محكم . هذا الوجود كله لافرق بينه وبين جسم الانسان والحيوان من حيث الاتقان والنظام . أنظر كيف علم الله احتياج الناس في أسفارهم في عصرنا الى ما يرتقون به فتح الجبال فوضع هذه الحاصية في تلك الشجرة فكما نرى العين في الانسان والأذن وبقية الحواس لاتم منفعتها إلا بالأبدي والأرجل والاحشاء وبقية الأعضاء وأعصاب الحس والحركة بحيث نرى هناك اتصالاً بين المنع وبين أطراف اليد والرجل وجيع الشعر . هكذا نرى هنا ارتباطاً وثيقاً بين الناس وبين منافع الأرض في سائر الأقطار . وهذه الشجرة من شواهد ذلك فهناك ارتباط الفهم بالكهرباء بهذه الشجرة بحيثانما يعلموها بمدارسنا بالشمس بالقمر بالكواكب

كل هذه متصلات اتصال أعضاء أجسامنا . هذا هو معنى قوله تعالى - ثم استوى على العرش - وقوله - يدبر الأمر من السماء الى الأرض - وقوله - يدبر الأمر بفصل الآيات لمحكم بقاء ربكم توقنون - أنظر الى قوله - بفصل الآيات - وانظر الى أنه أتبعها بقوله - لمحكم بقاء ربكم توقنون - لماذا جعل هذه الجلة بعد التي قبلها وأتبعها بها . أما تفصيل الآيات فهاهنا كثير في هذا التفسير . أما الايقان فلماذا يكون عقب ذلك

### ( الاجابة على هذا السؤال )

يجب عالم البلاغة على هذا السؤال ويقول لما بينهما من الجامع العقلي والوهمي أو الخيالي الى آخر ما تراه مسطوراً في كتب البلاغة كالافتتاح للعلامة السكاكي وكتاب السعد التنقازي وغيرها . وهذه اما تنفع للتعليم أثناء دراسة اللغة ولكننا نحن الآن نريد أن نبين ما معنى ذلك في عصرنا الحاضر أي في القرن العشرين . أنظر الى علماء القرن التاسع عشر فانهم كانوا غالباً لا يفكرون في النظام العام باعتبار التدبير والاحكام بل باعتبار النشوء والارتقاء . وكثير منهم من أنكر صانع الوجود . المنظم لكل موجود لأن أنظارهم اقتصرت على ما دون النظام التام . فلما أن بزغت شمس العلم في عصرنا ظهر في الأمم مجدّدون وحكماء مفكرون منهم (١) العلامة (ابن دوسيون) في كتابه (الله والعلم) الصادر سنة ١٩١٢ قال (الفرضان اللذان يقوم عليهما مذهب القائلين بالانتخاب الطبيعي وانتقال الصفات المكتسبة قد قضى الأول (سبنسر) و (ويسمان) قضى الثاني) وقال إن انتقال الصفات بطريق الوراثة لا أصل لها وبرهن على

أن هذه المشاهدات المزعومة لا تقوم إلا على حكايات مخترعة لاتعبر قيمتها العلمية عن قيمة حكاية المروضات وتري أمثاله كثيرين في عصرنا أمثال الدكتور (ادورد هارتمان) إذ قال ﴿إن الذين قالوا إن هذا الصام وجد بلا قصد كلامهم من الأمور الموهومة التي لا أساس لها وعلى ذلك بأن الطبيعة ذات نظام ميكانيكي . ولا يمكن النظام بلا قصد كما لا يمكن التصد بلا نظام وكل ما لانظام له فهو مهمل في فوضى كالتيران الهائجة والطبيعة التي يطلون بها ليست كذلك﴾ اهـ

وأمثال (لويز بوردو) إذ قال ﴿يجب أن يعترف بأن هناك قصدا مقصودا وروحا مديرة لأنه بدون ذلك تفقد وحدة المجموع رابطتها فالقصد يظهر في تلازم الحوادث ويثبت به﴾

وأمثال الاستاذ (فون باير) الألماني في القصد قال ﴿إذا كانوا يملنون الآن بصوت جهوري بأنه لا قصد في الطبيعة وأن الكون لا وجوده إلا ضرورة عمياء . فأنا أعتقد أن من وإجابتي أن أعلن عقيدتي في ذلك وهي أرى أن هذه الموجودات تؤدي الى أغراض ومقاصد سامية

وأمثال (كاميل فلامريون) الذي قال ﴿إن درس الوجود يجعلنا نترك أن له نظاما مقررنا وغاية دفع به اليها . إن البصر الذي يظهر في النباتات والحشرات والطيور الخ وهي غافلة عنه مما يقصد به حفظ ذرياتها وامتحان المشاهدات في التاريخ الطبيعي يستنتج منها أن في الطبيعة عقلا مدبرا . وهكذا كثير من الحكماء ذكرناهم في غضون هذا التفسير كلهم تعلقوا بمعنى هذه الآية - يدبر الأمر - وهذه شهاداتهم طرا ترجع الى قوله تعالى - لعلكم يلقوا ربكم توفيقون - فمطلق الجسلة التي فيها الايقان في سورة الرعد التي تناسب مافي هذه السورة ظهر أثره في هذا الزمان فان العلماء الذين أثبتوا وجود مدبر للكون رجعوا في رايهم الى هذا التدبير المحكم فالتدبير والتفصيل كما رأيت في الشجرة المذكورة هنا هو الذي أورث اليقين واليقين أشرف من الإيمان وهو المذكور في قوله تعالى في سورة الأنعام - وكذلك نرى إبراهيم مسكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - . فلما سمع صاحبي ذلك . قال هل من علماء غير هؤلاء بحثوا في هذا الموضوع وأتى لهم اليقين كالسائقين . قلت قد كتب العلامة (ادمون برييه) في مجلة (العالم الخفي) سنة ١٩١٢

قال إن ثقة الاستاذ (جينو) بتأثير البيتة (الوسط الخارجي) ضعيف جدا فان هذه البيتات على ما يقول لاتصلح لايجاد أي تغيير ورأى ثابت فالبط وسائر الطيور المائية ترى متمتعة بأرجل ذات أصابع متصلة بنشاء فيظن أن هذه الأغشية قد أوجدها نوع معيشتها ولكن بالعكس من ذلك في مذهب اللسيو (جينو) فانه يقول بأنها وجدت لها مقاما بدون تأثير من الخارج وأخذ البط يعوم لأنه وجد له أرجلا مفضاة تصلح للعوام فهذه الحيوانات قد اعتدت من قبل للعوام أي انها خلقت للعوام قبل أن تستفيد تركيب أرجلها من العوام

(٢) وأيضا الاستاذ (بولجر) الألماني الشهير قال ﴿لم أجد واحدة من هذه المشاهدات تثبت انتقال الصفات بالوراثة﴾ وأيضا قال الفزيولوجي الكبير (دوبوار يمند) اذا أردنا أن نكون ملخصين وجب علينا أن نعترف بأن وراثة الصفات المكتسبة قد اختلقت لمجرد تحليل الحوادث المراد تحليلها وانها هي نفسها من المفترضات العامة﴾ . فلما سمع صاحبي ذلك . قال هذه أقوال لا أفهم لها معنى . ما هي الصفات المكتسبة والموروثة هذا كلام غامض . قلت أنا قلت لك أن علماء القرن التاسع عشر وما قبله كانوا يقولون إن هذه

الحيوانات يكتسب الفرع منها صفات الأمل وهذا أصل من الاصول الأربعة التي هي مذهب (دابوين) (١) وهي أن الحياة ذات أطوار وتغيرات وانتقال من حال الى حال (٢) وهذه التطورات تنتقل بالوراثة الى النسل (٣) وأن الأحياء جميعها بينها تنازع البقاء (٤) وكلما كان الحي - أتم وجودا وأقوى وأكمل كان أصلح للحياة والبقاء . والأنصف محكوم عليه بالفناء . فهؤلاء العلماء في القرن العشرين نازعوا في بعض هذه القضايا . ومعنى هذا أن المذهب الأول يقول إن العالم لا صانع له وهذه التزعمات كافية في تهانة وعلماء هذا

القرن الذين ذكرتهم والذين لم أذكركم هم الذين يقولون كلا ان للعالم صنما وبرهانه ما يشاهدون من نظم الحشرات والاطلمات والجباب كإشرحناه في هذا التفسير وهو مضمون قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - هنا وقوله - يدبر الأمر بفضل الآيات لعلمكم ببقاء ربكم توفنون - ثم قلت وبهذا ظهور أن هذه الدنيا ومن عليها من الناس أشبه بأمر ترى أولادها - فكما أن الأم يخلق لها التديان قبل خلق الولد والابن يخلق في التدي قبل الولادة - هكذا الناس خلقت لهم قبل أن يخلقوا هذه الحيوانات وهذه الشجرة التي نحن بصد الكلام عليها وذلك من التدبير ويناسب قوله تعالى - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

هذا سترى في سورة النحل والنمل والعنكبوت وغيرها من السور عجائب الحيوان وبدائع تلك الاطلمات والقوى التي أجمع حكما مصرنا في الأم كلها على دلالتها على حكمة نظمها - وهكذا سترى في سورة المذثر عند الكلام على قوله تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو - الغاية الكلام على بعض الحشرات التي خلقت لتعيش في أجسام الحيوان والانسان - فالناس حرم عليهم أن يأكل بعضهم لحم بعض لا بالفضية ولا بالأكل الحقيقي ولكن أحل الله ذلك لدرت صغيرة خلقها لتعيش في أجسام أناس مستعدة للرض وللوث لتخلو الأرض لهمهم وتصلح بسكنها فلها (شأنان) شأن أفسها تعيش وتموت وتلد ويخلقها غيرها لتفهمنا قوله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - فالثانية هناك سيظهر أثرها في بعض أحوالها إذ تعيش هذه الحيوانات التربة في أجسام الناس والحيوان - وأما الشأن الآخر فهي أنها أشبه بالشرطة الذين يكونون في المدن ليحفظوا النظم ويعتصوا تصادم المارة في الطرقات والشوارع - هكذا هذه الحيوانات التربة خلقت لتقلل من الانسان والحيوان - ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة - ولو كره الناس أجعون - وهناك ترى أن هذه أيضا من جند الله التي لا يعلمها إلا هو وإنما علمنا بعضها لأنه قال - ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء - فقلبي تعلمه الآن بما شاء الله أن يعلمه للناس من جنوده وإعلم أن هذا التفسير جملة مقدمة لتبصرة الأم الإسلامية فهو أشبه بشدى الأم قبيل الولادة إذ يكون مستمدا لسر اللبن وكهذه الشجرة للسماة في بلادنا (بالأستيك) وأيضا (كلونشوك) مأخوذة من كلغفرنسية وتقدم ذكرها بالانجليزية - ويقال لها في بلادنا المصرية أيضا (مطاط) فكما خلقت هذه الشجرة قبل خلق الكهرباء وافادتها هكذا ظهر هذا التفسير الذي سبق ظهور آلاف من قادة الاسلام في مستقبل الزمان وسيقرونه ويكون لهم شأن في رقة الأم الشرقية - ولتعلن نبأه بعد حين - انتهى ما أردت ذكره في هذا المقام

### ( فريدة في التدبير العام )

إن التدبير العام (نوعان) نوع لتدبير القوة - ونوع لتدبير المادة - فالنوع الذي هو لتدبير القوى فذلك أن تانزرى غرائز حيوانية وعقول انسانية وقوى قسسية - أما الغرائز الحيوانية فهي أدنى الدرجات انها قد ألهمت جميع ما تحتاج اليه في حياتها وبناء مساكنها وتربية أولادها ونظام أعمالها - ناهيك ما ترى من نسج العنكبوت ودقته ومستسات النمل وهندسته وحوص الحشرات على تربية ذريتها سواء أكانت من التي تكفل تربيتها كالنحل والنمل أم كانت تموت قبل أن يقف يبيضا كما ترى في الناموس الذي ستعرف تفصيله في سورة المذثر عند قوله تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو - والجراد ودود القز إذا الناموس لا يضع بيضه إلا في المستنقعات والأما كن التي تكون مربي خبيبا لتربيته قبل استكمال قوتها - هكذا الجراد لا يضع بيضه إلا في أما كن خاصة وهي يدفنها في الأرض بحيث لا تكون أبعد ولا أقرب من الوضع الذي يصح معه التفريخ في الأرض وهكذا سائر الطيور علمت وألهمت جميع ما تحتاج اليه في أنفسها وذريتها وهذا التفسير

قد جمع ما يكفي ذا اللب في مثل هذا وهكذا العلوم اليوم في الأمم المحيطة بنا تكفلت بهذا البيان وأعطت اليقين للفكرين وهذا كما قال الله تعالى - قال ربنا للذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وقال - سبحانه اسم ربك الأعلى • الذي خلق فسوى • والذي قتر فهدى - فهذا هو التقدير وهذه هي الهداية وبهذا وأمثاله يكون العلم واليقين

### ﴿ العقول الانسانية ﴾

أما العقول الانسانية فانها أرقى من الفرائز الحيوانية • إن الفريزة خاصة بعمل لا تحيد عنه • ينسج العنكبوت ويصطاد بشبكته ويطير بنسيجه كما يطير الانسان اليوم في الجوّ ويجعل له ما يشبه القنطرة وبينى مساكن من نسيجه • وهكذا عما ستره في سورة العنكبوت مفصلاً موضعاً وهكذا غيره • كل هذا لا يصل الى درجة الانسان فان الحيوانات وان كانت غرائزها عجيبة هي قاصرة • أما العقل فهو أوسع نطاقاً وأرقى وأقوم وأقوى فهو أعلى من الفريزة • ناهيك ما رآه اليوم من الابداع والارتقاء والارتفاع

### ﴿ القوة النفسية ﴾

أما القوة القدسية فهي أعلى من القسيتين • فالعقل وسط بينها وبين غريزة الحيوانات • وإليك تقول أين القوة القدسية • انها خاصة بالملائكة وأنت عوّدتنا في هذا التفسير أن نجعلنا نلص الحقائق بقولنا • العقل عرفناه والفريزة فهمناها • أما هذه القوة القدسية فانما نعرفها إلا نقلاً من كتب البيانات أو من كلام الفلاسفة • قلت اعلم أن هذه القوة نعرفها نحن بأنفسنا ﴿ ذلك ﴾ اننا رأينا طائفة من هذا الانسان لم قوة غير القوة العاقلة وهي أشبه بفرائز الحيوان وغرائز الأتهمات بالنسبة لأولادها • قال هذا لم أنهم غارهم • قلت إن الأم والأب لهما غريزة أشبه بغريزة الحيوان من حيث الصلف على ولدها إن للانسان غرائزه كالحيوان في الأكل وتربية الولد وغيرها ثم هو استاز عن الحيوان بأن العقل ساعد الفريزة في تربية ولده • ولكن الطائفة الممتازة التي أقيمت اليها القوة القدسية أو بعض آثارها هم طائفتان الأنبياء والتابعون ومنهم الحكماء • فالأنبياء يتلقون الوحي عن الملائكة • ولاجرم أن هذا فوق متناول العقل • ثم ان الأنبياء اليوم ليس منهم أحد على الأرض وأن الله عز وجل خلق في كل أمة من أمم الأرض أناساً استعدادهم خلق للعموم لا للخصوص فهم أبداً مفرومون بأسماء المجموع أو بتعليمه يحدون ذلك في صدورهم ويعسرون به في أنفسهم لا يقرّ لهم قرار ولا يكون لهم اضطراب إلا اذا جنّوا في الأسفار وقطعوا القفار وركبوا متن البحار واستخدموا الكهرباء والبخار لنيل الأمان والأوطار وإدراك المعالي وحوز العلوام ونفع العموم • وهؤلاء ليلهم ساهر وتلهزم عامل • فهذه الحال لا تقارهم • وهذه الأخلاق لا تقادهم فهم مع العلم ومع أنهم أشبه بالأم الواهية على ولدها • للمولة بخلدة كبدها • ولكن هذه الصفة في هؤلاء الأشراف أعلى مقاماً وأرفع متاراً وأشرف مقصداً ومعتداً فمن تنحط الى غرائز الحشرات ولا الى عطف الأتهمات من الآدميين والحيوانات بل انها تلو على العقل وتسخره فتجعد تلك للموهبة تسوق العقول التي جاورتها في الأجسام التي جعلتها لتحمل المتصنفين بها على تحمل المصاعب وقطع السباب وإفراغ الجهد في استخدام العقل • ذلك هو وصف التابعين في سائر الأمم ولغة لم يخل الأرض قديماً ولا حديثاً منهم • وكل يظهر في أتمته ما وفق له من أمر ملأى أو معنوى • كل ذلك لا يلهم يلهمونه كإلهام الحيوان وعامة الانسان ولكن هذا أعلى من العقل فهذا اللغة من الملائكة • وترى الإلهام في الأم المادّية كأهل أوروبا يرجع الى المادّة وفي الأم التي قصرت همها على الامور الروحية نبغت فيها فقط وكلاهما إلهامه ناقص • فأما الأم الاسلامية التي ستظهر بعد هذا التفسير وأمثاله فانها سيكون إلهامها لجمع اللامرئين مما فلا يقفون عند المادّيات كأهل أوروبا غالباً ولا على المعنويات والروحيات كبعض الاوربيين وعلمة أهل الهند فيكون الإلهام شاملاً للامرئين



نافعا في الروح والجسم والمعنى والمادة

وبهذا عرفت **(القوى الثلاثة)** الغريزة والصلقل والقوة القدسية وأن هذه القوة في عالم أعلى منا وتنزل على أفراد في الأمم المختلفة وتظهر على أيديهم منافع للناس وسعادة ملاقاة أو معنوية . وأرق هذه الطائفة هم الحكماء الذين يدرسون هذا الوجود وهم مغمومون برهيم وبظامه وبظام الأمم . فوجود هؤلاء في الأرض دليل على أن هناك قوى أعلى منهم يستموتون منها إلهاماتهم وهم يبنون عليها سواء أعلوها ذلك كالأنبياء أم لم يعلموه كالحكماء وبعض النابضين . فهذا هو النوع الأول من النوعين العائين للتدبير وهو تدبير القوة فظهور أناس في الناس لامتازوا بقوة أرقى من غيرهم . وعموم العقول في الناس وعموم الفرائز في الحيوان في ذلك كله معنى التنزل من السماء إلى الأرض ليكون الوحي للأنبياء فيعملون الصقلاء وهؤلاء الصقلاء يفكرون في الوحي ويذهبون مذاهب حتى لنفع الناس فهذه العقول كلها مسخرة لهذه الموهبة القدسية ثم إن غرائز الحيوان والإنسان تحت ذلك كله مسخرة مطيعة كما سخر الله الإنسان فنفع الحيوان طوعا أو كرها ألا ترى أنه يقيم الطعام للثور والفرس وأنه يزرع القطن فبا كماله السود فهوذا الإنسان سخر طوعا أو كرها ككل مخلوق . وملخصه أننا نرى القوة القدسية ألقت شعلتها من العلم على العلماء التائبين للأنبياء وبالإلهام للتائبين والحكماء وبالقوة القدسية زرع الناس ونظموا الأرض فأكل الحيوان أردنا أم لم نرد . هذا هو معنى - يدبر الأمر من السماء إلى الأرض - في هذا المقام وهو الكلام على القوى الثلاث وبه تم النوع الأول وهو تدبير القوة

#### **( النوع الثاني من التدبير العام . تدبير المادة )**

إن تدبير المادة أيضا داخل في قوله تعالى - يدبر الأمر من السماء إلى الأرض - فكما رأينا القوى عدا أعلاها أسفلها . هكذا نرى المادة عدا أعلاها أسفلها . أم ترى إلى الشمس كيف كان أهل الأرض لا يعيشون إذا لم يكن ضوءها مرسل إلى أرضهم فستري في سورة - الشمس ونجمها - كما رأيت في مواضع كثيرة من هذا الكتاب مثل ماني سورة الفاتحة وغيرها أن كل مخلوق على الأرض لا يحيى إلا بوجود الشمس فولولها لم يكن ريح تهب ولا ماء يجري ولا حيوان يدب ولا إنسان يوجد بل تكون الأرض قاعا صفصفا . ثم انك ترى السحاب يجري والرياح تهب كل ذلك لمنافع الناس على الأرض . فها هوذا الأعلى نفع الأدنى كما نفعت القوة العالية وحافظت على من دونها طوعا أو كرها . سخرت العوالم المحيطة بنا لحياتنا . وامتلأ الجو بالبخار والسحب وزلت الأمطار وزبحر الرعد ولمع البرق وهبت أهواصف فبت الزرع وازينت الأرض للناظرين . وهرت النجوم في سمواتها وأرسلت أشعتها تترى لأهل الأرض فساروا على هدايتها في البر والبحر فكانت نورا لسارهم وهداية لمسافريهم ومرشدا لربانهم ونجاة لسفنهم وإسعادا لبدوهم وحضرم وهم آمنون

#### **( مستقبل الأمم على الأرض وواجب المسلمين )**

ها أنت ذا أيها الذي قد اطلعت على ترتيب التدبير من السماء إلى الأرض في القوى والمواد . وها أنا ذا أذكرك نتائج ذلك في الأمم فأقول . قد تبين لك أن العقول موزعة على الناس والمنافع على الأرض في مواطن من هذا التفسير وأهل الأرض متضامنون وليس لهم دخل في إزالة المطر ولا ضوء الشمس ولا خلق الهواء ولا خواص الأرض . قضى الشمس وتسير الرياح بحركاتها فتجري السحب فتزول على الأرض والناس يتلقون الماء فيها ويزرعون والماء يجري في الأنهار إلى البحر الملح . يظن الإنسان لأول وهلة أن هذا الماء الجاري إلى البحر ضائع لا فائدة منه كما في ماء النيل بمصر ودجلة والفرات المحيطين ببلاد الجزيرة وكثير الكنج بالهند وكثير الأمزون وغيرها . يقول الناس إن الماء يجري أيام الفيضان إلى البحر ولا فائدة

منه بل هي قوى معطلة وليس الأمر كما يظنون . ان للماء اذا سقى الحقول وأثبت العشب وعاشت به الأمم قائما مثله مثل رجل يسي أولًا لما يبيت جسمه ثم يراه يسي ليري أولاده ليعيشوا بعده . هذه حال هذه الأنهار . الناس يعيشون بها ثم هي تجرف الطين والرمل والحصى الى البحر كل سنة ليكون ذلك طبقات وراء طبقات بها تتكون الجبال في قاع البحار فيعلو هناك كما تعلو اليابسة كل سنة (بالفرين) الذي يحمله للماء . لجميع الجبال التي رآها كالقطع وكجبال همالايا وغيرها كما ستراه مفصلا في هذا التفسير في السور التي بين سورتي يوسف والنحل ان شاء الله تعالى وفي قوله تعالى - أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت - الى قوله - والى الجبال كيف نصبت - في سورة الغاشية انما تتكون أولًا في البحار في مئات الآلاف من السنين فهي أجنة في بطون البحور تخرج بعد أمد طويل . إذن ليست القوى معطلة . فالنهر اذا عشنا بمائه فوق الأرض فان ما فضل يستعمله باذن الله في احداث عوالم ستكون بعد قرون . فالجبال مكونات من فضلات الأنهار كما كوتت الأجنة مما فضل من غذاء الأبوين في أجسامهما فالنطفة منهما من فضلات الدم الجارى في عروقهما ودم الحيض الذي لا يكون إلا زمن القوة واللبن المغذى للطفل . كل ذلك فضلة فالفضة من القوى كما فاض النهر وجرى فكتوت به هذه الجبال . وليس معنى هذا أن الناس على الأرض ينامون ويتركون أنهارهم . نعم هذا تدبير محكم ونظام عجيب عالم

### (ازدياد الناس على الكرة الأرضية)

ازداد الناس اليوم على سطح هذا السيار الذي نعيش فيه وازدحت القرى والأمصار بكانها واشربوا الى منافع الأرض وقد علموا أنهم متضامنون وان لم يصلوا بهذا التضامن . والذي أراه أن الناس سائرهم الى حال ستجمعهم طوعا أو كرها . سيفكر الناس في استخدام جميع اللوايح العقلية في الانسان واللوايح في الأرض كما ستراه في ملخص كتابي (أين الانسان) في تفسير قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - وذلك بقلم الاستاذ (سنتلنه الطلياني) قريظاله وهو مترجم الى العربية من التليانية فان هذا الملخص هناك هو معنى الآية وهو موضع لهذا المقام قرب الوقت الذي نحاسب فيه كل أمة على ما فرطت في عقولها وما أهملت من أرضها كما في الكتاب المذكور . قد رأيت ألا شئ في الوجود معطل وأن ماء النهر الجارى الى البحر له عمل فيضطر الناس الى أن يحاسب بعضهم بعضا على ما أضعوا من قوى . وستقول كل أمة للأخرى ان عندك قوى محزونة في جبالك أوفى مائك أوفى أرضك أوفى عقول أبنائك فاستخرجها لأن المنافع تعود منك على التجارة والمبادلة وغيرها فاذا أبت قهرها غيرها واستخرجوا المنافع وشاركوها . ذلك سيتم متى ازداد عدد السكان سيضطرون لذلك اضطرارا لأنهم متضامنون كما قلنا . وأضرب لك مثلا

خذ ملابس صبي من صبيان للمدارس في أنحاء الأرض الآن فهي مركبة من

- (١) صوف يحضونه غالبا من استراليا أو من جنوب افريقيا
- (٢) أوطان مستحضر من مصر أو أمريكا أو بلاد الهند
- (٣) أوكتان مستحضر غالبا من بلاد روسيا أو بلجيكا أو أيرلندة
- (٤) ويحتاج الى سير من جلد مخصوص وهو يجلب من أمريكا الشمالية
- (٥) ويصنع ذلك كله في بعض ممالك أوروبا
- (٦) ولزرة من فضة تستجلب من بلاد (المكسيك)
- (٧) ومشابك أخرى إما من نحاس أصفر مستخرج من النحاس الأحمر المستجلب من اسبانيا
- (٨) أو من قصدير من شبه جزيرة بلاد الملايو

(٩) وكل هذه تجعلها السفن فتجر البحار

(١٠) وقس على ذلك كل ما يحتاج اليه

( واجب للمسلمين الذين أتوا لهم هذا الكتاب )

أيها الذي إليك أن تظن أن اطلالة هذا الموضوع خارجة عن الآفة في التدبير العام والتدبير العام انحصرت في القوى والمادة وقد رأيت تدبير القوى من الأعلى الى الأدنى والدة أيضا من الأعلى الى الأدنى وهذا ملخص ما ذكرنا وهذا الكتاب للمسلمين وأنت مخاطب لأنه لا يفهم هذا إلا أناس لهم قوة بها يفوقون المجموع والذي ذكرته علم والعم إن لم يصحبه حمل ضلع فهذا إذا أوصيك بالمسلمين • إن للمسلمين اليوم أحاطت بهم الأمم من كل جانب وقد سبقهم النصرى والمجوس واليهود فعم التعليم لليهود واليابان وأوروبا ولم يبق جاهلا إلا المسلم ولا يتعلم غالبا إلا القليل بلغة كل الجدة واتخذ سبيلا الى تعمم التعليم حتى فاقوا بالألم وهذا لا يحتاج الى أكثر من عشرين سنة • ومتى نما التعليم في الأمم الاسلامية أمكنها استخراج النافع من العقول ومن المادة كما شرحناه • يدبر الله الأمر من السماء الى الأرض ونحن مكلفون أن نعمل بقدر طاقتنا • ومتى ارتقت أمم الاسلام صارت مجارية للأمم الأخرى وحيثما تكون مساوية لهم فلا تتم بأنها عطلت عقول أبنائها ولا منافع أرضها وخواصها ولا للطور النازل في أرجائها • فان لم تكن سابقة الأمم في ذلك فلتكن مساوية لهم هذه هي السبيل التي يجب اتباعها ونشرها وأن هذا التفسير وأمثاله في هذا العصر مقتضات لذلك إرق للنشود والحمد لله رب العالمين

( فصل في قوله تعالى - وقره منازل )

هي ثمان وعشرون منزلة أولها الشريطين وآخرها بطن الحوت وهي مقسومة على اثني عشر رجلا أولها الجبل وآخرها الحوت لكل برج منزلتان وثلاث منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستمر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين وإن كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة

( القمر أصل الشهور والأسابيع )

اعلم أن القمر لولاه لم تكن شهور ولا أسابيع ولكن اختلاف الناس عسيرا في حسابهم • ويانه أن دورة القمر التي تتم في ٢٨ يوما كما تقدم جعلت مقياسا للشهر • ثم بالنظر لاختلاف الفصول من شتاء وصيف وخريف وربيع جعل مقياسا لها فجعل كل فصل ثلاثة أشهر وكل شهر أربعة أسابيع وكسر

فدورة القمر هي التي نهبت النوع الانساني الى أقسام السنة الاثني عشر لشهرا شهورا • فأما سير الشمس فلم يسط الناس الا الفصول الأربعة باعتبار بعد الشمس وقربها وهي الصورة السنوية • وهنا أخذت الأمم تفصل أيام السنة وشهورها بحسب ما يعين لها فانهم لما رأوا الاسبوع سبعة أيام لم ينظروا لليوم بنظر واحد

(١) الكلدانيون والفرس يجعلون مبداء من شروق الشمس ويحصلونه ٢٤ قسما متساوية هي الساعات

(٢) اليهود يشتدقون من غروب الشمس الى شروقها ليلا ومن شروق الشمس الى غروبها • فالساعات ليلا ونهارا تختلف طولها وقصرها بحسب الفصول عندهم بخلاف الكلدان والفرس فهي متساوية مع اختلاف الفصول

(٣) الايطاليون في أواسط القرن التاسع عشر كانوا يحسبون كاليهود

(٤) العرب يحسبون النهار من مرور الشمس على خط الزوال مبتدئين من الساعة الأولى الى الرابعة

والعشرين التي تنتهي بمرور الشمس عند خط الزوال عينه في اليوم الثاني

(٥) لم تتفق الأمم الكبرى كفرنسا وغيرها في مصالحها الصومية لاسيا في مواعيد السلك الحديدية

على ما كان عند العرب الا في زمن قريب جدا • وأسماء الأيام مستنبطة من أسماء الكواكب السيارة

(١) الاثنين القمر عند الفريجة (٢) الثلاثاء من مارس عند الفريجة أي المريخ (٣) الأربعاء يرمع

عند الفرجحة إلى عطارد (٤) اتجس يرجع إلى جو بتر عندهم أي للمشرقى (٥) الجمة يرجع إلى الزهرة (٦) السبت يرجع إلى ساتون أى زحل (٧) الأحد يرجع الشمس وهذه كانت معروفة عند آبائنا العرب فإذا قال الفرجحة مثلاً ان الأر بقاء وهو (مرسكردى) مشتق من مركور أى عطارد فان آباءنا قالوا ان يوم الأر بقاء لعطارد وهكذا بقية الأيام بالنقل عن الأمم . ولقد اتفقت الأمم كلها على تحديد عند أيام السنة ابتداء من القرن الثالث لليلاد واعتبر أكثرهم ان مدة الأسبوع مصادفة ربع دورة القمر حول الأرض (١) وكان القرس والمصريون لذلك العهد يعتبرون السنة (٣٦٥) يوماً مقسمة إلى اثني عشر شهراً والشهر ٣٠ يوماً يضاف إليها في آخر كل سنة خمسة أيام (أيام النسيء) ومع ذلك لم تطابق السنة الحقيقية والأشهر عند قدماء المصريين هي (توت . فاووفى . أوثير . شوكا . توبى . مشير . مليميوت . فرموفى . ياشون . بوفى . ابينى . ميسورى) والشهر الأول منها وهو (توت) يتبدى فى الاعتدال الخريفى (٢٢) سبتمبر من كل علم

(٢) الصينيون كانوا يعرفون السنة الشمسية وقد ضبطوها مرات عديدة

(٣) العرب . السنة تتألف من (١٢) شهراً والشهر مؤلف من (٢٩) يوماً وبه شهر مؤلف من

٣٠ يوماً والسنوات الكبيسة يزداد عليها يوم واحد والكبيسة في كل ٣٠ سنة احدى عشرة سنة والباقي وهو ١٩ بسيطة

(٤) اليهود قويمهم الدينى بالقمر وقويمهم المدني شمسي يتبدى من فصل الربيع

(٥) قنساء الرومان تتبدى السنة عندهم من فصل الربيع ولكن (رومولوس) مؤسس رومية قسمها

عشرة أقسام ذاهلاً عما رسمه القمر في سيرة من قسمته السنة ١٢ قسماً وأسماه الشهور بعضها مشتق من أسماء الآلهة عندهم . هكذا مارس . ابرليس . يونيوس وبعضها أسماء أعداد وأضاف بعض ملوكهم شهرين آخرين وهما (جانوار يوس وفبرول يوس) ثم أضافوا شهراً آخر فصارت الشهور ١٣ شهراً وهو أمر غريب . فانظر ماذا حصل جاء الأمبراطور (يوليوس قيصر) فوضع التقويم اليونانى بأن تكون السنة مؤلفة من ١٢ شهراً بعضها يحتوى على ٣٠ وبعضها على ٣١ يضاف إليها كل أربع سنوات يوماً في السنة الكبيسة . ولما كان الرومانيون يجهلون نظام الأسابيع وسقطت الدولة الرومانية غيروا نظام الشهر الرومانى وجعلوه على ما فعل اليوم من الأسابيع المعروفة اليوم المجهولة عند الرومان

وقد قنض الأمبراطور أغسطس على ألواح النحاس التقويم الذى وضعه قيصر وأطلق اسم يوليوس (يوليو) على شهر ريمى (كنتيكيس) تخليداً لاسمه كما أطلق اسمه هو وهو أغسطس على شهر ريمى (سكتيليس) . فانظر كيف اضطرت الأمم كلها أن تجعل السنة ١٢ شهراً . لماذا . لأن القمر لما دار حول الأرض ١٢ مرة كان هذا قريباً من السنة ينقص عنها نحو ١١ يوماً فكان أن القمر في سيرة نطقى بلسان فصيح قائلاً . هاأنذا رست لكم الشهور فانسجوا على منوالى حتى اضطر الرومانيون بعد ما قاسوا للشاق في تعديل السنة وقد غفلوا عن سير القمر إلى حذف الشهر الزائد عن اثني عشر وأول من تطفن لهذا يوليوس ورجع إلى الشهور الاثني عشر كسائر الأمم . وهذا هو سر قوله تعالى - وقدره - أى القمر - منازل لتعلموا عدد السنين - فأفاد أن نظام القمر هو الذى يحدد السنين ويرفعها ويقسمها ولولاها لاختلفت شهورهم وضاعت مصالحهم . ولما كانت الأمم بعضها محتاج إلى بعض نظم فله لم يسم سير القمر حتى يتبعوه في الحساب فتتظم معاملتهم . فنظام السموات تبع نظام أهل الأرض

( فصل في معنى قوله تعالى - والحساب - من قوله - لتعلموا عدد السنين والحساب - )

اعلم أن السنة الشمسية كما قلنا في كل أربع سنين فيها سنة كبيسة وثلاثة بسيطة . وقاعدتها أن

تقسم سنى التاريخ المسيحى على أربعة فأن قبلت السنة القسمة فهى كيسة والا فهى بسيطة . ولاشك أن هذه السنة التى أكتب فيها هذا التفسير هى سنة ١٩٢٤ قبل القسمة على أربعة وأذن فهى كيسة أنا فى هذه الساعة أكتب ليه السبت نصف الليل اليلة السادسة من شهر سبتمبر من هذه السنة . ومع ذلك السنة على هذا الحساب لم تزد على ٣٦٥ يوما و٦ ساعات وهى فى الحقيقة ٣٦٥ يوما و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٥ ثانية أعنى ٣٦٥٩٢٢١٧ يوما وسطيا وحيتئذ تكون كل سنة يوليوسية تزيد عن السنة الحقيقية للسنة الفلكية بكم من اليوم مساو الى ٥٧٧٨٣ ر . أعنى ١١ دقيقة تقريبا وهذا الفرق وإن كان قليلا يصير يوما كاملا فى كل ١٣٢ سنة وفى سنة ١٥٨٢ ميلادية قد وصلت هذه الزيادة الى عشرة أيام فأمر البابا (جريجوريوس) الباباى بأن يصلح هذا الخلل فأسقط ١٠ أيام من تلك السنة إذ جعل الخامس من شهر أكتوبر الخامس عشر . ولما كان الفرق وهو ١١ دقيقة يصير ١٨ ساعة تقريبا فى كل مائة سنة وثلاثة أيام فى كل أربع مائة سنة وجب إذن طرح ثلاثة أيام من كل أربع مائة سنة فأضاف الى القاعدة اليوليوسية قاعدة أخرى وهى أن كل ثلاث سنين مثبنة عوضا عن أن تكون كيسة تكون بسيطة والزائدة تبقى كيسة وهم جوا . والمراد بالسنة المثبنة ماينتهى عدد التاريخ فيها بصفرين مثله سنة ١٦٠٠ وزيادة السهولة اتفقوا على أن السنة للمثبنة الكيسية هى التى عددها يقبل القسمة على ٤٠٠ سنة ١٦٠٠ كيسة وهى ١٧٠٠ و ١٨٠٠ و ١٩٠٠ بسيطة

وقد قبل هذا التعديل جميع الأمم لمعدا المسكوف والأروم والأقباط فانهم بقوا على التعديل اليوليوسى وذلك نرى فرقا ١٢ يوما بين حسابهم وحساب الأفرنج ١٠ منها هى الأيام التى أسقطها (جريجورى) والاثنتان ناشتان من جعلهم سنى ١٧٠٠ و ١٨٠٠ كيستين والأفرنج جعلوها بسيطتين ومع ذلك لازال هناك فرق يبلغ ربع يوم تقريبا كل عشرة قرون فيكون يوما واحدا كل ٤٠٠٠ سنة بحيث يجب أن يضم يوم واحد لسنة ٥٥٨٢ لأجل تعديل الخطأ المتجمع القليل جدا فتجب من الحساب كيف بلغ فى الدقة مبلغا شغل العالم الانسانى أجسه وقد كان ابتدأه سير القمر الذى قسم السنة ١٢ قسما وهذه الأقسام تنقص ١١ يوما تقريبا فضلت الشهور من حال الى حال . ومعنى زادت عن ١٢ تأقّب الناس وحذفوا الزائد ثم أخفوا يحفظون ويزيدون أجيالا وأجيالا الى أن وصلوا الى التوائى من آلاف السنين . أليس هذا هو مرّ قوله تعالى - تعلموا عدد السنين والحساب - أولم يكف أن يقول - عدد السنين - حتى أضاف لها الحساب اشارة الى هذه الدقة المتناهية فالقمر حرك عليهم أن يحصلوا السنة ١٢ شهرا وهم اضطروا بالحساب أن ينظموا أيام الشهر فببدل أن يكون ٢٩ يوما و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة بحساب القمر زادوه نحو يوم تقريبا فى الشهر الشمسى . ولا يزال الحساب يتنامى فى الدقة الى الآن

فيا عجب كيف كان القمر دليلا على الحساب . وكيف شغل الناس بالفرق بين الشهر القمري والشمسى والسنة القمرية والشمسية . وكيف كانت السنين الكيسية والبسيطة فى الحساب العربى فى كل ٣٠ سنة لازيد الزيادة للكبس فيها على ١١ يوما دائما أبدا وكل دور (٢١٠) من السنين وهذا الدور مشتمل على أواخر صغيرة كل دور منها ٣٠ سنة وهى سبعة أدوار . فتجب كيف كانت الكيسية الشمسية محتاجة الى دقة أمّ كما رأيت وكل هذا سرّ قوله تعالى - تعلموا عدد السنين والحساب - وقوله - ما خلق الله ذلك إلا بالحق بفصل الآيات ليقوم يعلمون - يبنى أن الله راعى فى خلق ذلك الحكمة والصلحة ولم يترك القمر والشمس يتخبطان فى سيرهما ويتشران فى جريهما بل ضبطهما بحساب على مقتضى احتياج الناس وحسابهم . وهذا الحساب يزادون دقة وحكمة فلأنتى جعلت الحساب سهلا مهيما لا كسرفه لأذى ذلك الى جود عقولهم وموت نفوسهم وجهالة عقلاهم ولكن ذلك الكسرفه فى السنين الشمسية والقمرية يؤدى الى

الى نبوغهم في الحساب فترقى الأمم ولذا كان الحرب في الأمة وعدة الحاجة الى العلوم والصناعات يؤدى الى ارتقائها . هكذا هنا في الحساب ودقته تؤدى الى رفعة الشأن . فكلما ازدادوا حيرة ازدادوا اجتهادا فأثروا . هذا معنى قوله - ما خلق الله ذلك إلا بالحق - ونظم الآية بقوله . لمن أفضل هذا . أصله قوم يعلمون . يعنى أن مثل هذا القام لا يعرف إلا العلماء به . فأما الجهلاء به ولو كانوا أعلم الناس بالبحر والصرف واللغة والفقه فان التفصيل ليس لهم . فصار على أمة الاسلام أن يتخلونم النابغين في هذا الفن . وكيف نرى التعديل يأتي من أوروبا والمسلمون نائمون اليوم وليسوا كما باتهم الأولين

اللهم انك أنزلت هذا الكتاب وطلبت فيه أن تكون الأمة فيها علماء في كل علم فاذا قصرت الأمة كما هو حاصل الآن وليس أحد علما بهذه العلوم إلا الفريجة . فلن يضل لهم القرآن . ولن يقرأ . وكيف يفصل الله الآيات لقوم لا يعلمون . يارب إن المسلمين اليوم لا يعلمون أكثر العلوم ويعلمون على مثل هذا القول مرة الكرمل ولاحظ لهم منه إلا لاحظ الجائع من النسيم . فبالت شعري لن هذا التفصيل ولن هذا القول . يا الله إنك قد سلطت الفريجة علينا جهلنا . يارب انك فصلت هذه الآيات لقوم يعلمون الفلك والأمة غافلة فنقلته أنت الى الفريجة فصورنا قرا القرآن ولا نبالي بما سمعنا انك فصله لقوم يعلمون لأن المسلمين اليوم قوم يعلم الفلك يجاهدون . فالهم اجعل منهم قوما عاشقين لعلوم مختلفة وبث الحية في قلوبهم واجعل منهم من يحشون على كل صناعة وكل علم واجعل كتابي هذا مما يعجز عنهم على عشق العلوم وحسب الحكمة والتخلق بخلقك وخلقك العلم والحكمة لأنك العليم الحكيم اه

( بهجة العلم في هذه الآيات )

إن تقدير المنازل والبروج الشمس والقمر وسيرهما بحساب متقن هو الذي جعل الناس آمنين على (أمرين) حساب الدرجات الأرضية ونظامها . وحساب الميزان والكيل والساعة . ولأين ذلك في مقامين (المقام الأول) حساب الدرجات الأرضية ومعرفتها وكرويتها ودورانها اعلم أن أول من فكر في كروية الأرض رجل يقال له (أراتوستانس) هذا الرجل ولد في القبرون سنة ٢٧٦ قبل المسيح ودرس في الاسكندرية وأتينا ثم دعى الى الاسكندرية سنة ٢٣٤ قبل الميلاد فأقام بهالى أن أدركته الوفاة سنة ١٩٤ قم وهذا الفلكي ألف كتابا في معرفة جرم الأرض وقال ان الشمس تكون عمودية فوق الأرض في مدينة اسوان وقت الانقلاب الصيفي فاذا نصب عمود في الأرض هناك لم يظهر له في الظهيرة ظل متد شالا ولذا نصب عمود آخر مثله في الاسكندرية ظهر له ظل شالي في تلك الدقيقة عنها ولذا رسم خط من أعلى هذا العمود الى طرف ظله وجدت الزاوية التي تكون بينه وبين الظل سبع درجات وخمس درجة فهي المسافة بين الاسكندرية واسوان

وليكن هذا المقام حق اليان أقول أن هذا الفلكي قد تربى في الجامعة المصرية بالاسكندرية التي أسسها بطليموس الأول وقد تخرج منها كثير من العلماء والأطباء ومنهم هذا الفلكي فتأقت ضمه يوما أن يسافر من الاسكندرية الى اسوان فسافر في نهر النيل فلاحظ (أمرين) (أولها) أنه كلما أوغل في جهة الجنوب سفرا يرى بعض النجوم الشمالية الظاهرة تقيب تدريجيا (وثانيا) أن بعض النجوم التي لم تكن ظاهرة تبدو تدريجيا تظهر له أن هذا لا يكون إلا اذا كانت الأرض كروية وكيف يقيس الأرض كلها اذن هناك اجترأ بقياس بعضها ثم بحسب الباقي وما ذلك البعض يأتري . هو ما بين الاسكندرية واسوان فقامه فوجده (٦٨٠) ميلا وهذه المسافة هي التي ارتقاها الشمس عند الاسكندرية أكثر من اسوان ٧ درجات وخمس درجة فلان هذه المسافة جزء من خمسين من الدائرة التي تحيط بالكرة وبضرب هذا العدد في خمسين يساوي (٣٤٠٠٠) ميل . ثم قال في نفسه اذا أنا سافرت من اسوان أيضا جنوبا واستمرت فاني أرجع الى الاسكندرية

من الشمال ثانيا إذا قطعت قدره المسافة للذكورة خمسين مرة . هذا ماقله ذلك الفلكي ولكن الحساب الآن ليس كذلك فان الدائرة حول الأرض لازيد عن (٢٣٧٠٠) ميل والسبب في ذلك الخطأ المقدر بنحو (٢٠٣٠٠) ميل أن اسوان ليست في جنوب الاسكندرية تماما بل هي تنحرف جهة الشرق الجنوبي قليلا فلذلك طالت للمسافة جدًا . انتهى ما ترجمته من الكتب الانجليزية مقتصرًا على الفائدة . ومن المثل أن هذا العالم لما عمي في آخر حياته ترك الأكل حتى مات قاعًا ( لا خير في حياة لا صاحبها لفة المطالعة والعلم ) فلذلك أتم الموت استحارًا

انظر الى الآية التي نحن بسندها وتفكر في عمل هذا الفلكي اليوناني المصري كيف عرف بارتفاع الشمس المرحلت السبع والخمس وأنها هي جزء من خمسين من الدائرة المحيطة بالأرض وحسب المحيط كله لولا دوران الشمس حول الأرض بحسب الظاهر ما أدرك هذا العالم هذا الحساب . انتهى الكلام على كروية الأرض أما دورانها فانه قد وضع فيها كتبته في كتاب ( جواهر العلوم ) وقد جعلته في محاوره بين فني وثناة فلا تقل مادار بينهما من الحديث لتقف على ما كنت أكتبه في أول أيام تألني ولتري أن دوران الأرض حول الشمس ليس غير مخالف لقرآن فحسب بل له منه دلائل كما ستره فيما يأتي . وهنا نقل ما في ( جواهر العلوم )

( فصل في الكلام على الخلاف بين الأوائل والأواخر في الأفلاك )

( ومسألة الدوران والشمس هي الدائرة حول الأرض أم بالعكس )

فقال ياسيدي أرجوك ذكر مقال شاف يكشف لي حجاب الغطاء عن الحقيقة فقد أشكل القول فيها وخالف السلف الخلف وكل حزب بما لديهم فرحون فاني لا أدري ما الصواب فيها أقول الأقدمين الذين قالوا ان الأرض ساكنة وأن الشمس وجميع الكواكب تدور حولها أم قول المصريين القائلين بأن تلك الأجرام لا وجود لها وإنما السماء لها معنى آخر وهو الشمس للشرق وتوابعها من السيارة وسيارة السيارات وإنما سبع طبقات بعضها فوق بعض وهي الأقدار السبعة للملوك وأن الأرض هي التي تدور حول الشمس ثم ما الذي حلهم على ذلك حتى جتوا فيه وما الفائدة في تلك المباحث . فقال اعلمي أن المتقدمين والمتأخرين أفرغوا وطابهم في البحث عن الاجرام العلوية والكواكب المشرقة ولم يألوا جهدا في البحث عنها لميل الطباع البشرية الى اقتناص شلورد العلوم وفوائد المنطوق والمفهوم . ولذلك نرى كل انسان يحب بلسه ولو في مسألة من دنيا المسائل . فقلت ياسيدي وهل في العلم أدنى وأعلى . فقال نعم ان للمعلومات تنقسم الى علوية شريفة وإلى سفلية تستضيء منها مركبة من عناصر سريعة الاضمحلال قريبة الدوران واللذة في العلوم على حسب شرف المعلومات . فكلما كان المعلوم أشرف وأفضل كانت البهجة واللذة أكثر . وكلما نقص عن رتبة الشرف والفضل بأن استمد من غيره أو كان قريب الدوران والاضمحلال قلت البهجة به واللذة وأنى يستوى لذة معرفة موت فلان وحياته وغنى زيد وفقر عمرو وغير ذلك بلذة معرفة أقدار الكواكب وأبعادها وحساب دورانها وسننها وشهورها وأيامها وانتظام سيرها في دوائرها فان اللذة بالأول وقيمة قليلة بخلاف اللذة بالثاني فهي عظيمة جدًا دافعة بدوام المعلوم . وعلى هذا القياس كانت سيرة العلماء والملوك والحكام والهيول الكبيرة ألد من سيرة العاقبة والسوقة والجهلة والولول الصغيرة وكذلك العالم العلوي على السفلى ولذلك كان البحث عن كمال الله وجهه أبهج وأد في النفوس الشريفة لأنه لا أشرف منه ولا أدوم . وبالجملة فالباحث عن العلويات أمر لبيذ ولذلك اتجهت أفكار الأم بأجمعها اليه وصوتت أسهم آرائها لغرضه . ولقد أطلعت على آراء قديمهم وحديثهم وبجرهم وبجرهم وغتهم وسمنهم فوجدت موضوع أبحاثهم دارًا على محورين ( الأول ) القوانين الحسائية التي بها يعرف الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والنصول والاتصالات وغير ذلك

ما توقف عليه أحوالنا المعاشية وعبادتنا وحننا وصومنا وافتطارنا وغير ذلك وهو فن التقويم المسمى علم الفلك وهذه القوانين ليس فيها بين المتقنين والمتأخرين كبير خلاف بل هي متقاربة ولا خلاف إلا في أمور جزئية لا تهتم أصلا من الأصول ولا توجب خطأ في مقول (الثاني) البحث عن العالم بأسره وهو علم هيئة الدنيا وهو فن يبحث فيه عن الأرض مع غيرها من أجزاء العالم والعالم هو سائر المحدثات فهو صنعة عظيمة تشكل العقول عن الاحاطة بعلم ما احتوى عليه من المخلوقات وعن الابداد بين الكواكب ومقادير أجوامها وطبائعها وما تشتمل عليه وعن السيارات والثواب وعن الشمس أمى التي تدور حول الأرض أم الأرض هي التي تدور حولها وعن حقيقة السموات وغير ذلك . وهذا هو الفن الذى حى فيه وطيس الخلاف بين الاوائل والأواخر وعلماء هذا الفن مقررون بأن أدلتهم غنية غاية الأمر أن بعضها أقرب إلى الظن من الآخر ويشهد له أنهم كانوا مطبقين على تقدير بعد الزهراء عن الشمس وعلى مقدار جرمها . ثم في سنة ١٧٩٣ أرسلوا الطارفين إلى الجهات وحسروها فزفوا أن جميع حساب السابقين خطأ محض وإنما أقل من ذلك كله بعدا وجرما . ومن الجائز ظهور الخطأ في هذا التحرير أيضا في وقت آخر

وحيث كانت مسائل هذا الفن غنية اختلف علماءه في أسباب وجود الليل والنهار واختلاف الفصول بالحر والبرد بعد الاجماع على أن ذلك من آثار تقابل الشمس والأرض فقد كان علماء الهيئة في غابر الأزمنة على ما وصل إلينا يدرسون في مدارسهم ويصلون تلامذتهم هذه الهيئة الجديدة المعروفة الآن . فقد كان (فيثاغورس) الفيلسوف الشهير يعلم تلامذته في مدرسة (كروتونيا) من بلاد إيطاليا على طريقة حركة الأرض وذلك قبل ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام بمئة وخمسة علم معتقدين أن هذا المرئ الذى نسميه بهاء أو فلما هو فضاء واسع وزرقته ناشئة من اكتناف الأشعة الشمسية للأجزاء الأرضية وأن الكواكب الثابتة في ذلك الفراغ عبارة عن شمس كشمسنا هذه وكل شمس حولها سيارات كيانات شمسا وأقمار كقمرها ونوأت ذواب كما حول شمسا وكل واحد من هذه السيارات والأقمار وغيرها عالم مثل كرة أرضنا ومن جهة هاتيك الشمس هذه المشهورة ولها دائرة مخصوصة بها وعدة متعلقات تدور حولها من السيارات ومن جهة السيارات الدائرة حولها هذه الأرض التي نحن عليها والقمر ملتزم لها ويصور عليها ومعها على الشمس وفوق ذلك صفوف دوائر شمسية متكاثرة بعضها فوق بعض إلى حيث لا يحيط به النظر لا يدركه الفكر - وما يعلم جنود ربك إلا هو - فالسموات عندهم عبارة عن هذه الدوائر بما فيها من الكواكب الكبيرة . ولما شاعت هذه الطريقة في زماننا هذا وأراد العلماء تطبيقها على ما ثبت عندهم من ظواهر الشريعة من كون السموات سبعة قالوا معلوم أن الكواكب الثابتة سبع طبقات فما كان منها يرى في غاية الظهور والاضاءة فهو الطبقة الأولى ويقال لها المرتبة الأولى والقمر الأول وما كان أبعد منها غر بكثير وأقل في الظهور والاضاءة بمقدار يسير فهو الطبقة الثانية وهكذا إلى الطبقة السادسة كل طبقة ترى كواكبها أبعد عن التي قبلها وأقل منها ظهورا واستنارة والطبقة السابعة هي التي خفيت كواكبها فلا ترى إلا بالنظرة العظيمة فهذه الطبقات هي طباق السماء وفي قوله تعالى - وزينا السماء الدنيا بمصابيح - قالوا السماء الدنيا عبارة عن الفوائر الشمسية التي نحن فيها للزينة بما احتوت عليه من السيارة وسيارة السيارة ونوأت الأذنان وغيرها من متعلقاتها إلى نحو ذلك من التأويلات التي شرحها علمائهم ولم ورد عليهم من اعتراض ولم أجابوا عنه . وقد رأيت في بعض رسائل العلامة للرحوم عبد الله باشا فكرى أن تلك المباحث مستوفاة التفضيل في كتاب (أسرار الملك والملكوت) وشرحه للموسم (بأفكار الجبروت) والشرح المذكور في دار السلطنة السنية وهو باللغة التركية ومنته بالبرية . ثم ان هذه الطريقة كما قلنا هي التي كانت سارية في



أعماه العمورة بين علمائها مستفيضة بين خاصتها وعانتها حتى جاء (بطليموس) قبل الميلاد بمائة وأربعين سنة فاختار القول بكون الأرض ودورة الشمس عليها وبنى منهجه على ذلك فشاعت قاعدته بين الناس واشتهرت في البلاد

ولما جاء الاسلام وترجمت الكتب اليونانية الى اللغة العربية نقلها الفارابي من فلاسفة الاسلام في مؤلفاته العربية أوائل القرن الرابع من الهجرة ونسب ابن سينا وغيره فن جاء بعده وهجرت الطريقة المتقدمة التي كان عليها (فيثاغورس) وقد قال هؤلاء العلماء ان السموات أجسام متراكبة بعضها فوق بعض كطبقات (البصلة) متباعدة ولا تقبل الحرق ولا الالتئام وليست جارية ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة ولا لون لها ولا توصف بلين ولا ملاسة ولا خشونة ولا خفة ولا ثقل

وبالجملة فهي أجرام أثرية شريفة مخالفة للأجسام العنصرية الارضية في جميع أوصافها وهي التي تدور الحركة اليومية والكواكب تتحرك معها فقسرا والسيارات حركة أخرى مخالفة لحركة السموات أي ان السموات تدور من المشرق الى المغرب وتلك الكواكب معها ثم الكواكب لها حركة أخرى تدور بها من المغرب الى المشرق كمنقلة على دولاب تدور من جهة الى غير جهة حركته وبهذه الحركة المخالفة تكوّن الفصول والسنين وانتظمت أحوال العالم ودوّن ذلك في كتب المتقنين

ولما شاعت هذه الطريقة بين علماء الاسلام أخذ بعضهم في تطبيقها على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وسكت عن ذلك فريق وفريق كفر القائل بذلك للمذهب ثم برهن محققوه كالغزالي وغيره على أن هذه لاتصادم الدين وأن من اعتقد ذلك قدسجنى عليه وضلّ سواء السبيل وأضلّ الناس فان الدين لا يبنى ولا يثبت . وكما أن من يقول ان الله خلق (البصلة) ست طبقات أوسعا أو غائيا وانها كروية أو مثقلة أو صرعية لانكفره كذلك لانكفر من يبحث في العلوّيات إذ كلها من مخلوقاته عز وجل ولم يذكر إلا للاستدلال على صانعها والدلالة واضحة على كل حال وعلى أي شكل وكثير من علماء الكلام كانوا يناضون الفلاسفة ويخطونهم ويضلّون فهمهم حتى قال العلامة الفخر الرازي ان الأقرب للقرآن أن تكون الكواكب سابعة في السماء كما يسبح السمك في البحر وأدحض حججهم في قولهم أن الحرق والالتئام مستحيل على الفلك واستدلّ بقوله تعالى - كل في ظك يسبحون - وكان بعضهم يعرف الطريقة المستفيضة الآن ويقارن بين الطريقتين ويميل الى هذه الطريقة كما سيظهر قريبا ثم نبغ ببلاد هستان رجل يقال له (كورنيكوس) تميز في العلوم الرياضية واشتغل بالهيئة والرصد والحكمة من سنة ١٥٠٠ الى سنة ١٥٣٠ من الميلاد وهي سنة ٩٣٧ من الهجرة فرجع الى الطريقة التي كان عليها (فيثاغورس) المؤسّسة على حركة الأرض وقرّر أن الشمس مركز وأن الأرض والسيارات تدور حولها فأولا عطارده ثم الزهرة ثم الأرض ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل وأيد هذه الطريقة بأدلة وأشهر ذلك في كتاب له عنوانه (حركات الأجرام السماوية) فحكم عليه في مجمع كنيسة رومة بالزيف والالحاد ولوأمكنهم قتله لقتلوه ونهبوا عن لشهار كتابه ومع ذلك شاع هذا للمذهب فنسب اليه وقيل هيئة (كورنيكوس) ثم قام بعده جماعة في جهات شتى متتدة وأزمان مختلفة في أنحاء أوروبا ودعّوا على هيئته وسموها بالهيئة الجديدة وسموا التي قبلها بالقديمية . وأنت ترى من هذا أنها في الحقيقة هي القديمة وأن تسميتها جديدة بحسب ماشاع وظنه كثير من الناس خطأ محض وجهل بتاريخ علم الهيئة والطريقتان مذكورتان مستفيضتان في الكتب الاسلامية وقد ذكرهما العلامة عضد الدين عبدالرحمن ابن أحد المتوفى سنة ٧٥٦ من الهجرة في كتابه السمي بالمواقف وأورد على طريقة دوران الأرض اعتراضات ثلاثة ثم كرر على تلك الاعتراضات بالنقض والرّد وجرى معه على ذلك شارحه العلامة السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ في شرحه وكان فراغه من تأليفه سنة ٨٠٧ فراجعه من أراد وليتأثّل

البصير كيف كان علماء الاسلام يدرسون الطريقتين ويرفونهما حق معرفتهما قبل أن يظهر (كورييكوس) ويدعى البعض أن ماتلقوه من أفواه أسانذتهم من الافرنج تقليدا لم مخترع من عندهم لم يبقهم به أحد وهكذا نسبة كثير من المسائل اليهم مع أنهم في الحقيقة ناقلون عن غيرهم ويدعون أنهم هم السابقون فليتأمل المنصفون . راجع تاريخ العلامة (سديو) للمؤرخ الشهير القرنسوى . تملى الحجج الدامغة التي أقامها على أن أكثر الاختراعات لبني جنسه كذب محض وأنها في كتب العرب من قبل . فقلت له قسطال الكلام في هذا الموضوع فما رأيك . فقال اني قلمت الأسباب الى رأيي في صدر هذه المقالة وأز بده الآن وضوحا فأقول . إن الله عز وجل خلق كل مخلوق على فطرة تناسب احتياجه ولونظرنا جميع الحيوانات التي على وجه الأرض وكذا الانسان لوجدنا كل فرد منها يعلم ما يحتاج اليه حتى العلم ويجعل ماعاده لطفنا من الله تعالى به . ولما كانت الكواكب والأفلاك لا تحتاج منها الا الى القوانين الحسابية أظهرها لنا اللطيف الخبير بالبراهين القاطعة ولم يعم وطيس الخلاف بين الأمم في الأزمنة المختلفة فيها والخلاف فيها يسير جدا لايهم أصلا من الاصول . أما معرفة أجرام السماء وسكانها وهل الأرض التي تدور أم الشمس بجعلنا به وعلمنا سائر لا يتوقف عليه أمر من أمور معاشنا لما ثبت بالبرهان أن الحساب لا يختلف سواء اعتبرنا الأرض هي الفاترة أم الشمس

ومن عجيب الأحكام أن أدلة ثلثية فعظم الخلاف بين الطائفتين بالاثبات والنفي وكأن الله أراد أن يرينا أن أقرب شيء اليها جهلاء . وبالعجب كيف تجهل حالنا مع أرضنا . نحن مقيمون أم طاعنون . ومستقرون أم متحركون . وذلك مصداق لقوله عز وجل - وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - فكمن شيء جهلاء وهو قريب منا كسئلة الروح فقد احتدم فيها الوغى بين العلماء في كل عصر ولم يبتسوا الى الآن وماعلم الهيئة إلا كعلم الطب فانه ظني أيضا . فقلت الفتاة . لقد بيئت كون الهيئة علما ظنيا على أنه ليس مما يحتاج الى تحقيقه في المعاش والمعاد وعلى قياسه على الطب وأنا أستج على أن المسألة يقينية بما رأيته في كتب القوم من البراهين فلا أسلم أن علم الهيئة ظني . فقال اختصرى في البراهين فالوقت لايسع والقصد أن يكون مجلسنا نبذا لطيفة وأعمار علوم لا جديا . فقلت استملوا أولا بأنه لا يصح دوران الجسم الأكبر حول الأصغر فالكسوف هو العليبي . (ثانيا) كل نجم يدور حول نفسه فكذلك الأرض . (ثالثا) تغير ظل الأرض وقت الخسوف على سطح القمر بيته تدل على أنها دائرة وظلها تبع لها (رابعا) ذبذبة البندول قد وضعوه وضابده لا يتأثر بمؤثر خارجي عليه فرسم خطوطا تتقاطع وتكون رؤسها أقواسا تطول كلما قرب البندول من القطبين وتصر كلما قرب من خط الاستواء وفيه يكون على خط مستقيم دائما (خامسا) انهم وضعوا مقدرًا من الزيت في الكؤول وأدبروه بآلة فدار وتكور وقطرح في قطيه الى آخر ما قالوا فظلها مثله . فقال لها ابراهيم بعض هذه الأدلة أقيسة تمثيلية وهي لا تثبت حكما وبعضها مبني على الاستبعاد وهما لا يبيدان القطع ولكن باجتماعها أفادت الاقتناع لا اليقين . فقلت الفتاة . هل القرآن يناق هذا المذهب على فرض أنه يقين . فقال إن القرآن كلام الحكيم الذي أعجز جميع البلغاء والفصحاء ولم يكن القصد منه أن تشغل أذهاننا بتطبيقه على كل مذهب يحدث في العالم وعقول الناس تضلوا ولو طبقناه على هذا المذهب هل نؤمن أن تحدث مذاهب أخرى فوجب أن يطلق عليها أيضا . كيف ولم تذكر العلويات فيه والكائنات الأرضية إلا ليعرف كمال الصانع بالصنعة . أما كون الصنعة دائرة أو سائكة فذلك ليس محل بحثه وكما حاول العلماء تطبيقه على الهيئة التي أدركت في الأكفان مع أن كثيرا من ظواهر الألفاظ كان يخالفها حتى جاء اكتشاف الافرنج فأبطل المذهب السابق وظهر أن تلك المحاولة والتطبيق على المذهب الباطلي يصادف محله . على أن علماء الاسلام كانوا يضلون الفلاسفة السابقين ويخالفون مشاربهم بإراءهم الناقصة حتى

واقفوا من قبل علماء الافرنج في هذه الأيام . وقالت وهل تذكر شيئا من ذلك . قال نعم  
أولا نفس دوران الأرض قد شتم من كلام صاحب المواقف أنه يعتمد وهذا كان قبل أن يعرفه الافرنج  
ثانيا كانوا يعتقدون النحاس والسعد ونواب البول وعملاتها من آثار الملوك  
ثالثا عدم الخرق والالتصام في الفلك  
رابعا أن الأفلاك لها نفوس وإرادات  
خامسا أن بعد الهواء كرة النار

وكل ذلك قضه علماء الاسلام ووافقهم الافرنج في هذه الأيام . على أننا لو أرخينا العنان للقم ونظرتنا في  
القرآن لوجدنا ما يشهد بالبريعة الجديدة وإن لم يذكر في كتب المتقنين منها قوله تعالى - صنع الله الذي  
أتقن كل شيء - بعد قوله - وترى الجبال تحسبها جلدته وهي غمر من السحاب - ومنها أنه قال - وهو الذي  
مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الفرات جعل فيها زوجين اثنين يفتى الليل النهار - فذكر  
الليل والنهار بعد ذكر الأرض يشير الى أنها من آثار الأرض ويقوى ذلك أنه قال - يفتى الليل النهار -  
لجعل الليل الذي هو ظلمة الأرض يفتى به النهار الذي هو ضوء الشمس فيه تليح الى أن الأرض هي التي  
تحدث ذلك بفعل الله تعالى ومنها - والشمس وقهاها \* والقمر اذا تلاها \* والنهار اذا جلاها \* والليل  
اذا يفسها - لجعل النهار الذي هو في مقابلة وجه الأرض للشمس مجليا لها والليل الذي هو الظلمة الأصلية  
للأرض مفسيا لها فأسند فاعلية ذلك لغير الشمس وهو الليل والنهار الذي هو من آثار الأرض وهذان  
الوجهان ذكرهما الصلاة الشيخ محمد يريم الخامس التونسي ومنها قوله - وكل في فلك يسبحون - بعد  
ذكر الأرض والقمر والشمس ومع ذلك كله فالقرآن لا يعارض شيئا من هذه الأشياء على أننا لاحتاج لتأويل  
القرآن إلا ليقينيات وهذا ليس منها فإن نوع بني آدم لا يمكن أن يحيط بشئ من علم الله تعالى إلا بما شاء  
وهل يشاء الله أن نعلم مالا مصلحة لنا في علمه بل علم مثل ذلك ربما أضرب بمصالح الانسان من حيث ولوعه  
بما هو بعيد عنه وربما يشغله عن أمور معاشه . بل الأغرب أن أحد العلماء القرنساوين للتأخرين قال  
ما رجعت (إن للعقل حدا محجودا لا يتجاوزه فأتعاب العقل في معرفة الأجرام العالوية وما معها كاتعاب البصر  
في أن يرى ما فوق السقف من أسفله . فبأنك أعتته بأعظم الرأيا المكبرة فإنه لا يمكن أن يخترق السقف  
حتى يرى ما فوقه ) ويناسب هذا ما صرح به عالم القرنساوين المسمى (فيلكس لامبوس) في القرن التاسع  
عشر من قوله (إن الجذب كذا يعلم منها العقل لا السبب فإن هذا المعنى بحث عنه الطبيعيون فلم يوفوه الخ)  
ما قال . فكلام هذين العالمين يؤيد ما قلنا من أن هذه غنيات . أنظره في كتابنا (ميزان الجواهر)  
وسيرد عليك فيه أيها القارئ إن شاء الله تعالى أن كل حيوان له حد ومقدار في المعارف لا يتجاوزه ولا ينقص  
عنه ولولا ذلك لاختل نظام العالم . وهنا انتهى الكلام على المقام الأول وهو دوران الأرض وكرويتها  
( الشمس وشقاء الامراض )

قبل الانتقال الى الكلام على ( للمقام الثاني ) يحسن أن أتف وقفة معك أيها القارئ أرى حرك فيها من  
عناء الفكر وإتقاب الذهن بذكر بعض منافع الشمس فأنتقل بك من مسألة الدوران وما ينشأ الى منافع  
نورها في صحة أجسامنا وتقوية قواها لئلا اتساع هذا النظام . فبينما نراها تقسم الفصول بقرنها وبسدها  
ويحيا الحيوان ويغزو النبات بها اذا بها تقوم مقام الادوية التي امتلأت بها الصيدليات التي يشقى بعض المرضى بها  
وكثير منهم تفسدهم الادوية لعدم تحرص الطبيب وجهه وقلة علمه وعدم احاطته بأطراف موضوع المرض وقد  
أجج العلماء أن للعلاج بالامور البسيطة أفضل من المعالجة بالمزكة . والبسيطة مثل الهواء والماء والشمس  
فهاك ما قاله طبيب فاضل في مقالة نشرها في صيف هذه السنة ( سنة ١٩٢٧ م ) قال ماضه

### ( الاستشفاء بنور الشمس في الصيف )

عند حلول فصل الصيف يؤم كثيرون من سكان المدن شواطئ البحار والجبال للاصطياف تنهما بالراحة واستنشاق الهواء النقي لتصح أجسامهم وتستقيم معيهم . ونظرا لحلول موسم الاصطياف هذا العام رأينا لفت نظر الجمهور وكل من يهيم الاحتفاظ بصحته ومحة عائلته وأولاده الى أن هناك فائدة كبرى بل هناك كل الفائدة من تعريض الاجسام للشمس

ولما كانت الأشعة فوق البنفسجية وهي العنصر الفعال في الطيف الشمسي لا تتوافر بكثرة إلا على الجبال وشواطئ البحار وفي الحقول وذلك نظرا الى صفاء نور الشمس وتقاوة الهواء في الجهات المذكورة فإن هذه الاشعة لا تتوافر تماما في المدن حيث يضيع معظمها باختلاط نور الشمس برطوبة الهواء والغبار والبخرة والبرهان المحسوس على ذلك أن مدة قليلة يقضيها المرء في الحقول أو على شواطئ البحار والجبال يجعل الجزء المعرض للشمس من جلده أسمر اللون في حين أن الانسان لا تتغير بشرته لو تعرض للشمس في المدن ولو كان ذلك مدة طويلة

إن الحلم الشمسي مفيد جدا إذا استعمل بالصيانة التامة مع مراعاة الارشادات التالية حتى يبرأ المرء عن نفسه ماعاه يتعرض له من الضرر . أما طريقة تعريض الجسم للشمس فتكون بالكيفية الآتية يجب أن يتلقى الانسان ضوء الشمس مباشرة على جلده من غير أن يجعل بينهما حاجلا كالكلايس والزجاج والحمام الشمسي يجب أن يم الجسم ماعدا الرأس . فإذا تعرض تعريض الجسم كله لسبب من الأسباب وجب تعريض أكبر سطح مستطاع منه

ويؤخذ الحمام الشمسي تدريجيا لأنه إذا عرض الجسم كله دفعة واحدة من أول مرة مدة طويلة أصيبت الأشياء بالاحتقان والبشرة بالتسلخ . ويؤخذ الحمام الشمسي كل يوم حتى في الأوقات التي يكون فيها الجو لطيفا بعض النجوم . ويحتمل التعرض للشمس في الأوقات التي يكون فيها الحر شديدا كما يلزم تغطية الرأس بقبعة من القش واسعة الأطراف أو يستظل بمظلة فاتحة اللون مع وضع نظارات ذات زجاج ملون وعلى السيدات أن يضمن شاموا ملونا على وجوههن وأن يلبسن قفازات ممتلئة بنور الشمس وأسمرار وجوههن وأيديهن . ولا بد من اجتناب تيار الهواء

وتراعى في الحمام الشمسي أمزجة الأشخاص بالنسبة الى السن ولون البشرة وحجم الجسم لأن الذكور والبدنين والسمر الألوان يتحملون حوارة الشمس وتعريض أجسامهم لمائة أطول من المدة التي يتحملها الأنثى والأطفال ويحفو البنية وذو البشرة البيضاء

وعلى من يريد الاستشفاء بنور الشمس أن يشرب كمية كبيرة من مياه الشرب أثناء ذلك . ويعحسن أن يكون التعرض مرتين كل يوم مرة في الصباح بعد طلوع الشمس بمدة قصيرة وقبل الفطور بنصف ساعة تقريبا ومرة أخرى قبل الغروب بنحو ساعة لأنه لو طأ أن الأشعة فوق البنفسجية تكثر في الطيف الشمسي صباحا ومساء أكثر من وجودها وسط النهار . وللمواعيد التي أ كثر ملازمة في هذا الفصل هي ما بين الساعة السادسة والثامنة صباحا وما بين الساعة الخامسة والسادسة مساء والتعرض يكون بالطريقة الآتية

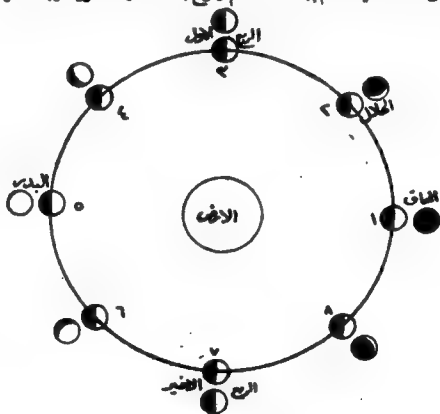
ينطحع الانسان في الشمس وينطى رأسه كما تقم في اليوم الأول يرفع ملابسه عن يديه وساعديه وقميصه وساقه مدة خمس دقائق . وفي اليوم الثاني يرفع ملابسه عن أطرافه العليا والسفلى . وبعد خمس دقائق ينطى ذراعيه وغنبيه وخمس دقائق أخرى باقي الأطراف . وفي اليوم الثالث يرفع ملابسه عن بطنه وأطرافه . وبعد خمس دقائق ينطى بطنه وخمس دقائق أخرى ينطى ذراعيه وغنبيه وخمس دقائق ثالثة ينطى باقي الأطراف . وفي اليوم الرابع يرفع ملابسه عن جسمه . وبعد أن يعرض صدره للشمس مدة خمس دقائق

ينطيه ثم ينفلى بطنه بعد خمس دقائق ثم ذراعيه وتغذيه بعد خمس دقائق أخرى ثم باقى أطرافه بعد خمس دقائق من ذلك ويعرض ظهره مدة خمس دقائق. وفى اليوم الخامس يرفع جميع ملابسه عن جسمه ويعرض عنقه مدة خمس دقائق ثم يغطيه وهكذا يوميا بالتدرج الى اليوم السابع الذى فيه يعرض المرء جسمه جميعه مدة ساعة من الزمن ويستمر بعد ذلك على هذا المتوال مدة ساعة أو أكثر حسب استعداده . والنتيجة المؤكدة تعريض الجسم للشمس هى تنبيه القوى وتحسين الشهية للطعام وإزالة فقر الدم وتنشيط الجسم الخامل وتنظيم الدورة الدموية وانعاش الجهاز العصبي وإصلاح وظائف الاحشاء وإزالة المكروبات التى قد توجد على سطح الجلد وتحسين وظائفه كآلتها تمناعف الفعل الشافى للأدوية ومختلف طرق العلاج

هذا والفائدة التى تعود على من يستعمل الحمام الشمسى هى أعظم بكثير مما لو اقتصر المرء على استنشاق الهواء النقي دون تعريض جسمه للشمس الأمر الذى دعا مصلحة الصحة العمومية لأن تجعل تعريض الأطفال لنور الشمس لوقايته من الكساح فى المقام الأول من نصائحها للجمهور للنشرة فى الصحف أخبارا مع العلم بأن الافكار اتجهت فى أوروبا وأمريكا وخصوصا فى ألمانيا تعريض أجسام الأطفال اجباريا للأشعة فوق البنفسجية سواء كانت مباشرة من الشمس أو من الجهاز الصناعى لوقايته من مرض الكساح كما هى الحال عندنا فى التطعيم الاجبارى للوقاية من مرض الجدرى . ولذلك ننصح للصغار من سواء كانوا على شواطئ البحار أو على الجبال أو فى الحقول أن يهتموا بتعرض أجسامهم للشمس فى الصباح والمساء أكثر من أن يهتموا باستنشاق الهواء النقي فقط انتهى

( تذكرة )

تقدم الكلام على الشمس والقمر فى سورة الأنعام عند قوله تعالى - وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر - وقد رسمت هناك صور الشمس وتوابعها ولم يرسم هناك القمر فوجب أن نرسم هنا ويحوى القمر لأن ما هنا من الآيات مكمل لما هناك إذ جاء فى هذه السورة ما هو أوضح وسرسم أيضا صور المجموعات الكوكبية والشمس ليكون المطلع على هذا التفسير قد أم بجمال هذا العلم وفرح بالحكمة فهناك صورة أوجه القمر



( شكل ٢ )

### ( الكلام على المقام الثاني )

( وهو بيان أن المساحة والميزان والمكيال في بلادنا المصرية تماثلت لسير الشمس )  
 متعجب أيها الذي من هذه الجرمة وتقول أي مناسبة بين الرطل والوقية والدرهم والقنطار وبين  
 سير الشمس وتقول الله تعالى - وتعلموا عدد السنين والحساب - في هذه الآية تعجب وحق لك أن تعجب  
 متى أن أدعى دعوى يصعب تصديقها بل لا عقل • وكيف يقال أن الكيلة والربع والملاة والقنح والأردب  
 في بلادنا المصرية منسوبة لسير الشمس وأي عقل يتصور ذلك أن الأردب ١٢ كيلة والكيتان رية  
 والكيلة الواحدة ربعان والرابع ملتان وستعش من قولى لك أن القنحان منسوب مساحته لسير الشمس  
 في السماء سيحشك قولى وتقول أي مناسبة بين مساحة القنحان وسير الشمس وأيك القرآن  
 كل ثلاثة فدادين (١٠٠٠) قصبه والقصبه ثلاثة أمتارو (٥٥) ستمترا فأين الشمس هنا وأين القرآن  
 ثم إن الناس يقيسون الأتواب بالتراع البلدى المعروف بالهندسة وعندهم ذراع يسمى (التراع النيل)  
 لا مناسبة بين هذه كلها وبين الشمس وأيك القرآن • هذا ما يحظر بياك رقت كلامى في هذا المقام  
 أما الجواب عليه فهو وإن كان يعرفك السبب فانه لا بدفع الذهب بل انك عند ما تعرف الحقيقة تزيد  
 دهشا وهجا • فهناك ملخص ماسأنى في سورة الرحمن أخلص لك منه ما يكفيك الآن وهناك يزيد الإيضاح  
 إن الله يقول هنا - هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل - لماذا - قدره منازل  
 - لتعلموا عدد السنين والحساب - إذن تقدير للنزول يعلمنا عدد السنين ويعلمنا الحساب والحساب يدخله  
 الكيل والوزن والمساحة للمعبر عنها في سورة الرحمن ليعلمنا أن ذلك هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا  
 ألا تظفوا في الميزان - • يقول هناك اتى رفعت سمواتى ووضعت فيها الميزان بحيث يكون سير الشمس  
 وغيرها بحساب لأجل انكم لا تزيدون في ميزانكم ولا تنقصون بل يكون الميزان حقا • فهذا هو قوله  
 - وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان - هذا كلام الله فانظر عمل الانسان قبل أن ينزل القرآن  
 بالآلاف السنين • حمد للمصريون القدماء الى (الهرم الأكبر) فبنوه على مقياس مدار الشمس السنوى فجعلوا  
 (١) محيط (الهرم الأكبر) جزءا من مليار من محيط مدار الشمس السنوى أى من ألف ألف ألف جزء منه

- (٢) ارتفاعه جزء من ألف ألف ألف جزء من البعد بين الشمس والأرض أى مليار
- (٣) نصف الارتفاع للمذكور يساوى قطر محيط دائرة مساوية لمحيط الهرم
- (٤) فالارتفاع نفسه يساوى جزءا من مليار من البعد بين الشمس والأرض
- (٥) ضلع الهرم يساوى جزءا من ربع مليار من محيط الدائرة الشمسية
- (٦) الضلع للمذكور يساوى (٤٠٠) ذراع بلدى أو (٣٩٠) هنداسة
- (٧) التراع البلدى جزء من مائة ألف ألف ألف جزء من ذلك المحيط أى من مائة مليار من محيط الدائرة الشمسية

- (٨) ربع التراع البلدى المكعب ألف درهم من الماء المقطر
- (٩) وكل ١٢ درهما أوقية وكل ١٢ أوقية رطل فالرطل ١٤٤ درهما والقنطار مائة رطل ثم إن المقاييس منها عشرى ومنها اثنا عشرى

- (١٠) الأردب ذراع بلدى مكعب (١١) الأردب إذن جزء مكعب من (٤٠٠) من الضلع المذكور أو واحد من مائة ألف ألف ألف جزء من محيط الدائرة الشمسية
- (١٢) القنحان (١٠٠) هنداسة في (١٠٥) هنداسة تساوى (١٠٥٠٠) عشرة آلاف هنداسة

فقله مائة وعرضه (١٠٠) فهو نسبة عشرية . والمهندسة جزء من (٣٦٠) جزءاً من ضلع الهرم للمسبوب  
لربح محيط الدائرة الشمسية

(١٣) الفراع النيل . من الهندسة فيكون ضلع الفدان (١٢٠) ذراعاً نيلياً والفدان (١٤٤٠٠) ذراعاً نيلياً ويكون القبط (٦٠٠) والسهم (٢٥) والفدان (١٠٠) فالفراع النيل والهندسة كلاهما يحسبان الفدان (١٠٠ في ١٤٤) يساوي (١٤٤٠٠)

هذا هو الذي فعله قدماء المصريين . أنظر كيف يقول الله - لتعلموا عدد السنين والحساب - وانظر كيف كان قس هذا السرّ هو الذي منه قدماء المصريين كيف علموا أنه لن يستقيم لنا وزن ولا كيل ولا مساحة إلا بنسبة محفوظة . وعلموا أن أرضنا ليس بها شيء ثابت فلم يروا أثبت من مدار الأرض حول الشمس في مدارها السنوي الذي هو مدار ظاهري للشمس حولها . علموا ذلك فنبتوا الهرم الأكبر على مقتضاه حتى إذا تهتمت رجح الناس إلى الدائرة الفلكية قاسوها ولذن يصححون مقاييسهم

هذا كلام الله وهذا سرّه الذي ظهر على يد قدماء المصريين قبل نزول القرآن بألاف السنين وهذا أعجب العجب . إن الفرنسيين لما أرادوا أن يجعلوا لهم وحدة حلولوا أن يصنعوا ما صنعه قدماء المصريين . فإذا ضلوه قاسوا درجة أرضية كما فعل الفلكي المصري المتقدم ذكره هنا ثم ضربوها في (٣٦٠) درجة التي هي للدرجات لكل دائرة وجعلوا ذلك (٤٠٠٠٠) أربعين ألف كيلومتراً أو (٤٠) ألف ألف متر وقالوا إن المتر الواحد جزء من (٤٠) مليون جزء من محيط الكرة الأرضية . وعليه أخذ الناس يقيسون به ثم بعد ذلك علموا أن محيط الكرة الأرضية لم يكن قياسه مضبوطاً بل هناك خطأ والاعجيز نظروا نظرة أخرى فانهم عندهم (اليارده) التي هي أقل من المتر فهي نحو (٩١) من مائة من المتر هم أيضاً حلولوا الرجوع إلى نظام الطبيعة فجعلوا اليارده هي المقياس لأنها عبارة عن طول الساق المعدني الذي هو رقص الساعة الذي يتحرك مرة واحدة في الثانية . إن رقص الساعة أن طال قلت حركته وإن قصر أسرعته فهذا الرقص الذي يتحرك مرة واحدة في الثانية هو الذي جعلوه مقياساً وإنما أوردت لك فعل الفرنسيين والاعجيز لتعلم وجهة النوع الانساني فانهم جميعاً يريدون أن تكون مقاييسهم على نظام ثابت وأى ثابت لتسير النظام العام فالأوروبيون رجعوا للعالم الأرضي ونظامه وقدماء المصريين رجعوا لدائرة الشمس . ثم إن الفرنسيين نسبوا جميع المكييل والموازين إلى المتر كما فعل قدماء المصريين سواء بسواء

ههنا عرفت الحقيقة وأدركت سرا من أسرار القرآن . وههنا يبدى لك العجب الأكبر . ألا ترى إلى قوله تعالى في هذه السورة - فالיום نتجيك بيدنك لتكون لمن خفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون - . أليس من الآيات التي أظهرها الله على أيديهم وغفل عنها أكثر الناس قبل زماننا ذكره لك الآن في الهرم وبنائه . أليس الهرم محلاً تدفن فيه جث أحد الفراعنة وإن لم يكن فرعون موسى . وسعى في هذه السورة أنهم جعلوا صورة البروج مرسومة على تابوت أحد القدماء من المصريين كما سأوضحه هناك . فأنه أبقى جث الفراعنة وألم علماءهم أن يصنعوا أسرار السموات على تلك الأبدان تارة بالرمم والتصوير كما ستره في هذه السورة . وتارة بالأبنية التي أسست على ظلم السموات وسير الشمس إن هذه هي الآيات التي وضح الله للعالم الانساني على جهلها فقال - وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون - . ثم الله الناس على التفضل عن علوم قدماء المصريين التي دّونها على توابيتهم أو بجانينهم وهندستها كما عرفت في الهرم . هذا هو السرّ المكنون . وهذا هو العلم الخزون . وهذا من أجل أسرار القرآن . وليس التوبيخ قاصراً على المسلمين بل يعم الناس كلهم كالفرنسيين والاعجيز الذين أسوا موازينهم ومقاييسهم على نظم ليست أدق من نظام قدماء المصريين . فبالت شرى كيف يعيش المصري

المسلم ويموت وهو يجهل أن الكعبة والقراع البلدى ومساحة القدان منسوبة للهيم وليس الشمس . أم كيف يعيش المسلمون ويموتون وهم لا يعلمون أن هذا قد جاء في القرآن وأن موازين المصريين ومكاييلهم قد ذكرها في القرآن وهي له معجزة وأتى معجزة . اللهم إن المسلمين قوم اليوم نيام وقد أن استيقاظهم وأقبلت أليم محمدهم - ولينصرن الله من نصرة إن الله قوى عز يز-

### ( مذكرة للأمة المصرية وللأم الإسلامية )

قد كنت وعدت في سورة الأعراف أن أكتب في هذا المجلد ما كتبت لمجلس النواب المصرى ومجلس الشيوخ والوزارة في شأن التعليم في المدارس المصرية أليم الاحتلال الأوروبى فان هذه الآية جمعت العلوم التى يجب أن يعرفها المسلمون ولا يحرمون من علوم القرآن التى تمتع بها أهل أمريكا واليابان والصين وأوروبا لحسد الأوروبين لنا خيفة رجوع محمدنا فطينا الآن لما رجع التعليم الى حظيرة الوطن وردت بضاعتنا إلينا أن ندرس العلوم كلها . وهذا نص للمذكرة

### ( مذكرة لاصلاح التعليم الثانوى بالملكة المصرية )

( قدمت الى أصحاب العالى رئيس مجلس الشيوخ ومجلس النواب ووزير المعارف )

(١) لكل جامعة متحدة من الطوائف الانسانية صفات خاصة تشملهم وأحوال معلومة تجمعهم ويجب وحديثهم وتصور ألفتهم . فلذا انتفت تلك الصفات أوتقت زلت قدمهم وزالت وحديثهم ففترقوا شذر منروهم غافلون

(٢) إن أقوى دعائم الوحدة ما يتعلمه الطلاب في المدارس العاتقة من الصلوم فان أواسرها تربطهم وتجمع الأبناء في ساحة الآداب والكمال

(٣) ليس التعليم الابتدائى بمنزلة قتيلا في هذا الضمير . كلابل هو محمد لما هو أعلى مراما وأثبت نظاما . وكذلك التعليم في المدارس العالية فانما هو لاختصاص الطلاب في أمور عملية . ان مدرسة الطب والصيدلة لعداوة الإنسان . ومدرسة البيطرة للحيوان . والزراعة لنظام الحقول . والحقوق والقضاء للفصل في المناصيات . والهندسة للرعى والبنيان . والحربية والشرطة لحفظ الثغور ونظام الجمهور

(٤) فاذن التعليم الذى يشترك فيه أبناء الأمة ويحفظ وحديثهم ويوسع مداركهم العاتقة هو التعليم الثانوى وعليه للمعول في الأم الراقية الآن وفي مصر قبل نحو ٣٥ سنة وماعداه فلما محمد له ولما صناعات عملية

(٥) فلننظر نظرة عاتقة في مدارسنا المصرية الثانوية . انها خالية من العلوم التى بها الحياة فليس بها علم النبات ولا علم الحيوان ولا خلاصة من تشريح الانسان ولا نبذة في علم الهيئة . الطالب في الثانوى لا يدرس طبقات الأرض الضرورية للحياة ولا ماقى الجبال المصرية من المادن ولا الأقولم الدين ولوا المصريين وسكان السودان ولا أوامر القرابة التى تربطهم ولا يعرف من تاريخ عظماء مصر قديما وحديثا إلا قليلا مبعثا غير مشوق لحب الوطن . قد حدثنى الاستاذ ( ادوارد برون ) الانكليزى المستشرق حينما زار مصر أليم اللورد كرومر قال ( أرسلت الى حكومتنا البريطانية ثياب عشرات من رؤساء القبائل المجدلين في حرب التعايشى لأتربح الأوراق المخطوطة فيها فوجدت منها ما يشابه الدولة العباسية خطأ وانشاء . ومنها ما يناسب دولة الأمويين ) فجهت كيف يعرفون قبائلنا ونحن عنها غافلون

(٦) إن الطالب في الثانوى ليس لديه ما يشوقه للعلوم وهو يجهل ما بين يديه وما خلفه وما تحته . يجهل طبقات الأرض ومعادنها إلا قليلا . ويجهل ماقى داره من حيوان . وما يقى حقه من نبات . وما يقى جسمه من أعضاء . ودورة دموية . ودورة تنفسية . ودائرة عقلية . وما فوقه من نجوم لامعات . اللهم إلا تلك النبذة الضئيلة في كتب الجغرافية . انه لا يدرس نفسه . ولا هضم طعامه . ولا نظم الضياء والنظام



ولا حرمته التي يألفها . ولا فرسه التي يركبها . ولا الزهرة التي يستحسنها ويشمها . إن التعليم في الثانوى يحول الغول الى احتيل ويصرفها عن المحسوسات . وهو الذى صرف بعض الأذهان عن حقائق العلوم الى خيال الروايات وضياع الأوقات . إن حلة المدرس وجدت من أكثر مدرساتها العلمية فانصرفت النفس الى شهوتها إلا من لم قسم فى الفضل ثابتة وجد عظيم . ومن أغضت عينه عن اللذات تاب عنها سمعه فاحتاج الى قائد كما لعبيان . هكذا يفعل الغرب اذا نصح للشرقيين . لو كان التعليم الثانوى تلمسا كما فى البلاد الغربية أوكما كان فى مصر قبل الآن لكان ذلك نورا على نور الذكاء ولاظهر الذكاء المصرى فريدا (٧) لولا الذكاء المصرى والاجتهاد الفردى والتعليم فى أوروبا وعموم الجرائد والمجلات والنهضة العلمية المصرية مارأيانا فى البلاد نابضين ولا قادة ماهرين . قد كان للتعليم الثانوى شاملا فى مصر فى أوائل الاحتلال وقبلة أكثر هذه العلوم المنقودة الآن . ولقد كانت مقنة خمس سنين وكانوا يدرسون العلوم المهيطة بهم ثم اعتزى التعليم ما اعتراه بالتدريج وحرم أبناء النيل ارتشاف مناهل العلم بأصول الكائنات وجبال مصر ومحافظ السودان وغرائب ما فيه من المعادن والغابات

(٨) ان التعليم فى المدارس الثانوية ان لم توجه هم أصحاب الشأن وأولى الأمر بالبلاد الى رقيته أصبح للهندس أو القاضى أو كل من له راسة عاقبة فى الأجيال المقبلة فى دائرة محدودة من العلوم . يقول العلماء (البلادة خبر من القطانة البراء) وإذا كان الجهل شرا فشر منه قص يدلى الى غرور . فأولمسا جهل بسيط . وثانيهما جهل مركب تجله الأمم المعبدة سلاحا تقتل به الضعفاء ووسيلة لتغلب الأقوياء . فأما الأمم المستقلة فهي التي تراهي النظام التام وتفتح باب العلم واسعا ليرجع طلاب الثانوى شوقا الى العلوم . إن اتساع التعليم الأولي فى البلاد لا يفتى شيئا عن التعليم التام . ان متعلما واحدا خبر من آلاف الآلاف من المتعلمين تعلما أوليا فهو رأسهم يقودهم الى طريق الفلاح . فأكمل التعليم الرافق لقواد الأمم أزم لها من تعميم التعليم الأولي فى البلاد

(٩) قد أدرك هذه الحقيقة فى مصر الاستاذ لمير القرنسى ناظر مدرسة الحقوق سابقا وظهر ذلك فى حادثته المشهورة بينه وبين وزارة المعارف إذ أبان لها ذلك النقص الشائن فى التعليم الثانوى قائلا انه لا صلة بين قصه وبين الكمال فى دراسة الحقوق . وكيف يكون دارس الحقوق خاليا من مبادئ المنطق وبعض العلوم فكان جزء ذلك الحرف الشجاع أن قدم استقائه وسافر الى ليون وأصبح أبا وأستاذا لطلاب الحقوق بفرنسا من المصريين اجماعا بذكهم وهم محنتون

(١٠) ان لم يهر هذا النهج أصبح طبيعة راسخة وهيئات هيئت أن يغيره متخرجون فى مستقبل الأجيال . وكيف يعلمون غيرهم ما يجملون وكل امرئ يعلمه مفتون والفرور يعنى ويصم والناس أعداء ما جهلوا . فاليكم أيها القادة أوجه خطاى هذا موقنا أنه يوافق مقاصدكم النبيلة التي انجبت أنظاركم اليها حتى نرى زهرة البلاد مقبلين على العلوم عاكفين على البحث والتقيب فلا تعود نسع من أكبر تاجر للكتب فى مصر أن أبناء البلاد معرضون عن الكتب العلمية عاكفون على الأدبية ونحوها ان المعلم اذا أقفلت عين بصره العلمية لم يمتق العلوم كان آخر عهدهما نيل الشهادة ويكون ذلك مفتاح الشرف والحرص فيود لو تفتح له الحكومة خزائنها ليقضى منها لباته ويكون علة عليها وهو فى غرور . أما اذا اقتضت عين بصره بما ذكرناه من العلوم فانه يخرج بأتمته الى مراق الفلاح وإذا كانت مدرستا الثانوية قبل عهد الاحتلال وفى عهد حافظ هذه العلوم وكان المتعلمون غر البلاد بها وكنا تنحصر على تلك الأليم فما أسعد هذا اليوم اذا خاطب شبوخ الأئمة ونوابها وحكومتها الوطنية وغرباتها الناضجة أن أغشوا البلاد وأتم خلاصة الأئمة وقادتها وفيكم فاضل المتعلمين والناشرين قبل قوات الفرصة وليدرس النهج الثانوى

الذي كان في مملكتنا قبل مسخه ويزد عليه ما يناسب هذا الزمان حتى يقول أبناءنا  
بلغنا السماء مجدنا وسنلونا • وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا  
وها أنا ذا قد أدت ماوجب علي ولبيئتكم الموقرة الرأي الأعلى

( جوهره سنية في أن جمال الكواكب قبة من عوالم الجنات عجبت في هذه الحياة )

اعلم أن الجبال على ( قسمين ) جمال يترفينا ما مكن من اللذات الحيوانية والشهوات الجسمية للعبية  
التناسل فهذا أدنى القسمين • وهذا نوع من العذاب المجهل في الدنيا وذلك يشبه قوله تعالى - فلاتجهك  
أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليذهبهم بها في الحياة الدنيا وزهق أنفسهم وهم كافرون - وكل جمال  
لا حظناه في شجر أوزهر أو قصور أو حور في هذه الحياة وكان قصارى أمره الشهوات الطبيعية أو التملك أو  
ما أشبه ذلك فهذا قد شببت لفته بالألم وحبته بجهنمه وسعاده بشقائه فاننا نفرق بين جمال بستان تملكه  
وأخر لا تملكه بان الأول يغالط جلاله تكاليف الملك وعذاب الحرص وحسد العدو وغيرة الصديق ومطالب  
نحوه ورياعته وحفظه بأن نسقيه وتقيم عليه الحراس وما أشبه ذلك

أما الذي لا تملكه من تلك المزارع والبساتين وما أشبهها فان خطر بأنفسنا الموازنة بيننا وبين المالكين  
له وتحصرنا أوحسنا فان ذلك من نوع العذاب • فاما اذا لاحظنا أنه كشجر البادية أو كالغابات العاقلة فان  
ذلك الجبال لا ألم فيه يدعو لراحة النفس وسرورها وبهجتها على مقدار نصيبها من ثقل الجبال

ولذلك نجد أن لكل أمة من الأمم الراقية حدائق عاتية وبساتين ومنتزهات تسر الجمهور • فتراهم  
يحرصون الحرص كله ألا تكون الأشجار مشمرة ولا الأزهار أرجحة ذكية للراحة • ذلك لتمتع أبصار  
الجمهور ولا تناوله الأيدي ولأن هناك أعمالا مأكولة لحرص الناس على أكلها وتسابقوا الى نيلها ونسوا  
جمالها فتصبح تلك البساتين أشبه في جمالها بالرجال عند النساء وبالعكس • فان جمال كل من الصنفين  
يدعو الآخر الى التناسل الداعي الى العمل في الحياة والشقاء • إذن البساتين العاقلة في المدن جعلت لراحة  
الناس من مشاق الحياة وأسقامها وآلامها ونسيان مرارها وسعيرها لحيل بينها وبين الشهوات البهيمية  
التي فرغ منها الناس الى الضواحي والخلوات • ألا ترى رعاك الله أن جمال الذكور والاناث انما هو طبيعة  
الذرية وما هو إلا كالحب يرى به الطائر فيقع في الشبك • انه مقتضات لنظام الأسرات لاغير وكما ازداد  
سهما وكبر بنوهما وبناتهما رأيت الحب يتحول من الجبال الأدنى الى الجبال الأعلى جمال الماشرة والمسايرة  
في تربية الذرية والتعاون والأنس والاشفاق بعد أن كانا في مبدأ التعارف لا يلحظان إلا حرة الخلد وجمال  
الوجه واعتدال القد وطول الشعر ودعج العين ولصق الشفة والألفه والترنح إلا عن لؤلؤ رطب أو برد  
أو اقحوان • أصبحا لا يذكرا أن إلا حمة الولد واسمعه وزريته وآدابه وقوته وتعلمه وما أشبه ذلك من  
مطعمه وملبسه • فهذا كله دليل على أن الجبال في الجنين وسيلة لاقتصاداتها بخلاف جمال الحدائق  
العاقلة والمنتزهات • فان الجبال هناك مقصود لذاته ولوناقلته المواد الشهوية كالفاكهة لرجع الى ماسم  
الناس منه في منازلهم وحياتهم الحيوانية • اذا عرفت هذا فاقم وجهك الى النجوم وانظر جمالها ولألاها  
( الكواكب جنات عجبت للفكرين ولكن أكثر الناس عنها معجبون )

يا سبحان الله وبأسعده • نظرت يا الله الى الأم الأرضية المصنبة فأرحمتهم بالحدائق في ضواحيها  
وزرعت لهم في الطرق أشجارا وجعلت لهم أوقافا يسمعون فيها الموسيقى وهكذا • هذه لذات تكاد تكون  
خالصة من الآلام ليربحوا نفوسهم من الأعمال الشاقة • فانظر ماذا فعل الله بعد ذلك • أقل العيون  
وأقل الجفون وأطفأ السراج للوحاج وأبرز النجوم وأشرقت الأرض بنور ربها في الليالي المبلهات وقال  
للمحكاه والعلماء هذه هي الرض فتسمنوا فيها وانظروا معانيها أتم اليوم في حظيرتي فما كوها فلان

أعدت أنعم الرياض العاتقة لرياضة العاتقة . فها أنذا أعددت حدائق السبوية لرياضة الخاصة فأنسجهم أسقام الحياة وآلامها أنصاف أنصاف ما أضل مع العاتقة . ان العاتقة ألهت الأمم أن يبدو لهم ما هو أقرب لعقولهم وأدنى الى فهمهم فلم أخرجهم من سجن الحياة وذل المعيشة إلا لما هو أقرب اليها وهي البساتين العاتقة فهي بساتين أرضية . أما أنتم أيها الخاصة الذين أعددتكم لجوارى والقرب مني بالعلم والحكمة فهاكم رياسا جيلة واسعة هي مبادئ الجنات فهناك تلحظون عظمة الوجود . فلئن ابتهج العاتقة والجلاء بمنظر زهرة في شجرة فأنتم تنبهجون بدل كل زهرة بكوكب مشرق في ظلمات الليالي ترونه بأعينكم مسفيرا وتلاحظونه بقولكم كبيرا فيينا أعينكم ترسمه على شبكيها كأنه ليمونة اذا حقولكم ترسمه أكبر من أرضكم وأعظم من شمسكم . وها أنذا أبحث خيالكم أن يصور ما يشاء من الصور الحسان الجيلات فتتخيّلون ما سمعتم عن الأرواح في العلم الحديث من أن هذه الكواكب ربما كان فيها سكان وانهم أرفع مقاما من سكان أرضكم وأسعد حالا وأنهم بالا وأشرف منزلة وتحتون اللحاق بهم لتمشوا معيشة أهنا وتسدوا سعادة أكمل . فها أنذا ملأت خيالكم بحمال باهر من النجوم ثم فتحت الباب على مصراعيه لتتساقوا الى الخيرات وتقولوا فلتكن أعمالنا مرضية وقلوبنا نقية حتى نسارع الى ذلك الجبال ونعيش في باطن الكمال

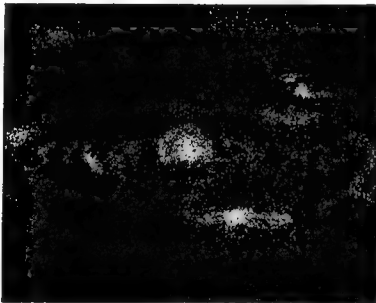
أقول هذا هو البستان الذي زرعه الله للفكرين من سائر الأم الأرض . وهذا البستان يجهله العاتقة في جميع الأمم ولا يعقلونه . هذا البستان لا ألم فيه أليته . جمال الحور الحسان في هذه الحياة مشوب بالألم أما جمال النجوم فانه مشوق لما وراءه من علم وحكمة ودراسة . وكأن جبال الحور الحسان داع للتأمل . هكذا هنا جبال النجوم داع لمراستها . فليقرأ الناس أقدار الكواكب وأبعادها وأنوارها فتصبح العقول ونحن على الأرض في عوالم أرق وأرق ويعتون المرادف في الملك فينهادون مشاهد تنسيم لذة العقول الصغيرة على الأرض ويرون أن الضوء الذي يسير في الثانية الواحدة مقدار (٣٠٠) ألف كيلومتر يحتاج في وصوله إلينا من بعض الكواكب التي تراها ليلا الى ثلاث سنين بل الى (٥٠) بل الى (١٠٠) بل الى (١٠٠٠) بل الى (١٠٠٠٠) ألف ألف . بل الى ستين ألف ألف سنة . وقد تقم هذا في هذا التفسير في مواضع مختلفة . وأيضا يرون اختلاف في أضوائها كالإختلاف في أبعادها . فاذا جعلنا ضوء شمسنا واحدا فهناك كواكب من هذه تكون أضوائها (١٥) مرات بل (٢٠) بل (١٠٠٠) بل (٨٠٠٠) ثمانية آلاف كالمسك الراسخ بل أكثر بما لانظم . وهكذا في أقدارها بما لا يحصره

هذا يجعل ما يفكر فيه المفكرون في عالمنا . إن الله عز وجل جعل على هذه الأرض أناسا أرق من الناس وهم المفكرون وفتح لهم باب الجنة في هذه الحياة وهم على (قسمين) قسم فرح بتخييل الأنوار في أضواء الكواكب وهذا قد خيالية فهو إذ ذاك في سلام وأمان من الموموم والأحزان ما دلم على هذه الحال . وهذه الطبقة من الناس قد دخلوا في اللذة الخيالية التي سيكونون فيها في البرزخ بعد الموت . وقسم فظرفي صولم تلك العوالم وتنع الناس بها وأرعدهم وهذا أسد من قبله . وللاشارة بقوله تعالى هنا - ونحيث فيها سلام - . وللتأني الاشارة بقوله - وآتودعواهم أن الحمد لله رب العالمين -

(رياض الجنات التي أعدّها الله في هذه الدنيا للعارفين وهبها للمفكرين في قوله تعالى - إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض الخ - )

لقد ذكرت لك كيف جعل الله للناس في الأرض رياسا في المدن وأعدّها للعلماء وللباحلين وقد ذكرت لك بعض رياض الحكمة في السموات . فلأترك في هذه المقالة الرياض الفناء في السموات التي كشفها الله اليوم وهبها لمن بعدنا من الأمم الاسلامية ليكونوا بها ملينين . تعلم أيها المتك أن أرضنا التي نكسها قد عرف الناس مساحتها ووزنها وبداها كما تحتم في سورة الأنعام

وأنها تابعة للشمس . وهناك سيارات أخرى معروفة مذكورة في سورة الأنعام أيضا والسيارات أقاروكها للشمس تابعات . وهناك أيضا النجوم ذوات الذنب التي يقول العلماء في عصرنا إنها كمعد السلك في البحار وكلها دائرات حول شمسنا . وما شمسنا هذه العظيمة التي هي أكبر من أرضنا بنحو ثمانية آلاف مرة وألف ألف مرة إلا إحدى الشمس وهي من أصغرهن قدرا وتلك الشمس تمتد بثلاث آلاف الألف فيقال إنها تبلغ نحو (٢٤٧) ألف كوكب شمسي . كل هذا معروف في هذا التفسير مرارا . فهذه الشمس كلها هي المكونة للمجرة . والمجرة يراها الناس بأعينهم كل ليلة صافية الاديم كأنها سائل لبنى أو كأنها بين ولداك تسمى عند العامة (طريق الثبانه) وعند الانجليز (الطريق اللبنى) وعند علماء الدين (أبواب السماء) هذه هي المجرة التي شمسنا واحد من شمسوها وهي ترى واضحة ظاهرة كما قلت لك في ليلة ليس فيها سحب . يراها الانسان بعينه معتزلة السماء من الشمال الشرق الى الجنوب الغربى والناس لا يعلمون عنها شيئا ولم تعلم حقيقتها حتى علمها الا قريبا فقد كنا منذ نحو (٤٠) سنة ونحن نطلب العلم في دار العلوم نتلقى عن أستاذتنا في الفلك أن الشمس التي أمكن معرفتها في تلك المجرة لا تزيد على (١٨) ألف ألف شمس . أما الآن فقد عرف العلماء منها أكثر من (٢٤٢) ألف ألف شمس . وربما كان لكل شمس سيارات وتوابع . هذه هي المجرة التي شمسنا واحدة من شمسوها . وما هذه المجرة إلا روض واحد من رياض الله التي زرعها في هذا الجوق الفسيح المملوء من الأثير فهناك ما تلقيناه عن أستاذنا المرحوم حسن أفندي حسنى النبى هو أستاذنا في هذا العلم ثم أتبعه بما عرفه العلماء في عصرنا لترى للرياض الزاهرة والجبال الفتان في السماء تعرف معنى هذه الآية . وهذه صورة المجرة

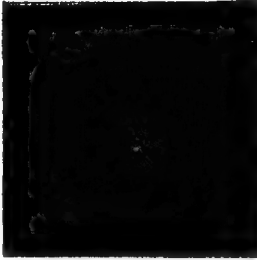


هذه هي الروضة الكوكبية التي شمسنا شجرة من أشجارها وأرضنا غصن من أغصان تلك الشجرة ومصر ورقة من أوراق ذلك الفصن . والقاهرة ذرة من ذرات الورق وسكانها وأنا منهم نعيش حول تلك الذرة الصغيرة ونحن الى الله ذاهبون . وكما أن القاهرة بلدة مما لا عد له من البلدان في الأرض . هكذا المجرة ما هي إلا روضة واحدة من رياض لا حصر لها في هذا الجوق الفسيح . وقد قسموا تلك الرياض

( شكل ٣ )

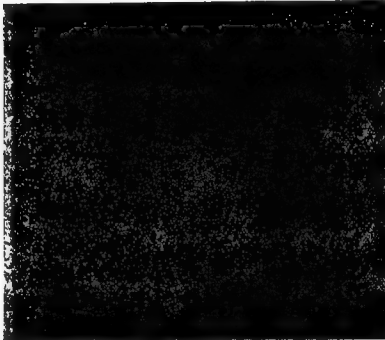
الهبجة في السماء الى ( ثلاثة أقسام ) قسم منها يسمونها (القنوان) التي يمكن تحليلها بالنظارات الى جلة نجوم ونسبى مجموعاته كوكبية . والقسم الثانى يسمونها (القنوان) التي يمكن تحليل جزء منها الى نجوم بالنظارات . والقسم الثالث يسمونه (سدم) لا يمكن أقوى النظارات تحليله . هذه هي الأقسام الثلاثة التي اصطلح عليها العلماء . والقنوان جمع قنوف فكان النجوم في هذين القسمين قنوف النخلة أو عقود الذنب ومن القسم الأول جلة اثريا للموضوعة في صورة الثور وهي مركبة من (٨٠) نجمة تقريبا ستة منها ترى بالعين المجردة . والسدم جمع سديم وهو في اللغة السحاب الرقيق وفي اصطلاح الفلكيين سحابة أوضاع

أوقطعة نيرة سحابة لائحل الى نجوم مفردة بالنظارات القوية  
 ﴿ المجموعات الكوكبية ﴾



تظهر المجموعات الكوكبية بشكل مستدير غالباً  
 حتى يظن في مبدأ الأمر انها من ذوات الأذنان ولكن  
 عدم تغير شكلها وعدم تحركها يميزاتها عن ذوات  
 الأذنان . والنجوم المتكوبة منها المجموعات الكوكبية  
 تظهر في جهة المركز أكثر عدداً مما في الأطراف وقد  
 حسب للم ( هرشل ) أن بعض هذه المجموعات التي  
 شكلها كروي لا تشتمل على أقل من ( ٥٠٠ )  
 نجمة منضمة الى بعضها في سعة قطرها الظاهري  
 لا يزيد عن عشر قطر القمر . وأشهر هذه المجموعات  
 قنوتوكان وهي في السماء الجنوبي وترى دائماً بالعين

العارية ( شكل ٤ ) والجزء المركزي منها ذولون أحمر يقال فاتح ( شكل ٤ )  
 ومثل هذا القنوما هو ميب في شكل ٦ ( رسم قنولوكان . شكل ٥ )

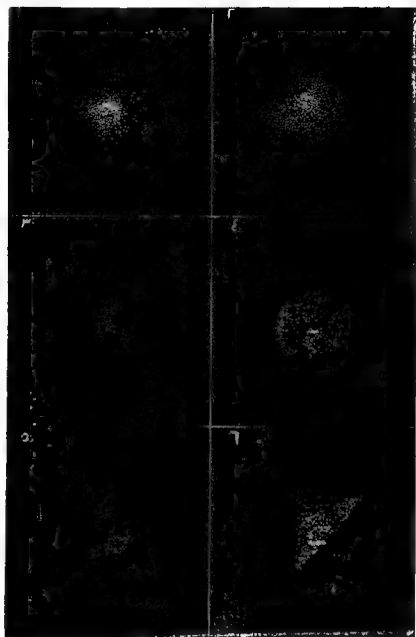


( شكل ٥ )

﴿ القنم الثاني السدام التي يمكن تحليل بعضها ﴾

السدالم التي ينحل جزء منها تظهر في الغالب على شكل منتظم قليلاً أو كثيراً ولا شك في أن هذه المجموعات  
 هي من المجموعات الكوكبية غير أنها موضوعة بعيداً جداً أو أنها مركبة من نجوم صغيرة جداً يمكن تحليل بعضها  
 بالنظارات وبعض السدام ذات الشكل المنتظم مستدير وبعضها يضاوي وبعضها ناقص مطول جداً يقرب  
 من المستقيم ( شكل ٧ ) وبعض السدام اليلضوية حلق كما يرى في ( شكل ٨ ) وأحياناً ترى نجوم على  
 نفس الحلقة

(شكل ٦)



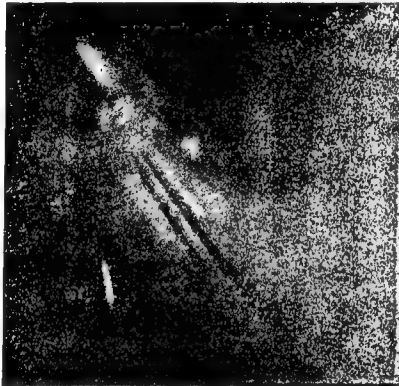
(١) من الليزان (٢) من الخافى على ركبتيه (٣) من الجدى (٤) من اللو (٥) من الحية (٦) من الجوزاء



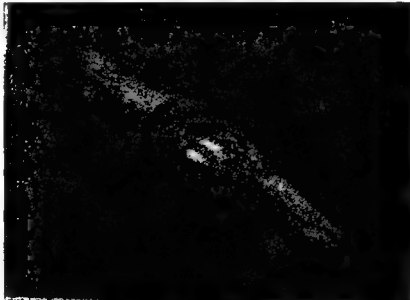
(شكل ٧)

ومن ضمن السحابات المنتظمة ما شكله مخروطي أو كشكل ذات الذنب • ويمكن أن يكون انتظام الشكل مترتبا على قوة الآلة بحيث إن الانتظام لا يكون إلا ظاهريا فقل رأى (هرشل) تظهر سحابة كلب الصيد مثلا على شكل حلقة مضاعفة في نصف دائرها وفي وسط الحلقة توجد سحابة لامعة جدًا وخارجا عن الحلقة على بعد منها توجد سحابة صغيرة مستديرة

(القسم الثالث) السدم الغير المحولة ذات الشكل غير المنتظم • توجد سدم لا يمكن أقوى الآلات حلها وهي سدم الرتبة الثالثة • وهذه السحابات تظهر عموما بشكل غير منتظم وذلك كسديم المرأة المسلسلة (شكل ٩) والسديم الحلقي الناقص للأسد (شكل ١٠)



( شكل ٨ - سديم المرأة المسلسلة )



( شكل ٩ - سديم الأسد )





من كواكب هذه المجرة نحو ٨ دقاتي ١٨ ثانية كما قُدم بـير النور وقد عرفت بـير قلة المدفع وسير القطار في الأرض فلانبعده . نحن لا نحس بعد هذه المجرة إلا بتربحها . إذا عرفت بعد الشمس منها فإن بعد أقرب كوكب من كواكب هذه المجرة وهو (ألفا قطورس) يبلغ بـير النور ثلثائة ألف ضعف بعد الأرض عن الشمس أي ثلاث ستين ونصف سنة نورية . فبالت شري ماذا يكون ذلك البعد بالقطار أو بقلة المدفع مع العلم بأن النور يسير في الثانية ما يسيره القطار في نحو ٤٥ سنة وما قطعه قلة المدفع في نحو سنة ونصف . ولننظر نظرة عاتمة في المجرة فنقول

يقول علماء عصرنا لتتخذ الشمس مركزاً ولنرسم حولها كرة قطرها ألفا سنة نورية . فهذه الكرة تشمل جميع الكواكب التي نراها بالعين المجردة وإذا أوسعنا هذه الكرة حتى يصير قطرها خسا وعشرين ألف سنة نورية شملت جميع الكواكب التي في نظام المجرة التي هي مرسومة أمملك . (صفحة المجرة) هي تشبه حبة العدس قطرها (٥٥) ألف سنة نورية . والمسافة التي بين وجهيها عند مركزها عشرة آلاف سنة نورية . ويخرج هذه المجرة علان آخون في غيوم (جعلان) يبعدان نحو (٧٥٠) ألف سنة نورية وهناك كون آخر يبعد (٧٥٠) ألف سنة نورية ثم على مليون سنة نورية نجد الد بين الكوكبين في المرأة المسلسلة وكوكبة الثعلب وكل منها طوله الأطول نحو (٥٥) ألف سنة نورية وهو طول قطر المجرة . ولكن هذه المجرة وأبعادها الشاسعة علم صغير جداً من العوالم . فإذا بعدها . (الجواب) هناك مجاميع من النجوم وقد رأيت بعضها مرسوماً أمامك في هذه الصفحات . وكل مجموعة منها فيها نجوم كـنجوم المجرة وكلها مثبورة في الفضاء كأنها بساتين زرعها الله في الفضاء للشمس . أو كأنها جزائر في البحر جزائرها الأرضية في البحار للمائة وهذه جزائرها في البحار الأثرية التي تظهر لنا كأنها فضاء . ويقولون في عصرنا الحاضر أنها الأكوان (الجزيرة) . ولأذكر لك على سبيل المثال سديم المرأة المسلسلة المتقدم وجد العلماء يبعد عنا مليون سنة نورية وقطره خمسون ألف سنة نورية وفيه ألوف الملايين من النجوم أكثرها لا تمكن رؤيته والكواكب التي نراها فيه تزيد ألوف الأضعاف على شمسا من حيث النور والعلان بدليل أننا لو قمنا الشمس عنا مسافة مليون سنة نورية لم يمكن رسمها بالصورة الشمسية . أما هذه النجوم التي تبعد عنا هذا البعد الشاسع فاتها ترسم . فإذا كانت شمسا بالنسبة للكواكب التي عرفت صغيرة جداً وضوها ضئيل . وإذا كانت المجرة فيها مثلث الملايين من الشمس وكانت المجرات الأخرى فيها كواكب مثلها أو أكثر وهي أضوأ ثم أضوأ ثم أضوأ . أقلبس هذا معناه أننا صغر في هذا الوجود وإذا قال الشاعر

\* إذا ذلّ مولى المرء فهو ذليل \*

فهكذا نقول إذا صغر أهل الأرض بجانب الأرض وبحارها وجبالها . وإذا صغرت الأرض بجانب الشمس . وإذا صغرت الشمس بجانب مئات الملايين من كواكب المجرة . وإذا صغرت المجرة بجانب ما يقرب من عدد مليونين من المجرات فما نحن في هذا العالم إلا صغر وبهذا نفهم قوله تعالى - وما أوتيت من العلم إلا قليلا - فعلنا قليل كقلة أرضنا بالنسبة لشمسنا وشمسنا بالنسبة لمجرة تسمى مجرتنا وبجرتنا بالنسبة للمجرات وقد يدس الناس أن يعرفوا لهذه العوالم نهاية وسيعرف المسلمون من ذلك معنى قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون - وقوله - وما يعلم جنود ربك إلا هو وماهى إلا ذكرى للبشر - اهـ

إذا عرفت هذا فهت تفسر هذه الآيات . فإذا سمعت الله يقول - هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب - وختما بأنه فضل ذلك لقوم يعلمون أدركت ما قمتنا من أن البساتين العاتمة العموم . أما السموات فهي للعلماء بها وهم الخواص . وإذا سمعت قوله

تعالى - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا - ثم وصفهم بالاطمئنان بها والفظة أدركت ماقتضاه من الحياة المنزلية وشقاها الذي لا منقوحة عنه وهو عين مجابهة في قوله تعالى عند ذكر الأولاد والأموال أنهما للعذاب في الدنيا

ثم لخص المقام كله بقوله - دعواهم فيها سبحانه اللهم الخ - ويانه أن الانسان في الأرض أشبه مسجوناً أبعد عن ملكه كما تقيم - فهذا للمسجون له ( أربع أحوال ) حال السجن - وحال الخروج مع عدم الامن من السجن - ثم حال الامن من السجن - ثم أن يعطى له ملكه - فهذه الدرجات الأربع تحصل لنا فنحن الآن في سجن تكاليف الحياة والشهوات وإذا خرجنا منها ربما وقفنا في شقاء آخر وهو المعبر عنه بجهنم - فإذا سلمنا منها فهو نعمة - فإذا أعطينا الكمال اللائق لنا فهذا غاية المراد فقوله تعالى - سبحانه اللهم - تنزيهه عن الحوادث ملحوظ فيه تشبه العبد به في الخلوص من العلائق الدنيوية وهو المرتبة الثانية المتقدمة وقوله - سلام - هو للمرتبة الثالثة - والرابعة كمال العلم بهذا الوجود الذي هو جنة العارفين في الدنيا وفي الآخرة الذي لا تحقق للحمد إلا به إذ لا معنى للحمد على تربية العالمين إلا بعد العلم بها ومن العالمين هذه الكواكب والشمس والقمر والخبيثات المذكورات في الآيات التي يجمع بها الخواص في الدنيا والآخرة ولله يعلم أن العاتية محرومون من هذا الجلال فأعلم رجال الحدائق فزرعوا لهم من تلك البساتين بعض روضات منظمة على أشكال ( بياضية ) أي لهليجلية وهي السماء بالقطع الناقص التي تشبه دوائر الكواكب في السموات كدائرة الأرض حول الشمس فانها ليست دوائر تامة والشمس تكون في إحدى بؤرتيها صيفا وشتاء كما أوضحته في غير هذا المقام في التفسير - فبساتين العاتية في بعضها ذلك الشكل كأنه يذكر العوالم بدوائر الكواكب التي لا يسقطها ليل إلا الغلظة

### ( تذكرة )

أيها الذي سيقراً هذا التفسير إن شاء الله شبان من المسلمين في حياتنا وبعد موتنا وسيهرعون إلى بناء المرصد في الممالك الإسلامية في بلاد المغرب ومصر والشام والعراق وبلادجلوه والملايو وسائر بلاد الهند الشرقية وسيكون هذا القول من أوكد الأسباب لارتقائهم في علوم النجوم وسائر علوم الحكمة لاسيما إذا قرؤا ما سيأتي في تفسير قوله تعالى في سورة ابراهيم - وذكرهم بأيام الله - كيف كان موسى يذكر قومه بأيام الله وكيف ذكر نبينا ﷺ قومه بأيام الله - وكيف ذكرت أنا الأمم الإسلامية بأيام الله - وكيف يشجلى لك هناك مابرع فيه آياتنا الأولون من العلوم في الفلك وغيره - وكيف شهد لهم العلامة ( سدبو ) الفرنسي بأنهم سادات أوروبا وأساندتها في العلوم وانهم هم الذين أصلحوا علم اليونان كما رحمه هو ايضاً تاماً وقلت أنا هناك بعضه - ثم كيف كان بعض ملوك الدولة العباسية يحاربون ملك الروم لأجل بخله عليهم بهلم يسمى (ليون) من شدة ولوعهم بالعلم - وكيف غير الله عقولهم في أواخر الدولة فطاردوا العلماء كما فعل لئالك يعقوب في الأندلس بآبن رشد - وكيف ذلّ المسلمون شرقاً وغرباً بعد نبهم العلماء - وكيف كان الجهل سبب خراب بغداد ومصر وبلاد الأندلس وتفصيل ذلك كله مع الإيجاز - سترأ هذا التفصيل هناك وقرأ ما نبضت به بعد ذلك أوروبا لما أعنت علوم ابن رشد وكشفت من العلم ما انتفضت به وأصبحت عائلة عليهم في علمهم وصناعاتهم - سيقراً هذا وذاك أنبأنا المسلمون والشرقيون وسيطهرون للعلم سراعاً ويرجعون مجدداً خاضع وعزاً ذهب والله هو الولي الحميد وهو حسبنا ونعم الوكيل



( شكل ٨ )

( فصل في قوله تعالى - إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض آيات لقوم يتفكرون - )  
اعلم أن اختلاف الليل والنهار قد فصلته تفصيلاً في سورة البقرة . وأما الكلام على ما خلق الله في  
السموات والأرض فهذا أيضاً أزيدك بياناً فوق ما مضى منه في هذا الكتاب لينشرح صدرك وتكون رياضة  
بعد العناية في حساب السنين وأذكر لك لطائف

### ( الطبقة الأولى . النبات المفترس )

إن الحيوان المفترس يسطو على الغزلان والأرانب والماعز والغنم وما أشبهها . وهكذا كل حيوان يسطو  
على النبات فيأكله ليتغذى به والأكثر فيه أن يكون غير مفترس . وماذا تقول إذا قصص اليوم عليك  
نباتاً مفترساً ( ذلك ) أن العلامة ( أليس ) الانجليزى قد كشف نباتاً في ( أمريكا الشمالية ) له ورق كأنه  
مصيدة الفار ولورق مفاصل كفواصل اليدين والرجلين في الإنسان والحيوان وعلى ظاهرها زغب يقوم مقام  
الأعصاب في ظهر الإنسان ثم هناك شوك يحيط بها من كل جانب فإذا جاءت حشرة صغيرة على الورقة  
أحسن الزغب بها حالا فتنبهت الورقة فتطبق عليها ولا تدمعها فقلت وتفرز مادة عليها كما تفرز نحن عصارة  
البنكرياس في المعدة والريق في الفم على طعامنا . وكما تفرز الحية المادة السمية فتعض طعامها بلا أسنان  
ولامعدة وحيدة تختص الورقة تلك الغنمية وقد اقتضت لأنواع النبات من عدوها الحيوان وهي تقول ( فيوم  
لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر ) وتقرأ - وتلك الأيام نداولها بين الناس -

### ( الطبقة الثانية )

نبات مائي يسمى عند النباتيين ( غاليستير ياسيرا ليس ) وهو ينبت في مجارى الأنهار . ولقد علمت في  
هذا الكتاب أن لكل نبات ذكراً وأنثى وقد يكون الذكر في زهرة والأنثى في زهرة أخرى من الشجرة  
لواحدة كنبات القرم وقد يكون الذكر والأنثى في زهرة واحدة كالقمح وقد يكون كل منهما في شجرة كما  
في النخل . ومن النوع الأول هذا النبات المائي الذي نرى صدد الكلام عليه فإن الزهرة الأنثى منه ساقا  
لوليا طويلا وهذا الساق يحمل الزهرة ويصوم بها فوق الماء مرتصفا لها في الهواء . أما الزهرة التي فيها  
لقح للتذكير فغالبها ليست تصوم بل هي قريبة من المنبت تحت الماء فإذا جاء الأجل وحلّ أوان الفرح . فإذا  
يحصّل . أنزل الزهرة الأنثى حتى تصل في الماء إلى زهرة الذكور . أم بطول ساق الذكر حالا فيصل إلى  
أعلى فيحصل الالتصاق . كلا . لاهنا ولا ذاك وإنما تنفصل زهرة التذكير وتبعد فوق الماء حتى يجتمع

بالأشئ وهي منفصلة ومتى حصل الاقحاح ينقبض لولب الأشئ حتى تصير في قاع مجرى النهر عند ساق النبات في أسفلها وهناك يتم البذر فتجذب وزدها وإقرأ - إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون -

### ( اللطيفة الثالثة • شجرة تفتري انسانا )

جاء في بعض المجلات المصرية المصرية أن في بعض الجزائر شجرة يقصدها أهل تلك الجزيرة ويبدوها ويقدمون لها في كل سنة فتاة يختارونها لذلك فيحضرون معهم آلات الطرب من طبل وغيره ويضعون هذه البنت في أعلى الشجرة في مقعد هناك فيه مادة حلوة لذيذة من نفس الشجرة تشرب منها الفتاة فتسكر وتغيب حواسها فلا تلبث تلك الشجرة أن تجتمع أوراقها وأغصانها وأشواكها النافذة وقضبانها للثوب التي تشبه الحبال فتتضم جميعها على الفتاة والأوراق تمسك أغصانها والحبال تلف حولها والشوك ينفذ في باطنها من أعلى ومن أسفل وتأخذ الشجرة إذ ذاك تمتص الفتاة وتهضمها وهي لا تقدر على النجاة والقوم يدقون الطبول فرحاً بهذا الصيد اللذيذ وفي الحال لا يسمعون نأوه الفتاة وأنبها وعويلها وصرانها ثم ينصرفون بعد ألا يبقى لها إلا ما تطفله الشجرة من عظام لا لحم عليها ولا عرقاً وهكذا • وذلك أيضاً من انتقام النبات من الحيوان جزاء ما يفعل الحيوان في النبات - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون -

### ( اللطيفة الرابعة كيف تظهر صور الفصولات في فصول السنة الأربعة )

أنظر للدنيا في فصل الربيع (من اخوان الصفا) فإذا نزلت الشمس أول دقيقة من بروج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل الزمان وانصرف الشتاء ودخل الربيع وطاب الهواء وهب النسيم وذابت الثلوج وسالت الأودية وامتد الأنهار ونبت العيون ونبت العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلا لأل الزرع وأورق الشجر وفتح النور واخضر وجه الأرض وأزجرت زخرفها وازينت وفرح الناس واستبشروا وصارت الدنيا كأنها صبية شابة تزينت وتجلت للناظرين

### ( فصل الصيف )

إذا بلغت الشمس آخر الجوزاء وأول السرطان تنهى طول النهار وقصر الليل وأخذ النهار في النقصان وانصرف الربيع ودخل الصيف واشتد الحر وحى الهواء وهبت السموم ونقصت المياه ويسب العشب واستحكمت الحب وأدرك الحصاد ونضجت الأثمار وسمنت البهائم واشتدت قوة الأبدان وأخصبت الأرض وكثر الريف ودرت أخلاف النعم وبلر الإنسان وصارت الدنيا كأنها عروس منعمة وعناء ذات جلال

### ( فصل الخريف )

إذا بلغت الشمس آخر السنبلة وأول الميزان استوى الليل والنهار مرة أخرى وأخذ الليل في الزيادة وانصرف الصيف ودخل الخريف وبرد الهواء وهبت ريح الشمال وتغير الزمان وجفت الأنهار وغارت العيون واصفر ورق الأشجار وصرمت الثمار وديست اليازر وأحز الحبيب وفي العشب واغبر وجه الأرض وهزلت البهائم وماتت الهولم وانجحرت الحشرات وانصرف الطير والوحوش إلى البلدان البعيدة وأخذ الناس يحجزون القوت للشتاء وصارت الدنيا كأنها كهلة مدبرة قد توت عنها أيام الشباب

### ( فصل الشتاء )

إذا بلغت الشمس آخر القوس وأول الجدي تنهى طول الليل وقصر النهار وأخذ النهار في الزيادة وانصرف الخريف ودخل الشتاء واشتد البرد وخشن الهواء وتساقط ورق الشجر ومات أكثر النبات وانجحرت هولم الحيوانات في بطن الأرض وضعت قوى الأبدان وعرى وجه الأرض من زينته ونشأت الفيوم وكثرت

الانداء وأظلم الهواء وصارت الدنيا كأنها مجوزة ممددة قد دنا منها الموت . فإذا بلغت الشمس آخر الحوت وأول الجمل عاد الزمان كما في العام الأول وهذا دأبه . ذلك تقدير العزيز العليم - اه  
هذه صورة - ما خلق الله من شيء - في فصول السنة الأربعة وقد قال - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - أي تناقض ولا اختلاط . وها أنت ذا قد شاهدت أن هذه الرواية تمثل كل سنة تمثيلا متواصلا لا اختلاف في فصول الروايات من حيث العموم وإنما تختلف في أحوال جزئية - فبارك الله أحسن الخالقين -  
( فصل في قوله تعالى - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا الخ - )  
لابد في ذكر المناسبة بين هذه وما قبلها من بيان مقدمات جبهة الناس وغرائزهم وما فطروا عليه اعلم أن الناس في هذه الدنيا مولعون بما خلقوا له مغرمين بما استعقوا له لا يرجون سواء ولا يحبون إلا الوصول إليه

- (١) الفاتنة في المدرسة مفرمة بالعراس تلبسها وتعلم بها
- (٢) والعيبان فيها لا يهتأ لهم إلا حب السلاح وآلات الحرب غالبا والمغالبة في اللعب ( ذلك ) أن الفتاة خلقت للولادة والتربية والفتى سيكون من شأنه مدافعة الأعداء عن البلاد
- (٣) ونرى قوما يملكون بحسب ما طبعوا عليه إلى التجارة
- (٤) وقوما للزراعة (٥) وقوما للإمارة (٦) وقوما للملك (٧) وقوما للعلم
- (٨) وكل هؤلاء مختلفون اختلافا كثيرا

وقد ظهر بالاستقراء أن من طلب هيا وهلم به ناله كره أو بضه على مقتضى حاله . وليس يكون الانسان مغرما إلا بما شاكله وقد يناله . فهل تفرم الفتاة باكلات الحرب والقتال . أم المستعد للإمارة صناعة البذل . ففي الحديث ( كل مبسر لما خلق له ) . فليست تربو الفتاة سلاح الحرب غالبا وليس يجب الفتى أن يكون مرمضا وظمرا للأطفال وهكذا وإذا أصبح الناس بالنسبة إلى الأشياء على ( قسمين ) قسم مستعد للشيء يرجوه . وقسم ليس بمستعد له ليس يرجوه . فالخداد مثلا عادة لا يستعد للحكمة والفلسفة فهو لا يرجوها ومن خلق مستعدا لها يرجوها فينالها الثاني ويحرم منها الأول

فلنتنظر إذن نظرة في هذه الآيات نجد وصف السموات والكواكب وسير الشمس والقمر وهذا من نوع الجبال العالي وفي نوع الانسان عشاق لهذا الجبال وفيه من لا يشقون بل هم مكتفون بالماكل والمشرّب والتناسل كالسواب والأنعام والمغالبة كالآساد . فشاق هذا الجبال يتكفون على الحساب والهندسة والجبر والفلك وحساب المثلثات ويهرعون إلى المراصد فينظرون النجوم ويتأملون أشكالها وجبالها وحركتها ويدققون ويحسبون وهم بذلك فرحون مستبشرون . فهؤلاء يمتنون لو يساعدهم القدر ويسمعون في عوالم السماء حتى يفتقروا على كنه تلك العوالم ويسرفوا جبال الصنعة الإلهية وكلما ازدادوا علما زادوا سرورا وبهجة بتلك الجباب والبدائع . فالنظر للعوالم العلوية يبهج الصدور ويجعل الانسان مغرما بالاطلاع على جميع العوالم . أقول فهل هذا الغرل خلق في بعض هذا الانسان بلطلا كيف وقد خلقت الفتاة ومعها غريزة تربية السفار في اللبة وهي طفلة وكذلك الفتى يفرم بالسلاح للشي هو من جنس ما يكون في مستقبله وهكذا أرباب الصناعات والحرف كل يميل إلى ما خلق له كما كانت أمة اليونان في قديم الزمان تدخل الصبيان في الحياكل وقد وضعوا فيها صور جميع الحرف ويسألون الصبي عما يميل إليه فيجيبهم فيحكمون عليه بأنه من أهل هذه الحرف وقد خلق لها

فإذا كان الاستقراء أثبت هذه القاصمة فلننقص الغائب على المشاهد ولنقل أن من أغرم بهذه الجباب سيكون له مستقبل في الوصول إليها وأن العالم الأخرى أي ما رآه بعد الموت قد أعد لكل امرئ فيه ما

استعمله في الدنيا . فأهل الفردوس بالجمال في صور هذا العالم من حيث الحكمة ودقة الصنع وإدراك المحاسن سينقلون هناك على تلك الحال وينالون حظا بما أغرموا به وعشق هذه الأفلاك عشق خالقها ومنظما ومبدعها فهذه غرائز أوشبه غرائز في النفوس فلا بد من الوصول إلى ما استعنت له وهذا هو بيت القصيد ولذلك قسمت الآية هنا الناس (بعد الكلام على عجائب الأفلاك والطبيعة) (قسمين) قسم لا يرجو لقاء الله ورضى بالحياة الدنيا والطمأن بها وغفل عن هذا الجلال . وقسم في جنات النعيم ولهم (ثلاث درجات) في تلك الجنة (أولا) ينعنون الله بنعوت الجلال وهي صفات التنزيه وهم منغمسون في لذات الجنة ونعيمها ثم يرون بفكرهم أن خالق الجنة أكبر من هذا كله وأعظم فيسبحونه أي يزهونه عما هم فيه من النعيم (ثانيا) بتدبى أيلم سعادتهم فيحي بعضهم بعضا بالسلام وهو الأمان من الخواف فيقولون لبعضهم ان هذه اللذات في الجنة لا يمتريها قص ولا قعر ولا هم ولا غم فهذا هو السلام الذي يدور بينهم وبين بعضهم وهذا من أعظم السعادات إذ يرى الانسان نعيمه لا تنقص فيه وقد فهموه من أنفسهم ثم يترقون من هذه المرتبة الانسانية فيسمعون سلام الملائكة كما قال تعالى - وللملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم - وهذا سلام أعلى ويحسون إذ ذاك بسعادة أجل من الأولى لأن سلام الملائكة من عالم منزّه عن المادية فيكون أجل وألطف وهذا يعدم لسعج السلام من الحق - فاذسمعوه خروا ساجدين ونسوا نعيم الجنة وحرقى أعينهم كما يصفر طعام الملك حنت من حظي بمجالسته ومواسسته وإن يكون غداؤهم هو النظر في ذلك الجلال الأبهى وفي عجائب القدرة وهذه هي المرتبة الثالثة مرتبة الحكماء والعلماء والأنبياء الذين مارسوا هذا الجلال في هذه الحياة الدنيا فيقولون - الحمد لله رب العالمين - وذلك أنهم يطالعون على تربية العوالم المحسوسة والمقولة وهناك تكون السعادة الروحية التي يحسن الناس ببعضها في أوقات قليلة بل إن كثيرا من الناس قد أولعوا بالعلم حتى نسوا كل شيء غا باله إذا كان ذلك في تلك الساحات البديعة ولقمامات الشريفة . وإن أردت شاهدا على ذلك من العالم الأخرى ولم تكشف بالاستفاج فاسمع ما قاله روح (غاليلو) الفيلسوف الفلكي حين أحضرها ليستطلعو رأيها في أحوالنا بعد الموت فأملت عليهم مقالا مصدقا لهذه الآية . فلقد أوضح هذا المقال أيضا إيضاح وكشف عن هذه الحقيقة الثام وجاءنا من عالم الغيب يخبرنا أنه منتم بالتفرج على عجائب الفلك وأنواع النجوم بحيث يراها بأنفسها وأقدارها وأشكالها وأنه شاهد عوالم أرق نفوسا وعقولا وأخلاقا ومدنية ولهم أعمال غير أعمالنا وعقول غير عقولنا وأنه هو يطوف في تلك الأرجاء ويتنهب برآها . وأفاد أن الكواكب هناك مع عظم قدرها تتفرج عليها الأرواح الفاضلة كما تتفرج نحن على الزهر في الشجر . وبين أن أرضنا هذه ستزول من الوجود . وأما أرواحنا فانها تبقى ثم ترتقي في عوالم أخرى عند الله وتكلم عن الهجرة وكيف يطالع هو اليوم على اللالين من النجوم فيها ثم ينتقل إلى هجرة أخرى وهكذا في العوالم الناسخة البصية . وهذا القول من روح (غاليل) هو ما يقوله علمائنا (إن جنة العارفين هي العلوم والمعارف ولا نهاية لها . أما جنة المطفلين فهي المساكن والمشارب) وأن لا أطيل لك أكثر من هذا وإن أردت الاطلاع على هذا المقال المفيد الطويل فاقرأه في تفسير سورة آل عمران المتقدم في المجلد الثاني . ولعلك تقول . كيف يقول (غاليل) ذلك وهو كافر بالله . أقول هذا القول لم أجزم به وإنما نقلته ليح للمحدودين من المسلمين أن عقيدة الآخرة موجودة بأوروبا التي هم يقتسونها فإذا كفروا بذلك فهم لا شريكون ولا غريبون لأن الاتحاد قد جعله بعض سفار العقول من المتعلمين صناعة يرتزقون بها إذ يوهمون الناس أنهم علماء حتى كفروا بعلومهم . وهناك أبلطت أخرى على هذا الاعتراض في تفسير آل عمران فارجع إليه هناك . انتهى تفسير القسم الأول من هذه السورة

﴿ مناسبة هذه السورة لآخر التوبة ﴾

قبل الانتقال الى القسم الثاني يحسن أن نذكر مناسبة هذه السورة لما قبلها بإيضاح فقول  
 لقد ذكرت في آخر سورة التوبة هذه المناسبة . وأريد الآن أن أذكر المناسبات المشابهة من أول  
 سور القرآن الى هذه السورة غير ما ذكر لكل منها خلاصه . ان الجزء الثاني من سورة الفاتحة يشتمل على طلب  
 الهداية الى الصراط المستقيم . صراط النعم عليهم . وأول البقرة يفيد أن هذا الكتاب - هدى للتقين -  
 وهم الذين عبر عنهم في الفاتحة بالنعم عليهم . وآخر سورة البقرة جاء فيه أن الرسول ﷺ والمؤمنين آمنوا  
 بالقرآن وبلائاته والكتب والرسل بعد ذكر أن الله ماني السموات وماني الأرض وأنه سبحانه يعلم ماخفيه  
 وما ينظره . وهما هذان في أول آل عمران يذكر القرآن والتوراة والانجيل وكل ما يفرق بين الحق والباطل  
 وهذا راجع للأمر الثاني في البقرة . ويقول لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو راجع للأول  
 أما آخر سورة آل عمران فهو طلب التقوى من المؤمنين . وأول سورة النساء طلبها من سائر الناس لأن  
 الرسول ﷺ علم للأمم كلها . وقيل آخر سورة النساء - فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم  
 في رحمة من فضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما - وأتبع بحجواب استفئاهم في مسألة الكلاله . وأول سورة المائدة  
 خطاب هؤلاء المؤمنين بأوامر بعد أن أجاب استفئاهم . وآخر سورة المائدة أن الله له ملك السموات  
 والأرض وما فيها . وأول سورة الأنعام بيان سبب كون الملك مختصا به . ذلك لأنه خلقهم فهو يقول له  
 ملكهما ثم يقول هو خلقهما وخلق الظلمات والنور . وفي آخر سورة الأنعام يتبرأ من الذين فرقوا دينهم  
 وكانوا شيعا . ثم أتبعه بطريقة الهداية وبإخلاصه فله إذنا بأن الذين فرقوا دينهم يخالفون هذا التسليم  
 لله وهذه الهداية . وفي أول الأعراف أخذ ينذر من كفر ويذكر المؤمنين نبينا لنتيجة تبرئته منهم .  
 وفي أول سورة الأعراف يقول - يسألونك عن الساعة - فأجابهم بأن علمها عند الله . وأتبع ذلك بأنه لا  
 يملك لنفسه نفعا ولا ضرا وأن الناس كلهم كذلك لأنهم في قبضته لأنه خالقهم واستطرد بدم الأسماء والشیطان  
 ويطلب الاصغاء للقرآن الخ . ثم أتبعه بقوله - يسألونك عن الأنفال - فحكا سألوه عن الساعة فكان  
 العلم عند الله . وهكذا سألوه عن الأنفال فكانت الإجابة عنها من الله . وآخر الأنفال - إن الذين آمنوا  
 وهاجرنا الخ بعضهم أولياء بعض - وهكذا الذين يصدعهم . فلتخص ذلك أن هنا صلة دليية عامة وصلة  
 رحم خاصة فلم يبق إلا ذكر الكفار بالبراءة منهم . أما آخر براءة فانه يفيد (١) أن الرسول ﷺ منهم  
 (٢) بهم بأمرهم (٣) وهم ربما يعرضون عنه (٤) وهو يتوكل على الله رب العرش العظيم  
 وأول سورة يونس أنكر عن الناس تجهيم من إرسال رجل منهم اليهم وهو راجع للأول وكان حق  
 التجنب أن يكون من إرسال ملك لأن اللوعة إنما تكون ممن يشاكل لامن الخائف من الجنس وقوله  
 - أن أنذر الناس وبشر المؤمنين الخ - راجع الى الثاني وهو الاهتمام بأمرهم وقوله - قال الكافرون إن  
 هذا لاسحوا بين - راجع لثالث وقوله - إن ربكم الله - الى قوله - ثم استوى على العرش يدبر الأمر -  
 راجع الى الرابع فهو توكل عليه لأنه رب العرش العظيم في آخر التوبة . وهنا فصل ذلك بأن استواءه على  
 العرش بعد خلقه السموات والأرض لأن الملك إنما يدبر الملك بعد تأسيسه . فهنا المناسبة دقيقة ثابتة إنما  
 الذي يعوزة التفصيل . انه عبر هنا بقوله - رب العرش العظيم - ثم عبر بأنه خلق السموات والأرض الخ -  
 يقول ﷺ ان الله كافيه لأنه ملك متصرف في ملكه

﴿ بيان الفارق بين توكل نينا ﷺ وتوكل هود في سورة الآتية ﴾

فأما هود فانه يقول - إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو أخذ بناصيتها ان ربي على  
 صراط مستقيم - فهو توكل على من يديه نواصي كل دابة . ومحمد ﷺ توكل على من له العرش العظيم

وخلق السموات والأرض فشكل منها تذك من صفات ربه مادل على زعة نفسه . فهو يدريد السلامة له ولن اتبعه لأنه عادل في عمله فهو يحفظ كل نسمة ويكفوها ومحمد ﷺ يفكر في أمر الملك العلم والنظام . فهتمته متجهة الى النظام العلم وهذا هو الذي يليق باتباعه

أيها المسلمون انظروا كيف كان اتجاه النبي ﷺ واتجاهه الى النظام والملك والعرش والاصلاح العام فأعطي ذلك واتباعه أصحابه وأتم منهم فعملوا الى الحكمة والعلم والنظر العام . أيها المسلمون كأني أرى بيني وأسي أقواما منكم نبغوا في الصلوات كلها وفاقوا الأمم . تلك الأمم التي لا تريد الا أنفسهم ولا تحافظ الا على كيانها . أما أنتم فانكم الأعلون وأنتم تنظرون الى النظام العام نظام السموات والأرض ونظام الأمم كونوا على قدم نبيكم ﷺ ولا ينسئ لكم ذلك الا بالفكرة التي ذكرها في التوكل عليه فوجه وجهه منظر العرش العظيم وفصل ذلك في يونس بأنه - يدبر الأمر -

ان أفضل صفة الانسان أن يشبه بالله بقدر طاقته البشرية والله يدبر الأمر فليدبر المسلمون الامور في الأرض تابعين في ذلك ربههم بعد درس نظامه ونظام الأمم وليكونوا خبراً أنه أخرجت للناس . ومستحيل أن يتم ذلك لنا نحن في المستقبل الا بالمعمل الذي شرحناه في هذا التفسير . للمسلمون يتدخلون القارات كلها فإذا صلحوا أصلحوا كل الأمم . والاصلاح العام هو تاسخ جيع الانسانية الذي ورد في الأحاديث أنه الاصلاح العام للمؤمن عنه ينزل عيسى عليه السلام ولقد شرحت في هذا التفسير مراراً وقلت في غير موضع انه لن يتم ذلك الا بأخذ العنة له وتسميم التعليم في بلاد الاسلام الخ

لم يكن الله ليجعل الاصلاح طرفة فذلك مالا يراه فلم يخلق الطفل في لحظة بل أبقاه في بطن أمه تسعة أشهر ولم يجعله شيخاً الا بعد مروره على أحوال شتى . اللهم ان الاصلاح العام وتدير الأمر في الأرض ونظام العرش الانساني للناس لمرشك العظيم الموزون للنظام لم يحصل فيما مضى . ومستحيل أن يحصل في المستقبل الا بعد اعداد الأسباب واتخاذ الوسائل وتجهيد الطرق وتسهيل السبل له بارتقاء الأفراد والأمم سنين وسنين . هنالك يصح القول ان الناس يستأهلون أن يقبلوا تعاليم للمهدي أو المسيح . أما أن فرداً سينزل الى الأرض يضع سنين فيغير الأخلاق ويصلح الأحوال الى أبد الآبدين ودهر الدهرين فهذا لم نعرفه في عمل الله عز وجل ان ولادة الجنين إنما تكون في حينه بعد استعداده للخروج . فظنة مدبر للأمر كما في هذه الآية مستو على العرش والتدبير يتطلب النظام والترتيب . اذن لن يكون المسلمون قائمين بمعنى هذه الآية الا بنشر العلوم ومعرفة نظام هذه الدنيا والسعي في التعاون العام . هذا هو الذي يؤخذ من هذه الآية وبعض ضعة العقول في بلاد الاسلام يتكلمون على المسيح اذا نزل بل هم يظنون أنهم ينامون على فراش الراحة الوتر ويقضون أوطارهم وهم آمنون بلامقدمات ولا أسباب . وهذا معناه الكسل والنوم . وهذا ضد النبوة والندوة الحمديدية على خط مستقيم فنحن نتوكل على الله رب العرش العظيم الذي يدبر الأمر . فهكذا نحن يجب أن نشبه بمن نتوكل عليه في تدبير الأمر لا أننا نجت قوتنا ونشكل على من سيره الله بنا فيسعدنا ونحن نأثمون . كلا . ثم كلا

### ﴿ العقائد لقاصد ﴾

إن العقائد إنما أزلت لحشا على الفضائل لا لاقراف الرذائل . عقيدة للمسيح وان كانت أشبه بالظنيات لأنها من الأحاديث الصحيحة قد جاءت لعنة العنة ولنكون المثل الأعلى في هذه الأرض وقود الأمم قيادة المحبة والسلام والوئام كما قدم مراراً في هذا التفسير بإيضاح حين تضع الحرب أوزارها . هكذا عقيدة الايمان بالملائكة لنتم أن هناك حالا أخرى بعد الموت أعجب بحال الملائكة للأبرار وبحال الشياطين للفجار فعقيدة الملائكة لاصلاح الأخلاق . وعقيدة للمسيح لاصلاح الأمم بالعمل لا بالأمل . هذا ما وقر في



نفسى الآن بمناسبة توكل النبی ﷺ على الله ذى العرش العظيم الذى يدبر الأمر وأن همه التوكل تنجيه الى صفة من صفات التوكل عليه . وقد حصل ذلك فى هذه النبوة فكان لهذه الأمة عروش ملك فى الأرض ولكن العرش العظيم لهذه الأمة هو النظم العلم فيها بنظم الحب كما فى نظام السموات والأرض القائم بالجاذبية والحب العلم والحمد لله رب العالمين اهـ

### ( الْقِسْمُ الثَّانِي )

وَلَوْ يُمْسِكُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِجَابَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ • وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا لِحِطِّهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُصْرَهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَذْعُ إِلَى ضُرِّهِ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَمْسُكُونَ • وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْجَازِمِينَ • ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ • وَإِذَا ثَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَتَنَادَوْنَ الْقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَمْتٌ بِرَأْيِ قَبْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَى إِيَّيْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٌ عَظِيمٌ • قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ قَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ مُمَرًّا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَتَفَلَّحُونَ • قُلْ أَكْثَرُكُمْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْجَاهِلُونَ • وَيَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُتَّبَعُونَ اللَّهُ بِمَا لَا يَسْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ • وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَى إِلَيْهِمْ سَبِيلَهُمْ وَيَتَلَفُونَ • وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا النَّبِيُّ رَسُولٌ فَانظُرُوا إِلَى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ • وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءِ مَسْتَهُمْ إِذَا هُمْ مَكْرُوفٌ بِآيَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُمُونَ مَا تَكْمُرُونَ • هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرْتُمْ بِهِمْ يَرْجِحُ طَبِيبٌ وَقَرْحُوا بِهَا جَاهَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَمْ يُنْجِبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ • فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَمِينُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعِ الْحَقُّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِقِيَّتُمْ عَلَى أَفْسِكُمْ

مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ •

(التفسير اللغوي)

قال تعالى (ولو يعلم الله للناس الشر) اذا طلبوه مستعجلين بأن يدعو الرجل عند الضجر والغضب على أهله وولده ويتجهل البلاد والنفقة فيقول لعنكم الله ولا يبارك الله فيكم • يقول الله لو أن الله أجابهم اذا اذا دعوه بالشر الذي يستجوابونه به (استجابه بالخير) أى تجهله لم الخير أى لو جعلنا لهم الشر الذى دعوا به كما نجعل لهم الخير ونجيبهم اليه (لنقى اليهم أجلهم) أى لأمتوا وأهلكوا جيما ولكننا لانجعل ولا نقضى وانما نجعلهم امهالا (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) معاصيهم وشركهم وضلالهم (يعصون) يرتدون ونقيض عليهم النعمة مع طغيانهم لإلزاما للحجة عليهم (واذا من الانسان) أصابه (الضرر دعانا) لازالته غملا فيه (لجنب) ملق لجنبه أى مضطجعا (أو قاعدا أو قائما) أى فى جميع أحواله (فلما كشفنا عنه ضرره) مضى على طريقته واستمر على جهالة وكفره ومعاصيه ونسى موقف الدعاء والتضرع (كأن لم يدعنا) أى كأنه لم يدعنا واسم أن الخففة ضمير الشأن (الى ضرره) الى كشف ضرر (كذلك) مثل ذلك التزيين لهذا الانسان الذى نسى موقف الدعاء (زين للسرفين ما كانوا يعملون) من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يا أهل مكة ويا جميع الناس (لما ظلموا) حين ظلموا بالكذب وصرف مواهبهم فيما لا ينفع (و) الحال انهم قد (جاءتهم رسالهم) الحجج (البنات) الفدالات على صدقهم (وما كانوا ليؤمنوا) أى وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم (كذلك) مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم (نجزي القوم المجرمين) نجزيكم فوضع للظهور موضع المضرد دلالة على أنهم مجرمون (ثم جعلناكم خلافاً فى الأرض من بعدهم) استخلفناكم فيها بعد القرون التى أهلكناها استخلاف من يختار (لننظر كيف تعملون) أى أخيرا فعملون أمشرا فنعلمكم على مقتضى علمكم (ولذا تنلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا) أى للمشركون لما غاظمهم ما فى القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد الشديد (لئن بقرآن غير هذا) ليس فيه ما يفيظ عما ذكر (أو بئله) فنسقط ذكر الآلهة وقتها ونجعل مكان آية العذاب آية رحمة فأجاب (قل ما يكون لى) ما يجعل لى (أن أبتهل من لقاء نفسى) من قبل نفسى (إن أتبع إلا ما يوحى لى) أى لا أتبع إلا وحى الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل (لئن أخاف إن عصيت ربي) بالتبديل من عند نفسى (عذاب يوم عظيم) أى يوم القيامة (قل لو شاء الله) غير ذلك (ما تلوته عليكم ولا أدراككم به) ولا أعلمكم بالقرآن على لسانى (فقد لبثت فيكم عمرا) مقدار عمر أربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن لا أتله ولا أعلمه (أفلاتعقلون) أن من عاشر أربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يدخل مدرسة ولم يشاهد علما ثم جاء بأخبار الماضين والأحكام والآداب ومكارم الأخلاق وهذه الجوانب المتكررة لا يمكن أن يكون أمرا عاديا بل هو من طور آخر وهو الوحي (فن أعظم من افترى على الله كذبا) سواء أكان باسناد قول الى الله تعالى لم يقله بآداء النبوة • أم بآداء أن الله شريكا أو لولها (أو كذب بآياته) فكفر بها (إنه لا يضلح المجرمون • ويسبدون من دون الله ما لا يضرهم) ان تركوا عبادته كالأصنام (ولا ينفعهم) ان عبدوها (ويقولون هؤلاء) الأصنام (شفعاؤنا عند الله) فى أمور المعاش لأنهم ما كانوا يقرّون بالبحث قوله تعالى - وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبحث الله من يموت - وبض العرب كان يقرّ بالبحث (قل أئنثبون الله بما لا يضل) أى اتحدرونه بكونهم شفاء عنده وهو لا يعلهم (فى السموات ولا فى الأرض) وإذا لم يكن علما بهم وهو يعلم كل شئ فذلك دليل على عدم وجودهم (بصانه) وتعالى عما يشركون) نزه نفسه أن يكون له شريك • ولما كانت هذه الأحوال مما يدعو الى التهرب من

هذا النوع الانساني • وكيف يعبدون ما يصنعون • ويقتلون من لا يصلون • وكانت النفوس الانسانية تميل الى الحقائق اتى بعد هذا باحدى الحقائق الطبيعية الحكيمية الالهية فأفاد أن نوع الانسان يولد على القطرة والحال الطبيعية فهم فيها متفقون لا يختلفون • ومتحدون لا متفرقون • ولكن الحكمة في هذا الوجود تقضى الاختلاف والافتراق ليجتمع بعد التفرق المختلفون وليتعارف بعد التجهل المتفرقون مخالف بين لغاتهم وأوطانهم وأزيائهم وعاداتهم وبيئاتهم وأحوالهم وألوانهم وممالكهم كما اختلف الزهر في الأشجار وطعوم الأثمار فان هذا العالم على الاختلاف مخلوق وعلى الافتراق مجبول فان لم يكن الاختلاف كان العالم هباء منثورا فإذا كان الاختلاف مبداء ومتناه فكيف يتفقون في الدين وإذا لم يتفقوا في حال من الاحوال التي لاتكاد تحصى فهم في الدين مختلفون وفي الحقائق متفرقون وان كانت ظواهر واحدة وانسانيتهم في الأصل غير مفترقة • ألا ترى أن تعريف الانسان بالحيوانية والناتقية • فهذا هو الأصل السارى في كل انسان وبعد هذا افترق في سائر الصفات والأحوال ومنها الدين وهذا قوله تعالى (وما كانت الناس إلا أمة واحدة) بحسب ظواهرهم ومقتضى انسانيتهم (فاختلفوا) فصاروا في الدين وفي سائر الأحوال مختلفين (ولولا كلمة سبقت من ربك) أن الاختلاف سنة طبيعية وسكنة إلهية وغايتها الكمال واتحاد النفوس في كثير من الأطوار وتألفهم بما زلوا من الأعمال على درجات مختلفة وأحوال متباينة فيكون الناس بعد أعمالهم طول الحياة قد صاروا في حال أكمل وكل جماعة منهم تتحد في عمل أو خلق فيكون هذا الاختلاف جيلا في مقاصده نبذلا في نهايته لأنه يجرعقولا مختلفات الجلال كما اختلفت الأشجار في الأزهار والأثمار فصارت بساكن بنفس الاختلاف • هكذا تكون النفوس بعد الموت بتفتتها في الأخلاق والأعمال كالرياض الزاهرات واحقول الباهرات فالولا اختلاف الثمر ما جل البستان ولولا تنوع الزهر والشجر ما استحسنها الانسان • فعقول الناس بساكن العالم الأعلى كما أن الأشجار والأثمار بيساكننا • وكل ذلك انما نشأ من الاختلاف يقول الله - ولولا كلمة سبقت من ربك - بهذا الجلال (لقضى بينهم فيما فيه يختلفون) ليتناز الحق من الباطل • ومن الجلال أن يكون في العالم الروحي أرواح شريرة كما ترى في الأرض الحنظل وشوك القتاد وضروب من الأشجار المردة • ونظير هؤلاء في نوع الانسان الفجار والكفار ليكون ذلك دليلا على الجلال فان الشئ لا يعرف إلا بسننه وبتدها تميز الأشياء • فبقاء الكافر والمؤمن والصلح والطاغ الى أجل معدود لتكامل أجسامهم فتظهر أحوالهم ظهورا أجلى ويكون الحنظل مع للموز والائل مع النخل وهذا هو العظم الجليل وهذا القول ظاهر في علم الفلسفة الحاضرة والعلم الموروث فان العالم كله من أصل واحد يهوى الى لانعرف إلا بالقلوع وعند بعض الحكماء المحدثين أن العالم يرجع الى الجواهر الفردة وهي متناهية وعند المحققين الى حركات فاما الانسان فان الأرواح قبل حلولها في الأجسام في أول نشأتها تكون متناهية لامتياز بينها وهكذا أجسام الأجنة في بطون أمهاتها تكون في أول أمرها متشابهة مع حيوانات أخرى ثم ترتب شيئا فشيئا حتى تختلف سائر الحيوان باستكمال الخلق وعند الولادة يكون الاختلاف بين المولودين من الانسان في أمور معدودة فإذا كبوا وتربوا كان هناك خلاف عظيم وإنلك خلقهم الله كما قال في آية أخرى - ولقد خلقهم - وهذا هو الحق والعلم الصحيح وماعده فأقوال متفرقة وآراء غير محققة اختلط فيها الحق بالباطل والنسب التقي بالزيرج والزيف بالجليد والله هو العالم الحكيم

ثم اتى بمسألة أخرى كانت سبب الاختلاف في النبوة وهو اقتراح أكيث خاصة فقال (ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما التيب لله) وهو وحده العالم أن هذه الآيات المقترحة فيها مفاسد لاتقع فيها (فاتنظروا) نزول ما اقترحه (إلى معكم من للتظنرين) لما يضل بكم بمحجودكم ما نزل من الآيات (وإذا أدقنا الناس رجة) خسبا وسعة ومحة (من بعد ضراء مستهم) أى من بعد شدة وبلاء كأهل مكة إذ حبس

عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقصط ثم رحمهم الله فأزّل عليهم المطر الكثير حتى أخصبت البلاد فلم يسط الناس بذلك بل رجسوا الى الفساد كما مرّ في قوله - ولذا من - الانسان ضرّ دعانا جنبه - الى قوله - مرّ كأن لم يدعنا الى ضرّ مسبب - ولذلك جاء جواب - واذا أدقنا - موافقا لتلك الجواب مع ايضاح وتوبيخ فقال (اذا) هي المفاجأة واقعة في جواب اذا الأولى كما تقع القاء أى في الحال (لهم مكر في أيماننا) بالطمع فيها والاحتيال في دفعها (قل الله أسرع مكرا) منكم قد دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدهم ولقد تقمّ عقابهم في سورة الأنفال والتوبة وآل عمران . والمكر اخفاء الكيد وهو من الله الاستسراج والجزاء على المكر (لئن رسلنا يكتفون ماعكرون) الرسل هنا الحفظة فليس يخفى على الله خافية . ولما كان هذا القول وامرّ قلبه وهو - ولذا من - الانسان ضرّ الخ - دالين على سرعة قلب الانسان وعدم وقاه واطاعه وكان هذا المقام يحتاج الى ايضاح أردفهما بثالث دلالة على أنه أمر يجب النظر فيه فان عدم الثبات وسرعة القلب وجوده والنم يورث العذاب الأليم ولذلك قال (هو الذي يسيركم في البر) بأرجلكم وبالسواب والقطرات الجاريات والعربات والسيارات الجاريات بالكهرباء وغيرها وفي الهواء بالركب الهوائية والمطارد جمع متطاد (والبحر) بالسفن العائمة والغاطسة (حتى اذا كنتم في الفلك) السفن (وجرين) أى السفن (بريح طيبة) لينة الميوب (وفرخوا بها) أى بتلك الريح ليثها واستقامتها (جاءتها) أى الفلك وهنا اعتبرت جمعا كأسد وهي مفردة كقتل (ريح عاصف) ذات صف أى شديدة الهبوب (وجاءهم الموج من كل مكان) يجيئهم الموج منه (وظنوا أنهم أحيط بهم) أى أهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص (دعوا الله مخضّعين له اليقين) من غير اشرار لأنهم رجسوا الى فطرتهم زوال العوارض المانعة من ذلك قائلين (لئن أعجبنا من هذه لنكوننّ من الشاكرين) نسبتكم مؤمنين بك متسكين بطاعتك (فلما أنجاهم اذا هم يغيثون في الأرض) يفسدون فيها (بغير الحق) مبطلين فيه (يا أيها الناس انما بينكم على أنفسكم) فان وباله عليكم وأيا هو على أمثالكم وبني جنكم وجميع الناس متضامنون والبقى على من قمه عائد عليكم ضارّ بك تتمتعون (متاع الحياة الدنيا) على النصب أو ذلك متاع الحياة الدنيا على الرفع (ثم البينا مرجعكم فننبشكم بما كنتم تعملون) بالجزاء عليه . انتهى التفسير اللفظي

اعلم أن هذا القسم متصل بما قبله وصلته بقوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء - الى قوله في آخر القسم - ويحييها فيها سلام - وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين -

قد تبين لك هناك أن السلام على (ثلاثة أنواع) سلام الناس بعضهم على بعض يوم القيامة . و سلام للملائكة . و سلام الله تعالى . ولا بد من شرح هذا الموضوع شرحا وافيا حتى يعرف اتصال هذا القسم بما قبله ولئن يظهر لك سرّ مكنون وجوهه بديع وعجب عجيب . وهذا أصلان (الأصل الأول) أن هذا المقام عبارة عن مبحث في السعادة والسلام والأمن . فكل من كان من الناس أهذا بالا ورضى فهو الى السعادة أقرب . وكل من كان جزع النفس مضطرب القلب حزينا متألما أوطاما أو مأسوبا ذلك فهو الى الشقاوة أقرب على مقتضى ما اصف به قلة وكثرة . وإذا كنت أيها الذكر عن تابعوا هذا التفسير فقد عرفت ذلك (الأصل الثاني) انه لا يتفق الامن والسلام والراحة لجميع الناس في الدنيا دائما في أم ومطالب تزجج لب اليب وتوغر صدر الحليم فالخير والشرّ مقرونان في قرن . وعليه تكون السعادة محالة في هذا الوجود فبأنهم الأصل الثاني للأول يتناقضان ولا يجتمعان وهذا الرأي وهو عدم السعادة في الدنيا قال به كثير من العقلاء . وهناك سعادات اكتسائية يكتسبها الناس قتر بهم اليها وهي

(١) إنا نحمد للمسلم في الصلاة يسلم ٣٦ في الصلوات الخمس المفروضة فاذا انضم اليها التواقل بلغ القدر

ضغفا أو أضعافا

(٧) ولا معنى لهذا السلام إلا تذكرة للسلم بالأمن وراحة الضمير وبعد المكروه وجميع للصاب فهو سلم على الأنبياء والصالحين وعلى نفسه بهذا المعنى . فالسلم مأمور بطريق دينه أن يعتقد أنه في أمان من كل مكروه . وأين هذا . ذلك ﴿ ثلاث طرق ﴾

الطريق ١ - وطريق الإيمان فكما أصابته مصيبة يقول - إنا لله وإنا إليه راجعون - وليس يكون ذلك باللسان وحده فيرى أنه بحمد الله رب العالمين أى ربهم باللين والشفقة للمعبر عنهما بالرحمة وملك يوم الجزاء . ويقول تعالى - ونياؤكم بالشتر والخير فتنة - ففى أحضر المرء فى نفسه أن المكروه من الله وأن الله لا يفعل إلا خيرا والطمأن لذلك كما فى قوله تعالى - قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا - وقوله - هل ترصون بنا الاحدى الحسينيين - فان عنده نوع سعادة . فههنا أمران ﴿ الأول ﴾ اسناد الأمر لله وهذا عند المستعد له يعطى بعض الراحة للقلب ولهذا الإشارة بقوله - إن ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير • لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - ففى أيقن العبد أن كل شئ معلوم عند الله ارتاح قلبه جدا ووصل الى السلامة على شرط الايقان فتكون الحوادث مثل الليل والنهار ﴿ الأمر الثانى ﴾ أن يرى كل مكروه ظاهرا هو محبوب باطنا ويرى كل شر أحب بالجمامة أو شرب السم الكرهى فيكون متأكدا منه ولكنه راض وهذا نوع من السعادة وله الإشارة بقوله - هل ترصون بنا الاحدى الحسينيين - حيث جعل القتل حسنى وأبى مصيبة أعظم من الموت حتى ان الصحابة كانوا يسرعون الى الحرب لذلك ﴿ الطريق الثالث ﴾ طريق الصبر وقوة العزيمة وهى التى شرحتها لك سابقا فى لفز قابس فى سورة البقرة وكذلك طريق كتاب ﴿ الكوخب الهندى ﴾ الذى أعطيتك صورة منه سابقا تلخص مقصوده . وإليه الإشارة بقوله تعالى - فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل - وقوله - وبشر الصابرين - وما أشبه ذلك

فهذه الامور الثلاثة تعطى الانسان سعادة كسبية مدام فى هذه الحياة • وتستحيل أن يصل الانسان الى تمام السعادة فى هذه الحياة الا قوم مذهولون ذهولا دينا أودنيويا بأن فارقوا احاسهم فكيف يحزنون • فالسلام فى الصلاة وتكراره فى الركعات يوقظ نفس المسلم الى أحد هذه المراتب عسى أن يصل الى درجة الراضين وان كانوا فى مكروه وهذه نوع من السعادة والسلام فى هذه الحياة • هذا هو السر فى تكرار السلام فى الصلاة • فاذا مات المسلم أحسن بالسلامة من الآفات والأمن اذا كان صالحا ويحسن اخوانه بذلك فيحيونه به • وليس ذلك تحية لفظية كما فى الدنيا بل المعانى هناك متجلية كما تجلث الألفاظ فى هذا العالم فاذا ارتقوا عن هذه الدرجة حيثهم الملائكة ثم حياهم الله فى الآبة - وللملائكة يدخلون عليهم من كل باب - وفى آبة أخرى - تحييتهم يوم يلقونه سلام - ففى حصل لقاء الله كان هناك السلام • واللقاء هنا على فن كان أكثر علما بالله كان أقرب للسلامة والأمن • فقد يموت المرء ولا يلقى إلا العذاب ويحجب عن ربه فأين السلامة ولن يلقى ربه إلا برىثا من الذنوب كامل النفس • هنالك تفاض عليه العالم ويدرك سر الحقيقة واذن لا يكون هناك غم ولا هم لأنه وصل الى منتهى السعادة

فعل الانسان أن يجد فى الأخلاق والعلم ومنفعة الناس حتى ينال السعادة الروحية ويزيد من ربه قربا ولن ينال السعادة فى الآخرة وهو لم يحصل أوائلها فى الدنيا بالاكتساب وقطعت نفسه فى الدنيا بعض الاطمئنان وهنا يكمل له بعد الموت • أما الذى مات مضطرب الفكر لآثبات عنده إما لجهلته وأما لذنوبه فذلك لا يسعد فى الآخرة لأنه لا سعادة فى الآخرة إلا اذا كانت أوائلها فى الدنيا فقله • تحييتهم فيها سلام • وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - مردد لصوت السلام فى الدنيا وفى المقابلات بين الناس والحمد الذى بحمده الله والمعانى العلية التى أدرتها الانسان فى نظام هذا الوجود • فبدأ السلام والسعادة فى الألفاظ فى الصلاة • وأوسطها فى اكتساب ذلك بالإيمان وتهذيب النفس • ونهايتها حصول السعادة والسلام فعلا

وهو المبرر عنه بسلام الملائكة ثم سلام الله تعالى (تحتهم يوم يلقونه سلام) هذا هو القسم المتقدم . ثم أتبعه بما هو في معناه كالشتم له فقال . إن الناس يمدنون عن السعادة والسلامة بعدا شامعا جدا لتفريطهم في المقصود من معنى السلام في صلاتهم وجهلهم القصد من تكرار السلام (ذلك) أنهم إذا أصابهم مصيبة وهم لم ينالوا درجة من درجات السعادة المتقدمة شتمت أنفسهم وكروها الحياة ولعن الرجل أهله ومن حوله وتغنى الموت . ولو أننا سارعنا إلى اجابة الشر كما نسرع إلى الخير يهلك الناس . فهذا دليل أن هذا الانسان - خلق هالوعا - يعنى - إذا مسه الشر جزوعا \* وإذا مسه الخير منوعا - وكان يجب أن يكتب صفة الثبات بأحد الامور الثلاثة المتقدمة . وانما عبر بقوله - لا يرجون لقاءنا - اشعارا بأن هذه الآية من نوابع ما قبلها وفاء الله انما يكون للروح المهذبة الكاملة علما وأخلاقا وغيرها منخط عنها فلا يرجو لقاءه .

ثم أتبعه بجمل أخرى فذكر أن الانسان لا صبر عنده وإذا مسه الضر دعا الله علما فإذا زال الضر نسي وانه اذا ذاق النعمة بعد الشقاء والغنى بعد الفقر ساقه البطر الى تكذيب الآيات واتباع سبل الضلالات

وزاد ذلك بما يعتربه في البحر اذا اضطربت الرياح واختلفت الأمواج كيف يدعو خالقه فاذا نجاه نفسه فهذه الآيات قررت أن الانسان سريع الاشتغال بتغنى الموت اذا أصابه الشر المصد لتكميله لجهاته ويهمل ويطلب النجاة فاذا نالها غفل وهذه الضلالات علامة الشقاء والبعد عن السلامة وبضتها تميز الأشياء .

### ( لطيفة )

اتمى تفسير القسم الثاني

إن ابتال الانسان الله اذا أصابه الضر أو أحاطت به الأمواج أو وقع في كرب عظيم دليل على أن للعالم خالقا . ألا ترى أن الطفل يلجأ لأمه والتفصيل والجهل وأهلها كلها ملتجئات الى أمهاتها . هكذا حبات البزير في ظلمات الطين ملتجئات في تغذيها الى الأرض والماء . فاذا ماشى الطفل وقوى الحيوان واشتد النبات اعتد كل على نفسه بتناول الغذاء من الثمار والهواء فهي مستقلة اذا قويت مبتلات اذا ضفت هكذا الانسان القوى اذا أصابه الضر وأحاطت به الأنواء كرجاعه الى ماني داخل قلبه من نور عبوه وهو الوجدان الذي يرى أن له مرجعا خارجا عن المادّة فيناديه قائلا ( يارب ) فاذا نجاه رجع الى قوته ونسى ربه كما تغنى النبات بالهواء وحرارة الشمس لما قوى واكتفى الحيوان بالنبات مثلا فهذا برهان وجداني اقناعي على وجود الله

### ( القسم الثالث )

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَتْرَكْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ يَرُمَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُهَا وَأَزْيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَتْنِ بِالْأَمْسِ ، كَذَلِكَ نَقْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ \* وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْشِيهَا وَرَثَتُهَا ذَلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عِلْمٍ كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \*

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ قَزَلْنَا بَيْنَهُمْ  
وَقَالَ شُرَكَاءُكُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا تَعْبُدُونَ • فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا يَتَّبِعُهُمُ الْكُفْرَ إِنَّ كُفْرًا عَنْ  
عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ • هُنَالِكَ تَبْلَوْا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاكُمْ أَلْهَقَ وَصَلَّ  
عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَحْتَرُونَ •

### ( التفسير اللفظي )

قال تعالى (انما مثل الحياة الدنيا) حالها العجبة في سرعة قضائها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار  
الناس بها ( كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ) فاشتبك بسببه حتى خالط بضه بعضا (عما  
يأكل الناس والأنعام) وهي الزروع والبقول والحشائش (حتى إذا أخضت الأرض زخرفها) زينتها بالنبات  
واختلاف ألوانه (وازيّنت) وزينت بأنواع الزين وقد أدغمت التاء في الزاي • وقرئ • زينت - على  
الأصل • فقد مثلت الأرض بالعروس وقد أخضت الثياب الفاخرة من كل لون فأكسبتها وزينت بفسرها  
من ألوان الزين (وظن أهلها) أهل الأرض (أنهم قادرون عليها) متمكنون من منفعتها محصلون لثمارها  
راضون لعلها (أناها أمرنا) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض المعاهد بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم  
(لئلا أونهارا لجلعناها) لجلعنا زرعها (حصيدا) شيئا بما يحصد من الزرع في قطعه واستقصاه ( كأن لم تكن)  
كان لم يكن زرعها أي لم يلبث أي كأن الأشجار القائمة والنباتات الطيبة والزروع البهجة لم تكن غثيت من  
غنى فلان بالمكان إذا أقام به وقوله (بالأسس) هو مثل في الوقت القريب وللمثل به مضمون هذا القول  
وهو زوال خضرة النبات جفأة فيصير حطاما بعد ما كان غضا واثما وزين الأرض حتى طمع فيه أهلها وظنوا  
أنه قد سلم من الجوائح (كذلك) كما ينالكم مثل الحياة الدنيا كذلك نين حجبنا ودلائلنا لمن تفكر  
لنزول الشبهات ويكون اليقين

وهذا القول متصل بما قبله من قلب الأحوال على الانسان تارة يطلب الموت والهلاك ويعلن الزوج  
والأبناء لشوكة يشاكيها أوزلة قسم يرزها وأخرى يدعو بالنجاة من الضر فاعصا أو قائما فإذا نجاه الله نسي  
الدعاء والمدمر • وهكذا عانه عند كل نعمة أزالت الضر فانه يكيد كيده ويصد عن سبيل الإيمان وإذا غشيه  
الموج ودعا بالخلاص وجاءه الفرج لا يذكر النعمة ويرجع الى سابق عهده • ثم أتبع بهذا للمثل إذ جعل حياة  
الانسان أو حظوظه أشبه بعروس ذات جمال وبهجة ودلال قد ازينت لتناظرين فلبست من الثياب ألوانا  
وأخضت من كل زينة أشكالا فصارت حوراء في حللها وحلاها

فلما أعجبهم حسننا وفرحوا بها وظنوا أنهم منها متمكنون أنما صاعقة أو برد أو ريح جعلتها حصيدا كأن لم  
تصكن قائمة بالأسس • وهذا مثل للنشبت بالدنيا الراضب في زهرتها وحسنها (ذلك) أن الله لما  
قال - يا أيها الناس انما بنيتكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا - أتبعه بهذا للمثل لمن بى في الأرض وعجبر فيها  
وركن الى الدنيا وأعرض عن الآخرة • فالتفت بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون • فحفظ  
الدنيا كهجة النبات معرضة للزوال جفأة كهلاك النبات بصاعقة • ونفس الحياة كذلك يخترها الموت جفأة  
والانسان لا يشعر بذلك • حياة الانسان لموت معرضة كل حين وشبابه وقوته ومعه وماله وولده وسروره  
ولذاته كل ذلك قد ضرب له هذا للمثل • فالحياة كذلك العروس والقوة والبأس والذكر والصيت والجمال •  
كل ذلك داخل في المثل إذ يسترها الذهاب والفناء في لمح البصر وأهوا أقرب • فكف من جميل أذهب جماله  
للرض • وغنى أهلك ماله الجوائح • وعاقب ذكي قتل الذكاء والعقل هوم بأشجان فذهب الى المارستان

وذى بنين شهود للحافل قوادد الجحافل حسدتهم النون وهم لا يشعرون فأصبح قريدا وحيدا . وك  
من ذى صبت بعيد وذكر جيل أخنى البحر على ذكره بريبة ذكرها وشقاء تبينوها وذنوب أشاعوها  
فأصبح المذبح مذموما . وك من مجب بشباهة ومته وهو متبع غورجاء الموت فجأة فأصبح من أهل  
القبور . هذه المعاني وأمثالها داخلة في هذا اللث

واعلم أن هذا اللث وما تقدمه انما جاء بعد قوله في آخر القسم الأول - تحيتم فيها سلام - نبيانا لما  
عليه الناس في الدنيا من عدم السلامة ومن الشقاء والقتل وذم الحياة والمهلك والخزع وما أشبه ذلك من كل  
ما يوجب الاضطراب كما تقسم في مثل البحر وأمواجه والنجاة منه الخ ما ذكرنا وقررنا . وهكذا نفس الحياة  
وخطوطها الخ . فلما أبان ذلك أيما تبيان وأظهر كيف تكون عدم السلامة في هذه الدار وكيف يكون  
الاضطراب والزوال أتبعه بما هو المقصود فقال ( والله يدعو الى دار السلام ) ومعالم أن النكرة اذا أعيدت  
معركة كانت عين الأول فهو سبحانه يقول ما أتم هؤلاء عرقم حياتكم ونفسي وقلب قلوبكم وخطوطكم  
واخترام آجالكم في هذه الدار التي لا سلام فيها بحسب طبيعتها فهنا اذا أدعوك الى دار الأمان والاطمئنان  
والسلامة للذكورة في قولي - وتحيتم فيها سلام - فهذا أنا اذا أدعوك الى دار السلامة من الآفات بعد ما تبين  
لكم للهلك والمشاق . ثم قال ( ويهتدى من يشاء ) بالتوفيق ( الى صراط مستقيم ) لأن الناس مختلفون  
استعدادا . ولما قال هناك - وأتر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - بعد قوله - تحيتم فيها سلام -  
أتى بنظيره هنا بعد دعوته الناس الى دار السلام فقال ( للذين أحسنوا الحسنى ) أى الجنة ( وزيادة ) هى  
النظر الى وجه الله الكريم . والنظر لوجه الله الكريم هنا معناه ازدياد العلم بأياته وجهه وحكمه ومحابته  
وبدائه . وكلما ازداد علما ازداد بهجة فهذا النظر بهجة الحكاء والأنبياء وهو يقابل - وأتر دعواهم  
أن الحمد لله رب العالمين - هناك . فقد تبين هنا كيف تكون دار البلاء ثم كيف تكون دار السلام ثم  
كيف يكون ازدياد العلم بالله المعبر عنه بالنظر . وأنت أيها القارى تعرف من نفسك الآن أمن أهل الجنة أنت  
أم من أهل النظر لوجه الله فان كنت صالحا ولكن لا تشفق لك ولاندة في العلم بهذا العالم فأنت تكون في  
الجنة وهى دار السلامة . فأما اذا كنت في جبال العلوم راغبا ورأيت في نفسك لذة وغراما بها فاعلم أنك  
ستنظر وجه الله حتما بعد الاستعداد التام

روى صهيب أن رسول الله ﷺ قال ( اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أريدون  
شيئا أريدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم ندخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا  
شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى ثم تلا هذه الآية - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - )  
أخرجه مسلم

فالعامة يصورون شكلا بنظرونه كما ينظرون للوك . فأما الخاصة فان النظر لوجه الله يتهدى لهم في  
الدنيا بمشقة مصنوعة وقراءة العلوم قديمها وحديثها فينفع أحدهم الناس بالعلم كما ينفعهم الله بالخلق ثم أحدهم  
يمرغ في معارج الكمال متبها بمحبوبه سائرا في طريقه عبدا خلقه ناظرا الى جلاله الذى يتبى في أصناف  
الشجر والنجم والقمر حتى اذا فاجأته النون أصبح عند من كان محبوه وصار الغائب مشهودا والمحبوب  
موجودا وأدرك إذ ذاك أنه كان معه ولكنه هو عنه محجوب . ولذا سمعت سيدنا عليا كرم الله وجهه  
يفسر الزيادة بقوله واحدة لها أربعة أبواب فما ذلك إلا عين ما ذكرناه وما القولة إلا هذا العالم الخلق  
يظهر العالم مجلوا جلا بهيا كقولة وهو مبدأ النظر لوجه الله الكريم فان العالم الذى نحن فيه جيل كالقولة  
ومستحيل أن يعرف الانسان جلاله إلا بالعلم . ومتى عرف الجلال عرف من هو الجليل وهذا هو النظر عينه  
فسيدنا على يرى الى هذا المقام لأنه يمز على الأفهام فعرفه بمثل لأن الحقيقة تخفى على العوام وكثير من الخواص



بِالْفَاسِدِينَ • وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيُونَ مِمَّا أَعْمَلُ، وَأَنَا  
 بَرِيٌّ مِمَّا تَعْمَلُونَ • وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الْعُمْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ  
 • وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي السَّمْعَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَتَّبِعُونَ • إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ  
 شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ • وَيَوْمَ يُحْشَرُوكُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ  
 يَتَذَكَّرُونَ يَنْتَهُمُ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُتَّقِينَ • وَإِنَّمَا تَرَيْنَاكَ بَعْضَ  
 الَّذِي نَعِدُكُمْ أَوْ تَوَفِّيْنَاكَ فَإِنَّمَا تَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ • وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ  
 فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ • وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ • قُلْ لَا أَتْلُوكَ لِغَيْبِ ضَرٍّ وَلَا قَعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ  
 أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ • قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُنتُمْ عَذَابُهُ يَتَانَا أَوْ نَحَارًا  
 مَاذَا يَسْتَجِيبُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ • أَنْتُمْ إِذَا مَا وَفَّعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلَاَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ •  
 ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْغُلْلِ هَلْ تُخْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ • وَيَسْتَبْشِرُونَكَ  
 أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ • وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي  
 الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ  
 • أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَالِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَا يَعْلَمُونَ •  
 هُوَ يُخْسِي وَيُخْشِي وَيُخَيِّتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ • يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَنِفَاءٌ  
 لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ • قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ  
 خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ • قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا  
 قُلْ اللَّهُ أَدْنَى لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ • وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَلْمُوفِقُ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَا يَشْكُرُونَ • وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ  
 وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفْعِلُونَ فِيهِ وَمَا  
 يَمُزُّ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْنَفٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا  
 فِي كِتَابٍ مُبِينٍ • أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَأَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ • الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا

يَقْنُونَ • لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ • وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الزِّمَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ مَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَقْبِضُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ تُمَّ إِلَّا يَخْرُصُونَ • هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْنُونَ • قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ • قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ • مُتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ، ثُمَّ نُعَذِّبُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ •

### ( التفسير اللفظي )

( قل من يرزقكم من السماء والأرض ) باسباب سهوية كالفضة واللؤلؤ ومواد أرضية فيكون منها النبات والحيوان الخ ( أم من يملك السمع والأبصار ) يستطيع خلقهما وتسويتهما سوية بديعة تقدم شرحها في سورة آل عمران ومن يجمعهما من الآفات العارضة ( ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ) أى من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه مثلا وشرح ذلك مذكور في تفسير سورة الأنعام ( ومن يدبر الأمر ) ومن يلى تدبير أمر العالم كله علويه وسفليه ( فيقولون الله ) فيسجبيونك عن سؤالك لأن القادر على هذه هوالله ( قل أفلاتقون ) الشرك في العبودية اذا اعترضهم بالربوبية ( فذلكم ) أى الذى تولى هذه الامور المستحق للعبادة ( ربكم الحق ) الثابت ربوبيته فهو الذى أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم وهو المالك لسمعكم وأبصاركم ( فإذا بعد الحق - إلا الضلال ) استفهام انكسرى أى ليس بعد الحق إلا الضلال ( فأتى تصرفون ) عن الحق الى الضلال أى فكيف تصطلون ذلك • وكما حقت الربوبية لله لو أن الحق بطله الضلال ثبتت كلمة الله وحكمه على الذين تمردوا في كفرهم ونزجوا عن جادة الإصلاح وفسدوا لأنهم لا يؤمنون وهذا هو قوله تعالى ( كذلك حقت كلمة ربك ) الى قوله ( أنهم لا يؤمنون ) ثم أخذ يقيم الحجة عليهم فوق ما تقدم فأخذ يحاورهم بطريق الاستفهام الانكسرى في أمرين (١) خلق هذه العوالم ابتداء منظمة واعدتها (٢) وإيجاد الأدلة والحافى والآراء والجميع التى تهدي النفوس الى مطالبها الحق فاجاب عن الأول بأن الله هو الذى يبدأ الخلق ثم يبيده لأن لجابهم لا بدعهم يعترفون بها وعن الثانى بأن الله هو الذى يهتدى للحق لأنه نسب في هذا العالم دلائل وجعل نواميس تبه العقول وتنتج علوما كثيرة يستخرج منها الناس أمور معاشهم ومعادهم • ثم أخذ يتم الكلام في القسم الثانى لأنه المهم في مقام الهداية فقال هل الذى يتهر السالك ويوضح المشكلات وينصب الأعلام أولى بالاتباع أم الذى هو كالأعمى العاجز لا يهتدى إلا أن يهتد به سواه • فكيف تحكمون أيها الناس بما يقتضى صريح العقل بطلانه • وكيف تكون الأستقام القائمه العبياء التى لاعلم لها هادية • فالله الذى ملأ هذا العالم بالنواميس للتبيرة السبل أولى بالاتباع • يقال هدى الحق والى الحق وكلامها في الآية وقوله ( أئمن لا يهتدى إلا أن يهتدى ) أى من لا يهتدى إلا أن يهتدى • وقرئ - يهتدى - بفتح الياء والهاء وتشديد اللام وبكسر الهماء وفتح الياء وبكسر الياء والهاء ويكون الهماء وتشديد اللال أى يهتدى في الجميع وهذا قوله تعالى - قل هل من

شركائكم - الى قوله (فالكيف تحكمون) ثم قال (وما ينبغ أكرههم) فيما يستدلون (الإلزام) مستندا الى الخيال والراد بالأكثر الكمال (لأن الظن لا يثبت من الحق) من العلم والاعتقاد الحق (شيأ) من الاغناء (لأن الله علم بما يضلون) هذا وعيد لهم على اتباعهم للظن وانراضهم عن البرهان (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) أى افتراء من الخلق (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود بصحتها والنبي ﷺ لم يتعلم علما ولم يأخذ عن أحد وقصداء في القرآن قصص وأخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل . فكيف يكون ذلك وهو لم يتعلم ولأنه لم يطابق ما في تلك الكتب لشيئا عليه الفارة الشواء ولأنزله في منزلة هو منها براء . فهذا معنى قوله - ولكن تصديق الذى بين يديه وتفضيل كل شئ - وتفضيل ما حقق وأثبت في العقائد والشرائع (لا ريب فيه) منتقيا عنه الريب كائنا (من رب العالمين) فأخبار كان أربعة تصديق . وتفضيل . ولا ريب فيه . ومن رب العالمين (أم يقولون) بل يقولون (افتراء) محمد ﷺ والهزلة للاستهزاء بالانكسارى (قل فأتوا بسورة مثله) في النظم والبلاغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثل في العريية بل أتم أشد تحزنا وأقرب تمكنا منها بأساليب النظم والنثر (وادعوا من استطعتم من دون الله) أى وادعوا للاستعانة على الاتيان بمثل ما استطعتم من خلقه (لأن كنتم صادقين) أنه خلقه (بل كذبوا) سارحوا الى التكذيب (بما لم يعطوا به) بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يشكروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه كالقصص التي قصها وأخبار البعث والفسور والجنة والنار التي ذكرها فانهم يشكرونها لجهلهم بها (ولا يأتيهم تأويله) ولم تبلغ أذهانهم معانيه ولم يعرفوا بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالنيوب حتى يبين لهم أصدق أم كذب (كذلك كذب الذين من قبلهم) أنبياءهم (فاظفر كيف كان عاقبة الظالمين) فيعاقبون كما عوقبوا اذا أمروا على العناد (ومنهم) من المكذبين (من يؤمن به) أى يؤمن به ويتوب عن كفره (ومنهم من لا يؤمن به) فما يستقبل بل يموت على الكفر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين أولي المصيرين (وإن كذبوك) وبكست من اجابتهم (فقل لي عمل) جزاء أعمال (ولكم أعمالكم) أى جزاء أعمالكم (أنتم بريئون مما أعمل) فلا تؤاخذوني به (وأنا بريء مما تعملون) من أعمالكم فلا تؤاخذكم بها وهذا في حال النصف فلما حان حين القوة تغيرت الحال (ومنهم) أى من هؤلاء (من يستمعون اليك) حين تقرأ القرآن وتعلم الشرائع ولكنهم لا يقبلون كأنهم صم (أفأنت تسمع الصم) أى أقدر على اسماعهم (ولو كانوا لا يفتقرون) أى ولو انضم الى صممهم عدم تفقدهم بما أسدل على العقول من الأوهام وما أوحى اليه العادة وما اتخذت لهم الأضاليل (ومنهم من) ناس ينظرون اليك ويمسكون أدلة صدقك وأعلام نبوتك ولكنهم لا يصدقون كأنهم عمى لا ينظرون بأبصارهم (أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون) أى أنتصب أنك تقدر على هداية العمى ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة فهؤلاء كالعالم العمى الذين لا يقول لهم وهؤلاء لا يمكن إيمانهم . وكل ذلك بنظم ثابت وحكمة عالية فان ذهب الجائر وقلة التفكير والعلم والانهماك في التقليد انما جاءكم بالاستعداد والاستعداد في النفوس سائر بنظم الخليفة وهذا النظم هو الأصل للوجود فلا ظلم فيه لأن الظلم وضع الشئ في غير موضعه (لأن الله لا يظلم الناس شيأ) لأنه لا يضل إلا على مقتضى العلم والعلم متعلق بالحقائق الثابتة التي تقتضي الحكمة (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) لأن هذه هي حقاقتهم التي علمها الله وعلى مقتضاها كان الاستعداد ومن الاستعداد الناقص والتام . وهؤلاء في قسمهم كل حسب يصلح للوقود ولا ظلم في ذلك وغيرهم كالمترى أسكه الانسان وكلاهما يقتضيه النظام العام . ثم هناك وراء هذا أبحاث لا يجوز ذكرها في مثل هذا التفسير العلم وليس ما ذكرناه بمتلج للصدور ولا شاف لما في القلوب فان هذا دراهة أسئلة كثيرة توجه على هذا ولكن لاسيلى الى الاجابة عليها فيجب على طالب الحق أن يفتح لنفسه باب العلم والعلم واسع بابه والله يعطى من يشاء . والتصرح بالحقائق بريك جبال الله بأوسع معانيه

بأن رحمة واسعة فاطلب هذا منه هو ولا تفهم العاقبة ثلثا يقدموا عليك في دينك وأنت على علم تام  
ثم قال واذا كرمنا يوم نجمع هؤلاء للشركين لموقف الحشر ومعنى الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من  
مكائهم كأنهم لم يلبثوا في قبورهم أوفى الدنيا إلا قدر ساعة من النهار وذلك لول ما يرون أى ويوم يحشرهم  
حال كونهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة وحال كونهم (يتعارفون بينهم) وهى حال مقفلة أى يعرف بعضهم  
بعضا كأنهم لم يتعارفوا إلا قليلا وهذا أول ما ينشرون ثم ينقطع التعارف لشدّة الأمر عليهم وحال كون الذين  
كذبوا بقاء الله قد خسروا أنفسهم (وما كانوا مهتدين) الى ما يصلحهم وينجيهم (ولما نرينك) نبصرك  
(بعض الذى نعدهم) من العذاب فى حياتك كما أراء ذلك يوم بدر والفزوات بعده وفتح مكة كما تتلم فى  
سورة التوبة (أو توفينك) قبل أن نريك (فألينا مرجعهم) فتركه فى الآخرة أى لما نرينك بعض الذى  
نعدهم فيها ونعمت - أو توفينك فألينا مرجعهم - فهذه الجهة جواب - توفينك - (ثم الله شهيد على  
ما يفعلون) أى مجاز عليه فالشهادة أريد نتيجتها وهى المجازاة (ولكل أمة) من الأمم (رسول) يبعث  
اليهم ليدعواهم الى الحق (فاذا جاء رسولهم) بالبينات فكذبوه (ففى بينهم) بين الرسول ومكذبيه (بالقسط)  
والمعدل فأنجينا رسلنا وأهلكنا المكذبين (وهم لا يظلمون) والنجاة والمهلك فى الدنيا وهو معلوم وفى الآخرة  
بأن يشهد الرسول عليهم بالكفر والإيمان فيقضى بالعقاب والثواب كما قضى للملك والنصر فى الدنيا (ويقولون)  
استبعادا لهذا الوعد واستهزاء به (مضى هذا الوعد إن كنتم صادقين) يا أيها الذين يؤمنون (قل لا  
أملك لنفسى ضرا ولا نفعا) فكيف أملك لكم فأستجمل فى جلب العذاب اليكم (إلا ما شاء الله) أى ما شاء  
الله من ذلك كأن (لكل أمة أجل) مضروب هلاكم (إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)  
لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستجملوا فيمضى وقتكم وينجز وعدكم (قل) يا محمد لأهمل مكة (أرايتم) أى  
أخبروني (إن أنا كم عذابه) الذى تستجملون به (بيانا) ليلا (أو نهارا) وأتم فى طلب معاشكم (ماذا  
يستجمل منه الجرمون) أى أى شئ من العذاب يستجملونه وكله مكروه لا يلائم الاستجمل . وهذه الجهة  
الاستفهامية جواب ان . والجهة الشرطية كلها متعلقة بأرايتم أى أخبروني أى شئ تستجملون من العذاب  
ان نزل بكم وكله مكروه لا يلائم الاستجمل (أ) تستجملون العذاب (ثم اذا ملوهم) عليكم ونزل بكم (أأنتم  
به) أى أأنتم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس كما سيأتى فى هذه السورة من إيمان فرعون وقد  
أدرك الفرق وقيل لكم (آلآن) أى أحين وقع العذاب تؤمنون (وقد كنتم به تستجملون) تكذبا  
واستهزاء كما قيل لفرعون فيها سيأتى - آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين - فانظر كيف ذكر هذا  
هنا ليطبق عليه قصة فرعون حتى يعتدوا ويصدقوا أن الإيمان يجب أن يكون وقت القوة والامكان لا وقت  
اليأس ثم عطف على قيل المقفلة (ثم قيل للذين ظلموا فذوقوا عذاب الخلد) النوام (هل تجزون إلا بما  
كنتم تكسبون) من الكد والكذب (ويستنبؤنك) ويستنبؤنك فيقولون انكرا واستهزاء (أحق  
هو) أى ما جئت به من وعد وقرآن ونبوة نقوله بحد أم بلبل نيزأ به (قل اى ودي إنه الحق) نعم ودي  
ان العذاب لكائن وإي من لوازم القسم والملك يوصل بولو فى التصديق فيقال اى والله ولا يقال اى وحده  
ومنه (إبره) مختزل أى والله (وما أتم بمجهزين) بفاتين العذاب (ولو أن لكل نفس ظلمت) بالنترك  
أو بالتمضى على حقوق الناس أو حقوق الله تعالى (ماتى الأرض) من الملعون والأشهر والخزائن (لاقتت به)  
جلسته فدية لها من العذاب فإن ما يملكه يقصد به نفع نفسه (وأسرّوا) فعل أسرّ يستعمل لانفاء الشئ ولاظهاره  
فهو من الأضداد وهو هنا بمعنى أظهرها (الندامة لما رأوا العذاب) لأنهم بهتوا بما عاينوا عما لم يحسبوه من  
فضاعة الأمر فلم يقدموا على الكتمان (وقضى بينهم بالقسط) أى وحكم بالمعدل بين المؤمنين والكافرين والرؤساء  
والرؤسيتين والظالمين والمظلومين من الكفار (وهم لا يظلمون) فيخفف من عذاب المظلوم ويشدّد على عذاب

النظام وقوله - ولو أن لكل نفس ظلمت مافي الأرض - لوفيه حرف لامتتاع لامتتاع وانما امتنع ذلك لأن الملك لله فمن أين يأخذ الكافر القدر وهذا قوله (ألا ان به مافي السموات والأرض) وقوله (ألا ان وعد الله) أى ما وعد الله به على لسان نبيه ﷺ من ثواب وعقاب (حق) ولصكى أكثر الناس لا يعلمون) - إلا ظاهرا من الحياة الدنيا - (هو يحيى ويميت) هو القادر على الاحياء والاماتة (والله ترجعون) والى حسابهِ وجزائه مرجعكم فيخاف ويرى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) الموعظة ما يدعو الى الصلاح بطريق الرغبة والرغبة . وشفاء الصدور خلوصها من الشكوك وسوء الاعتقاد . فالله اذن قد جاءكم كتاب جمع الحكمة العملية التى تبين محاسن الأخلاق ومقاصبها والحكمة العلمية التى تنشى الصدور من الجهالة والشك ثم قال - وهدى - الى الحق واليقين - ورحمة للمؤمنين - لأنهم نجوا به من الضلال فى الأخلاق وسوء الاعتقاد (قل) يا محمد (بفضل الله ورحمة فليفرحوا) ان فرحوا بشئ (فبذلك فليفرحوا) والفاء فى قوله - فليفرحوا - زائدة نظيرها فى قوله الشاعر

• فإذا هلكك عند ذلك فاجزى •

وكرر ذلك لتأكيد أى يفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته أى ما آتاهم الله من المواعظ وشفاء الصدور ونزع اليقين بالآيمان وسكون النفس اليه وهذا يقرب من قول قتادة (فضل الله الاسلام ورحمته القرآن) وقول غيره (فضل الله القرآن ورحمته السنن) وقول أبى سعيد الخدرى (فضل الله القرآن ورحمته أن جعلنا من أهله)

وهذه الأقوال كلها متقاربة ترجع الى أن العلوم والمعارف علمية أو عملية خير من الامور المادية وهذا هو قوله (هو خير مما يجمعون) من حطام الدنيا فانها سريعة الزوال . واعلم أن المعارف هى مصادر المال فالعلوم مقدمة على الأعمال . ولذلك قيل (نية المرء خير من عمله) والنية من نتائج العلم والعمل نتيجة النية . وقد ظهر فى هذا الزمان بأجلى مظهر أن الأمم المتعلمة تتغلب على الجاهلة فأصبح العلم مصدرا للقوة والمال . فالعلم يرقى العقول ويصلح الأحوال ويحبب الأموال . فأما جلب الأموال بالطرق المقيمة فانه يضع الوقت ولا يرفع النفس الى معالى الأخلاق . فأما العلم واقتناؤه فان صاحبه يعرف من ضروب الأسباب ما يبعده ويسعد أتمته بأدنى عمل كعلم الكهرباء فان استعمالها فى ائارة البيوت وجرى للمركبات أراح الانسان من هناء المشى والحيوان من تعب الكد . فلهذا العلم فانه راحة للأجسام وسعادة للقلوب فبالعلم فليفرح العالمون وبالعلم الدينية فليفرحوا لا باعتبارها أنفسها بل باعتبار أن الله أنعم بها أى فليفرحوا بفضل الله على العبد لانه نفس النعم فمن أنعم الله عليه بوله أموال أو ذكر فليكن فرحه بأنه صدر من الله وأن الله فضل به عليه لانفس النعم لأنها زائلة خسية واللذات الخسية صائرة للزوال . فأما العلوم والمعارف والفضل الاسمى فى ذلك وفى النعم المادية فهو الذى يفرح به العبد . واذا كان القرآن عفا لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وبه وبأمثاله من فضل الله ورحمته يفرح المؤمنون فكيف جعلتم عما رزقكم الله حلالا وحراما خرمتم على أنفسكم فى الجاهلية شيئا وحلتم آتواكم تقسم فى سورة الأنعام إذ قالوا مافي بطون هذه الأنعام خاصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا لى آتوا ما تقسم شره هناك وكنتحريم السائبة والبحيرة والوصيلة والحام فكيف تفعلون ذلك ولا ترجعون فى التحريم والتحليل الى ما نزل فى القرآن الذى هو شفاء الخ وهذا قوله تعالى (قل أرأيتم) أخبرنى (ما أنزل الله لكم من رزق) أى أى شئ من زرع وضرع خلقى الله لكم بأنزل الماء من السماء وضوء الشمس والحام على الأرض وانبت النبات وخلق الحيوان وأنامتها (لجعلتم منه) أى من ذلك الرزق (حراما وحلالا) كما تقسم (قل) يا محمد (آله أذن لكم) أى أخرجونى - آله أذن لكم - فى التحليل والتحريم فأتم تفعلون ذلك بلذته (أم على الله تفترون) أم أتم تكذبون على الله فى

نسبة ذلك إليه وقوله - ما أنزل - ما استغماية العامل فيها أنزل وكرر - قل - لتأكيد . ولما كان  
الافتراء على الله عظيماً أردفه بقوله (وما ظن الذين ضفروا على الله الكذب) أي أي شئ ظنهم (يوم القيامة)  
أعجبون أنهم لا يجازون عليه . ويوم منصوب بالظن أي أي شئ ظن المقتربين في ذلك اليوم ما يستعجبهم وهو  
يوم الجزاء بالاحسان والإساءة . وهذا القول وعيد عظيم لأنه أبهم أمره والاستغماية للتوبيخ والتفريع لمن  
يفترى على الله الكذب وليس تفريع الكاذبين وتوبيخهم إلا لهديتهم وإنارة للسبل لغيرهم إذا لم يهتدوا  
فغذاب الله وتوبيخه وأمثالها قصد بها جميعاً هدايتهم وإنارة سبلهم وهذا من جملة النعم فلذلك أعقبه بقوله  
(إن الله لو فضل على الناس) بيعة الرسل وأنزال الكتب وتبيان الحلال والحرام وتفريع الكاذبين كما في  
هذه الآية (ولكن أكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون الهدى . ولما كان عموم الفضل من الله  
لا يتم إلا وهو عالم بجميع أحوال العباد ظاهرها وباطنها أعقبه بذلك فقال (وما تكون في شأن) أمر مهم  
ويكون أيضاً منناه القصد فهو على الأول اسم وعلى الثاني مصدر (وما تاكلونه من قرآن) أي وما تاكلونه  
أجل الشأن قرآناً (ولا تصلون) أيها الناس جيماً (من عمل) أي عمل (إلا كنا عليكم شهوداً) شاهدين  
رقباء مطلعين عليه بحصى عليكم (إذ تفيضون فيه) تخوضون فيه وتندفعون من أغاض في الأمر إذا اندفع  
فيه (وما يعزب عن ربك) وما يبعد عنه ولا يخب عن علمه . وأصل العزوب البعد (من مثقال ذرة)  
وزن ثلثة صغيرة حرام وهي خفيفة الوزن جداً (في الأرض ولأقرب السماء ولا أصغر من ذلك) يعني من القدرة  
(ولا أكبر) يعني منها (إلا في كتاب مبين) يعني في اللوح المحفوظ ولأنافئة للجنس وفي كتاب خبرها  
وقرى بالرفع على الابتداء والخبر (ألا إن أولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة (لا خوف  
عليهم) من حقوق مكروهه في المستقبل (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا من خلفهم فلا من المستقبل يخافون  
ولا على الفات يحزنون ثم بين من هم فقال أعنى أوهم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والمعاصي (لم  
يشترى في الحياة الدنيا) بالذكر الحسن وثاء الناس عليهم ومعجبة الناس لهم ويشارة لله في القرآن بالجنة  
لهم وبالروايا الصالحة براها الرجل أوتى له . وبأن يرى الولي عند النزول مكانه في الجنة . وبنزول الملائكة بالبشارة  
من الله عند الموت لهم فهذه البشارات الستة واردة في كتب التفسير وبسببها في الحديث وسيأتي إصباح هذا  
المقام (وفي الآخرة) هي الجنة وأن تتفاهم للملائكة مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وهذا بيان لتولية  
إليهم (لأبديل لكلمات الله) أي ولاتفسير لأقواله ولا اخلاف لمواعيده ومنها ما وعده به أوليائه وأهل طاعته  
في كتابه وعلى ألسنة رسله (ذلك) أي كونهم مبشرين في البارين (هو الفوز العظيم) أي النجاة الوافرة  
فازوا بالجنة وما فيها ونجوا من النار وما فيها . وهاتان الجلتان افتراض لتحقيق للبشرية وليس من شرط  
الافتراض أن يقع بعده كلام يتصل بما قبله . واعلم أن الولي هو الذي إذا رقى يذكر لله وهو المؤمن  
التي وهو الذي يجب جلال الله لا لئال ولا لجاء وهو الذي يذكر الله بذكره ويذكر إذا ذكر الله وهو من  
الولاء وهو القرب والنصرة فهو يتقرب لله بكل ما اقتضى عليه وهو مشغل القلب بالله مستغرق في معرفة  
نور جلالة ولا يرى قلبه غير الله . ولازم أن هذه الصفات تصف بها الأنبياء ومنهم سيدنا محمد ﷺ وإذا  
كان الولي لا يخاف إذا خاف الناس ولا يحزن إذا حزوا فالأنبياء أولى وإنك قال (ولا يحزنك قولهم) أي  
تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك . وكيف تحزن وأنت ولي الله كما في آية  
أخرى - إن ولي الله الذي ترك الكتاب وهو يتولى الصالحين - وإذا كان البعد كذلك فلا يخاف من شئ  
ولا يحزن على شئ لو توفقه برحمة الله في السر والعلانية وصح أومرض حي أومات . وكيف يحزن والحياة  
والموت عنده بيان كما في آية - قل هل ترصون بنا إلا إحدى الحسنيين - فجعل النصر والقتل حسيين  
فالقتل في الجهاد حسني والنصر حسني . ولعمري كيف يحزن من يرى النصر والملك يساويان الموت وترك

الدنيا وإذا كان الأمر كذلك فكيف به إذا كان الله وعده بالنصرة والعزة وحده فان عدم الحزن أسمى  
 فلذلك أعقبه بقوله (إن العزة لله جميعا) كأنه يقول كيف يحزن من قولهم فان العزة والقهر والقدرة لله  
 جميعا وقد وعدك بالنصر فانت ستنصر عليهم فعلام الحزن إذن وقوله (هو السميع) أى لأقولهم (السميع)  
 أى بمنزلة من يفكاهم عليها وقوله (وفاة من في السموات والأرض) أى من اللانكة والتفاني . وإذا كان  
 هؤلاء مملوكين لا يصلحون للرؤية فغيرهم من باب أولى وهذا استدلال على ما بعده وهو (وما ينبع الذين  
 يدعون من دون الله شركاء) وكيف يكونون شركاء وهم مملوكون (إن يذبحون إلا الظن) أى إنما يذبحون  
 ظنهم أنهم شركاء (وان هم إلا يخرسون) يكذبون فيما ينسبون الى الله وقوله (هو الذى جعل لكم الليل  
 لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) أى مضيا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم . تقول العرب (أظلم  
 الليل وأبصر النهار) أى صار ذا ظلمة وذا ضياء (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) أى سمع اعتبارا وتدبر  
 (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) فترها له عن اتخاذ الولد وتجب من كلهم الجاهلة . وكيف يكون له ولد  
 والولد إنما يكون (لأمرين) أن يرفع أبويه في كبرهما وأن يكون بناء لكرهما بعد فناءهما والله (هو  
 الغنى) وإذا كان الولد لثوية ضعف الولد ولغناه من فقره وليتصرف به من دله فكيف يكون لله ولد وهو  
 غنى عن ذلك كله (له ما فى السموات وما فى الأرض) ملكا ولا يجتمع النوة مع الملك . وهاتان الحجتان  
 تدحضان أن له ولدا فلا حاجة لكم أبها الناس في ذلك وهذا قوله (ان عندكم من سلطان بهذا) أى ما عندكم  
 حجة بهذا القول فان الولد لمن اتفق اليه ولا قدر عندى الولد لا يكون مملوكا وأنا أملاك السموات والأرض  
 ومن فيهن فكيف أملاك ما أله والملك والولادة لا يجتمعان فلذلك وبخهم فقال (أتقولون على الله ما لا تصحون)  
 فهذا توخيح وتقرع على اختلافهم وجهلهم والملك رب على قوله (قل إن الذين يفترون على الله الكذب)  
 باتخاذ الولد وإضافة الشريك اليه (لا يفلحون) لا يوزنون بلينة ولا ينجون من النار لا قرائمهم (متاع قليل)  
 يقيمون به رئاستهم في الدنيا وهم كافرون (ثم البناء جهنم) بالوث فيلقون الشقاء المؤبد (ثم نذيقهم  
 العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) أى بسبب كفرهم . انتهى التفسير اللفظي لهذا القسم  
 (غرائب القرآن في سورة يونس وهود ويوسف بمناسبة قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء  
 والأرض - الى قوله تعالى - ذلكم الله فأتى تؤفكون - )

جل الله وجل العلم والحكمة وعظمت المنة وظهر النور وبهر وتجلت الآلاء باهرة زاهرة  
 يارب هل نامت الأمم الاسلامية هذه القرون عن هذه البدائع القرآنية . يقول الله في أول سورة  
 يونس التي نحن بسدد الكلام عليها فاملخصه

(١) ان الذى رباكم هو الذى خلق السموات والأرض

(٢) وهو الذى استوى على الملك

(٣) وهو الذى يدبر الأمر

ويقول هنا في مقابلة الأول - قل من يرزقكم من السماء والأرض - وفي مقابلة الثاني انه يملك أسلافكم  
 وأبصاركم ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي - وهذه الأعمال من مقتضى الاستيلاء على الملك  
 وفي مقابلة الثالث - ومن يدبر الأمر -

ذكر هذه الأمور في أول السورة على هيئة الخبر وذكرها هنا على هيئة الاستفهام وذكر في ختامها  
 تدبير الأمر فالعناية متوجهة الى تدبير الأمر وهذا كقوله في سورة الطلاق - الله الذى خلق سبع سموات  
 ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما ينتهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير . وأن الله قد أحاط بكل شئ  
 علما . - فالعناية موجهة في هذين للتأمين الى التدبير العام والنظام . هذا مقام الشهود

فهذا هو المقام المحمود ومقام الشهود الذي جاء في سورة آل عمران - شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم - أنزلت يا الله القرآن وصرفت فيه من كل مثل وقلت في هذه السورة كما قلت في غيرها . يا عبادي ها أنذا أدبر الأمر من السماء الى الأرض فانظروا هذه المشاهد وزيروا هذه المعاهد أما أنا فقد عجت كل العجب من أم ينزل كتابها موجها عنايته الى هذا المقام المحمود ومقام الشهود مقام العلم والحكمة مقام الحكماء الذين يقرؤون علوم هذه الدنيا فيها يعيشون وبها يوتنون وبها يرجعون الى العالم القدسي . ياليت شرى هل يعلم الناس بعدنا . هل يعلمون أن سياسة القرآن وإن كانت متوجهة الى الدعوة الى الله قد تضمنت جميع مطالب الدنيا فانه يستحيل علينا أن نشهد هذا التدبير والنظام إلا بعد دراسته ومتى درسناه قام فريق منا فاختص بالمقام المحمود مقام الشهود فخرجت روحه الى المقام الأقدس وهذا كقوله في سورة البقرة - لعلكم تفكرون في الدنيا والآخرة - لجميع العلوم الكونية مبدؤها النظام الدنيوي ونهايتها الرقي العقلي وشهود التدبير . وإني أجد الله وأشكره أن هيا الأسباب وأعد المعد لهذا المقام بهذا التصدير فهو إن شاء الله كاف عن قرأه وأوجه وفهمه يهديه الى مقام الشهود وبه يكون من أولى العلم الذين هم مطوفون على للملائكة الذين يشهدون الوحدة سارية في هذا العلم مع العدل والقيام بالقسط . ولهذا والله يقول الله تعالى - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - هذا مقام العلماء والحكماء والأولياء . هذا مقام الهدى ومقام الصديقين وسيكتفون في هذه الأمتة عما قريب هذا ما تجل في نفسى اليوم صباح السبت السادس من شهر أغسطس سنة ١٩٢٧ (أما سورة هود) فلقد تجلى فيها ما شاهده هناك من العجب . فستجد هناك من آيات الله الباهرة التي لم تعرف حتى معرفتها إلا في زماننا وستشهد هناك مشهدا يهرك وترى نور الله مشرقا على الحيوانات وتفرق منها ما لم يكن ليخطر ببال حكم من أكابر الحكماء فيينا ترى حيوانا أمامك له لون أو شكل فتمر عليه بلا فكر اذا بك أمام مشهد إلهي باهر عجيب . أتدري لم هذا . هذا لأن الله ذكر في أول السورة أنه مامن دابة في الأرض إلا عليه رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها . ثم بعد آيات كثيرة جاءت قصة هود وأعاد الكرة على مسألة الحيوان فقال - مامن دابة إلا هو أخذ بها صحتها - . إذن يعلم العقلاء أن هنا سرا يجب التنبيه له . فكما كان السر في سورة يونس تدبير الأمر العام . هكذا كان السر في سورة هود تدبير أهم الأمور في الأرض وهو عالم الحيوان . ولهذا تلك سميت السورة بهود لأن أهم ما فيها إنما هو الأخذ بنصية الحيوان المذكورة في قصة هود . يرشدنا الله بتدبيره الأمر وإعادة ذكره ونظام الحيوان وكلاهما الى أن القرآن أنزل مثل هذا أنزل القرآن لأقوال يعقلون هذه النعم ويفكرون في التدبير المحكم العام نعمة والخاص أخرى . أعلانجب متى يباح كيف نام المسلمون وهم يقرؤون القرآن ويدرسون التفسير أين كانت عقول المتأخرين . اللهم إني قد نصحت وأذيت ماعلى . اللهم فانشد فانه لا عنبر للمسلمين بعد ما كتبت في هذا التفسير ولا عنبر لمن عرف هذا ولم يصرف حياته في نشر هذه الفكرة في أم الاسلام

أما سورة يوسف فقد جاء في أولها - تلك آيات الكتاب المبين - ثم أعاد ذكر الآيات قبيل أواخر السورة فقال - وكأين من آية في السموات والأرض يترجون عليها وهم عنها معرضون -

يقول ليست قصة يوسف ولا غيرها هي كل الآيات . إن أهل الأرض مغفورون في الآيات تحيط بهم من كل جانب ولكنهم عنها معرضون . إذن سورة يوسف عنايتها بالنظام العام . وسورة هود عنايتها بنظام الحيوان وسورة يوسف وجهتها أن التدبير العام والتدبير الخاص كلاهما دلالات على الله وهي كثيرة جدا حتى ذكرها بلفظ - كآين -



### ( مقاصد قصص القرآن )

اعلم أن قصص الأنبياء أشبه بأشجار ذات فروع وأوراق وأزهار . فلجله يكتبون منها بظواهرها والحكماء والعلماء ينتقون نغماتها . فترى صفار العلم يبحثون في الآثار وفي كتب التاريخ قولاً أحدهم أين قوم عاد . أين آثار نوح . وهل نجد في آثار المصريين ذكر يوسف . وهل حقيقة كان يوسف وزيراً للمالية وديراً للأمور . فبينما هؤلاء يضيعون أوقاتهم في ذلك عسى أن يصفوا على ضائقتهم للمنشودة فيؤمنوا إذا بالطائفة الحكيمة تعرض عن هذا وتقول هذه أشجار وأزهار جاءت لمواعظنا نحن آمناء بها والإيمان لن يكفينا فلا بد من اليقين وأين هو اليقين ثم يجدون ذلك اليقين في ثنايا القصص إذ يقول هود إن كل دابة أخذ الله بناصيتها وفي يوسف أن قصته ليست هي كل شيء فالدياسكها آيات فاليقين والرقى في الدنيا والآخرة إنما يكون بالتوجه للمقاصد والفترات لا للأغصان والزهيرات ولذلك ختم سورة يوسف بأن في قصصهم عبرة لأولي الألباب إشارة إلى أن الناس ( قسبان ) قوم أولو ألباب . وقوم أولو قشور . فأولو الألباب يصعدون إلى لبّ هذه القصص وأهل القشور يرجعون إلى قشور العلم كمثل الآثار في المتاحف أو في نولويس قنساء الأمم عسى أن يعمروا على تصديقي هذه

كلّ له غرض يسى ليسدركه . والحرّ يجعل ادراك الملا غرضاً

### ( للتدبير ثمرتان ثمرة علمية وثمره عملية )

إن تدبير الأمر الذي ذكره الله هنا وفي آيات أخرى قد ظهر لك أيها الحكيم ظهوراً على قدر الطاقة الانسانية وقد رجع إلى نظام هذه الدنيا وحسن اتقانها ومجانبها ومن نال هذا الحظ في هذه الدنيا فانه يختلس له أوقانا يلحظ فيها جلالاً لا يلقاه الغافلون فينسلخ من هموم هذه الدنيا انسلاخاً موقتا . وهذا الانسلاخ يقربه من السعادة ويبعده من شقاوة المأذة . وهنا هو المعنى فيما ورد ( إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا قالوا ومارياض الجنة يارسل الله قال مجالس الذكر ) ولنا نبهت الآن في محبة سند الحديث وإنما معناه صحيح لأن الدين أدركوا معنى هذه الدنيا يتخلصون من ذل الحياة وأسر المأذة في بعض أوقاتهم وهذا هو الذي يشبهه الحديث ( أرحنا يا بلال بالصلاة ) وإليه الإشارة في قوله تعالى - قلنا إنا نركب بردا وسلاما على إبراهيم - فأقال هموم الحياة فيها آلام قد تصير أشد من ألم النار بل كثيراً ما يهرق الإنسان نفسه في أيامنا هذه تخلصاً من هموم هذه الحياة . إذن هموم حياتنا قد تعادل النار وقد تكون أشد منها . وكما ورد من الأخبار في هذه السنة عن قوم أحرقوا أنفسهم وأنا نفسي أعرف رجلاً بينه في قرية ( المريج ) بالقرب من القاهرة علمت منذ شهورين أنه تخلص من آلامه المرصية بإيقاد النار في جسمه فمات محترقاً بالنار تخلصاً من نار المرض الشديد . فلما جعل الله النار المحسوسة على إبراهيم بردا وسلاماً فهو يجعل نار الحياة التي تشبهها أوتريد عليها بردا وسلاماً أيضاً وذلك بإبتهاج النفس بالعلوم العالمة بالباحة في قوله - يدبر الأمر - ( ضرب مثل لهذا المقام وهو الاستلذاذ بمشاهدة التدبير )

اعلم أن جميع العلماء الذين أغرموا بعم خاص كالمطرب والمهندسة وكالمولف للغة وكالم الحيوان . وهكذا يحسون راحة من هموم الحياة في الوقت الذي يمحسون همهم في علمهم ويحسون بلدة . فهناك ( أمران ) نسيان هموم الحياة في لحظة الاشتغال بالعلم وإلانة نفس هذا العلم . فإذا كان هذا في علم جزئي فما بالك بمن نظره في هذا النظام العام كما هو مذكور خلال هذا التفسير . لاجرم ان هذه الطاقة لها لذة أعنى من لذات غيرها ثم يعقبها آلام الحياة المعتادة وهكذا . فهذه هي الثمرة العلمية للعلم بالتدبير العام

### ( الثمرة العملية لتلك التدبير )

أما الثمرة العملية فاعلم أن التدبير كما كان أمم كانت الوحدة أقوى وأكمل وكلما كان التدبير أقص

ثالث الوحدة أضعف . ولعلك تقول هذا لفز فما معنى صف الوحدة وماقوتها أقول . اعلم أن الأمم التي فوق هذه الأرض وتعيش معها من أم الشرق والغرب ( قسبان ) أم تعلمت وعقلت فقامت بالعدل في أمور الحياة وأصفت بصفات الانسانية فهذه يكثر عددها كأثم الألمان والاطليان وهكذا الولايات المتحدة فهذه الأمم عظمت وقويت وحدتها وهذه الوحدة لم تتم لها إلا بنظام وتدير . ولولا حسن التدبير والتعقل ما اجتمعوا فالاجتماع نتيجة حسن التدبير والنظام . فأما الأمم الجاهلة فهي التي يقل فيها حسن التدبير فتتفرق شيئا ويذوق بعضها بأس بعض . فالأعراب في البوادي والأمم الجاهلة زاهم متفرقين يحارب بعضهم بعضا . واعلم أننا في زماننا نرى الأمة العظيمة الواسعة الأكثاف الكثيرة العدد تسطو على التي قل عددها وكأن الله بذلك يذكركم بأنكم أيها الناس مادمتم غير عاملين بنظامي غافلين عن حكمي في تديري فانكم مغلوبون على أمركم . ألا ترون أنكم لما قل عددكم سلطت عليكم من هم أكثر جعاً لأنهم غالباً ما كثر جمعهم إلا صلات بينهم وسكومات تقضى بالحق في مشكلاتهم . فأما المتناهبون المتشاكسون فاني أسلط عليهم الأقوياء الذين قلدون في عملي . انني دبرت هذه الدنيا وجعلتها عالماً واحداً ولتلك تراه متصلاً غير منفصل يستمد بضه من بض والناس لما عجزوا عن تقليدي في صنعتي عذبته على مقدار هذا العجز ولولاهم قلدون في تديري لكانوا أوفر جعاً يخاف عدوهم منهم لوحدتهم القوية المسندة من وحدانيتي هذا ما فهمت من قوله تعالى - ومن يدبر الأمر - في هذه الآيات وملخص هذا كله أمران ( الأمر الأول ) أن الناظر في هذا العالم الذي درسه يكون له أوقات يلصق فيها جناب القدس وينال بهيمة لا يعرفها سواه ( الأمر الثاني ) أن الأمم التي هي أتم نظاماً تكون أوفر عدداً والعكس بالعكس ويكون المرء غالباً لكثرة العدد المنظم وأقوة الجماعة التامة والقل لمن ليس كذلك

### ( كيف يشهد الناس التدبير في هذا النظام )

اعلم أننا مادامنا في هذه الأرض فاننا لانشاهد صانع هذا العالم بحواسنا كالسمع والبصر الخ لأن هذه لا تدرك إلا الأجسام وانما تدرك آثاره في نظامه وتدييره وتبنيهج ويكون ذلك سادة مجلبة في الدنيا هي أرق السعادات لأنها خاصة النفس الانسانية . فاذا انسليخنا من هذه الأجسام إما بالموت وإما بالرياضات . فقد نرى فوق ما يراه الناس في الأرض ولكن لانشاهد الله عز وجل قط إلا اذا خلصت أرواحنا من كل ما يلازمها من هوائى الكمال فانها بعد الموت مادامت ملطخة بالآثام فانها تكون أشبه بالمادية ولا تزال ترتقى في الصفاء طبقاً عن طبق حتى تصير روحاً خالصة أشبه بالملائكة فتعابى الله

ولما كان الانسان في هذه الأرض على هذه الحال ذكر في المراتبة الثالثة في قوله - شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولو العلم - فأولو العلم في الأرض يشهدون آثار النظام والملائكة يشهدون مشاهد أرق ولا يعلم الله حق معرفته الا الله تعالى وليس كلامنا في الأنبياء فهذه طبقة لها مقام لسانا من أهلها حتى نخوض فيه . انتهى

### ( لطيفة في قوله تعالى - ألا إن أولياء الله الخ - وتحقيق هذا المقام )

اعلم أن قوله تعالى - وما خلق الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة - متصل بقوله تعالى - وما ينبع الذين يدعون من دون الله شركاء - فأما ما بينهما وهو قوله تعالى - إن الله لنوفض على الناس - وما اتصل به من ذكر أن الله مطلع علينا حين تندفع في شؤنا وحين تتلو القرآن لأجل تلك الشؤون لنعمل بمقتضاه وحين نعمل أى عمل وأن الله عز وجل لا يفيض عنه شئ صغير أو كبير وذكر الأولياء وأنهم لا خوف عليهم الخ وذكر صفاتهم وأمر النبي ﷺ بالجهنم وتذكيره بأن العزة لله جميعاً وذكر أن الله مافى السموات ومافى الأرض فهذا كله كقدمات لقوله - وما ينبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان ينبعون الا الطاغ - لتأييد قوله

أولاً - وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة - واعلم أن عادة القرآن أن يدخل في غصونه من الصالح والمعارف والحكم ما يبلغ له قلوب المستبصرين فينبأ تراه ثبت عدم الشريك وخطأ الكافرين تراه يأتي لك بالحب الجاهل من عموم علمه ونصر أوليائه وكان حكاية الكفار كانت سببا في ادخال هذه الحكمة العجيبة الجليلة

واعلم أن مدلل المقال في هذا المقام على عموم علم الله لكل صغيرة وكبيرة وأولياء الله تعالى هم الذين تقدم تعريفهم بأنهم المتحابون في الله كما في حديث مسلم ﴿ يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي ﴾ وفي رواية الترمذي ﴿ لهم منابر من نور يسطعهم النبيون والشهداء ﴾ وفي رواية ﴿ يجعل لهم منابر من لؤلؤ قدم الرحمن يفرغ الناس ولا يفرعون ويخاف الناس ولا يخافون ﴾ وتقدم أيضا تعريفهم أنهم يذكرون بذكر الله ويذكر الله بذكرهم فقد روى أن النبي ﷺ قال ﴿ قال الله تبارك وتعالى إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم ﴾ وهذا ذكره البغوي بغير سند

فهؤلاء الأولياء لا يخافون ولا يحزنون . واعلم أن في الولاية معنى القرب وليس القرب من الله بالمكان وإنما القرب له بالعلم . فإذا علم العبد أن الله سبحانه هو الذي نظم هذه الكائنات وأحاط بها علما وربط العالم العلوي بالسفل بحيث جعل ضوء الشمس والقمر والكواكب نافعاً لزرعنا ولنا وللحيوان وجعل حركات تلك الأجرام معلمة لنا وهادية بحيث نعرف بها أوقانتنا وسير سفنتنا في البحر بمواقع النجوم وكان هذا العالم كله جسم واحد فكل حركة وسكون معلومة عنده جعلت لصلحة حتى أدنى حركة من كوكب وهذه الأرض التي نحن عليها ومن هم فوقها مرتبطون بالعالم الأخرى ارتباطاً لا انفكاك له

فإذا عرف العبد هذا وأيقن به ثم زاد ذلك الايقان بما يرى من الأدلة والبراهين الدالة على علم الله تعالى بكل صغيرة وكبيرة فإنه لا يخاف ولا يحزن وقد قال الله تعالى في آية أخرى - إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - فهذه الآية تشير إلى أن العبد متى أيقن أن الله يعلم كل شيء وقد كتبه في اللوح المحفوظ فإنه لا يحزن ولا يفرح لأنه يعلم أن ذلك لابد منه وأن الله يفعل لصلحة العبد ولا يظلم أحداً وأن العبد اذن لا تقصير عنده لأن القدر غالبه فالدار على إيقان العبد بأن الله يعلم كل شيء وهذا اليقين عزيز الوجود وإنما القوي في القلوب إنما هو الايمان والايقان أقل من اليقين

ولما كان المقام مقام العلم وعمومه لكل شيء أتبعه بذكر الأولياء للإشارة إلى أن ولايتهم إنما جاءت من جهة اقترابهم بالعلم . ومن عجب أن يذكر في الحديث ﴿ الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له ﴾ فمن عبادة ين الصامت قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى - لهم البشرى في الحياة الدنيا - قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له (أخرجه الترمذي) وفي البخاري عن أبي هريرة قال قال ﷺ ﴿ لم يبق بعدى من النبوة إلا البشريات قالوا وما البشريات قال الرؤيا الصالحة ﴾ وفي البخاري أيضا أن رسول الله ﷺ قال ﴿ رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ﴾ وروى مسلم ﴿ وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله . ورؤيا تحزين من الشيطان . ورؤيا مما يحدث المرء نفسه ﴾

قال العلماء إن ولي الله لا يستغرق همه في جلال الله يكون عند النوم مشغول القلب بالله فلا يرى إلا صدقا . ويقال إنما كانت جزءاً من ستة وأربعين لأن مدة الوحي ٧٣ سنة وكان في ستة منها يؤمر في النوم بالانذار وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءاً

أقول إن في ذكر الرؤيا هنا إشارة إلى أسرار عجب وعلم أحكم فإن الناس كما قاله بعضهم لم يصدقوا الأنبياء إلا لما ركز في نفوسهم من أن فيهم من يرى بض رؤى صادقة تقع كما رويت فلذلك جوزوا أن يكون من

الناس من يطلع على الغيبات الدينية كالأنبياء . وأيضاً أن الانسان اذا رأى رؤيا ووقعت كما هي وكان قد رآها قبل وقوعها فإن ذلك دليل أن الله تعالى يعلم كل شيء قبل حصوله . وإذا كان العبد قد علم ذلك قبلها بزمان يسير فله يعلم قبل خلق الانسان فله تكون الرؤيا الصادقة من الدلائل عند الناس أن الله يعلم كل شيء قبل حصوله والايمان لا يكتفي لذلك لأن الايمان لا يسطي الناس اليقين وإنما الايمان بأحوال أخرى فوق الايمان فاجب لذكر أولياء الله بعد ذكر علم الله وكيف كانت الولاية هي القربى والقربى إنما تكون بالعلم ومن زاد علمه بهذا العالم ونظامه وأيقن بانتظامه ورأى تناسق العوالم العلوية والسفلية والارتباط بعضها ببعض وأن حركات الكواكب لها اتصال تام بعالمنا ونظامه وهذا النظام أشبه بما في الصلاة من الدعاء بالمحبة العامة إذ يقول للملئ - اهدنا الصراط - ولا يقول لهدني وحدي . ويقول إن المحامدة لله لأنه ربى العوالم كلها . ويقول إن التطجبات كلها لله . ويلقي نظرة على النبوة العامة وعلى الناس الصالحين كأنهم شخص واحد تصلهم السلامة من الله الذي يعلم عليهم يوم القيامة . أقول فمن ينظر للعوالم وهي مرتبطة ارتباطاً محكما وللآمة كلها وارتباطها في دعاء المسلم وانهم جميعاً متضامنون متحابون يدعوا آخرهم لأولهم ويعلم أولهم آخرهم كما ارتبطت العوالم كلها بعضها ببعض فانه يعتربه الدهش من نظام بدیع وثيق ويحار له لاسيا اذا لاحظ تأتى الأنوار المنسقة في نواحي هذا العالم وحاسها البديع فانه يحضر ساجداً لذلك العظمة ويجب ذلك الجلال ويبحث في العلوم على صلاته المنشودة ويرى أن يقفه أن يقف على ذلك السر المصون وأن العالم كجسم واحد تدبره ذات واحدة لا يعزب عنها صغير ولا كبير من أموره ثم اذا ازداد هذا الرأى عنده عرف أنه لا فضل إلا لمصلحة لذات الخلق نفسه وأن الخير والشر الجارين على كل مخلوق إنما جلا لكلا . وإذا تأكد عنده أن الله يعلم كل شيء وهو المحرك لكل شيء فانه لا محالة يزول عنه الخوف والحزن فلا يخاف من مستقبل لأنه يرى انه الرحيم هو الذي يتولاه كما تولى كل حيوان ونبات ولا يحزن على ماض لأنه يعلم أنه لا فضل له فكيف يندم على ما لاقدرة له عليه . واعلم أن الناس وإن كانوا مؤمنين لا يزال يساورهم الوسواس ويقولون لو فلنا كذا لحصل كذا ويخافون من أحوال آتية في الحياة وبعد الموت وذلك لعدم قناعتهم بأن الله مطلع على الصغيرة والكبيرة ولوعلموا ذلك مع علمهم أنه أرحم من الأم ما هلت قلوبهم ولا جزع نفوسهم ولكنهم إلا قليلا منهم لا يعلمون ذلك فكانت الرؤيا التي وردت في البخارى ومسلم أنها من المبشرات نافعة أيضاً في ايقان الناس بأن الله يعلم الأشياء قبل حصولها فيستيقظون لذلك العلم ويضع لهم باب المعرفة فيعرفون الله مطلعاً على العباد ولا يعزب عنه مثقال ذرة فيقل الحزن والخوف

واعلم أن الأولياء والأنبياء والعلماء والأكابر والحكماء جميعاً يخافون ويحزنون ولكن الخوف والحزن عندهم جزئى لا كلى لأنهم ينتقمون نهاية كل شيء وأن الله هو الخالق فيفوضون الأمر اليه . وأيضاً اذا جد العبد واجتهد وفضل كل ما وجب عليه ثم زل للقدور خزنه يكون مثيلاً بالنسبة لحزن الجهلاء الذين قصر نظرهم . هذه هي الحال العامة في سائر الأولياء والأنبياء جميعهم هذه حالهم على سبيل الاجمال وهناك حال خاصة (ذلك) أن العبد اذا استغرق في معرفة الله بحيث لا يضطرب به في تلك اللحظة شيء مما سوى الله في هذه الساعة تحصل الولاية الثالثة وصاحبها لا يخاف شيئاً ولا يحزن بسبب شيء . وكيف يقل ذلك والخوف والحزن لا يحصلان إلا بعد الشعور بالشيء . والمستغرق في نور جلال الله غافل عن كل ما سوى الله فيمتنع أن يكون له خوف وحزن وهذه درجة عالية والناس في كل وقت يشاهدون من هو مفرغ بمشوقته حتى ينسى ماله وولده . ومن هو مفرغ بقتال عدوه فينسى ولده وماله وقت الانهماك في القتال . ومن هو مستغرق في العلم في شؤون أخرى وكلهم على هذا المنوال وهذه حال خاصة ليست دائماً . وكل هذا الذي ذكرناه في الدنيا . أما أحوال الناس في الآخرة فالأولياء والأنبياء هم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فهذا

## ( حكاية )

عن إبراهيم الخواص أنه كان بالبادية معه واحد يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور رحلة قوية وكشف تام له مجلس في موضعه وجاءت السباع ووقفت بالقرب منه والمريد تساق على رأس شجرة خوفا على نفسه منها والشيخ ما كان فزعا من تلك السباع فلما أصبح وزالت تلك الحالة ففي الليلة الثانية وقعت بموضعه على يده فأظهر الجزء من تلك البعوضة فقال للمريد كيف تلبق هذه الحال بما قبلها فقال الشيخ إنما نحملنا الباردة ما نحملناه بسبب قوة الولد الغبي فلما زال ذلك الولد فأما أضف خلق الله . وهذه الحكاية سواء أهدت أم لم تصح رمز لخال جميع الناس أنهم ان ورد ولرد عليهم أهمهم شغلهم ذلك الولد قرب رجل تقطعه السيوف في الحرب وقد غاب شعوره من خوف أو ذهول وهنا في حب الله قديسب الشهور للحب أولشاهدة جبال غالب في النفس . وعلى ذلك تفهم ما يتغنى به كثير من الناس من قول ابن الفارض

وبما شئت في هواك اختبرني • فاختبري ما كان فيه رضاك

فان هذا القول قوله صاحب الاحياء الذي كان قبل ابن الفارض بأكثر من قرن عن بعض الصوفية وقال ان قائله أصيب بحصر البول ثلاثة أيام فاضطر أن يجمع الأطفال ويقول لهم قولوا فلان كذاب فلان كذاب ثم عفا الله عنه وشفي . ولما حصل أن الناس في الدنيا أقسام (١) منهم من يرى أن العالم مآلئ لا عقل فيه وكل ما فيه إنما هو مصادفات وحقي وخزن . وهؤلاء يحزنون ويحافون

(٢) مؤمنون بالله ولكن هؤلاء في أكثر الأوقات غافلون عن أنه مطلع ومقرر لكل شيء فهؤلاء ربما قل الحزن والخوف عند التذكير ولكنهم في أكثر الأحوال مثل غير المتدينين يسبرون على مقتضى العادة من الملح والجزع

(٣) مؤمنون أتقياء صالحون وهؤلاء يشكر الله والاعتبار يقل الحزن عندهم ولكن هذا ليس مطردا فيهم . ومنهم من تغلبه الحال فلا يخاف ولا يحزن إذ ذاك فإذا زالت تلك الحال رجع الى عادته (٤) مفكرون عرفوا أن الله مطلع على كل شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . وهؤلاء ربما يقل الحزن والخوف عندهم ولكن ذلك يعوزه أن يقف المرء بنفسه على أن الله يعلم كل ذرة ويكون ذلك نصب عينيه إبراهيم لانتقل الشك عنده ويقتنع هو بها وهذا يكون أقرب الى السعادة فلا خوف ولا حزن عنده إلا قليلا وهذا هو المذكور في قوله تعالى - إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير • لكيلا تأسوا بالبح -

والحق أن الانسان لا يبدأ له بال إلا اذا أثبت وشاهد أن هذا العالم في يد الله وأنه المطلع على صغير الامور وكبيرها وأنه لا ضل إلا لصحة العبد وأن كل ما يضل العبد أو يتأبه كان مقفرا في الأزل . متى تم ذلك تمت سعادة المرء في الدنيا قبل الآخرة لأنه أصبح ولا حزن عليه ولا خوف . وكيف يخاف وهو يعتقد أن الله رحيم وأن ما أصابه من خير ليس من نفسه وما أصابه من شر ليس من نفسه وأن ذلك بالقضاء والقدر والله لا يبدل لكلماته ومقدراته فانها كلها بضاء الله ولا تبدل لذلك القضاء وهذه راحة تامة نفسية . فإذا انضم لذلك أن يكون المرء متوكلا على الله حقا أي قائما بكل الواجبات وكل ما يجب عليه وقام في حياته على الدخن للرسوم الطيبى فقل هذا العبد سعيد اليوم وسعيد غدا فلا حزن اليوم ولا خوف ولا شقاء غدا . وإياك أن تنطق أن التوكل على هذا الخط غير سائق فقلتم أن المتوكل ان لم يقم بكل ما ذكرته فهو مغرور وليس بمتوكل انتهى القسم الرابع

( التَّيْمُ الْخَامِسُ )

قِصَّةُ سَيِّدِنَا نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ بَيَّانُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونِ • فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَسْأَلُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرْتُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ • فَكَذَّبُوهُ فَتَبِعْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ • ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَيْنِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَلَاوُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْمَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُتَكَبِّرِينَ •

( التفسير اللفظي )

اعلم أن الله لما ذكر في هذه السورة أمر الكفار وانهم لا يفلحون وأن العزة لله جميعاً وأن لكل أمة أجل وأن العذاب آت ومما أشبه ذلك من الوعيد نصريحاً وتلويحاً ناسب أن يذكر قصة لأن التاريخ أحكم في النفوس وأوفق للحدود وأشد وقعاً وأعظم وعظاً فقال (واتل عليهم) يا محمد (بَيَّانُ نُوحٍ) خبره مع قومه (إذ قال) لقومه (يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري) أي خاف ربه أو مقام أي مكاني بين أظهركم ألف سنة إلا خمسين عاماً (وتذكيري) أي (بآيات الله فعل الله توكلت) وقتت به (فاجمعوا أمركم) فاجتمعوا عليه من أجمع الأمر إذا نواه وعزم عليه (وشركاءكم) الواو بمعنى مع أي اجمعوا أمركم مع شركاءكم (ثم لا يكن أمركم) في قصدي (عليكم غمة) أي لا يكن قصدكم إلى هلاك مستورا عليكم ولكن مكشوفاً مشهوراً مجاهرته في • والغممة السرة من غمه إذا ستره (ثم اقضوا إلي) ذلك الأمر الذي تريدون في أي أدوا إلي ما هو حق عندكم من هلاك كما يقضي الرجل غريمه أو أصنعوا ما ألتصتكم (ولا تنظرون) ولا تهملوني (فإن توليت) فإن أعرضت عن تنصيري ونصحي (فما سألتكم من أجر) من جعل يوجب توليكم عن نصحي ويستدعي الحزن على ما يفتوني إذا توليت وإنما أذكركم لوجه الله وذلك أوقع في النفس (إن أجرى إلا على الله) وهو القواب الذي يشيئ به في الآخرة (وأمرت أن أكون من المسلمين) من المسلمين لأوامره ونواهيه (فكذبوه) فدلوا على تكذيبه (فتبعناه) من الفرق (ومن معه في الفلك) أي السفينة • يقال لهم كانوا ثمانين (وجعلناهم خلافت) أي وجعلنا الذين معه في الفلك سكان الأرض بعد المالكين (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان وقوله (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) تحذير لمن كفر بالرسول ﷺ ونسب إليه وقد تم هذا فاتهم حل بهم ماحل بقوم نوح في الغزوات المتابعات فأولئك أغرقوا وهؤلاء قتل منهم قوم والآخرون أسلموا كما أسلم ذرية الذين قتلوا وتم الأمر وهو من عجائب القرآن بل هذه أهم مجزة فكيف يقول هذا في مكة ثم يصح الأمر ويتم النصر كما أئذروهم وهذا هو الجب الجباب (ثم بعثنا) أرسلنا (من بعده) من بعد نوح (رسلاً إلى قومهم) كل رسول إلى قومه (فلأوهم بالبينات) للمجهزات الواضحة المثبتة لبعوهم (فما

كانوا ليؤمنوا) فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدة تمسكهم بالكفر (عما كذبوا به من قبل) أي بسبب تعودهم  
 تكذيب الحق ونجرهم عليه حتى صار كالطبيعة فيهم . ثم قال مثل ذلك الطبع (طبع) أي نغم (على  
 قلوب المفتدين) أي الجاهزين الحد في التكذيب . انتهى تفسير القسم الخامس

### ( الْقِسْمُ السَّادِسُ )

قِصَّةُ سَيِّدَانَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ فِرْعَوْنَ

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا  
 قَوْمًا مُجْرِمِينَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ \* قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ  
 لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ \* قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْلَمَ مَا بَعَدَنَا عَلَيْهِ  
 آيَاتُهُ وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ \* وَقَالَ فِرْعَوْنُ  
 أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ \* فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ \* فَلَمَّا  
 أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَبَّطَهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ \*  
 وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكُلِّ بَلَاءٍ وَلَوْ كَرِهَ الْجَاهِلُونَ \* فَآمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ عَلَى  
 خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنْ فِرْعَوْنَ لَعَالِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُشْرِكِينَ \*  
 وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ \* فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ  
 تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ \* وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ \*  
 وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكَ إِعْصَارًا وَمَعْلُومًا وَمَعْلُومًا قَبْلَهُ وَأَقِيمُوا  
 الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ \* وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي  
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُخْلَاوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا  
 حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ \* قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا  
 يَعْلَمُونَ \* وَجَلَّوْنَا بَيْنِي وَبَيْنَ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَنْبَسَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَيْنًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا  
 أَذْرَكْنَاهُ الْفِرْقَ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ \*  
 الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ  
 خَلَقَكَ آيَةً وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَمَّا فُلُونَ \* وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُورًا  
 صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ

## الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ •

### (التفسير اللفظي)

قال تعالى (ثم بضامن بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وولته يانانا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن اتباعهما (وكانوا قوما مجرمين) معتادين الاجرام والجرم على تكذيب الرسل لما اطلع في نفوسهم من الذنوب والقسوة • ثم أخذ يفصل ذلك فقال (فلما جاءهم الحق من عندنا) بتظاهر المعجزات الباهرة (قالوا إن هذا لسحر مبين) فائق في فنه واضح (قال موسى أقولون للحق لما جاءكم) هذا استفهام الانكارى والمقول مخدوف تقديره انه لسحر ثم قال (أسحر هذا) وهو استفهام آخر على سبيل انكارى يعنى انه ليس بسحر ثم احتج على صحة هذا بقوله (ولا يفلح الساحرون) يقول لو كان سحرا لاضمحل ولم يطل سحر السحرة ولكنه لم يضمحل وأبطل سحر السحرة فهو إذن ليس بسحر ولما لم تستقم دعواهم أنه سحر شرعوا يدعون دعوى أخرى إذ (قالوا أجبنا لتلفتنا) لتصرفنا • واللفت والفتل أخوان (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الأصنام (وتكون لكما الكبرياء في الأرض) أى لكما في أرض مصر وسمى الملك كبريا لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين (وقال فرعون إئتوني بكل ساحر عليم) حاذق في السحر وذلك لمعارضة للجهة التي أتى بها موسى (فلما جاء السحرة قال لهم موسى أتقوا ما أنتم ملقونون • فلما أقوالا قال موسى ما جئتم به السحر) أى الذى جئتم به هو السحر لا ما جاء فرعون وقومه سحرا (إن الله سيضلهم) سيمحقه أو سيظهر بطلانه (إن الله لا يضل عمل المفسدين) لا يثبت ولا يقويه لأن السحر تخويه لاحقيقة له • وقد شرحت هذا الموضوع في سورة البقرة فارجع اليه إن شئت (ويحق الله الحق) ويثبت (بكلماته) بأوامره وبوعده الصادق لموسى أنه يظهره أو بما سبق من قضائه وقدره لموسى أنه يظلم السحرة وأن الحق يصلو على الباطل ولو بعد حين (ولو كره الجرمون) ذلك (فما آمن موسى) في مبدأ أمره (إلا ذرية من قومه) إلا طائفة من ذرارى بني اسرائيل أى الأولاد من أولاد قومه لأنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون ولم يجبه إلا طائفة من أبنائهم مع الخوف كما هي العادة أن الشبان أسرع لقبول الدعوة الصالحة • أما الشيوخ فقد تصلبت فيهم الآراء القديمة ولبسوا نوب المذلة ضافيا عليهم ولم يصل لذلك أبنائهم كما هو دأب الأم كلها • فالشبان أول سابق للوطنية والسياسة وللانقلاب العام فقوله (على خوف من فرعون وملئهم) أى أشرف آل فرعون (أن يفتنهم) أى أن يعذبهم فرعون وهو يدل منه • فهذا القول تبيان لحال كل دعوة دينية أو سياسية في أول أمرها إذ يكون المتبعون من الشبان ومن الضعاف وهم خائفون وجلون من رجال السياسة والملوك وإنما أفرد الضمير الفاعل في قوله - أن يفتنهم - دلالة على أن الخوف من الملوك كان بسببه (وإن فرعون لعال في الأرض) لغالب فيها (وإنه لمن المفسرين) في الكبر والعنق حتى ادعى الربوبية • ولما كان الدعاء دائما يشجعون للدعوى ويستنونهم على المبادئ الجديدة ورأى موسى شبان بني اسرائيل خائفين وجلين أخذ يثبتهم ويقوى إيمانهم ويريم أن الله هو مدبر الامور وأمرهم بالتوكل عليه فامتثلوا أمره وطلبوا من الله ألا يفتنهم بتعذيب الظالمين وأن ينجيهم برحمة من كيد القوم الكافرين ومن شؤم مشاهدتهم وهذا هو قوله (وقال موسى) الى قوله (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) وقوله (توكلوا) أى قوا وقوله (مسلمين) مسلمين لقضاء الله لمخلصين له (فقالوا على الله توكلنا) لأنهم كانوا قوما مخلفين فلذلك قبل توكلهم وأجاب دعاءهم إذ قالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) موضع فتنة أى عذاب بعد بؤسنا وأولادنا بعذاب من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على الحق ما عذبوا ويظنون أنهم خير منا فينتنون بذلك (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) أى وخلصنا برحمتك من أيدي قوم فرعون الكافرين لأنهم كانوا يستبدونهم ويستعملونهم



في الأعمال الشاقة . ولما كان من عادة الأنبياء وسائر المصلحين أنهم بعد أن يطعنوا قومهم ويسكنوا جاشهم يعيشون فيهم روح النظم وبأمرهم بالاستقامة ونظام المدن وحفظ الحال العامة أردفه بما يفيد أن الله أوحى إلى موسى وهرون أن يجعلوا قومهما بمصر ييوتا من بيوتها يرجعون إليها ويتوطنون فيها وأمر الجميع أن يجعلوا تلك البيوت مصلى يصلون فيها خيفة من الكفرة من آل فرعون لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان ذلك في أول الإسلام وفي أول كل دين جديد من الأديان وأمرهم بإقامة الصلاة فيها حتى يأمنوا على أنفسهم ثم أمر موسى أن يبشرهم أنهم لا يصل إليهم مكروه وهذا قوله تعالى (وقال موسى ربنا إنك آتيت) إلى قوله (وبشر المؤمنين) ولما كان لكل داع من الدعاة نظرة فيمن بلنهم رسالته فتارة يدعو بالملك كنوح . وتارة يرجو أن تكون منهم ذرية مؤمنة فيقول (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) كسيدنا محمد ﷺ وتارة يكون النقاء بين هاتين الخصمتين كما في هذا المقام دعا سيدنا موسى ربه قائلا ربنا انك أعطيت فرعون وأشرف قومه ما يتزينون به من اللابس والمراكب ونحوها كما هو مشهور في الشرق والغرب من آثار الفراعنة وأنواعا من المال وتكون عاقبة ذلك أنهم يصلون الناس عن سبيلك ويكونون فتنة لمن رآهم من الناس على هذه الحال فيأرب الطمس على أموالهم وأعظمها بحيث لا يلتفتون بها بأن يدفنوها في المقابر والنواويس ويجعلوها حليا للولك والمملكات في قبورهم فاجعل يا الله كل مهمم في ذلك الطمس واشدد على قلوبهم أي قسها وأطبع عليها حتى لا تؤمن إلا بدنيا القديم ورأيا العتيق من دفن الأموال والزين بها تحت التراب وتحلية الأموات بها وتبقى البلاد المصرية معزاة من الحراس لأن الحراسة يلزمها المال وللمال معظمه يكون تحت التراب فلذلك تجد بيوت المصريين القديمة أكثرها من اللبن . أما المقابر فإنها مزينة بالرسوم والتماثيل والذهب والفضة وبجميع الأجار الثينة . ولما استمرأوا على هذه الحال مدة طويلة وقست قلوبهم دخل البلاد ملك الفرس وأهلك الحرث والنسل وذاقت مصر العذاب الشديد بسبب العقائد الموروثة التي جعلتهم منهكين في دفن الأموال مع الأموات وجعلتهم يصلون الحيوانات كالطيرة ولما دخل (قيز) مصر في مدة الأسرة السادسة والعشرين التي هي الأسرة الثامنة بعد خروج بني إسرائيل من مصر لم يساعده على اهلاك البلاد إلا إعادة الحرية فانه أمر بإيقاف صف من القطط بين الجيشين قصاي السكر المصريون أن يضربوا أنفسهم وهي القطط واقتض عسكر الفرس على مصر بسبب أن قست قلوبهم على عبادة الحيوانات كما قست بدفن الأموال في القبور فنهب مصر سدى ولم يؤمن المصريون إيماناً صحيحاً إلا بالدين المسيحي بعد ذلك والبالدين الإسلامي آخر الزمان . فهذه هي القسوة وانك ترى آثار المصريين الآن في القبور وأهل الشرق وأهل الغرب يتقربون عليها وتذهب من القرآن وحكمه ونهب كيف ذكر الله هذا وكيف قال الطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم وكيف ظهر الأمران . فالأموال ملأت متاحفنا المصرية ومتاحف فرنسا وأمريكا وإنكلترا وسائر متاحف أوروبا وطمس القلوب ظهر أثره في بقائهم على جهالتهم حتى تنصروا لما كانت النصرانية في أول أمرها ثم أسلموا إلى الآن

أليس هذا من العجب . أوليس من العجب أن الله لم يذكر طمس الأموال فيما أذكر ولم يذكر نجاة الأجسام كما سيأتي إلا في الفراعنة . أوليس هذا من عجائب القرآن . وكيف يذكر طمس الأموال وقد ظهرت ونجاة الأبدان بغير أرواحها وهذا أمر مشاهد كما سأوضحه قريبا . وكل هذا وذلك في الأرض المصرية الآن واضح . إن هذا لعجب عجيب وهذا هو قوله تعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون) إلى قوله (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) فقلوه (ليضلوا عن سبيلك) أي ليضلوا الناس عن طاعتك وهو متعلق بآيت ربنا تكرر للأول وللإحاطة في التضرع وهذا كقولهم - انما غلب لم ليزدادوا انما - والطمس على الأموال هنا معناه دفنها وعدم ظهورها والارتفاع بها وهو المعروف الآن . وليس ما قبل في

بعض التفاسير أنها مسخت سحابة بحق لأنه ظهر خطؤه الآن والقرآن مجزة باقية الى آخر الزمان وقوله (فلأبوءنوا حتى يروا العذاب الأليم) جواب للدعاء والمراد بالعذاب الأليم ما أحاط بالأمة المصرية من العذاب الذي حل بها من العقائد المنحرفة عن سنن دينهم الأصلي الذي كانت فيه العبادة على وجهها فطمسوا على الأموال وعبدوا الأبحار والحيوانات فكان ذلك سببا لدخول الأمم بآدمهم كما تقدم وهذا هو العذاب العام ولم يؤمنوا بدين خال من الوثنية حتى جاء للمسيح فأتبعوه دينه قبل أن ينسخ ثم جاء الاسلام فأتبعوا كثيرهم ولم يكن ذلك إلا بعد أن ذاقوا العذاب الأليم من الأمم المحتلة من الفرس واليونان والبطالسة والرومان فهذا هو العذاب الأليم العام وهناك عذاب أليم خاص وهو ما حصل لفرعون وجنوده لما غرقوا في البحر ولم يؤمن فرعون حتى رأى العذاب الأليم بالفرق ولم ينفعه إيمانه كما ستره قريبا • ولما كان هذا الساء واردا من موسى موافقا لما في علم الله وأمره المطرد في الأمم من أنها تسير على نوايس تلائمها وتوافقها ومن نوايس المصريين ملازمة التفتن في عبادة الأوثان ودفن النقوش والرسوم والأبحار الثمينة والنهب والنفقة أردفه بما يفيد الاجابة (قال قد أحييت دعوتكما) يعني موسى وهرون (فاستجبوا) فأتينا على ما أتنا عليه من الدعوة والزلم الحجة ولا تستهجلان فان ما طلبتما كان ولكن له وقتا معلوما • ويقال انه مكث فيهم بعد الساء أربعين سنة (ولا تبغتان سبيل الذين لا يصلحون) أي طريق الجهلة في الاستهجال أو عدم الوثوق والاطمئنان بوجه الله تعالى فليس في الأرض من داع لأمر عظيم إلا اذا كان واقعا بنجاح دعوته وظهور أمره • فأما الذي لا تقه له بمستقبل أمره فانه لا نجاح له في عمله ولا ثبات له في دعوته • ثم أخذ يشرح العذاب الأليم الخاص المتقدم فقال (وجاوزنا بني اسرائيل البحر) أي قطعنا بيني اسرائيل البحر الأحمر وجوزناهم فيه حتى بلغوا الشط حافطين لهم • وقرئ - جوزنا - كضعف وضاعف (فأتبعهم فرعون وجنوده) أي لحقهم وأدركهم (بنيا وعدوا) أي ظلموا وعدوانا أي بظن وعادين أوليئى والعدو (حتى اذا أدركه الفرق) لحقه (قال آمنت أنه) أي بأنه (إلا الله) أي آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين) في وقتها • قال ابن عباس لم يقبل الله إيمانه عند نزول العذاب به وقد كان في مهل والإيمان والتوبة عند معاناة الملائكة والعذاب غير مقبولين وفي آية أخرى - فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا - وفرعون ذكر الإيمان والاسلام واعترف بهما ولم ينفعه (آلان) أي قال الله أول الملائكة آلان تنوب وقد أضعت التوبة في وقتها ونكبرت عنها وآثرت دنياك الفانية (وقد عصيت قبل) كفرت بالله (وكنتم من المفسدين) في أرض مصر بالقتل والشرك والساء لغير الله وعبادة الجبل للسبي (عجل أيس) وبعض الطيور (فاليوم نتجيك بيدك) نعدك عما وقع فيه قومك من قهر البحر وبجملتك على نجوة من الأرض ليراك بنوا اسرائيل وغيرهم (بيدك) في موضع الحال أي كاملا سوا (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك من بني اسرائيل وغيرهم من أم الشرق والغرب - آية - أي عبرة وموعظة ليعرف الناس أن أعظم الملوك قدرا وأيدهم ميتا وأعظمهم ذكرا وأرقاهم منزلة وأسأهم مقاما وأرخصهم مجدا قد تحفظته للنون ونزل به الهون • وهاهوذا في العدد مدفون وفي الصندوق مقفلا عليه • وأيضا يتبر الناس بالقرون الخالية والأمم للماضية فيعرفون صناعاتهم وعلومهم ومعارفهم • ومن عجب أن القرآن لم يذكر هذا القول في آية من الأمم ولا في جبل من الأجيال إلا في قلماء المصريين فاتهم هم الذين سخرهم الله بعقائدهم التي أودعها في قلوبهم ور بطهارا وثيقا في قلوبهم أن يحفظوا أموالهم في صناديق مقفلة • وليس يعرف أحد من المسلمين معنى قوله تعالى - فاليوم نتجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية - إلا اذا حضرا الى بلادنا المصرية وشاهدت الملوك في صناديق عجيبة الشكل بدعسة الصنع وهي محنطة منذ ثلاثة آلاف وأربعة آلاف وخمسة آلاف أوستة آلاف سنة وعليها أكفاتها لم يبل منها ثوب ولم يفتت عضون الأعضاء فيها ولم يكن رميا • فهذه الجثث الباقية التي نشاهدها في متاخنا

للمصرية لاسيا ما يشهد حديثا كعبية ﴿توت عنخ آمون﴾ التي أشرنا اليها في سورة البقرة عند قوله تعالى - يحبونهم كحب الله - شواهد ناطقة وجميع قائمة على جلال الله عز وجل ونعمه التي أغدقها على الأمم السالفة والأجيال البائدة . وكيف أعطاهم هندسة وعلمًا ونظامًا عجيبًا غفل عنه المحدثون . وكيف نطق آثارهم بما لله من مجد وفضل وبأن على الأمم القديمة . وكيف عجز اللاحقون عما أنشأه السابقون . وكيف ألهم الله قديما المصريين أن يبقوا هذه الجثث ذخيرة لنا وآية قائمة على جلال الله وجلاله . وكيف كان ذلك منفعة للأمم الحديثة ودرسا لعالماتها أنهم مسبقون بأمر أعظم قدرا منهم . إن هذه الآية من بدائع القرآن وهي للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يدرسوا علوم قديما المصريين . أليس من العيب عليكم أيها المسلمون . أوليس من العار الخجل . أليس من أكبر المصائب التي حلت بأمة الاسلام أن الفرجة هم الذين يسابقون إلى تعلم لغة القوم ويمنون علينا أنهم أعلم منا بها . أوليس من المحزن المبكى أن أمة الاسلام هي التي تجهل قديما المصريين الذين قال الله فيهم - وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون -

فياليت شعري لم ذكر هذه اليلة هنا . وكيف أوردتها في هذا المقام . وكيف يقول إن كثيرا من الناس غافلون عن آياتنا لا يفكرون ولا يتدبرون بعد ما قسم . أليس ذلك لعظم الأمر وأن قديما المصريين سيكون لهم شأن وأنه بهذه الآية نبه المسلمين إلى ذلك . وأنا أقول . أيها المسلمون . أما أن لكم أن تدرسوا الأمم القديمة . أما أن لكم أن تدرسوا علوم الأمم القديمة والحديثة . أما أن لكم أن تدركوا مجدكم وشرفكم . وكيف يسبقنا إلى علمهم أهل أمريكا وأهل ألمانيا وغيرهم . إن ذلك هو الضلال الكبير والغزى العظيم والمصائب الجلل

بأمة الاسلام . قد شيعتم يوما فاستيقظوا . قد أدرككم الفرق فأيقظوا . قد طعنكم الصهر بكلكله فاقبضوا . فها هو ذا كلام الله وهذه حوادث أليمه قد أحاطت بكم ولله عاقبة الامور واعلم أن كل أمة لها مبدأ وجهاد للكمال . ثم تناقص واختلل . فهكذا بنو اسرائيل جاءهم موسى جاهدوا حتى خرجوا من أرض مصر ونجاو وتم أمرهم واستقامت مئات من السنين ثم اختلفوا في دينهم وهذا قوله تعالى (ولقد بؤنا) أنزلنا (بنو اسرائيل مبوا صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو ﴿الشام والقدس والأردن﴾ لأنها بلاد الخصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) أي تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله بها (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) فما اختلف هؤلاء الذين فضلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل إلا من بعد ما قرؤا التوراة وعلموها أحكامها (لأن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز الحق من البطل بالانجاء والهلاك

﴿لطيفة في موازنة هذه القصة بأحوال الأمة الاسلامية﴾

اعلم أن هذه الآيات أطلت ما يأتي

(١) انكار قوم فرعون لمعوة موسى ولقائهم أنها سحر

(٢) استنجاهم أن هذا فيه هدم المجد القديم وهو مجد الآباء فخالفتم ذهاب لفضلهم وانحراف

عن سبهم

(٣) انكم تريدون أنه يكون لكم الملك في البلاد

(٤) احضار السحرة ومعارضة معجزة موسى سحر السحرة

(٥) ذكر ايمان طائفة من أولاد بني اسرائيل

(٦) أن هؤلاء خاقون من فرعون وقومه أن يذبوه

(٧) وعظ موسى لبني اسرائيل أن يتوكلوا على الله

- (٨) موافقتهم له وطاعتهم وتوجههم إلى الله بالدعاء  
 (٩) أمر الله لموسى أن يحضّر قومه على اتخاذ المساكن وجعلها مصل  
 (١٠) تبشيره للمسلمين  
 (١١) دعاء موسى على بني اسرائيل بطمس أموالهم وبقائهم كافرين  
 (١٢) استجابة الدعاء  
 (١٣) عبور بني اسرائيل البحر  
 (١٤) اتباع فرعون لهم وغرقه هو وجنوده  
 (١٥) نجاة بيده وحكمة ذلك  
 (١٦) استحكام أمر بني اسرائيل ورفقهم  
 (١٧) وقوع الاختلاف فيما بينهم  
 واعلم أن هذه الصفات التي لحقت بني اسرائيل هي بعينها التي لحقت بأمة الاسلام ونبينا ﷺ  
 (١) فقد دعاه فكدبوه  
 (٣٧) وظنوا أنه يريد للكم فعرضوا عليه أن يملك أمرهم ويترك ذم آلهم وأيضاً انه يريد هدم ما  
 كان عليه آبائهم  
 (٤) آذوه كثيراً وكادوا له كيذا عظيماً  
 (٥) ما آمن به أولاً إلا الضعفاء  
 (٦) كانوا خائفين من أهل مكة كهميب وبلال وغيرها حتى هاجروا إلى الحبشة وهاجروا جميعاً إلى المدينة  
 (٧) وعظ النبي ﷺ المؤمنين بالتوكل  
 (٨) موافقتهم له وطاعتهم  
 (٩) بنى النبي ﷺ مسجداً في المدينة واتخذ المسلمون مساجد كثيرة وسكنوا بيوتهم وصلوا فيها  
 وفي مساجدهم  
 (١٠) في أكثر القرآن بشاراً للمؤمنين  
 (١١) دعا النبي ﷺ قومه فقال ﴿ رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ﴾  
 (١٢) استجاب الله دعاءه ففتح مكة وأسلم قومه وذريتهم للآن  
 (١٣) نصر المسلمين في زمن النبوة وبعده  
 (١٤) هلاك الكافرين في كل وقعة  
 (١٥) نجاة المسلمين في كثير من الوقائع  
 (١٦) استحكام أمر المسلمين وعظمتهم في القرون الأولى ورفقهم  
 (١٧) اختلاف المسلمين وتنازعهم منذ (٨) قرون فهم في اضطراب سياسي عظيم  
 فهذا التاريخ يشارع تاريخ الاسلام وقد ذكر هنا ليكون عبرة للمسلمين ودرسا لهم ليتعلموا له  
 (لطيفة في قوله تعالى - وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون - )  
 تقم أي قررت في هذه الآية أنها للحض على فهم علوم المصريين والبحث في أطوارهم وأن الله لم  
 يذكر أمته بأن أبادها عبرة لمن بعدهم وأنبأها بجملة كهذه إلا للمصريين . فلنذكر من آيات الله التي ألهمها  
 للمصريين القسما ليكون ذلك ذكرى للمسلمين وعبرة وليجتروا في البحث عما دفعه الله في الأرض وما  
 أظهره في الأمم حتى يعرف المسلمون كل شيء بحيث تخصص كل طائفة بمباحث خاصة يتقنمون في معرفتها

وهذه العلوم كلها فرض كفاية . فلا تقل لك ( أرى نبد ) من علومهم

( النبة الأولى . علوارة فلسفية بين مصري وروحي )

وجئت في قرطاس محفوظ في متحف ( برلين ) واليك تعريها من كتاب الحضارة القديمة

(١) قالت الريح لصاحبا ليس في الموت فزع للانسان

(٢) أقول لنفسي كل يوم انه كرجوع الصحة الى المريض حين يخرج ويذهب الى الساحة بعد تأله

هكذا حال الموت

(٣) أقول لنفسي كل يوم كأنه استنشاق شذا الطر أو كليلة في بلد السكر . هكذا حال الموت

(٤) أقول لنفسي انه كجري نمر به مياه النيل الفاض

(٥) أو كرجل دخل الجندي ولم يثبت أحد أمامه . هكذا حال الموت

(٦) أقول لنفسي انه كرجل ذهب في ضياء القمر ليصيد الطير بالشبكة فوجد نفسه في اقليم لا يعرفه .

هكذا حال الموت اه

( النبة الثانية )

اعلم أن من اعجب معجزات القرآن هذه الآية التي نحن بصددها ولم يكن المتقنمون من أئمة الاسلام ولا قسما العرب ولا المعاصرون للنبي ﷺ يعلمون شيئا عن الجث المصرية ولا عجائب علومهم . ولذلك تجد المفسرين يذكرون أن أموالهم مسخت بحجارة . أفلا تعجب للقرآن كيف ظهر في هذا المعراج العجيب الجباب من الجث المحطة والعلوم الخفية والحكم المنظمة التي أشار لها القرآن بقوله - لتكون لمن خلفك آية - وأفاد أن أكثر الناس غافلون عن العجائب . فانظر كيف ظهر في هذا الزمان أيام كتابة هذا التفسير أعظم الكنوز المصرية وهو كنز ( توت عنخ أمون ) وقد كشفه رجل يقال له ( هوارد كارت ) بعد أن بحث ٣٣ سنة في البلاد المصرية بحثا في ذلك وقد أحدث ظهوره ذهشة العجباب في العالم كله . وفي يوم ١٦ فبراير سنة ١٩٢٣ فتح الباب المختوم بفتح الملك لبعض الغرف ووجد بالفرقة الثالثة صندوق يدعى داخله جثة الملك وجواهره الثمينة وهو مذهب ومزخوف ومرصع بالحجارة الكريمة ويبلغ طوله نحو ستة أمتار وعرضه نحو أربعة أمتار وارتفاعه أربعة أمتار تقريبا ووجدت الفرقة الرابعة مملوءة بأثاث من أغراض الفاخر مرتبة ترتيبا حسنا يفوق منظرها في بهائها وعظمتها ما وجد في الغرفتين الخارجيتين . وتوافد عشرات الألوف من أوروبا وأمريكا على القطر المصري للتمتع بمشاهدة هذه الآثار الثمينة . وفوق ذلك قد اهتمت دور الصناعة في أوروبا وأمريكا للحصول على نماذج للأزياء المصرية الأثرية لللباس وأثاث المنازل والأواني ليصنعوا نظيرها وهم يضعون عشرات الألوف من الجنيهات في سبيل الحصول على هذه النماذج وبدأت السيدة الفريية في مدن أوروبا وأمريكا متجملات بلبس ملابس قديمة للمصريات في عهد ( توت عنخ أمون ) وفي صباح ٨ مارس سنة ١٩٢٣ أيسر للمارة في شارع ( فث أفنيو ) وهو أعظم شوارع نيويورك ثلاث سيدات يسرن معا وقد لبسن من قبة الرأس الى أخمص القدم ثيابا مصنوعة على مثال ثياب ملكات مصر القديمة واحتدين أحذية على شكل ( السندل ) فكأن ثيابهن هذه موضع العجباب وقبة أنظار الجميع وهكذا في انكلترا وغيرها . وقد اشتد الاقبال في أوروبا وأمريكا على درس تاريخ مصر وحضارتها القديمة ومشاهدة آثارها الكثيرة المنتشرة في المتاحف فالتاحف فالتاحف يقولون زرافات على المتاحف التي فيها آثار مصرية . وقد أغلق المدفن يوم الاثنين ٢٦ فبراير سنة ١٩٢٣ على أن يفتح ثانيا في الحريف المقبل . وهذه الليلة التي أكتب فيها هذا المقال ٢٧ من شهر سبتمبر سنة ١٩٢٤ لم يفتح القبر الى الآن وسيظهر بعد فتحه العجب العجيب

أفليس هذا من سرّ قوله تعالى على سبيل الإشارة والتلميح - لتكون لمن خلفك آية - فهذه آيات الله التي ظهرت لعباده آيات الصناعة والتطريز والزخرفة والنقش والمهندسة والبناء وكذلك الاعتبار والاعتاظ وقد ذكر الموت واليأس . كل ذلك ظاهر اليوم لجميع الأمم . فعل المسلمين أن ينظروا جلال الله في كل شيء سبحانه وتعالى جلّ جلالا وعزّ كمالا

### ( النبة الثالثة )

أقسم كتاب في العالم ضائع الحكيم للمصري القديم ( آني ) لتلميذه ( خونسو هتب ) في عصر مصر النحوي في عهد الملك العظيم ( توت عنخ آمون ) أي منذ ٣٣٠٠ سنة تقريبا وهي ٤٨ نصيحة قلت عن ورقة بولاق البدية التي عثر عليها ( ماريت باشا ) مؤسس مصلحة الآثار المصرية في أحد مقابر الدبر البحري بطيبة بالاقصر سنة ١٨٧٠ م وترجمت إلى الفرنسية والألمانية والانكليزية وسيت ( ورقة بولاق ) لأنها حفظت بالمتحف المصري في وقت أن كان في بولاق . ولأذكر لك بعض هذه الحكم تبينا للقرآن القائل - وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - ولأذكر لك ما اخترته منها اختصارا للقول (١) أخلص لله في أعمالك لتتقرب إليه وتبرهن على صدق عبوديتك حتى تنالك رحمته وتلحظك عنايته فانه يهمل من توانى في خدمته

(٧) من انهم زورا فيرفع مظلمته إلى الله تعالى فانه كفيل بإظهار الحق وإزهاق الباطل  
(٨) اجعل لك مبدأ صالحا وضع نصب عينيك في جميع أحوالك غاية شريفة تسعى إليها لتصل إلى شيخوخة جيدة ونهي لك مكانا في الآخرة فان الأبرار لا يزعجهم سكرات الموت  
(٩) من لسانك عن مساوىء الناس فان اللسان سبب كل الشرور ونحوه محاسن الكلام واجتنب قبائحك فانك ستسأل يوم القيامة عن كل لفظة

(١١) لاتهمل الترحم على والديك ومتى قت بذلك قام به لك ولك  
(١٢) اعن بأبنائك كما اعتنت بك أمك ولا تنفضها لئلا ترفع يديها إلى الله فيستجيب دعاءها عليك  
(١٥) اذا كنت قوى الإرادة فلا تمنع للمرأة تسلط عليك  
(٢٠) النظام في البيت يكسبه حياة حقيقية  
(٢٥) اذا فاتك فرصة فتقرب غيرها  
(٢٨) لاتخرج بكلامك شعور الناس فيسبتهن بك  
(٣٤) ليست السعادة بالقوة وحيازة الأموال . انما هي في استنارة العقول بالفضيلة والتغلب بالقناعة والرضا والكفاف

(٣٨) لاتسلم لباسا والقنوط مهما قام في سبيلك من العقبات والشدائد  
(٤١) لاتثق بالناس المجهولة مبادئهم ولوخدعوك بتقديم أنفسهم لحضرتك متظاهرين بالاخلاص فانهم يجرونك إلى الخراب العاجل  
(٤٦) تلتطف مع ضيفك وحادثه بيشاشة ولا تسمح له بالتطرف في الحرية حتى يخرج عن حدود الاحترام  
(٤٨) لاتسكن شرها فان الانسان لم يخلق ليأكل بل يأكل ليحيا حياة طيبة يجعلها طريقا للحياة الأبدية . انتهى

هذا هو الذي اخترته من حكمه . وهناك ضائع أخرى لرجل يقال له ( قافنه ) وآخر يقال له ( بناح حنپ ) وهذا الأخير قد وجدت له (٤٤) لوحة قد نقش عليها حكمه . ولأذكر لك منه ثلاثة ألواح ( لوحة ١٠ ) اذا تواضعت امتثالا لرئيس فيمكن سبرك مع الله حسنا جدا فالسعد لا يأتي إلا عن لرادنه

وليس هناك أحكام سوى مشيئة

وعما جاء في اللوحة الرابعة عشرة (تمسك برأبك متى كان الحق بيدك • ان الذي يملك نفسه خير عن غمره لله بسلامه لأن الرجل الذي يتقاد لهواه يكون تحت سلطان امرأته • بين منهاج سلوكك من غير كلام)

وجاء في اللوحة (٣٤) ليكن وجهك بلا ماعشت

### ( النبعة الرابعة )

كان قديما المصريين يعتقدون بقاء النفس وكانوا يرون أن الانسان يكون أمام محكمة مكتوبة أمام الاله أوزيريس و٤٠ قاضيا ويشولى الرئيس عملية وزن القلب ووضعه في كفة الميزان والعدل في الكفة الأخرى فإذا رجحت الكفة الأولى أو سالت قبل التوفي في ملكة أوزيريس • وأهم هذه الملكة عندهم الزراعة فتقوم الأرواح بحرق الأرض وبذر الحب وجنى محصول الثرة السجوى وهى أحسن وأجمل من ذرة الأرض وفى تلك الملكة تكون الأرواح في المجارى السبوية وتجلس تحت وأرف ظلال الأشجار الباسقة وتلب الألعاب التي تمواها • والانسان يكون له جسم روحى يبدأ في الوجود من وقت أن يوضع في القبر ويأكل للتوفي خبزا لا يتغفن ويشرب خرا لا يفسد وملابسه أردية بيضاء ويجلس على عرش وسط الملكة الذين يجلسون حول شجرة الحياة ويلبس التاج الذى يعطيه له الاله ويعيش مع الاله (رع) الى الأبد

وعلمية التحنيط المعروفة عند قديما المصريين التي أشار لها القرآن بقوله - فاليوم نتجيك ببدنك - عموما كسائر قديما المصريين إنما اخترعوها سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد وبقي الى سنة ٥٥٠ بعد الميلاد لاعتقادهم أن النفس بعد أن تمر في أدوار كثيرة تعود فتحل في الجسم فلها كان التحنيط • ولهم قصة خرافية وهى أن (أوزيريس) كان يحب أمته المصرية فملها وفتح البلاد الأخرى بغير حرب ومعه (نوت) ولكن اخوه (سيت) غار منه فصنع له صندوقا وأهداه له على شرط أن يكون على مقدار جسمه فلما دخله ألقاه عليه وهو متحد مع الضباط وأقام في النيل فبعثت عنه زوجته (إيزيس) وعثرت عليه في البحر وخبايته في غابة كانت أشجارها متكافئة ونهبت تبحث عن ابنها (حوريس) في مدينة (بونو) جنوب البرلس في الدلتا • ثم ان (سيت) عثر على الصندوق وهو يصطاد في ضوء القمر قطعه ١٤ قطعة وبثرها فبعثت عنها (إيزيس) وجعلتها إلا قطعة واحدة وركبتها في مواضعها من البدن وحنطت للملائكة جسمه وصنعوا له تماثم ولقائف • فهذا انتقل من القبر الى السماء وله فيه قصر عظيم وأصبح ملك (أوزيريس) هو الذى يصعد اليه الأرواح الظاهرة بعد الموت • ولا بد من التحنيط وعمل السحر والطلاسم • هذا هو السبب في التحنيط عندهم اه

فسيحان من جعل الحرافات سببا في العاوم النافعة للانسان وحفظها على مدى الزمان والجدته أولا وآخرا • ويقال ان فرعون موسى عثر عليه منذ سنين في جهات الوجه البحرى في مديرية الشرقية • وعسى أن أعتز على هذا النص فألحقه بهذا الكتاب والله المستعان

### ( فرعون موسى قد وجد بدنه وهو بالتحنط المصرى )

وبعد كتابة ما تقدم بيومين الملت على ما كتبه أستاذنا في علم الآثار للمصرية الاستاذ أحمد بك نجيب أمين ومفتش الآثار المصرية في (الموسوعات) في أعداد مختلفة فلائخص ما كتبه بغاية الاختصار قال ان رئيس الثاني (ميزوستريس) هو الذى رعى موسى عليه السلام وأن ابنه (ريان با) وهو المعروف باسم (منفطه) هو الذى غرق في البحر وهما معا من الأسرة التاسعة عشرة • قال وقد أجمع العلماء أن فرعون (منفطه أوريان با) هو الفريق والجد لله على وجود جثة الآن • وأما العبرانيون فاتهم دخلا

مصر أيام احتلال العمالة لها وأقاموا في وادي غسان المعروف الآن برأس الوادي بمدينة الشرقية ولقطة (فرعون) كانت اسما عاما للملك مصر كقطة (قيصر) علم على كل من ولى الروم و (كسرى) لكل من ولى العجم و (نجاشي) لكل من ولى الحبشة و (أمبراطور) لكل من ولى رومه . و فرعون أصله (إبرعا) أو (فرعا) معناه (السلطان العظيم) لأن (فر) معناها الدار و (عا) معناه العالية أو الجبلية أو العظيمة كما يقال الآن (الباب العالي) أو (الباب المهابوتي) . قال وبعد رمسيس الثاني الذى رعى موسى و (منفطه) أو (ريان با) الذى غرق في البحر لم يذكر في الآثار شئ عن العبرانيين . قال وبنى في اليوم الثاني من شهر مايو سنة ١٩٠٠ فتحت تابوت (فرعون) بمشهد من علماء الآثار وقسته فكان طوله من قبة رأسه إلى قدمه مترا واحدا واثني وسبعين سنتيا وعرضه عند الأكتاف أربعة وعشرون سنتيا ومن قبة رأسه إلى الكتف إلى على صدره ٤٠ سنتيا . قال ولم أر وجهه لأنه مسجى بأكفان من قماش الكتان يضرب لونه إلى الصفرة لذلك من تأثير الخط عليه وتآثره مصنوع من قماش كلورك القوي خال من الكتابة وهو لاشك أنه ليس تابوته الأصل ومعنى (ريان با) شمس العلم أو روح الشمس . وقال أستاذنا أيضا إن رمسيس الثاني استعمل العبرانيين في بناء قلاع كبيرة وعمل طريق يمر بوسطها يخرج من مدينة رمسيس ويسلك إلى الشرق مع الجنوب حتى يدخل قسم آسيا . وهناك قلعة باسم فرعون موسى نفسه بن رمسيس الثاني وهي مذكورة في ورقة من البردي أرسلها أحد العمال إلى رئيسه يعلمه بما فعله وهناك نسبا (بما أسره به خاطر سيدى هوأتى أخبره أننا أعطينا الحرية الثالثة إلى قبائل الأعراب الآتية من إقليم (البدوم) لترعاية الحرية من قلعة (خاتوم) لذلك (منفطه) وهو فرعون موسى كما تقدم . وهناك حجر محفوظ بالمتحف المصرى مكتوب في السنة الخامسة من حكم هذا الملك عليه لقطة (إسرائيل) أى الإسرائيلون وهناك ترجمة بعض عباراته و (قبيلة خاني سلت فعلت . وقبيلة كنعان قد سجدت على أقبح كيفية . وأهل عسقلان أحضروا أذلاء . وأهل غزة وما حولها جاؤا أسارى . وقبيلة (أياتواميم) انعدمت وأمة (إسرائيليو) هلكت وما عاد لديها حبوب للأكل . وقبيلة خارو صارت كأرومة خديرة بمصر) اه

وقال رحمه الله في سبب لذة الملك (منفطه) الإلهية إن هذه عادة هؤلاء الفراعنة جميعا ضعافا كانوا أم أقوياء . قال وانظر إلى مسألة الطرية تجد عليها مأسورته (الجليل حياة كل مولود ملك الصعيد والبحيرة دلم به صاحب التاج معطى الحياة لكل موجود الإله العظيم ابن الشمس الخ) وهذا الممدوح هو الملك (أوزيرتن الأول) في العائلة الثانية عشرة وهو صاحب هذه اللسنة . قال وأقد كان (رمسيس الثاني) والد فرعون مصر أول من سخر العبرانيين في الأعمال فبنوا له مدينة رمسيس ومدينة بيتوم وهناك نص ورقة بردية محفوظة في بلاد الانجليز بقلم رجل مصرى يسمى (كانيزاك) أرسلها إلى رئيسه المدعو (في كانبناج) يعلم أنه أفند أمر الملك سيده وصورتها (قد أطلعت أمر سيدى رمسيس وفحات ما أمرنى به حيث قال لى اعط قححا إلى العساكر الخفراء وإلى العبرانيين الذين يتقلون الحجارة لبناء الحصن العظيم بمدينة رمسيس الذين هم تحت رئاسة (أمنان) رئيس فرقة المحافظين على العمال فكنت أعطيهم قححا في كل شهر حسب الإرادة السلية التى أمرنى بها سيدى) وعلى ظهرها مكتوب (هذا حساب البنائين الذين أدوا الأعمال المفروضة يوما فيوما بدون انقطاع عن العمل ماعدا الرجال الذين يصنعون الطوب . ومدينة رمسيس اختلف العلماء في مقرها فقيل إنها مدينة (سان الحجر) بمركز قاقوس بمدينة الشرقية . وقال أستاذنا بدار العلوم القنصل المذكور أنها في مكان أطلال (السخوة) بالشرقية . فالسخوة المذكورة هي رمسيس وقد وجد اسم رمسيس على لبنا (طوبها) وهذه المدينة أجل المدن المصرية وقد وجدت ورقة من البردي محفوظة في بلاد الانجليز فيها قبيلة لشاعر مصرى اسمه (بنبتا) يخبر أحد الأمراء الذى (أمن إيت) وكان الملك رمسيس



دعاه لوليعة يوم القراع من بنائها . قال ( لما دخلت مدينة رحسيس وجدتها في أحسن حال مأهلا مثيل في عمارات (طيبة) ولا عمارات (جبل السلسلة) فهي مدينة النعم وحقوقها مملوءة بالأشياء الذبذبة ولما كولات الفاشرة وحيطانها مملوءة بالسك والطبور المائية تفرج على غدرانها وصرورها خضرة وسفن البحر تأتي الى نهرها وتكثر فيها الخيرات طول السنة وينشرح صدر من يقيم فيها إذ ليس بها من يعارض ولا من يتنازع والصغار والكبار فيها سيان وترى فيها الجوارى الحسن جوارى الملك قامت على أبوابها والفرح علما في جميع أرجائها . عشت يلرميس في صحة وعافية

وقال بروكش باشا ان موسى عليه السلام تربى فيها حيث كانت محل إقامة الملك . أما تخت مصر فكان في مدينة (طيبة) أو (طيوة) ومكانها الآن الأقصر أو الكرنك والقرنة ومدينة أبو بدمرية قنا اه وذكر أستاذنا أيضا في تلك اللغات ما وجد منقوشا باللغة البدائية على جدار معبد الكرنك مما يخص بتعذيب الأسرى . قال (سطره) لما كان الملك (منفطه) هو الذي يعطى الحياة الى قومه حضهم على ترك التحول (سطره ١٣) أتى (مهايو) ملك الليبيين بن ديد بجنوده للؤلؤة من المشاوشين والكهاكين والسردانيين والشكلاشين وهجم على مصر (سطر ١٦) وجع ملك مصر رؤساء عساكره وقال لهم اسمعوا أنا الملك (منفطه) الحارس أنا رب مصاحكم أنا أبوكم هل فيكم من يمانني ويحي أولاده مثل ها أتم ترضون كالوز أمامي (سطر ١٩) ها هو العدو دخل بلادنا هل يستطيع النيل أن يرد عنا . كلا ثم كلا (سطر ٢٢) مرادى الآن قتل الأعداء وسحبهم على بطونهم كالسك ولاعبة برئيسهم الذي صورته كصورة الكلب (٢٥) أنا الذي يبدى الاعطاء والمنع والدنيا تحت حكمي . أنا (منفطه) القاهرة ملك مصر (سطر ٣٣) واندفعت عساكر المشاة مع عساكر العربات على العدو فأغرقوه في بحر النمل (سطر ٤٦) أما عساكر مصر وشبانها فعادوا يسوقون حيرا تحمل الفئام والأحبال المقطوعة من العدو مصنوعة حزام وموضوعة في جلود (سطر ٥٢) ٦٣٥٩ لبيون مقتولون وأحضرت أحابيلهم (سطر ٥٦) ٦١١١ رجلا من الأعداء قطعت أحابيلهم بحضرة الملك (أنظر لهذا التوحش) . (سطر ٥٧) ٧٣٧٠ أبد مقطوعة أحضرت لدى الملك . (سطر ٥٩) ٩٣٧٩ أسرى

ورجع الملك الى طيبة في موكب حافل وقد وجد مكتوبا في ورقة محفوظة ماضه (ما أعظم هودتك أيها الملك الى (طيبة) ظلالك سحابة النصر وهربك تسحبها الرجال . أما الرؤساء المخاوبون فيمشون أمامك القهقري وأنت تسوقهم الى حتفهم اه

وإنما نقلت لك هذا لتعرف كيف كان فرعون موسى يهذب الأمم للعلوبة . وكيف سخر بني اسرائيل كما سخرهم أبوه . وكيف كان يفهم قومه أنه معطى الحياة وفي يده كل شيء وهذا هو ملجأ في القرآن من قوله - أنا ربكم الأعلى - وغيره . وهكذا تعذيب بني اسرائيل المتكرر في القرآن اه

( نبذة خامسة رد اعتراض )

للك أيها الذي الطلع على هذا الكتاب تقول كيف أطلت في هذا المقام . ولماذا تذكر حكم القوم تارة ومظالمهم تارة أخرى . ولماذا تكرر هذا القول . أريد أن نعلمنا علمهم . أوليس القرآن بكاف . أوليس ديننا يفينا . أقول على رسلك ولانل . اعلم أن من يظن أن قراءة القرآن وفهم معانيه القرية والافتصار عليها يكفي للسلمين عظم كل انطعا بل لجل كل الجهل . قل لي ربك اذا سمعت الله يقول - وقل على الناس حج البيت - أفلا تسي الى الحج أم تكثني فهم الآية فلا انالك إلا قاتلا لابد من الحج أقول . هكذا يقول الله هنا - فالיום تنجيك - يامنطه (ريان يا) وتحفظك في أماكن بالبلاد المصرية ونأمر بتجنيتك وبقائك للساخين والقادين والراخين - لتكون - أنت وأمثالك من الفراعنة

لمن خلفك آية - ترشدكم الى العلوم والمعارف والاتعاظ بذهاب القرون ويوقف على صنائع قومك وعلومهم أهل أمريكا وآسيا وأفريقيا وأوروبا . والمسلمون أيضا متى فتحوا وعقلوا - وإن كثيرا من الناس - في الشرق والغرب - من آياتنا - في بلادك وقومك وعلومكم ومعارفكم وسيركم وغيرها مما خلقنا في السموات والأرض - لناقلون - والغلبة موجبة لحرمان كاسيأتى في قوله تعالى - ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون - فأما اذا لم يفصل الناس واطلعوا على علوم الأوائل كقدماء المصريين وشاهدوا في الحكم السابقة وغيرها أن الله قد أنزل عليهم منذ سبعة آلاف سنة أنه ين الأعمال وإنها اذا تقلت نجح صاحبها واذا خفت لم ينج . وأن الرجل للظلم اذا دعا الله ينجي . وأن قوى الارادة لا يضلها النساء . وأن المخلص لله تلحظه عنايته ومن تولى في خدمته يهمله . وأن من اتهم زورا ورفض مظلمة الى الله فله يظهر حقه . وأن السعادة ليست في المال وحده بل في الفضيلة والقتاعة . وهكذا من الحكم الشريفة العالية . اذا فصل الناس ذلك ولم يفصلوا عرفوا أن شرائع الله القديمة كانت كالخديثة وإنها متتالية متتابعة متحدة في الاصول ويحصل للره اقتناس والمقتنان . أوليس لله يأمرنا أن ننظر في السموات والأرض . فاذن آيات القرآن تنسب الى آيات السموات والأرض وما أنتج عقل الانسان قديما وحديثا . فآيات القرآن أعجب بالنظر المعظم ترى به الأشياء القريبة والبعيدة . فمن ظن أن للنظر مقصود لذاته فهو جاهل كمن يرى أن القرآن وحده كاف فهو غفلى . انما القرآن نزل ليصل به ولاعمل به إلا بأن نبعث فيها خلق الله في السموات والأرض من الجناب وقرأ العلوم وندرس علوم الأمم أى أن يكون في الأئمة طوائف لكل علم طائفة تقوم بعلم أو صناعة ولو كانت تعدى بلديات . انتهى الكلام على حسنات المصريين وسياهم العملية

﴿ الكلام على عاينهم العلمية . نظام السموات عند قدماء المصريين ﴾

جاء في أوائل السورة - هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقرره منازل - وقال - إن في ذلك لآيات الخ - وكرر لفظ الآيات ثلاث مرات وهكذا ذكر الآيات وذم الاعراض عنها في الكلام على فرعون فبالت عمري يمر هذا القول مرورا علينا ولا نعليه حقه . ذم لله الضغلة عن الآيات عند ذكر الشمس والقمر ونقها عند الاشارة للفراغة فما هذه الموافقة في سورة واحدة . ولماذا ذم الضغلة عن الآيات في سورة واحدة . إن في ذلك سرا عجيبا فاستمع لما سيأتى

﴿ علم الفلك وقدماء المصريين ﴾

( جمال الصور السماوية يسحر العقول - احتجب عن جميع الناس وهم ينظرونه - محاولة قدماء المصريين قبل غيرهم كشف هذا الحجاب - رسمهم الصور السماوية التي يقرؤها الناس في أوروبا والشرق الآن - وجوب معرفة نتائج العقول في الشرق والغرب لأن العقل البشرى صنع الله كما أن عقول الملائكة من صنعه فالعالم كله مصنوعه وعلى المسلمين أن يعرفوها )

اعلم أننا خلقنا في جو من الجبال والبهجة والحسن والاتقان والكمال والسعادة والحبور . ولو أننا أدركنا ما نحن فيه من الجبال لذهلت عقولنا وأصبحنا فاقدى الشعور والاحساس لانفصل أقول هذا لك أيها الذي وأنا موقن به . إن الله وضع أرواحنا في هذه الأجسام الأرضية تلك الأجسام التي وضعت بحكمة ودقة وأحطت بها الأنوار من الشمس والقمر والكواكب والجبال . الشمس قسم الزمن أياما . والقمر يقسمه شهورا كما تقسم مواعيد والشهر الواحد يقسمه أربعة أقسام فمن الحاق الى التربع أسبوع ومن التربع الأول الى ليله البدر أسبوع ومن ليله البدر الى التربع الثاني أسبوع ومن التربع الثاني الى الحاق أسبوع

فالشمس والقمر قد فصلنا الزمن تفصيلا . فالأيام والسنين السمية عرفت بغير الشمس كما تقسم

والأسابيع والشهور القمرية والسنين القمرية عرفت بالقمر . إذن الشمس والقمر تكفلا بتقسيم الزمن أياما وأسابيع وهجورا قمرية وشمسية وسنين كذلك ولولا ذلك لم نعرف الأيام وما يسبدها ونجد القمر والشمس والكواكب لا تخطي في سيرها والأنوار القاضية منها على الأرض جيلة بهجة تتلون كما تتلون في أنوارها النول فأنوار الكواكب ليل مختلفة في الظلام لخالق والقمر يقسم الليل قسما بأضوائه ويظهر ويختفي على أشكال مختلفة . وهكذا أنوار الشمس تختفي في أثناء النهار . فينما نرى ضوء أدنى كوكب بالنسبة إلى الشمس أقل من مليون مليون وضوء غيره من الكواكب أقل من جزء من مليون من ضوء الشمس وضوء البدر أقل من جزء من ثمانمائة ألف جزء من ضوء الشمس نراها أيضا والقمر يتلون ألوانا عسوبة منظمة جيلة لا يستقران في هيئتهما على حال . الحيوان حولنا والنبات وعجائبها لا تنتهي . في أرضنا عجائب كثيرة . أجسامنا مصنوعة من الحكمة بل هي حكمة مدبجة . لو أن أرواحنا خلقت في هذه الأرض مجردة عن المادة لدهلنا من الجبال التي غرقنا فيه ولكن من لطف الله أنه أجاعنا وأهرانا وسلط الحر والبرد علينا وجعل الأرض لنا دار عمل ونسب وفناء . لماذا . ليعجبنا عن هذا الجبال . ولماذا لأجل أن يحفظ عقولنا فيها فلا يعطيا هذا الجبال إلا بمقدار شيء فشيئا بالتدريج وهذا التدرج يكون بالتعليم

( فصل في أن أول من تظن لرفع الحجاب عن جبال السماء هم قدماء المصريين )

قد قلت لك أيها التلميذ أن الناس خلقوا في الجبال وحجبوا عنه وهم بالتعليم يعرفونه شيئا فشيئا . وها أنا ذا أذكر هنا أن أول من ابتدأ معرفة هذه العلوم هم قدماء المصريين على خلاف في ذلك وإنما أردت ذلك ليظهر سر القرآن ولماذا يذكر السفلة عن الآيات وينتهي في السموات والأرض وفي معرض ذكر أبدان الفراشة وسوى ينهما في نوح الغفلة . إن هذا الزمان هو زمان ظهور النور الاسلامي . أنظر ماذا ترى . ترى أن الأمم ما عدا المصريين كانوا في غفلة ساهون قبل العصر المكنوني فقد كان العبريون لا يعرفون سوى بلادهم وما جاورها من الممالك وكان اليونان في أيام هوميروس الشاعر المشهور رأى قبل المسيح بسبعمائة سنة يظنون أن بلادهم وآسيا الصغرى في وسط المسكونة بحيث جعلوها شاغلين جزأ عظيم من سطح الأرض وقالوا إن حولهما جزائر البحر للتوسط وأن مصر وسوريا وإيطاليا حول ذلك البحر المحيط . وتنبه بعد ذلك (بطليموس) في عهد الرومان سنة ٢٣٠ الى شيء من ذلك . وهكذا أخذ العلم ينجو شيئا فشيئا . أما الأمة المصرية فانها كانت قد سبقت هذه الأمم الى معرفة نظم السموات وصور نجومها وبروجها

( هيئة السماء في صندوق حريقه وهيئة البروج فيه )

وما صاحب هذا الصندوق إلا من الفراعنة الذين يحاجهم الله يدينهم فكان لمن خلفه آية للشرقين والاوربيين فهو مصداق للقرآن وذلك من آيات الله في القرن العشرين . واهل أتى قد قسمت لك في سورة الأنعام نبذا من الصور السماوية عند قوله تعالى - واذا قال ابراهيم لأبيه آزر - وأن تلك الصور (ثلاثة أقسام) الصور الثمانية والصور الجنوية والبروج التي هي داخل منطقة فك البروج . وذكرنا هناك أن الصور كلها نحو ٤٨ صورة وهي مساة بأسماء أشياء أرضية من الحيوانات وغيرها . ثم أقول الآن إن الناظر الى السماء لا يرى فيها رسم حيوان ولا انسان ولا شيء من ذلك . فإذا سمعهم يقولون التور وهو أحد البروج أولم يزل أو ألبس أو السبل أو المحوت فاعلم أنه لاسوت ولا سبل ولا نور ولا شيء من ذلك . وإنما هي صور خيالية تخيلوها وسموها . ونجد أم الأرض قد انفقوا جميعا على تسمية مجموعات النجوم بأسماء ولكنهم لم يتفقوا على تلك الأسماء . ولا في واحد منها . فالصينيون أكثروا من أسماء المجاميع حتى بلغت ثمانية اسم وسموا بعضها بأسماء عظمائهم والعرب سموا المجاميع بأسماء حيوانات وغيرها كالكب الأصف واللب الأكبر وبنات نض الصغرى وبنات نض الكبرى . والآريون سكان الهند صوّروا السماء بسور أخرى في

كرتهم التي أتموها قبل المسيح بنحو تسعة قرون فرسموا فيها بحجة ووزن شجرة كبيرة فيها كلب وصورة زنجبي ضخمة الجثة . والصور اليونانية التي ذكرها بطليموس في الجسطي يظهر كما قال بعضهم أنها عمت في بلاد العرب أيام الجاهلية وأهل (أسكندنافيا) سموها بالكلب والركبة وللغزل و (الاسكيمو) وضعوا بينها صورة حيوان بحري في بلادهم . وترى القريا في العربية مشتقة من القراء أى الفنى . وفي اللسان المصري اسمها الكثرة لكثرة نجومها . وفي الهندية السباجة وفراخها . وهنود أمريكا يسمونها بما معناه الرجل والنساء أو الرقات . والمصريون القدماء كان عندهم كرات مصوّرة من قديم الزمان ولم تزل آثارها في قبر الملك (سيتي الأول) في بيبان للملك وكذلك في قبر الملك رمسيس الرابع في مدينة (أبو) فيها صور بعض مجاميع النجوم مثل النهر والسهم والكركدن ومن

ها أنا ذا الآن أكتب هذا وبين يدي الصور المنقولة من كتاب أبي الحسن الصوفي الذي ألفه في أواسط القرن الرابع للهجرة نسخت للسلطان (أولغ بك كوركان) والصور المنقول عنها كانت ملونة وهي أسائر الصور السجّوية وقد أجاد المصوّر رسمها وزويقها وأفرغ فيها دقيق الصنعة ورسم الكواكب فيها بالذهب . وها أنا ذا أعاهد في الكتاب أماني الآن صورة التنين من رسم العلامة للذكور ولكن ليست هذه الصورة ملونة كالمنقول عنها . هذا ما أردت أن أفتحه في هذا الموضوع قبل السخول في المقصود وهو الكلام على صور قدماء المصريين التي صوّروها ووجدت الآن في مقابرها مصوّرة على صناديقهم مصداقاً للآية إذ يقول الله - فالיום ننحيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية - . ها نحن أولاء نقرأ آيات الله المرسومة في مقابر قدماء المصريين

أكتب هذا وأمامي هيئة البروج الاثني عشر وهي الجمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والبلو والحوت . وها هو ذا صندوق حترالتي وجدوه بطيبة وفيه رسمت السماء على صورة امرأة رافعة يديها ويسترها ثوب طويل وفي رجلها لعلان وعلى رأسها عصابة وقد رسمت فوقها الشمس وعلى جانبي المرأة البروج الاثنا عشر منها ستة عن اليمين وهي السرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس وستة على اليسار وهي من الجدي الى الجوزاء . وترى هذه الصور واضحة جلية فترى صورة السرطان على يمين المرأة الخ

وهكذا بقية البروج فترى الجوزاء بهيئة امرأتين متقابلتين قد مدت أحدهما يدها الى الأخرى للسلام عليها وأمسكت كل منهما بيد الأخرى ورجل كل منهما تخطو الى الأخرى والثور واقف قبل تلك الصورة والبلو عبارة عن رجل واقف يصب الماء من إناء بين يديه والجدي نصفه معزى ونصفه الآخر على هيئة السمك (صورة منطقة تلك البروج التي وجدت في هيكل (دندرة) في عصر القياصرة الأول )

ها أنا ذا أرى شكلها أمامي في كتاب (المناصرة القديمة في مصر والشرق . الجغرافيا الرياضية) أو (علم الهيئة عند قدماء المصريين) لصديقنا المرحوم الأستاذ الجليل أحمد بك كمال . ها أنا ذا أبها الذي أبنت لك كيف تصوّر الناس هذه النجوم قديماً . وكيف جعلوها مجاميع . وكيف صوّروها بما يعرفون . وكيف كان قداماء المصريين قد رسموها وجعلوها في مقابر عظمائهم وكبرائهم . وكيف صوّروا البروج التي نعرفها نحن بنفس الصور التي قرّوها كالثور والسنبلة والجمل والحوت الخ . وكيف كان هذا العمل من النوع الانساني كله قديماً وحديثاً وعند علماء الاسلام وأوروبا ليكشف الناس الحجاب الذي حجب عقولهم عن ذلك الجبال الذي ستره عنهم الشهوات والحروب والنواب وحدثان الدهر وتقلباته فهم بهذا البرس يحاولون ليدركوا جلال هذا العالم الذي نعيش فيه . وكيف حثّ الله على النظر في هذه الصورة وذكر الشمس والقمر والقباء والنور . وكيف ذمّ المرضين عن ذلك الجبال في الآيات كما ذمّ المرضين عن الآيات في مقام ذكر

نجاة فرعون بيده ليكون لمن خلفه آية . وكيف كانت القراعة قد رسم على صناديقهم تلك الصور السجلية وأودع في مقابرهم وآثارهم حكمة الله عز وجل في السماء والأرض

### ﴿ القرآن يأمر بالنظر لكل ما هو محكم الصنع ﴾

إن الله يأمرنا بالنظر في مصنوعاته كلها كالشمس والقمر والأرض . وبالنظر في مصنوعات الحيوان كالعنكبوت والفيل والنحل وفي النبات الذي هو تحت تدبير اللانكة . وهكذا كل حيوان وإنسان وغيرهما إن لللانكة بالنسبة لله تعالى . وفيه لمثل الأعلى . كالعين والأذن واليد والرجل للإنسان . فكما أن أحدا يقول رأيت عيني أورايت أنا ويقول سمعت أذني وسمعت أنا . فالسامع والرأي إنما هو نفس الإنسان إذ الأذن والعين إنما هما له . فهكذا يقول الله تعالى . الله يتوفى الأنفس حين موتها . ويقول . قل يتوفاكم ملك الموت . فعمل الملك هو عمل الله وما للملك إلا نوره سبحانه وتعالى وشأن من شؤنه . وما عمل العقلاء من نوع الإنسان من هندسة وتصوير وعلم وحكمة إلا أثر من آثار اللانكة إذ الثابت في ديننا أن كل عمل إنما يكون من إلهام ملك إن كان خيرا ومن وسوسة شيطان إن كان شرا . إذن علوم قدماء المصريين المرسومة في الحياكل وكذا كل العلوم التي أقامها للانكة على قلوب العلماء في الهند والصين وعلماء الاسلام وعلماء ألمانيا والنمسا والبحر واليابان وغيرها . كل هذه يجب علينا النظر فيها وجوبا كفايا . وإذا قصرنا فيها عاقبنا الله بما نحن فيه الآن وزادنا منه . أما أنا فاني أدبت ما قدرت عليه ونصحت أمتي

إن الله ذم المعرضين عن آياته في هذه السورة بعد ذكر الشمس والقمر كما ذم المعرض عن آياته بعد ذكر فرعون الذي نجى بيده وجعله آية . ثبت بهذا أن مصنوعات الله ومصنوعات الحيوان ومصنوعات العلماء والعقلاء من بني آدم كلها مصنوعاته وآياته . وإذا كنا مأمورين أن ننظر في النبات وجماله وفي نظام النحل وأفعاله والعنكبوت ونسجه . فبالأولى نؤمر بأن ننظر في فعل من هو أرق وهو الإنسان وتأخذ بالأحسن والأفضل منه . اللهم إني قد أدبت الأمانة لامتتنا الاسلامية وأنت أيها الشكر القاري لهذا التفسير سؤال مثل فعل أمتك وأدركها وأخرجها من سجن الجهالة وأفهمها كتاب الله والله لا يمنع أجر المحسنين اه

### ﴿ تذكرة ﴾

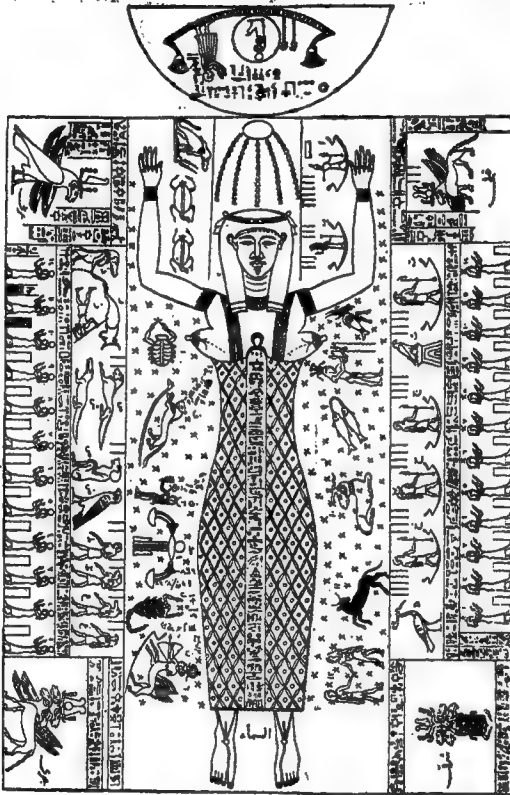
اعلم أني كتبت ماتمتم ولم يكن ليخيل لي أني أرسم هاتين الصورتين الفلكيتين المصريتين لما فيها من صور بعض الحيوانات فاتفق أن وقع نظري على كتاب مؤلف حديثا فيه صور بعض الحيوانات وقد صتر بمقدمة فيها أحاديث وردت يؤخذ منها جواز صور الحيوانات إذا كانت لا تظلم لها . ففجئت كيف اطلعت على هذا اليوم فكثرت في الأمر ونظرت نظرا عمليا ففتحت لي باب لن يقفل على المسلمين بعد الآن ﴿ ذلك ﴾ أنه ظهر لي أن الصور الشمسية ما هي إلا أضواء شمسية ﴿ وبصورة أخرى ﴾ غلالها والظلال إذا حركتها امرؤ فقد انسلخ من عقله ودينه . وكل امرئ يباح له النظر إلى صورته في المرآة فإذا دلم النظر وتكرر لم يحرم وما الصور الشمسية إلا كالصور في المرآة الخ ما سيأتي فاعتقدت الإباحة والأحاديث الواردة في الجواز لما يرسمه الناس بأيديهم لا يرسم الشمس إلى آخر ما سيأتي شرحه

فها أنا ذا الآن أذكر ثلاثة فصول ﴿ الفصل الأول ﴾ في رسم الصورتين الفلكيتين المنقولتين عن فناء المصريين مع شرح الصلابة أحد بك كمال ﴿ الفصل الثاني ﴾ في الكلام على ما يجوز من الصور وما يمنع وما يجب ﴿ الفصل الثالث ﴾ في الكلام على بناء الاهرام بمصر لأن ذلك البناء من أسباب النجاة لبعض أبدان القراعة القدماء

### ﴿ الفصل الأول في رسم الصورتين للذكورتين وشرحهما ﴾

قال العلامة الأثرى الكبير أحد بك كمال في كتابه ﴿ الحضارة القديمة ﴾ ما نصه

إن قدماء المصريين في عصر اليونان أو الرومان حسبوا هيئة السماء بالكيفية التي وجدت على صندوق  
 حتر بيطية (شكل ١١) وفيها رسمت السماء على صورة امرأة رافعة يديها و يسترها ثوب طويل مثبت على  
 الأكتاف بمحاملات وفي رجليها نعلان وعلى رأسها عصابة وفوق رأسها إشارة هيروغليفية يشار بها إلى الشمس  
 ذات الأشعة وعلى جانبي هذه المرأة البروج الاثنا عشر منها ستة عن اليمين وهي السرطان والأسد والسنبلة  
 والميزان والعقرب والقوس وستة عن اليسار وهي الجدى والقملو والحوت والحل والثور والجوزاء وأجل شيء يستحق  
 الالتفات إليه الكواكب السبارة الخمسة البادية للذكر وهي بين النجوم المنتشرة عن يمين المرأة (نوت) منها  
 اثنان فوق برج الأسد وهما كوكب المشتري وكوكب زحل أشير اليهما بحرف (ف) كما أشير بحرف (ق)  
 إلى كوكب المريخ الموضوع بجانب برج السنبلة وفوق هذا البرج اسمه وهو (تتر - سب تاحم) وبين الميزان  
 والعقرب عند حرف (ك) كوكب عطارد ويسمى (سبك) وتحت ذلك تقوش صعبة الحل رموزها بحرف  
 (ل) وهي تدل على برج الميزان وبين العقرب والقوس في المكان الرموز له بحرف (م) كوكب الشجرى  
 اليمانية (تتر - دوا) والكتابة التي فوق العقرب صعبة الحل أيضا وهي اسم برج العقرب ويرى فوق  
 القوس اسمه (بشت) وقد وضع فوقه حرف (ن) للدلالة عليه . أما الصور الرموز لها بحروف  
 (ت ث ج ح خ د) فانها تدل على كواكب عرفت مدة القراعة لأنها وجدت مرسومة على بعض آثار الأسرة  
 التاسعة عشرة والعشرين . وقد عرف قدماء المصريين نجوما غير ما ذكر كالرسومة بين ذراعي (نوت)  
 وكالجوزاء المشار اليها بحرف (ا) والشجرى اليمانية والنجم للمسى (حسن - مون) أو (رتز) أى النسر  
 الواقع واللب الأكبر للرسوم على هيئة نغذ الثور يسمى (ضبس) والنجم (آن) والأسد (س) والتمساح  
 (ش) والصور الأربعة المشار اليها بحروف (ط ط ع غ) يرمز بها لللائكة الأربعة المختصة بحفظ أحماء  
 الأموات وهي (أمست) و (حبي) و (دواموتف) و (قبح سنوف) وقد جعلت هنا رمزا للنجوم أما  
 الأربعة والعشرون صورة التي عن يمين ويسار المرأة المائلة على السماء فهي رموز للأربع وعشرين ساعة  
 فساعات النهار جعلت على هيئة نساء فوق رؤسهن قرص الشمس إشارة إلى النهار وساعات الليل رسمت أيضا  
 كنساء فوق رؤسهن نجمة إشارة إلى الليل وبجانب ساعات النهار كتابة معناها (السلام عليك أيها المتوفى  
 حتر بن المرحومة بحر الخ)



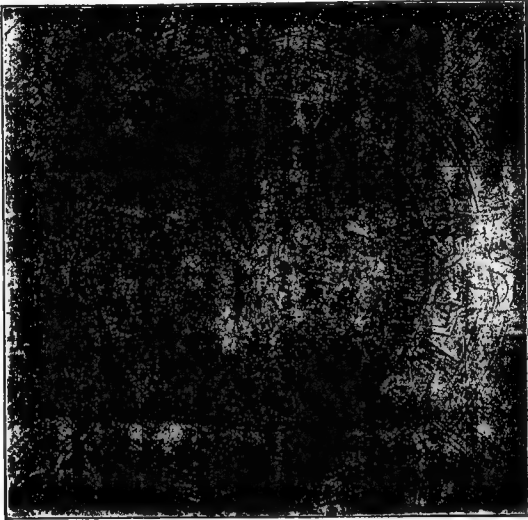
(أشكال ١١)

فالساعة الأولى هي ساعة الفجر والأخيرة هي ساعة المساء وقد رمز للنقط الأربع الأصلية في أركان شكل (١١) أيضا بحيوانات فللجهة البحرية سبع له أربعة أجنحة ورأس كبش فوقه قرنان وبينهما قرص الشمس تعلوه ريشتان وبجانبيه ثمانان وأشلوا للجهة الشرقية بهجل له أربعة رؤس كباش وللجهة الغربية يباشق له أجنحة ورأس كبش عليه ريشة وقرنان فوقهما ثمانان وللجهة القبلية بسبع له أربعة أجنحة وأربع رؤس كباش ويشاهد في الرسم الذي فوق رأس المرأة (نوت) البالة على السماء مركب الشمس وفيها صورة

التوفى (حتر) انتهى الكلام على الشكل الحادى عشر

( الكلام على الشكل الثانى عشر )

هوالتى وجد فى هيكل (دندره) وهو رسم لمنطقة فك البوج صنع فى عصر القياصرة الأول وهو وإن كان متأخرا لا يخلو من الفائدة واليك رسمه



( شكل ١٢ )

هذه الدائرة وجدت فى هيكل (دندره) الذى بنى فى القرن الأول وهدم فى آخر أيام البطالسة وتم بناؤه فى عهد القيصر أغسطس وذلك فوق معبد قديم من الطبقة الأولى اهتمت به ملوك الأسرة الثانية عشرة وأعظم ملوك الطبقة الوسطى مثل (تحوتمس الثالث) و (رسيس الثانى والثالث) وكانت المنطقة مرسومة فى سقف الرواق الثانى من جهة الجنوب وقد أخذها الفرنسيون بأمر للرحوم محمد على باشا سنة ١٨٢٩ وجعلوها الى مدينة باريس . فترى فى هذه المنطقة (١) أربعة من صور النساء واقفات جعلت للدلالة على الشرق والغرب والجنوب والشمال وهى تحمل السقاء ويساعدهن فى ذلك ثمانية من صور (حوريس) جانيات رؤسها على شكل الباشق وجسمها كجسم الانسان وهذه للمنطقة المحمولة على أيدي هذه الصور الاثنى عشر تنقسم الى (٣١) قسما وكل قسم الى عشرة أقسام فيكون مجموع الأقسام (٣١٠) قسما والقسم يوم وكانت هذه الصور الاثنا عشر التى ترمز الى الملائكة ترأس منطقة فك البوج القديمة للصربية فى أقسامها كافة . ثم لما جاء اليونان بمصر ونشروا منطقهم الفلكية جعلوا كل ثلاثة من هذه الصور تقسم من الدائرة



وبهذه التجزئة بقيت المنطقة معتمدة للآن لدى علماء الفلك ويشاهد في نفس المنطقة وفي أقسامها بعض نجوم رصدها المصريون قديما كالمائة المشتبهة على ثمانية من اللذين الغلولى الأبدى الجانبين على الركب وعلى الثعبان الكبير المتوج بالتاج (اتف) وتبتدى المنطقة في أعلى هؤلاء للذين يبرج الأسد ثم بواسطة البرج الأخير وهو السرطان تدخل في الدائرة للموضوعة فوق الأسد بحيث يتكوّن من الجميع شكل حلزوى ويرى في داخل الدائرة أن الكواكب قد رسمت كل حصة معا في هيئة رجل تدير الموباينا

قال (شامليون فيجاك) من تأمل هذه الدائرة وجدها مبتدئة في وسطها يبرج الأسد المرسوم كالسبع السائر فوق ثعبان ومن خلفه امرأة . ثم يبرج السبلبة وهي امرأة في يدها اليسرى سبلبة قح ثم يلي ذلك من الجين الى اليسار برج اللبزان بكفتيه ثم برج العقرب ثم القوس نصفه انسان ونصفه الآخر ثور وله أجنحة ثم يليه الجدى نصفه ماعزى ونصفه الآخر سمكى ومن بعده الثور وهو كرجل يصب الماء من إناه بين يديه ثم الحوت وهو أسماك مجتمعة في مثل محصة بإشارة الماء ثم الحمل وهو أول البروج اليوم عند علماء الفلك وبعده الثور وكلاهما مرسوم فوق صورة انسان سارو بينهما الجوزاء ثم السرطان . هذه هي البروج الاثنا عشر للرسمه داخل المنطقة ولأجل الوصول الى معرفة ترتيبها والوقوف على أول بروجها نكتفي بالتأمل الى السرطان إذ هو الموضوع مباشرة فوق رأس الأسد . وعليه فالاثنا عشر برجا موضوعة على شكل حلزوى وتعرف الكل بسهولة لأن مبدأها الأسد كما تقدم . أما غيره من البروج فينبه مرتبه - حسب ترتيبه الوارد في المنطقة . وأما بقى الصور المنتشرة في دائرة المنطقة فهي نجوم أشهرها الشعرى الجبانية وهي للرسمه كالبقرة فتراها نائمة في سفينة وعلى رأسها نجمة وفي جيدها هذه العلامة ( ♀ ) الدالة على الحياة وهذا النجم يعرف عندهم باسم (أسيس) ويتبع هذا الفصل (جوهرة) الجوهرة الأولى في عجائب هذه الصور الفلكية المصرية . الجوهرة الثانية في فوائد ذلك للسلمين

### ( الجوهرة الأولى )

أنظر أيها الذكى في هاتين الصورتين . لقد تبين فيهما ما في علم الفلك من ثوابت وسيارات وما عرف الناس من البروج الاثني عشر . وانظر كيف تجلى ذلك في الصورة الأولى التي وجدت في قبر حتر مرسومة على صندوقه بهيئة صفتين عن يمين وشمال وفي صورة معبد (دندره) بهيئة شكل حلزوى عجيب وكيف أمكن القوم أن يبينوا في صورة على مقدار راحة اليدين الجهات الأربع وأيام السنة وفصولها وشهورها وبروجها وقد رسموا ذلك بصور آية في الحكمة وآية في السعة وغرائب الابداع . ههنا تجلى معنى القرآن ههنا تجلت بدائع الفرقان . ذكر الله في أول السورة الشمس والقمر ونورها وحسابهما وذمّ للمرضين عن ذلك . وههنا أبان أن للانسان صنعا في ذلك وذمّ للمرضين عنه . إذن الله يذمّ للمرضين عن صنعه وللمرضين عن صنع عباده . ألا ترى رعاك الله أن صنعه قد تجلى في الصور المرسومة في أول السورة مثل صور أوجه القمر ومور سديم المرأة المسلسلة وسديم الأسد وصورة الجرة . هذه هي الصور التي لم تمسها يد البشر وإنما وضعت في السماء بيد خالقها ورسمت على قرطيسنا بضوء شمس . ثم انك ترى هنا صورا أخرى رسمت بيد العباد من آلاف السنين لتجمع أشتات الصور السماوية وتبين للناس مناظر السماء وبروجها موحدة بأشكالها حتى تكون أسهل مأخذا وأوضح تصورا وأقرب فهما . جلّ الله وجلت الحكمة . ههنا (رسمان) الصور السماوية رسم في أول السورة بيد الله ورسم هنا بيد العلماء . ذمّ الله للمرضين على الصورتين ولم يفرق في التسمين من أعرض عن الآخرة ومن أعرض عن الأولى بل ان صور قديما المصريين الصائعين أقرب الى الفهم لأنها صور معدة للدراسة وأقرب الى الأذهان ألا إنهاهى أشبه بكتلة المخ الانسانى ترسم عليه صور شتى فيحفظها . هكذا الصور الفلكية لقديما المصريين جمعت شتات علم الفلك فصارت

كثرة للنجم وهي صغيرة تزيه كل علمة وتقر . انتهى الكلام على الجوهرة الأولى

### ( الجوهرة الثانية في فوائد ذلك للسلمين )

رب مطلع على هذا يقول كيف ساع لك أن تعرض على قراءة علوم القساء وهم قوم عباد أوثان .  
أليس القرآن ينتينا . أقول هذه شبهة قد نشرها إبليس بين السلمين ليجمعهم عن ربهم ويضلهم تلقه .  
لم يقل أحد من علمائنا أن هؤلاء قوم محكوم عليهم بهنم بل أجعوا أن أهل الفترة ناجون وإن غيروا  
وبدلوا وعبدوا الأوثان . فالأم التي لم تبخها دعوة نبي تحاسب على مقتضى عقائدها وليس محكوما عليها  
بالحلاك . فهذه شبهة خاطئة . وأيضا هب أنهم ضالون فهل ضلال قوم يمننا عن أخذ ما ليسهم من  
المنافع . اللهم إن كل قوم يحرمون ذلك فهم قوم ضالون . وكيف يحرم الناس ذلك وقد قال الله - أظلم  
يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لاتسمى الأيسر ولكن تسمى  
القلوب التي في الصدور . يقول - لهم قلوب يعقلون بها - ولم يبين أي معقول يعقلون أعلى يدكافر هو أم  
على يد مسلم . وإذا كان ابن آدم يقول في سورة المائدة كما مر هناك - يوليئني أعجز أن أكون مثل  
هذا الغراب فأورى سواء أخى - أى إن الانسان يتلقى العلم عن الغراب ويأخذ الحكمة عنه اذا وجد نفسه  
مقصرا عنه في فضيلة أو عمل ما . فإذا رأى الغراب يدفن أخاه يكون من النقص أن لا يدفن أخاه . فكما  
تحسر ابن آدم على نفسه بالنسبة للغراب . فهكذا يتحسر المسلم على كل ما يمكنه علمه مشتق من علم الطيور  
وبالأولى ما كان من علم الانسان . والمتحسر على نفسه عن الغراب يكون أكثر تحسرا على نفسه عن  
الانسان الذي هو أقرب اليه وهو من جنسه . وهذا هو المقصود في هذه الجوهرة يعني اننا نكون في  
حسرة وتقش شديدتين اذا سبقتنا أوروبا التي هي في زماننا . وإذا سبقنا قسما للمصريين ولم نعلم ما علموا  
فن تحسر على معرفة الغراب في دفن أخيه الغراب فما أخواه أن يتحسر على علوم مكتوبة له مرسومة  
على ألواح مرصودة في المقابر مهيتة له ثم هو يولى معرضا عنها حتى عليه قول الله - يا حسرة على العباد الخ -

### ( حكاية الخلة وسيدنا سليمان عليه السلام )

ويأيت شعري اذا كان نبي الله سليمان عليه السلام يقول - يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا  
من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين - ثم أخذ يذكر قصة الخلة التي سمعها في وادي الخمل تقول - يا أيها  
الخمل ادخلوا مساكنكم لا يحطنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - . سمع الخلة سليمان . فإذا فعل  
(١) تبسم ضاحكا من قولها (٢) - وقال رب أوزعني - أي الهمني - أن أشكر نعمتك التي أنعمت  
علي - (٣) - وأن أعمل صالحا ترضاه - (٤) - وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين -

تبسم سليمان فرحا بأنه عرف ما قوله الخلة واعترف الله عليه وعلى والديه وطلب من الله أن يعمل  
صالحا الخ . فيقول سليمان الله علم منطق الطير وأوتى من كل شيء . ويقول إن هذا فضل مبين . فإذا  
كان منطق الطير مع ما عطف عليه فضلا مينا فما بالك بمنطق الحكماء والعلماء من نوع الانسان . إن  
الانسان اذا عرف ما عطف به الحكماء وما دونه في الألواح والكتب والطوليب يكون أولى بالشكر والاقرار  
لله بالفضل . إن العلم المودع في الانسان أعلى من العلم المودع في الحيوان . فاعلان النبي سليمان شكره  
لله على علمه بمنطق الطير حتى لتعوى العقول أن يعرفوا نعم الله فالتوا من حكمة الحكماء وعلم العلماء .  
اللهم لم يبق بعد هذا البيان عند لأم الاسلام بعدنا . اللهم قد أبنت بفضلك لهم ما يجب عليهم من العلوم  
وقل الحكمة . إن المسلمين بعدنا هم الذين يعرفون ما قرأته جميع الأمم وما ظهر من عجائب هذه الدنيا  
مررت على السلمين قرون وقرون وهم نائمون بعد العصر الأول أناسهم شيوعهم المفرزون قتل أولو  
الأبواب وذلت الأعقاب وهذا أوان استيقظهم فليكونوا فيما مضى أشبه بحيوان عاش في بيضة ضار دودة

ثم فيلجئة كدودة القز • وهاهو ذا قد جاء أولن استيقاظهم وبناء مجدهم فيكونون أشبه بذلك الحيوان وقد حل وثاقه وصار في حرية يتجسس باللسع والشجر وأعمال الأزهار اه

فهذا هو قوله تعالى - فالיום تنجيك بيدك لتكون لمن خلقك آية ولن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - انتهى

### ﴿ ذكرى أيام الشباب وشكر الله تعالى على نعمة العلم والرفان ﴾

قد ذكرت في سورة الأنعام أن عويل نساء قريتنا على عظم من عظمتها كان ذلك يورثني حزنا على جهلى • وأوضح الآن أكثر إصاحا فأقول • لقد كانت هذه حالى أيام الشباب فكنت اذا سمعت الندابات يندبن بهمة منظمة موسيقية تحدث في قلبي رقة وآلاما على جهلى بعم الفلك لأنى كنت أنظر إذ ذاك إلى النجوم في الليالى المظلمة وهى تلمع خلال النخيل المحيط بالقريه فكان يخيل لى أن أسواهم وترفع في طبقات الجوق صاعدة وأنا أصعد الأنفاس حزنا على جهلى بعم هذه النجوم • وثارة كانت تحدث هذه حزنا في نفسى على الآثار التى خلفها الأولون وأتخسر وأحزن على ما أودع فيها من عجائب • ولست أدري سبب اقتران بكاء النساء بهذا ولا بذلك ولكن هذه كانت حالى وقد كنت أيام الصبا قبل المراهقة أبيت في الحقل مع أقاربي فأسمع طنين الناموس في الحقول فاحسن في نفسى يحزن عميق على جهلى بهذه الدنيا وهذا الوجود وكأن ذلك الطنين أرسل لى ليدكرنى بالجهل الطويل للمتدكامتداد هذه الدنيا فلا أدري أوائلها وأواخرها • هذه كانت حالى أيام الصبا وحالى أيام الشباب • أفلا يحق لى الآن بل أفلا يجب على أن أشكر الله وأعلن فضله على إذ جمعت من عجائب وغرائب النجوم والأفلاك صورا جيلة وبدت بهمة طريقة قد زينت للناظرين وبض هذه الصور إلهية وبضها بأيد بشرية مدفونة تحت أطباق الترى كما كنت أجد في نفسى أن فى السماء عبدا وفى الأرض وآثارها المدفونة خبرا • اللهم انى قد علمت من ذلك حلى قدر الطاقة البشرية وأدركت بعض نظام هذه الدنيا • فأنا اليوم أحمده وأشكره على فضلك العظم ومنتك الكبرى إذ أرى بنى من عجائب كواكبك ومن غرائب خزائن الآثار التى رسمها القمصاء وقد انقلب حزنى في الشباب على الجهل سرورا في الشباب على العلم والحكمة والهدفة رب العالمين • انتهى

### ﴿ الفصل الثانى فيما يجوز من الصور وما يتجنب ﴾

ولما أردت أن أصنع صورة البروج المستخرجة من قنماء المصريين المذكورة حضر صديق لى من قراء هذا التفسير وهو من أهل العلم الصالحين المطلعين ومن قرائى وهو الشيخ محمد السيد دياب فقال كيف تضع صورا فى التفسير والتصوير حرام • فقلت إن الصور على (نوعين) نوع ورد ذكره فى الأحاديث وكلام العلماء ونوع لم يرد • أما الذى ورد ذكره فى الأحاديث وكلام العلماء فهو (قبحان) التصوير الذى له ظل والذى لا ظله والأول منهما محرّم بالسنّة وقد شرط له العلماء أن يكون على هيئة يعيش بها الخ • القسم الثانى مباح لما روى عن زيد بن خالد رضى الله عنه أن أباه طلحة حدثه أن النبى ﷺ قال لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة قال يسر ففرض زيد بن خالد فسدناه فاذا نحن فى بيته بستر فيه تصاویر فقلت لعبد الله انحولانى ألم يحدثنا فى التصاویر فقال لله قال الأرقا فى ثوب ألا سمعته قال لا قال بلى فذكره • وروى الترمذى يستند أنه دخل على أبى طلحة الأنصارى يصوده فوجد عنده سهل بن حنيف فقال فدعا أبوه طلحة انسانا يزرع بقطا تحته فقال سهل لم نزرعه قال لأن فيه تصاویر وقد قال النبى ﷺ ما علمتم قال أولم يقل إلا ما كان رقيا فى ثوب فقال بلى ولكنه أطيب لنفسى وقال الترمذى حسن صحيح • وروى أن عائشة رضى الله عنها كان لها قمرلم (ستر) سترت به جانب بيتها فقال لها النبى ﷺ أميطى عنى فإنه لا تزال تصاویره تعرض فى صلاتى اه وجاء فى صحيح مسلم وأبى داود والنسائى والترمذى عن أبى هريرة أن جبريل أمر النبى ﷺ أن يأمر

بالستر الذي فيه تماثيل فيجعل منه وصادتان توطآن . فهذا يدل على أن تلك الصور ترجع الى للتصود منها وهي مباحة

أما النوع الثاني لم يرد ذكره في الأحاديث ولا كلام العلماء فهو التصوير الشمسي وما هو إلا صور رسمها الله بشمسه فاحتال الناس على سكوتها فسكت كما يرى الانسان صورته في المرآة فهل يباح لنا أن نراها فيها ولا يباح بقاؤها انها من نوع الظلال الشمسية ومن حرم الظلال الشمسية تحت جبل أو حائط أو جبل فقد اغلغ من عقله ودينه مما . فالصورة الشمسية لم ترسم بأيدينا والنظر اليها كالنظر الى الظلال المعروفة على أن هذه كللهجات القرآنية في هذا الزمان . يقول الله سبحانه - ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا - فهاهنا ساكونه المرموزة في الآية . فقال الشيخ محمد السيد إذن هذا مباح . قلت بل هو واجب . فقال أين الدليل . قلت هو هنا للتعليم والتعلم واجب ومالايم الواجب إلا به فهو واجب كما يقول الشافعي رضي الله عنه في غسل المرفق مع غسل النراع . قال وهل هذه تعاليم اسلامية . قلت بل هي لب الاسلام وقلبه . انها صور البروج والبروج تشمل المنازل المذكورة في هذه السورة في قوله تعالى - وقتره منازل - فكيف يعرف الناس المنازل إلا برسمها فهي تفسير للقرآن وهي توحيد لله تعالى وهي شكره . إن التوحيد هو العلم بما هو في هذا الوجود وهذا الوجود لا يعرف إلا بأمثال ما ذكرناه وهو من ملكوت السموات والأرض الذي أراه الله ابراهيم الخليل فقال تعالى - وكذلك ترى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - فهذا يكون الايقان الذي هو أرقى من الايمان . ومعلوم أن الشكر علم وحمل وهذا لب العلم وهو الذي حضه النبي ﷺ على تعلمه فقال ﴿ نحن أحق بالشك من ابراهيم ﴾ ومعنى هذا أن علينا أن نبحت ونبحث حتى نوقن ولا معنى للبحث والجد إلا في علوم هذه الكائنات التي يكون بها اليقين تشبها بالخليل عليه السلام الذي نظر فيها وأيقن وإن كنا لاضل الى مقامه . فقال ذلك الصالح ولم خست الرسم بما قل عن قدام المصريين . فقلت أولا إن هذه أرقى وأكمل من غيرها في التعليم (ثانيا) أن الله سبحانه ذكر المنازل في هذه السورة ثم جاء في نفس السورة فذكر فرعون وهرون قسما المصريين وقد جعل بقاء جسمه آية فنحن نرى للناس بعض هذه الآية التي وجدت في مقارهم لنخلص من الغفلة عن الآيات في قوله - وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - فهاهنا استبان أن الغفلة عن آيات الله (ومنها الآيات التي خبأها الله في قبور القراعتة) منومة منهي عنها وهذه الأسرار لم تظهر إلا في هذا الزمان فوجب علينا أن نظهر للناس أن القرآن قد أشار الى علوم قدام المصريين وهذا منها لاسبأ أنه هو المذكور في نفس السورة وهي صور البروج والمنازل . فهذه العلوم من جهة فرض عين على كل قادر على الازدياد من التوحيد ومن الشكر وفرض كفاية بحيث يكون في الأمة من يعرفونه مثل جميع العلوم والصناعات (ملخص ما تقدم )

إن هذه الصور وضعت فيما هو فرض عين على كل قادر من (وجهين) وجه التوحيد ووجه الشكر وفرض كفاية على الأمة بحيث تخصص له جماعة يقومون به من وجهين أيضا وجه أنه علم الفلك ووجه أنه علم قسما المصريين فيكون ثوبه هنامضاعفا والقائم به قائم بفرضين معا لكفاية الأمة . ثم قلت له أبها الفاضل لنفرض أن أحاديث الجواز وإباحة الصور لم ترد وأن حديث أبي طلحة وهو قوله ﷺ لا تدخل للملائكة بيتا فيه صورة لم يذكر فيه ما يصد وهو إباحة التصوير اذا كان رقا في ثوب . وبالأجل لنفرض أنه لم يرد شيء من الحل ولم يرد إلا انتهى فهل نمنع رسم الصور . قال نعم . قلت له قد ورد في رواية من نفس هذا الحديث (لا تدخل للملائكة بيتا فيه كلب أو صورة) قال أذكر ذلك . قلت إذن سوى الحديث بين الكلب والصورة . قال نعم . قلت فهل هناك نهى عن كلب الصيد أو حراسة الضم . قال لا . قلت

لمذا . قال لأن كلب الحراسة ينفعنا لحفظ غنمنا . قلت ثم ماذا . قال وأيضاً كلب الصيد يفيدنا في حياتنا  
 نأكل مما يصاد لنا . قلت إن الصوري عصرنا الحاضر أتبع لنا من كلب الصيد و كلب الحراسة انها تحرسنا  
 وقيدنا . قال هذا لا أعقله . قلت أنت تعقله ولكنك تريد أن تعلم الناس قال حقا . قلت له أعلم أن  
 الناس اليوم في أوروبا وأمريكا واليابان و بلاد الترك قد عرفوا من العلم ما يجهله كثير من الناس . ذلك أن  
 الحيوانات على ( قسمين ) قسم نراه وقسم لا نراه والذي نراه بالنسبة لما لاراه قليل جدا . إن جميع ما على  
 الأرض من الأنعام والبهائم والحشرات والطيور لا تساوى في تعدادها ما في جسم رجل أصابه طاعون أو حى  
 أو مرض الجدري أو الحصبة أو حى التيفوس أو حى التيفود . فهؤلاء جميعا لا يمرضون ولا يموتون إلا بحيوانات  
 دقيقة تحدث ذلك . وقد احتال علماء هذه الأمم فصوروا تلك الحيوانات وعرضوها على الناس وهى مكبرة  
 ألف مرة وعشرة آلاف ومائة ألف فظهرت خراطيمها مع أجسامها ففرها الناس فاحترسوا منها بأن أتوا بها  
 يصادها فأهلكوها فأنجوا كثيرا من الناس بذلك ولولا ما فعلوه ما بلغ قتلنا المصرى اليوم (١٤) مليوناً  
 بعد أن كانوا (٣) ملايين أيام المرحوم محمد على باشا تقريبا . وهكذا جميع الأمم . وأيضاً هذه الحيوانات  
 وغيرها لما رسمت في الكتب وظهرت صورها عرف الناس جمال ربهم وحكمته واتقاه وأبداه فأنموا به  
 الأثرى الى ما ذكرته لك في سورة الأعراف عند قوله تعالى - ورحمى وسعت كل شئ - فقد قلت لك  
 هناك ان علماء القرن العشرين من المعاصرين لنا في أوروبا أدهشهم نظام ربهم في حيوانه فقالوا إن علماء  
 القرن التاسع عشر أكرأهم في العالم كآراء الجباز وهو أقرب الى الخرافة إذ يظنون أن هذا العالم جاء  
 بالمصادقة والانتخاب الطبيعى الخ . فإذا كان هذا شأن الصور الحيوانية المكبرة اذا فرضنا أنها مرسومة  
 بأيدىنا . أفلا تسأوى تلك الصور كلاب الصيد و كلاب الحراسة . وإذا جاز لنا أن نحرس غنمنا  
 بكلبنا ونصطاد الغزاة به والصيد واقتناء الغنم مباحان وقد خرجنا بذلك عن كراهة اقتناء الكلب أفلا نخرج  
 عن كراهة الصور وأنحريمها اذا كانت مرسومة في الورق . قال أما هذا القول فهو حسن . قلت ماذا تريد  
 بحسنه . قال انه يثبت الجواز ان لم يرد في الحديث جوازه مع أن الأحديث تفتت بجوازه . قلت ليس  
 هذا جوازاً إنما هو وجوب وكيف لا يكون وجوباً ونحن لو تركنا معرفة هذه الحيوانات وسرنا رسمها على  
 أطباقنا لجهلوا أمرنا ولنفتكت بنا تلك المخلوقات أفلا يكون ترك ذلك حسوا . قال بلى . قلت إذن  
 حراسة الانسان والحيوان من الطاعون والموت أفضل آلاف المرات من حراسة غنات في البادية لاعرابى .  
 قال نعم . قلت إذن رسم الصور وتكبيرها يكون واجباً (لأمرين) معرفة الله وشكره . وحفظ الأمم  
 الاسلامية من الهلاك . فقال يا للجب إن هذا القول جليل وإن من البيان لسحرا وأود أن ينشر هذا  
 القول بين المسلمين لأن هذه الأمة قد رسخت فيها هذه العقيدة وأكثرت الناس لا يعرفون بين صورة وصورة  
 ولا بين حالة وحالة بل الناس غافلون نائمون يسمعون تحريم الصور فيأخذونها على علاتها والعمية يتبعون  
 صفار العلماء وصفار العلماء أعينهم في غطاء عن ذكر الله ومن الطاء عن ذكر الله أن تخفى صور الحيوانات  
 العجيبة فلا يظنون لها . فالمسلمون اليوم وقعوا في برأتين أسدين مفترسين أسد جاء من الخارج وهى الأمم  
 الرافقة يذلونهم ويغترونهم للجهل الفهم عليهم . وأسد من الداخل وهم صفار الفقهاء في الدين الذين  
 تمسكوا للفتيا واتبعهم الناس وأعينهم في غطاء عن ذكر ربهم فصاعت الأمة فريسة للأسيدين أسد الأعداء  
 الخارجين وأسد الأعداء الداخلين يجهلهم وهم الأعداء حقيقة وفي المثل (عدو غافل خير من صديق جاهل)  
 فهؤلاء أسدقاء جاهلون يحفظون كلات ولا يفقهون معناها فان الله وأنا اليه راجعون . وقد قال الامام  
 الغزالي رحمه الله تعالى (إن من يضر الدين بطريق الجهل أضرت عليه من أعدائه وانصرو الاسلام أكثرهم  
 جاهلون) . قلت له لا تأسف ولتعلم أن الله أذن للمسلمين اليوم بالارتقاء وهذا التفسير من مقتضات تلك النهضة

فلا يكن في صدره حرج مما ابتلى به المسلمون من الجهل والله على كل شيء وكيل . فقال أنا كما قدمت موقن بهذا الموضوع ولكن بهذا البيان أفرح ليطلع عليه المسلمون وإن قد اطلعت في تفسير الفاتحة الذي نشر حديثا في كتاب خاص أنك ستكتب في النحل وفي العنكبوت وغيرها بحجاب لا تحصى فأنا أود كما يود أهل العلم جميعا أن ترسم تلك الحيوانات بالتصوير الشمسي لئلا يرى بأعيننا تلك الحيوانات مكبرة فنرى أرجل النملة والنحلة الست ونرى أرجل العنكبوت الخمان وهكذا وإذا كانت عاورتى معك قصدت منها أن يطلع المسلمون في بلاد الاسلام وأنا قبل ذلك مقتنع بحديث مسلم وغيره فاني أود أن أقابل أكارب علماء الحنفية والشافعية والمالكية وآتى بأرائهم ليوضح هنا حتى يكون رسم الصور اجابعا بمن يستدبرهم . فلما اطلعت على ما كتبه جماعة من هيئة كبار العلماء بالجامع الأزهر من اللذاهب كلها رأيت انهم اتفقت آراؤهم واختلفت عباراتهم ورجعوا جميعا في اللحن الى أمر واحد وهو جواز التصوير الشمسي كالنبي يصور في هذا التفسير وهذا نص ما قاله شيخى وأستاذى بالجامع الأزهر شيخ السادة الشافعية ومن هيئة كبار العلماء بنصه قال ﴿ التصوير المحرم انشاء صورة تشبه صورة الحيوان بخلاف حبس صورة حيوان بنحو زجاج فليس بتصوير ويحتد لاحرمة بل هو مثل حبس الصورة بالمرآة وهذا الحبس ليس بمحرام ﴾ ونحاه نحوه صديقنا الشيخ يوسف السجوى من كبار علماء المالكية وهكذا غيره . فلما قرأت ما ذكر قلت له الجواز لا يكفي بل هنا يكون الوجوب لأن العلم لا تظهر حقايقه في هذا الزمان الذى انسمت فيه دوائره إلا برسم صور الخلوقات الحية وغيرها كما قسم

وإذا سمعنا رحمته يقول لعائشة أميضى عني فانه لا زال تصاوره تعرض في صلاتي فانا نفهم منه أنه لم يمنعه من ظهوره أمامه في الصلاة إلا أنه شغل عنها . إذن التصاور شغلته في الصلاة فأمر بليلتها . إذن إذا كانت التصاور تعزفتنا جمال الله وحكمته في كتبنا التي ندرسها فانا لا نعطها ولا نبصدها لأنها مذكرة بقلته وبجماله . إن العلماء استنجدوا من وجودها عنده وأمره بالامالة في تلك الحال أن الصور التي لا تظلم لها مباحة . فكيف بنا إذا رأينا صور الكتب التي ترشدنا الى جلال ربنا ونظام حياته . فهل هذه تعطى كلا والله . ثم كلا بل للفهوم من الحديث أننا نقيها جوابا أو نبدأ

### ( تذكرة )

بعد أن كتبت هذا زلزلني أحد الفضلاء فطلعت عليه فقلت . إن ما أبديته من الأدلة كاف في جواز بل وجوب الصور الشمسية لاظهارها الخفايا والمغائبات كي يحيط الانسان علما بما في هذه الحيوانات من العجائب ولكن هذا ليس ينتفع به جميع المسلمين وهذا التفسير عام لا يختص بأهل سنة ولا بشيعة ولا بأمامية ولا يزيدية بل هو كتاب علم . وفي هذه الطواف من لائقه البراهين العقلية ولا تكفيه الأدلة الحكمية . وإنما يقول على نصوص القرآن أو الحديث وما عدا ذلك يضر بون به عرض الخاطئ . فهل لك أن تذكر ما يناسب الصور الشمسية من الآيات القرآنية ولا تقف عند ما ذكرت من قوله تعالى - ألم ترالى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا - وأن هذه الصور انما هي من أشعة الشمس واحتال الناس عليها فأسكنوها فان مثل هذا لا يجتزى به ذلك الفريق من المسلمين . فقلت إن تصوير الكبير وتكبير الصغير قد جاءهما في غزوة بدر . ألم تر أن الله يقول - وإذا بر يكومهم إذا التقيم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا - ويقول - إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراهم كثيرا لفشتم ولتنازعتم في الأمر - فهنا صغرة الله الكبير كما رسمت صور السباء في هذه السورة مصغرة . وهكذا صور الحجرة وأنواع السديم فهذه قدر رسمت لنا مصغرة لكي تكون أمانا . أما هي فلا حصر لعظمتها فهناك صغرة الله المسلمين في أعين الكفار وصغر الكفار في أعين المسلمين عند التقاء وصغرهم في عين رسول الله ﷺ في المنام . كل ذلك ليقدموا على الحرب . وههنا صغرت صور الحجرات وأنواع السديم ليدفعنا هذا لمراسمتها . فهناك التصغير

لايقاع الحرب لينتشر الاسلام والمسلم . وهنا وضعت أمامنا صور الكواكب والأرض وغيرها في العلوم جميعها  
كالجغرافيا والنبات والحيوان والفلك وعلم طبقات الأرض لنقلها وتعلمها . فالتصغير هناك للحرب والحرب  
لنشر العلم وهو دين الاسلام . والتصغير هنا لتجهد في البحث فنظم فكلادها العلم صغر جيش الكفار في  
رؤيا النبي ﷺ وفي أعين الصحابة عند التفاه الجيشين لنشر العلم . وهكذا هنا صغرت هذه الخلفيات  
بالتصوير النسبي لنشر العلم . فقال صاحب هذا والله أعجب العجب . إن هذه أمور لا تحضر بالبال واستنتاج  
غامض ولكنه حق ولكنه لا يزال ناقصا أنت الآن عرفتنا تصغير الكبير ولكنك لم تأت بما يدل على تكبير  
الصغير ولا يكفيها قوله تعالى - ولوأراكم كثرنا كثيرا لتنتهون وتتنازعتم في الأمر - لأن - لو - تدل على الامتناع  
فهنا أطلب منك أمرين ( الأمر الأول ) ما المناسبة بين رؤيا النبي ﷺ ورؤية الصحابة جمع الكثرة من  
أعدائهم جمع قلة وبين التصوير النسبي ( الأمر الثاني ) أين تكبير القليل . فقلت له الرؤيا عبارة عن  
انطباع صور في الخيال التي اصطالحوا على أنه في مقدم السماع . فلما رأى الانسان شيئا في المنام فضاء أنه  
انطبع في مخيلته لا أقل ولا أكثر . فالتبني ﷺ لما رأى الأعداء قليلا انطبعوا في الخيلة قليلا وهكذا  
لما رأى الصحابة رضى الله عنهم أعداءهم طبعوا في الخيلة عند كل واحد منهم قليلا بعرض سبأوى لانعله  
وحصل لهم في اليقظة ما حصل للنبي ﷺ في المنام وهذا أمر سهل والصورة الشمسية ما هي إلا مطبع على  
جسم من الأجرام بأشعة الشمس وهذا الطبع يقتل بنظر العين إلى الحس المشترك والحس المشترك يوصله  
إلى الخيال فربح الأمران إلى التصوير النسبي ورؤية الصحابة ورؤيا النبي ﷺ إلى النتيجة وهي وجود  
صور في الخيلة لا أقل ولا أكثر وبهذه الصور تكون نتائج على مقتضاها فيكون الاقدم على الحرب هناك  
والاقدام على التفكير والعلم هنا . أما ( الأمر الثاني ) وهو تكبير القليل فهو لئلا كور في غرورة بدر  
أيضا . ألم يقل الله تعالى في سورة آل عمران - لقد كان لكم آية في فتنة التيقتا فتاة قتلت في سبيل الله  
وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء - فانظر كيف أبدعهم بالنصر إذ جعلهم في  
أعين العدو ضعف عدده وعدد العدو كان نحو ألف . إذن يكون جيش الصحابة صار مقدرا نفسه نحو ست  
مرات ومقدار جيش العدو مرتين لأن جيش الصحابة نحو ثلث جيش الأعداء . فهنا لما التقى الجيشان  
وكان كل منهما يرى الآخر صغيرا صار أصغرهما أكبر من أكبرهما لما أراد الله نصر ذلك الأصغر فأراهم  
للآخرين ضعف عددهم . فهذه الآراء قد جعلها الله لنصرهم على عدوهم . هكذا هنا اذا نحن كبرنا  
صور الحيوانات الصغيرة كالحمل والنحل والمنكبوت والحيوانات القلبية التي تكون سببا في الحى والجندى  
وأمثالها نال علما . وذلك أننا زبد بقلته علما فتوحده ونشكره ويطالع الحيوان فهما فتعاشاه وتركه  
وتكثير جوعنا وتقل أمرنا . ثم قلت إذن التكبير والتقليل قد جاء في القرآن والله عز وجل أنزل ذلك  
في القرآن ليعلم المسلمون أنهم سادت هذا العالم . فليصفروا الكبير لهذه الرسوم الكوكبية والجغرافية  
وغيرها حتى يستطيعوا دراستها . وليكبدوا الصغير حتى يتمكنوا من فهمه وتقله . فلما سمع ذلك صاحب  
قال الآن عرفت أن هذا القرآن لا يزال بكرة وأن آياته لم تزل محجوبة عن الناس . ها نحن أولاء نقرأ  
هذه الصور صباحا ومساء ونكرر تقليل الكبير وتكبير القليل والناس حولنا قد اتهلوا من ينابيع العلم  
وكرعوا من أنهر الحكمة والمسلمون هم الساهون اللاهون . تصفرا الأم الصور السالوية والمناطق الأرضية  
وتكبير الحيوانات الصغيرة وذخمت طلع الأزهار في الأشجار ونعرف مستر كل شئ ومستودعه والمسلمون  
لا يمتدحون بما في القرآن ولا يشكرون . أن الصور التي رسمها الناس كلها ترجع لذهن تصغير كبير لتقريبه  
وتكبير صغير لا يمكن فهمه . هذا هو أول العلم وهذا آخره والقرآن ذكر الأمرين معا في نفس القرآن  
لجلل التصغير لا أقدم على الحرب والتكبير لفصل الخطاب وإيقاع المزية ونصر من يشاء . فقلت له إن في

قوله تعالى - إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار - إشارة إلى ما ذكره الآن . فالعبرة في الآية ترجع إلى نصر جند الله مع قتلهم وخذلان الكفار مع كفرتهم وهذا الاعتبار قد سار شوطا بعيدا باجتهاد الأئمة كالشافعي إذ جعل القياس مأخوذا من هذا الاعتبار ونحن نقول ويقاس على تكبير الصغير هناك وتصغير الكبير ما ذكرناه هنا ويكون ذلك اعتبارا لأولي الأبصار والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اه

قال صاحب أرجوان فصل فوائد المسلمين في تصغير الكبير وتكبير الصغير . قلت سيقوم المسلمون قومة رجل واحد على علوم السموات وعلوم الأرض من القارات والمعادن والنبات والحيوان والانسان ورسموها ليفهموها مصفرة ثم يرسمون أيضا الحيوانات الترابية الصغيرة فيكبونها وينتفون بكل موجود صغيرا أو كبيرا لأنهم بهذا يقدرون على فهمه . واعلم أن المسلمين أقدموا على ذلك ولكن باعتبار أنه لاعلاقة له بالدين . أما اليوم فانهم سيقدمون عليه باعتبار أنه من الدين . وسنرى في هذا التفسير ان شاء الله تعالى عجائب الحيوانات وغيرها مكبرة . ونرى رسوما مذهنة كما ترى في سورة النمل فهناك صور مساكنه مكبرة ومزارعه التي يزرعها ويحصدنها ويخزنها . ونرى فيها طرقا زراعية جميلة يقرأها أهل أوروبا بالإنشيم ويفرحون بعمل ربهم والمسلمون محرومون من جلال ربهم وقد آن أوان ارتقايتهم - ولنصرن الله من نصره إن الله قوي عزيز - والحمد لله رب العالمين اه

( الفصل الثالث في الكلام على بناء الاهرام لأنه من أسباب النجاة لبعض أبدان الفرائصة )

ظهر جلال الله للأمة قديما وعمل لم بنجومه الباهرة وأنواره الظاهرة . يا الله أنت سلبت العقول وسخرت النفوس وأخذت الأفئدة وأذهت جبك في البرية وأترت نفوسا في أرضا وهي محبوسة في هذا الهيكل المنسوب . يا الله تترت كواكبك للدرية في سمواتك العلية وقسمتها مناطق وبروجا وخالفت بين أماكنها وأقدارها وأبعادها وأضوائها وقلت في القرآن - وأشرق الأرض بنور ربها -

يا الله أنت أجهجت العقول وأترت النفوس بنور هذه الكواكب تلك الرافعات في الدياجي الساحرات الطرف الناعسات العوانس . انك يا الله خلقت في هذه الأرض نفوسا أسكتها في هذه الأجسام ثم شرحت صدورها لهذا الجلال وزينته عندها وصرفت أكثر الناس عنه وهم غافلون . وهؤلاء الذين أدركوا هذا الجلال جعلتهم للناس قادة وجملت وجوههم وقلوبهم وأقوالهم وشرفتهم على عبادك وعلمتهم من لدنك علما وأكسبتهم حكمة وجعلتهم للعلم وارثين . كلنا نظروا نجما يتلألأ أو قرا بضيء أو شمسا تشرق رأوا في ذلك سناءك وجمالك وأنت قول في القرآن - وهو الله في السموات وفي الأرض -

من هذه الأمم المصرية . أولئك الذين بهرهم جلالك وشغف قلوبهم بهر نور نجومك فأولعوا بك مفرمين وهاموا في جمالك متميعين . وأرسلت لهم نبيك ادريس الذي يسمونه (هرمس الهرمسة) وأيضا (هرمس المثلث) وأيضا (اخنوخ) وينطق به في هذه الأيام . وقد يقال له (سينوستريس)

هذه أسماء لمسي واحد عندهم . ويسمى بهذا الاسم النجم للمسي (الشعري الإيمانية) أو (كاتب الجبار) وهذا الكوكب أيضا يسمى (نوت) فلترامهم بجمال النجوم الباهرات اختلط عليهم نور العلم الذي أفضته على رسلك ادريس بالنور الظاهري الذي أفضته على هذا الكوكب فأشركوهما معا في هذا الاسم فكلامهما يسمى بالأسماء للتقدمة ما عدا لفظ (نوت) فيظهر أنه خاص بالكوكب المذكور . وقد نسبوا إلى من يسمى بهرمس المذكور أنه كان حاكما في الأرض ووضع بها كثيرا من العلوم وألف مئات من الكتب . ثم إن الكوكب المذكور يظهر مدة الفيض ويختفي في آخر تلك المدة فسموه باسمه وقالوا شهر (نوت) أي الشهر الذي يظهر فيه المعبود (نوت) وهو خفي السها وملك الكواكب ويقي الشمس من الوقوع في الهاوية المهلكة وهو للوكل بكتابة أعمال الأموات يوم الحساب ويسمى لليزان وكانوا يصورونه



قائما على رقعة يكتب فيها موازين الناس . هذا ما كان عند قدماء المصريين في هذا الكوكب

( هذا الكوكب هو قبة المصريين القدماء )

فلما فتحهم جالك وآسنهم أتوار وجهك واجبه حكاؤهم الى مقامك الكريم بنوا مقابرهم بحيث تكون  
أتوار هذا الكوكب ساقطة عليها عمودية لا مائلة ليكون الشعاع أمكن منها وأكثر اشراقا عليها لتتوالى  
الرحلات على ماوصل اليهم في دينهم القديم . ومن هذه المقابر الازهرامات الثلاثة الظاهرة بناحية الجزيرة التي  
تبعد عن النيل ثمانية كيلومترات وثلاثة مئز وهي منسوبة الى (خفر) و (خفرع) و (منقرع) وهؤلاء  
الملوك من الأسرة الرابعة بمدينة (منف) بالقرب من الجزيرة والمهرم الأول منها للأول من الأساء وهو (١٧)  
فدانا والباقيان للأخريين . والحجارة التي بنى بها الأول تكفي سورا يحيط بأرض مصر ارتفاعه ثمانية أمتار  
وعرضه متران ويتشدد من الاسكندرية الى أسوان الى البحر الأحمر ومن السويس الى العريش

وهذه الازهرام الثلاثة التي هي من عجائب الدنيا دعا الى بنائها الاعتقاد الذي إذ ذاك ونحن ليس لنا في  
هذا محل لأن دينا جاء بعد ذلك الذين فهم أم قبلنا لانهم عليهم بل يحكم عليهم التي المرسل لهم وهو  
سينا ادريس عليه السلام وقد قال الله فيه - ورضناه مكانا عليا - وألهم المصريين أن يجعلوا نور ذلك  
الكوكب الجليل ذا وضع عمودي على الهرم كما تقتم . حيث سدأني ذلك الصالح فقال لي . قل لي نورك  
الله بالعلم مامعنى كون الوضع عموديا . قلت معناه أن هذا الكوكب الذي يطلع جهة الجنوب أيام الفيضان  
يسقط نوره على حائط الهرم متجها اتجاهها مستقيما كقطرات المطر تنزل على الأرض فلا تنحرف عنه ولا يسرة  
قال أوضح هذا المقال . قلت إن أستاذي للرحوم أحد أفندي نجيب مفتش وأمين عموم الآثار المصرية  
قل في كتابه عن للرحوم محمود باشا الفلكي أن بناء الازهرام كان قبل الميلاد بنحو (٣٣٠٠) معتمدا في  
ذلك على أن القدماء لما بنوها جعلوا أشعة الكوكب النورية تقع عمودية عليها من جهة الجنوب ليترك  
بها الأموات من داخل الهرم كما أننا نجعل رؤس أمواتنا متجهة دائما نحو القبلة تبركا بالكمية المطهرة .  
وقال وقد علم من رصد هذا الكوكب أنه ينحرف في كل سنة عن وجه الهرم بقدرة ثانية وثلاثي ثانية . وكان  
قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة يوازي في مسيره لمدار الشمس متى كانت في نهاية منطقة البروج أو المنتقل الشتائي  
فقال صاحبي هذا قول لا يفقهه أكثر الناس . فقلت سل . فقال مامعنى كون الضوء يميل ثانية وثلاثي ثانية  
فقلت أنظر هذا الشكل



فالخط (ج د) عمود على (ا ب) فالضوء كان يأتي أيام البناء مستقيما كخط (ج د)  
والقراغ الذي بين (ج د) وبين الناحيتين من الخط (ا ب) يقال لها زووية وهما زاويتان (ا ج د)  
(د ج ب) فهاتان الزاويتان تقسم كل منهما (٩٠) جزأكل منها يسمى درجة والدرجة (٩٠) دقيقة  
والحقيقة ستون ثانية الخ فهذا الضوء كان يسقط عموديا يعني ليس مائلا الى إحدى الجهتين . وكما مررت  
سنة مال ميلا يسيرا جدا وهو ثانية وثلاثي ثانية . والثانية تتكون من تسعدها الدقيقة والثالثة تكون  
منها البرجل . قال فهمت الآن ولكن بقي أمر واحد وهو كيف يتحرك بهذا النور . قلت هذه  
كانت عقيدة القوم سواء أ كانت عن نفس التي ادريس أم كانت من تغيير وضع العين . انما الذي يظهر  
أن أصل هذا الذين كان شرعا ذا جبال وكال لأنه جذب قوس القوم الى المعالي والحكمة والجبال الالهى  
التي يكون الأسقى به أمة الاسلام . فقال وأى دخل لأمة الاسلام في هذا المقام . قلت حياك الله قل لي  
أليس ادريس رفعه الله مكانا عليا . قال بلى . قلت أليس نبينا ﷺ قد أمر أن يبيع الأنبياء ويقتدى

بهم . قال بل . قلت هؤلاء القوم أغرموا بالكواكب وجمالها وحسبوا ويقول الله - والشمس  
 وهما . واقعدا إذا تلاها - ويقول - فلا أقسم بمواقع النجوم \* وأنه قسم لوطفون عظيم - ويقول  
 - والنجم إذا هوى - ويقول - رب المشرق والمغرب - وأخيرا يقول  
 - ربّ الشّمرى - شوق للسلم لتنجيم وجمالها ونصّ على أنه - هوربه الشّمرى - والشّمرى هي (توت)  
 وتوت هذا معبود المصريين وقد دخل في أسماء ملوكهم قبيل (توتعنخ آمون) مثلا وهؤلاء الملوك المغمومون  
 بهذا الكوكب جذبوا إلى مصر في زماننا أعظم العلماء والحكّاء من أوروبا وأمريكا وغيرها . كل ذلك  
 لبشاهدوا تلك العلوم وتلك المعارف التي ذمّ الله من أعرض عنها فقال - فاليوم نتجيبك بيسدك لتكون  
 لمن خلقت آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون -

الحقيقة للنعم التفضل وقد أراى الله في زماننا سر القرآن قد ظهر للعالمين وقد كشف الله بعض آيات العلوم  
 التي تركها قديما للمصريين وأبرز الحرم ومحطات الحرم وما الحرم إلا مقبرة جعلت لتضم عظام بعض الموتى من  
 ملوك القدماء والناس يتقاطرون لينظروا آياته في ذلك مصداقا للقرآن

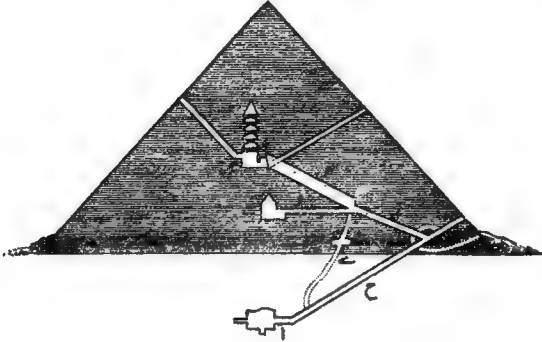
### ﴿ الكعبة وكوكب الشّمرى ﴾

فقال ذلك الصالح . يا حبا إذا كانت الشّمرى وغيرها من الكواكب قد جذبت نفوس القوم وصرفت  
 همهم إلى جبال العلوم فمادام لم تكن لنا إحدى تلك الكواكب قبله بدل الكعبة التي بناها الناس بأنفسهم  
 مع أن الكواكب أجل وأجسى . فقلت لعلم أن الله عز وجل جعل أمّة الاسلام آخر الأمم لتقتبس سائر  
 علومها وقصص الأمم لذلك . ولما كان القدماء المغمومون بالكواكب إذا طال عليهم الأمد قست قلوبهم  
 وجدوا على ذلك الكوكب الذي هو قببتهم وعبدوه ونسوا ربّ الكوكب . صرف المسلمون عن ذلك وجعل لهم  
 الكعبة قبله وفتح عقولهم لسائر العلوم وحضهم على النظر في كل جبل من كوكب وجبل وشجر وخصرة  
 الشّمرى بالله كره قال - وأنه هوربه الشّمرى - فالشّمرى التي عبدها قديما المصريين وبعض العرب كاسياتى  
 في سورة النجم ليست لها بل هي من آيات الله تعالى وهو ربها كما هو ربكم . فالسلم يستقبل الكعبة  
 ويعبد الله بالنظر في عجائب الشّمرى وغير الشّمرى وسيرت علوم الأمم ويقرأ ما قرأه قديما المصريين من  
 عجائب هذا الكوكب وغيره ولما كان النظر في العالم العلوى أهمل ما يطلبه الله قال الله في إدريس - ورضاه  
 مكانا عليا - فليكن هذا الملق لادريس نورا للمسلمين الذين لا يستقنون الوهية في الشّمرى ولا في غيرها  
 ولا يفتنون بكوكب ولا غيره بل يؤمنون الكعبة التي لا يتخيل فيها الوهية كما تخيل القدماء الوهية الشّمرى  
 لأنها تطلع عند الفضان فتصبح القبة كأنها إله لا أنها قبلة . بهذا أصبح للسلم بيده من مظان الكفر  
 بما هو قبلة وفي الوقت نفسه مجنوب إلى النظر في جمال هذه النجوم . فقال صلي عجا لهذا المقام أني  
 لم أر أحدا من المصريين ذكر هذا . فقلت إن هذه العلوم لم تظهر إلا في زماننا . والقرآن عجائب  
 وبدائع يظهرها الله حينما يشاء والنبي ﷺ لما توفى جعل الله في القرآن أسراراً تظهر وقتا بعد وقت  
 كأن النبي ﷺ لا يزال حيا وهذه معجزاته تتوالى ليطمئن الناس ويوقنوا برهم ويزيدوا علما كما قال تعالى  
 - وقول ربّ زدني علما - فالسلم يزيد علما والسلم يقرأ جميع العلوم والعلوم فروض كفايات والمسلم ما دلم  
 قادرا على النظر والفكر فهو مأمور به شكرا لربه وزيادة معرفة

إن للمسلمين في مستقبل الزمان سيكونون أرقى علما من غيرهم . ولهذا التفسير إن شاء الله دخل في  
 تنويعهم إلى كل علم وكل حكمة وكل جبال في الأرض وفي السماء لأنه مصداق لقوله تعالى - سنبهم آياتنا  
 في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - فهذا التفسير فيه بعض الآيات التي أراها الله للناس في زماننا

### ﴿ معجزة القرآن في هذا الزمان ﴾

ومنها هذا الهرم الذى أضنا في الكلام عليه الداخلى في قوله تعالى - فالיום تنجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - انتهى



( رسم الهرم • شكل ١٣ )

### ﴿ بيان قوله تعالى - لتكون لمن خلفك آية - ﴾

اعلم أن صورة الهرم المرسومة أمامك فيها تعاريج يقصد منها إضلال من يريد دخول الهرم بمعجزة لقوله تعالى - لتكون لمن خلفك آية - وذلك أنه لن يكون آية من قدام المصريين إلا من بقيت جثته محفوظة وكيف تبقى محفوظة إلا ببناء يكتمها وضلال الذى أراد سرقتها واجاع أم أوروبا وأمريكا على حفظها • هذا هو المعجزة القرآنية • أنظر إلى نقطة (أ) التى هي رواق تحت الأرض فذلك لا يمكن الوصول إليه الآن لأن طريقه مسدود • ثانياً نقطة (ب) وهي الرواق المعروف الآن باسم رواق الملكة وتلك التسمية لم يبق دليل عليها للآن • ثالثاً نقطة (ج) وتعرف باسم رواق الملك • رابعاً نقطة (د) وهي بسة يخرج منها مجريان الهواء انزلق منهما حجران كبيران فأغلقا منغذى رواق الملك غلقاً محكماً بعد وضع جثته فيه داخل تابوته • خامساً نقطة كل من (هـ و ز ح) وهي سراديب ممتدة لتوصيل الأماكن لبعضها • سادساً نقطة (ط) وهي بسة يخرج منها السرداب الذى فتحه المأمون • سابعاً نقطة (ي) وهي البئر التى تحير فيها عقول أولى النهى • والقصد من ذلك كله أن يضل السائر فلا يمتدى إلى السبيل • ونقل أستاذنا فى الأثر الجليل ماضه ( قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحيم فى كتابه (تحفة الألباب) فتح للمأمون الهرم الكبير وقد دخلت فى داخله فرأيت قبة مربعة الأسفل مفعورة الأعلى كبيرة فى وسطها بئروهي مربعة ينزل الانسان فيها فيجد فى كل وجه من زريع البئر باباً يفضى إلى دار كبيرة فيها موتى من بنى آدم عليهم أ كفان كثيرة أكثر من مائة ثوب على كل واحد وقد بليت لطول الزمان واسودت أجسامهم وهم مثلنا ليسوا طوالاً ولم يسقط من أجسامهم ولا من شعورهم شئ وأجسامهم قوية لا يقدر الانسان أن يزيل عتوا من أعضائهم البتة ولكنهم خفوا حتى صاروا كالغشاء لطول الزمان • انتهى

ونقل عن غيره أنهم بعد اللتيا والتيا والجد الطويل وللشفقة وجدوا فى أعلاها بيتاً مكعباً وفى وسطه

حوض من الرخام مطبق فلما كشفوا غطاءه لم يجدوا فيه غير رمة بالية ففسد ذلك كفة المأمون عن تعب ماسوله . انتهى

﴿ شكر الله على الحكمة والعلم وأن الاسلام أعتق الانسانية من الخرافات ﴾  
 انى أجد الله على نعمة العلم والحكمة . اليك اللهم الشكر على ما تفضلت بالحكمة وألمعت من العلم  
 أذكر أيامك معي وأذكر أيام أن كنت مجلوسا بالجامع الأزهر حوالى سنن العشرين ثم أرجع الى بلادى فى  
 القرى ببلاد الشرقية ثم أخرج من بين البيوت لى • أحدثت عنك النفس بالليل خاليا •  
 وكنت أنشد قول مجنون لى

وأخرج من بين البيوت لى • أحدثت عنك النفس بالليل خاليا  
 وكنت أسامر النجوم الراقصات فى دياجى الظلمات وأفكر فى أمرها وأمر هذا العالم وأمر آثار قدماء  
 المصريين وأمر الأمم التى فى الأرض التى تمت فى بلادنا السكك الحديدية وقطارها • ولطالما كنت أقول  
 يا ليت شئرى ما هذه الأطلال القديمة وما علم أهلها وماذا تصنع الأمم اليوم فى علومها وصناعاتها ولماذا لا  
 أرى للمسلمين حركة فكرية مثلهم ولماذا أرى شيوخ الدين لا يفكرون فيما حولهم الى آخر ما فى كتاب  
 (التاج المرمع) فى أوله • كل ذلك كان ديدنى • وأذكر أنى كنت عاهدتك أنى اذا اعتديت لحل للمعى  
 من هذا الوجود وعرفت بعنه فانى أنشره لمن يصدى حتى لا يضل شبان بعد ضلالي ولا ينالهم نصب كما نالنى  
 بل أنا أجعل ما أعلمه لهم شرابا خالصا سائفا للشاريين • هذا كان ما يجول بخاطرى • فها أنا ذا اليوم  
 أتحدث بنعمتك على • وأقول • لقد من الله على • بعد طول الزمان واليأس والنصب بالحكمة والعلم والهمنى  
 أن أولف هذا التفسير الذى أرجو أن يكون ذخيرة ونورا للأذكياء بصدى • إن أكثر ما أكتبه فى هذا  
 التفسير يجول بنفسى الآن ويكون قوى الهجوم على النفس بحيث لا يفارقنى فى غشوى ورواحى وخلوى  
 وجلوى وسمرى مع الأصحاب وصحنى ونوبى ويقظتى فلاملجأ لى من هذه الخواطر إلا بكتابتها ومتى سطرته  
 هدأت النفس واستراحت واستقلت غيرها • ذلك شأنى فى هذا التفسير • وهذا الذى أكتبه فى هذا  
 المقام قد كان خاطره قويا • فكما كنت أمخيل هذه الامور فى الصغر متحسرا أشد الحسرة على جهلى بها  
 هكذا أنا اليوم أجد فى النفس ميلا قويا الى كتابتها ونشرها وأحسن • بأنى بلغت أملى من هذه الحياة بذلك  
 ﴿ والله فى خلقه شؤن ﴾ ويخطر لى أن هذا سيكون سائفا وشاقا لأولى الذكاء الى حوز العلم والحكمة  
 وانى كشبرا ما يقع فى قلبى انى لولم أكتب ما بهجم على نفسى من الخواطر الجيلة الحاجة على • فان الله  
 يجهل العقوبة لى فى هذه الحياة • ولقد من الله على • بنشره • لقد من الله على • بذلك وشرح صدرى وقد  
 كتبت ما أجد فيه والله هو الولى • الحيد

﴿ تفصيل أتم لقوله تعالى - لتكون لمن خلفك آية - ﴾

( وكيف أعتق الاسلام الأمم من الخرافات )

اعلم أن الديانات القديمة كلها كانت أشبه بهذا العالم الذى نعيش فيه • ألا ترى رعاك الله أن الشوك  
 يصحب اللورد والغذاء الذى تأكله تصعبه فضلات والخمر لا يكون إلا معه الورق والحطب لا يكون إلا مع  
 الصنف • هكذا كانت الديانات • فاذا نزل ادريس على المصريين بدين سماوى فها هو ذا قد تقدير الدين  
 وصار بمزجها بخرافات حتى انك ترى أنهم وجدوا كثيرا من الأحجار المنحوتة على هيئة الاهرام والمسلات  
 موضوعة فى المقابر بجوار الأموات • وهكذا وجدوا أحجارا رسمت عليها صورة الاهرام وبازائها علامة  
 الكوكب المتقتم • وكل ذلك للتبرك فكانت الاهرام رمزا لهذا المعبود الذى كانوا يعزونه فى معابدهم  
 فى هيئة جسم انسان له رأس طائر (أيس) وهو أبو قردان وكانوا يعبدونه أيضا • إن فى نظر ذلك لعة

للعقلاء . فانظر الى قبلتهم وهو الحرم كيف جعلوه مع كوكب الشعرى منطاً للوهية . ثم انظر في مسألة السهـ كيف كانوا يقولون ان جيج الأجرم السايوة تحت رئاسة الشمس وثارة كانوا يرسمون السهـ على شكل وادى مصر نقشه المجرة وقد مثلوها بالنيل وحسروها مثله بين سطحيين عتدين من الجنوب الى الشمال وقسموا السهـ الى أقسام كاقسام مصر . والشمس تطوف عليها كل يوم في مسيرها من المشرق الى المغرب وتدخل في المساء في فتحة جبل مثله ( بجبل العراية للدقونة ) أو ( الخراية للسدقونة ) التي بديرية جرجا بالصعيد ثم تغور في سراديب وتقاسي آلاما ونفى . على قوم آخرين ثم ترجع لناكرة أخرى بعد المشقة والآلام وقالوا أيضا في الروح ان الروح الشقية تحول دعواتها وصلواتها الى عبث وهزؤ فتجلد وتلمن وتبحث عن جسم انسان لتسكنه وتكون في مرض وذل أوجنون . أو عن جسم حيوان وتدمر على ذلك قرونا الى أن تستوفي العذاب ثم تموت وذلك بشهادة القلب . قال أستاذنا المذكور . وقد وجد على أحد أوراق اليردى ماصورته ( أيها القلب الذي خلقت لى وأنا فى بطن أمى وأتيت معى الى الدنيا لانتزعنى ولا تشهد علىّ بين يدى الله ) أما الروح الراضية المرضية فانها بعد الحساب يأخذ بيدها الرجاء الصلح وتحفها الشياطين ولكن تلاوة العزائم تمنعهم ثم تتحد الروح بأوزيريس وتصور مثله أى تدخل في العنصر الذي خرجت منه وتقطع المساكن السايوة وترزق جسمها متى شئت ولذلك يحفظون الأجسام

هذه آراؤهم فى السموات وآراؤهم فى الأرواح وآراؤهم فى الدين . فانظر أيها المسلم الى دين الاسلام ان البيانات القديمة فيها الفث والسمين واختلط فيها الكذب بالصدق كما هو شأن الناس فى أقوالهم وأفعالهم وكما هو شأن ما كلهم ومشاربهم ولكن الله يريد رقى الانسانية . فإذا فعل . أزل الدين المسيحي . فماذا حصل . لم يرض بالأصنام ويحسل الآله واحدا ولكن أتباعه جعلوه ثلاثة بقاء الاسلام وقال كلا الآله واحد . هناك زلزلات الأرض زلزالها . زالت الأصنام تماما . وفات الزمان الذى قدس فيه الشمس والكواكب ونزل قوله تعالى . وأنه هوربى الشعرى . فليست الشعرى التى رسم على أعمدة المصريين مع هرمهم هي الله بل هوربها . وأيضا ليست الشمس هي الآله . وبعد ذلك انطلقت العقول وقام المسلمون بحركة العلم فى العالم من القرن السادس الميلادى الى القرن الحادى عشر . وهناك تملت أوروبا من المسلمين كما وضع بضه فى آتسورة التوبة ويضع باقيه فى قوله تعالى . وذكرهم بأيام الله . فى سورة ابراهيم عليه السلام وصار المسلم بل كل عاقل فى الأرض فك عقال عقله المسلمون يقرأ كل علم وكل فنّ ويقرأ المسلم . وقل رب زدنى علما . ويقرأ قوله تعالى . سربهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم . فآيات الله فى كل بناء وشجر وحجر وكوكب . فالهرم آياته والنجم آياته . وتدرج الأمم من الجلود فى القرون الأولى الى الحرية العلمية اليوم فى عصرنا آياته . وتنوير للمسلمين الأولين للعالم الانسانى من آياته . وسترى فى سورة ابراهيم تصميم العلامة ( سديو ) الفرنسى وجزمه أن العرب وسائر الأئمة الحميدية هم نور العالم ولولاهم لم يكن لهذه الدنيا رقى وأنى فيه بختات الأدلة القطعية كما رأيت وسترى بضه . ولذلك ترى الأمم اليوم عرفت أن الشمس التى هي سيدة الكواكب عند قدماء المصريين والبابليين صارت فى أخريات الشومس كما أطلقتك عليه فى سورة البقرة وآل عمران والأنعام وغيرها حتى أن بعض تلك الشومس ضوءها مقدار ضوء شمسنا ( ٨٠٠٠ ) ثمانية آلاف مرة بل أكثر من ذلك وأن الشومس لاحد لمظلمتها وعددها وانها تبلغ ثمانى ملايين ولا يزال الكشف يزيدنا بيانا . إذن علم قدماء المصريين من العلم الذى حدث وانتشر بسبب ظهور الاسلام الذى حرك أوروبا والعالم للبحث . إن دين الاسلام جاء نحو الخرافات والاعتقاد على العقل ونيز كل ما ليس معقولا . هذا هو سرّ قوله تعالى . لتكون لمن خلقك آية . فالآية هنا واسعة النطاق من علوم وصناعات بلا اعتقاد وبالقرآن يحصر الفكر عندنا فك عقال العقول حتى اقتضت شوارد العلم فى الأرض وفى السهـ . إن الانسان

اليوم غيره بالأمس فالله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

### ( لطيفة وذكرى )

قد كنت وأنا مراهق رأيت أهل قريتنا قد عرفوا على رجل مدفون في قاع بركة أملم قريتنا ولم يحموا إلا عظامه وقد وجه وجهه الى جهة الجنوب وقد بنى عليه قبر بكل من الأرض المصرية الحصيد الجافة المعروفة في بلادنا (بالشراف) وقد حفظ ذلك القبر جثته آلاف السنين وهو تحت وجه الأرض بنحو ثلاثة أمتار . فما أنا ذا أحد الله عز وجل اليوم إذ عرفت سر هذا المغن وأنه قصد به التوجه لله للهمم للمشمول بمثابة كوكب الشعري وعرف اليوم أن هذه خرافات وأن الاسلام محاذ ذلك وجعل قبلتنا الكعبة ودأبنا النظر في كل كوكب وجمال كل شمس ووجهنا وجهنا لله لا للكوكب ولكن ندرس كل كوكب وكل شمس وقد فتح الله للناس أبواب السماء فدرسوها وهامهم أولاد يدرسون علم الأرواح كما اطلعت عليه في سورة آل عمران والبقرة . فالله الذي نعمته تتم الصالحات

وفي اعتقادي أن هذا الخبر وأمثاله سيفتح مجالاً للأهم الاسلامية وستقوم أم بعدنا من المسلمين يرفقون رقباً عالياً ويحدثون في الأرض قوة كما أحدث أجدادنا أصول هذه النهضة والحمد لله رب العالمين اهـ

### ( وجدان المؤلف أيام الشباب والمشيبه وكتاب الله تعالى وأم الاسلام )

ها أنا أحدثك أيها الذي عنى أيام شباني ومشبي بأوسع مما تقدم فأقول . ذكرت لك أنفا شوق الى العلوم أيام الشباب . وها أنا ذا أومض فأقول

قد كان يطرئ من النسمات على الأعشاب فيسرى قريباها ويطنئ بنمائل الأغصان وحفيف الأوراق وتنفى الحشرات وعصف الرياح - واللبل إذا عصص - والصبح اذا تنفس - وإذا غربت الشمس وظهرت النجوم أجلس على بساط من الحشائش وأخذ أستمع لما في الحقول من فنهات وأنظر لما في السماء من نجوم باهرات . وكنت كأني في محفل جمع بين ( بهجتين ) بهجة النظر لراصات الحسان القاصرات الطرف الناضرات البهجات وهي النجوم . وبهجة الموسيقى تشف الآذان ببسائغ الألحان . فالناظر سلاوية والنهات أرضية . هذه الصور الجلية عندى طبع في الخيلة يوما فيوما وليلة فليلة . دام ذلك سنين وستين وقد كان خلوا الجوف بالصوم ولقيام بعض الليالي أثر في ذلك الجلال والبهجة والشوق . ذلك الجلال الخيالي دعا العقل الى الجبال الصلي . غواهر المحاسن في الطبيعة التي ارسمت في خيالي لاتفارقأجأت القوة العاقلة أن تتجمل بالمحاسن كجمال الخيال ولاعاسن للعقل إلا صور معنوية هي الحكمة والنظر في مختلف العلوم الجبال متناطيس العلوم يجذب اليه كل ماهو جيل معنوى . جمال الوجوه في الخي - يجذب المعاشقين وانطباع الخيال بالجبال يجذب العلوم والحقائق لتسكن في العقول . جبل الله وجل العلم ان شبه الشيء متجنب اليه وللجاذبة حكمها . جاور الخيال العقل في السماغ فلما رجح الأول بالمر الحسان من الكواكب والنهات حق الثاني الى خاتمي الموجودات ليتحلى بالحكمة ويزدان بالعلوم . النفس واحدة والعالم واحد العالم الذي نعيش فيه واحد ونفوسنا ننظر له أيام السفر واحدا لجميع العلوم عندها علم واحد لا علوم كما أن العالم أشبه بمجسم واحد . هكذا العلوم المختلفة كأنها واحد . العلوم كشجرة واحدة لها فروع وأغصان ضف الانسان فوق الأرض فلم يعلق الفرد الواحد أن يعرف هذا الوجود قسم أوصافه الى أقسام سمي كل قسم منها علما مع انها كلها أوصاف شيء واحد هو هذا العالم . لهذا نرى العلوم قسمت على الأفراد كما وزع الاساس في الجسم على الحواس . فليس غير ما البصر . هكذا العلوم قسمت على الناس فيحسن زيد مالا يحسن عمرو ذلك لمنههما كما ضفت العين أن تضم السمع الى البصر وضفت الأذن أن تضم الابصار الى السمع - وربك يخلق ما يشاء ويختار - لا معقب لحكمه وهذا قوله تعالى - وخلق الانسان ضيعا -

فلولا هذا النصف لكنت جميع العلوم عنده علما واحدا . كنت أنظر للأشياء جميعها بلافرقة بين علم وعلم أنظر للأشجار والأطوال والأخبار وتاريخ الأمم والصناعات وأمم الفرنجة وأمم الإسلام ودين النصراني ودين الإسلام . ذلك هو الذي حركني إلى سائر العلوم التي اطلعت على كثير منها بمدرسة دار العلوم وعلى باقيها بالاطلاع على علوم شرقية وغربية . ها أناذا الآن في المقعد السابع من حياتي أنظر في أمر نفسي فأجد القرام القديم والحب والشوق قد تجلت لها مع طرب وسرور كما قال مجنون ليل  
 فشاب بنوليل وشبه بنو ابنها • وإعلاق ليلي في القواد كما هيا  
 ففسي في شيبها مفرمة كما كانت أيام شبابها بل هي أشد غراما والقرام اليوم بالشر والتعلم والقرام إذ ذاك بالحصيل وفي الشر ازدیاد للعلم وإنهاج بالتحقيق

### ( كتاب الله تعالى )

لقد كنت أيام الشباب لا أرى في هذا القرآن معاني لأني حفظته بلا عقل ولا فكر وكنت أسئ الظن بمن يقولون انه يدعو إلى العلوم وكنت أقول إن هؤلاء مراءن كاذبون . فلما درست ونظرت أيقنت بأن هذا القرآن يدعو الناس إلى مختلف العلوم ويشوقهم لها كما كنت لفتاق لها زمن الشباب . فكأن هذا القرآن يدعو النفوس إلى فطرتها . وإذا قال الله - قد جاءكم رسول من أنفسكم - فيه تلميح إلى ما قرأنا فنفسنا تطلب كل العلوم وهذا القرآن يشوق لها - ولكن أكثر الناس لا يسمعون - وما ذكره الآن سيظهر أثره في أُم الإسلام

### ( أُم الإسلام )

إن أُم الإسلام تطلع اليوم على أمثال هذا الكتاب وهناك نفوس خلقت مقصورة على النظر بمجوبة على التفكير فستقابلها الحيرة والحسرة كما قابلتني أيام شبابي ولكن الله أذن بآراز هذا التفسير ليكون مفتاحا يفتح للعقول جمال النظر فيفرون من سجون الجهالة العاتقة في البلاد الإسلامية وينطلقون من جسس العقول إلى ساحات الجبال وياجت العلوم وحدائق الحكمة ويشمون أزهارها ويستطفون غارها . هذا الكتاب تبصرة لمستزید ومنهج لمريد . وبلغة لقاصد وزاد لمسافر وفك عقال مقتول وفتح باب وهدى وذكرى لأولى الألباب . انتهى

( نسخة مهداة للمستبرين في الإسلام والنظر في كتب الفرنج وجمال الصور الموجودة في الأرض والسموات )  
 تبين من هذا أن سبب هذا التفسير ومبدأ النظر في جمال هذه الدنيا صفرا وتحصيل العلم وحب الشرع في الكبر . ذلك كله مبدء النظر في جمال الأرض وجمال السماء . ولقد اطلعت على كتب الفرنجة للبتدين فرأيتها عملة بالصورة الجلية الحسنة من شجر وزرع وغمر وكوكب وقر بحيث يشاهد الطفل في مدرسته صورما كنت أشاهده في الحقول فبارك الله الذي ألهم الناس أن يحاكوا الطبيعة ويشاكلوا صور الموجودات وجمالها . هكذا فلتفعلوا أيها المسلمون . لنتم طواف منكم وليدرسوا نظم التعليم ونظم الكتب والصور التي فيها والحكايات التي تدرس للأطفال والتحف العلمية للذبيذ . ولتتخفوا لكم أحسن للثل وأجل الطرق . ولتعلوا أبناءكم حب هذا الجمال كما أحبناه . فكل هذا الوجود آيات الله وكله نور الله وكله دين الإسلام والحمد لله رب العالمين . انتهى تفسير القسم السادس من سورة يونس

### ( القسم السابع )

لَمَّا كُنْتُ فِي شَكٍّ مِمَّا أَتَوَلَّيْتُكَ فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قِبَلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ • وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ

اللَّهُ فَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ • إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ • وَلَوْ جَاءَتْهُمْ  
كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ • فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَنَتْ فَتَنْقُصَهَا إِعْمَانُهَا إِلَّا اقْوَمَ  
يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَا إِلَى حِينٍ • وَلَوْ شَاءَ  
رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْذِرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ • وَمَا  
كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَحْمِلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ • قُلِ انظُرُوا مَاذَا  
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُنْفِخُ الْأَنْبُتُ وَالنَّارُ عَنِ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ • هَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا  
مِثْلَ آيَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَى مَتَكُمْ مِنَ الْمُتَشَابِهِينَ • ثُمَّ تَنْجِبِي رُسُلَنَا  
وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَبِيعِ الْمُؤْمِنِينَ • قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ  
دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّأُكُمْ ، وَأَمَرْتُ أَنْ  
أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ • وَلَا  
تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ • وَإِنْ  
يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ  
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ • قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَرَوِ  
أَهْتَدَى فَلْيَأْمُرْ بِنَفْسِهِ وَمَنْ مَضَى فَمَا يَعْلَمُ بِبَيْعِهِمْ وَمَا أَعَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ • وَاتَّبِعْ  
مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّى يَخُصِمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ •

### ( التفسير اللفظي )

قال تعالى ( فان كنت في شك مما أُنزلنا إليك ) من القصص على سبيل الفرض والتقدير ( فاسأل الذين  
يقرون الكتاب من قبلك ) فانه حقيق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما أيقنا إليك والمراد بتحقيق ذلك  
والاستشهاد بما في الكتب السابقة وأن القرآن مصدق لما فيها والخطاب وان كان للنبي ﷺ فالتصديق  
ولذلك قال ﷺ لا أشك ولا أسأل ( فلا تكونون من الممتريين ) أي الشاكين بالانزلال عما أُنزل عليه من  
الحزم واليقين وقوله ( ولا تكونون من الذين كذبوا ) الى قوله ( من الخاسرين ) من باب التيسير والتثنية  
وقطع الاطماع عنه كقوله - فلا تكونون ظهيرا للكافرين - ( حقت عليهم كلمة ربك ) أي وجبت عليهم لأن  
استعدادهم يمنعهم من قبول الايمان ( لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ) فانهم لا يؤمنون بها ( حتى يروا العذاب  
الاليم ) حيثئذ لا ينضمهم الايمان كما حصل لفرعون الذي قال - آمنت - بعد قوت الفرسة كما في قوله  
- أتم اذا ما وقع آتمت به الآن وقد كنتم به تستعجلون - فانظر كيف ذكر فرعون وغرقه لمناسبة ما مضى في  
هذه السورة لتكون تلك القصة تطبيقا على هذا القول فقوله في مسأله فرعون - الآن وقد عصيت قبل -  
هو كالقول المتقدم آتما - أتم اذا ما وقع آتمت به - وهو بمعنى مجاه في سورة الأنعام - يوم يأتي بعض آيات



ربك لا ينفخ نفسا إيمانها - وقد أوفيت المقام هناك بما لا مزيد عليه • وههنا يقول الله في هذا المعنى - إن الذين حقت عليهم - إلى قوله - حتى يروا العذاب الأليم - ثم أتبعه سبحانه بما يفيد فتح باب التوبة وقت القدرة فقال (فلولا كانت قرية آمنت) أي فهلا كانت قرية من القرى التي أهلكتها آمنت قبل معاناة العذاب ولم تؤخر الإيمان كما أخوه فرعون (فتنفخها إيمانها) بأن يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها (إلا قوم يونس) لكن قوم يونس وهو استثناء منقطع (لما آمنوا) أول ما رأوا أماراة العذاب ولم يؤخروه إلى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) أي إلى انتهاء أجالهم • يروى أن يونس عليه السلام بعث إلى أهل نينوى من الموصل فكذبوه وأصرأ على تكذيبه فوعدهم بالعذاب إلى ثلاث • فلما دنا الموعد أغلقت السماء غيا أسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجده فأتوا صدقه فلبسوا للسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونساءهم وصبيانهم ودوابهم وفرحوا بين كل وألته وولدها فحق بضها إلى بعض وعلت الأصوات والبهيج وأظهروا الإيمان وأخلصوا التوبة وتضرعوا إلى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم الضر • ويقال أنه كان يوم عاشوراء يوم الجمعة (ولوشاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعا) بحيث لا يشذ منهم أحد وانما لم يجتمعوا على الإيمان بل منهم من لم يقبله للنظام الذي اختاره الله بحيث يختلف الناس باختلاف الأمزجة والأحوال والأخلاق وأن الاستعداد هو الذي عليه مدرار الارتقاء والانحطاط ولن يكون القضاء إلا على مقتضى الحقائق الثابتة وهؤلاء هذه حقيقتهم وهل يشاء الله إلا ما هو حق (أفأنت تتركه الناس) بما لم يشأ الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين) بخلاف المشية مستحيل • وقد كان ﷺ حريصا على إيمان قومه شديد الاهتمام به • ولذلك قرره بقوله (وما كان لنفس أن تؤمن إلا بأذن الله) أي بإرادته وأعطاه وتوفيقه (ويجصل الرجب) أي العذاب (على الذين لا يعقلون) لا يتفهمون بقولهم فلا ينظرون الحجب والآيات ولا يشكرون فيها فيكونون غافلين عما حل بالأمم السالفة وما أصابها من خيرا وشر • وعقل وفكر وجهل وغباوة كما جاء آنفا - لتكون لمن خلفك آية - ونهى على الناس غفلتهم عن ذلك وعما أعقبه من ذكر السموات والأرض ومجانبتها فقال (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) من عجائب صنعه والآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار عما لا يتنبأ من حكم بارعات وآيات بينات وغرائب مدهشات كما أمرهم بالنظر في عجائب الأمم وأبدانها الباليت وآياتها الباهرات • فمن قرأ العلوم الفلسفية والعلوم الرياضية والطبيعية فهو من الموحدين توحيدا حقيقيا أرق من علم التوحيد المشهور إذا وجه نظره إلى نظام العالم العام وتجب من جبال صنعه • أما إذا قرأ قراءة الغافلين كأكثر من يتعلمون بالمدارس اليوم فأولئك عن ذلك مبعدون وهم عن الله غافلون وهكذا من قرأ علوم المصريين والبابليين والآشوريين والاوروبيين في تاريخهم وأحوالهم الجهمية يكون ذلك منه امتثالا للدين ورتبة للعقل وله ثواب عظيم مادام يرضى لغرض شريف • ولما كان ذلك لا ينفذ به إلا نوع الاستعداد العقلي أردفه بقوله (وما تفتنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) بحسب ماسبق به العلم وما نافية (فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) مثل وقائعهم كما يقال (أيام العرب لوقائعها) (قل فاتقوا إلى معكم من المنتظرين) أي فاتقوا هلاك إلى معكم من المنتظرين هلاككم • ولقد جرت عادتنا فيما مضى أننا نهلك الأمم الذين كذبوا (ثم تنجي رسلا والذين آمنوا) من تلك الأمم أجماع كذلك الأجماع تنجي محمدا ﷺ ومعه حين نهلك للمشركين حق ذلك - حقا علينا - وهذا هو تقدير قوله تعالى (كذلك حقا علينا تنجي للمؤمنين • قل يا أيها الناس) خطاب لأهل مكة (إن كنتم في شك من ديني) وجهته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه ثم وصف دينه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أي الأصنام (ولكن أعبد الله الذي يشوقكم) يمتسك وانما وصفه بذلك ليريهام أنه هو الذي يتقوى ويخاف بخلاف

ما يصبون وهو لا يقدر على شئ فكيف يخاف (وأمرت أن أكون من المؤمنين) أى بأن أكون أى  
 إن الله أمرنى بذلك بما ركب من العقل وبما أوحى لى فى كتابه (وأن أقم وجهك للدين) أى وأمرت  
 بالاستقامة فى الدين بأداء الفرائض والالتزام عن القبايح أوفى الصلاة باستقبال القبلة فهذا عطف على أن أكون  
 (خيفاً) حال من الدين أوالوجه أى مستقباً عليه غير معوج عنه إلى دين آخر (ولا تكونن من المشركين)  
 مع المشركين على دينهم (ولا تضع) لا تصيد (من دون الله ما لا ينفعك) فى الدنيا والآخرة إن عبده (ولا  
 يضرك) إن لم تعبده (فان قلت) عبث (فانك إذا من الظالمين) من الضارين لنفسك (وان يسلك)  
 يسلك (الله بضرك) بشدة وأمر تكرره (فلا تكشف له) فلا ترفع للضر (إلا هو وإن يردك بخير) بنعمة  
 وأمر تسر به (فلا راد لفضله) لا مانع لعلية (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم)  
 فتمت ضوارحته بالطاعة ولا يتأسوا من غفرانه بالعبية (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) الرسول  
 أو القرآن وليس لكم بعده غفر (فمن لهتدى) بالإيمان والمناجاة (فانما يهتدى لنفسه) لأن فقه لها  
 (ومن ضل) بالكفر (فانما يضل عليها) لأن وبال الضلال عليها (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكل  
 إلى أمركم وانما أنا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك) بالامثال والتبليغ (واصبر) على دعوتهم وتحمل  
 أدبتهم (حتى يحكم الله) بالصلواتها رديك (وهو خير الحاكمين) لأنه لا يمكن الخطأ فى حكمه لأنه مطلع  
 على السرائر كطلاعهم على الظواهر بخلاف حكم الناس فليس لهم إلا الظواهر

(خاتمة فى عجائب هذه السورة وما تضمنتها من السور)

أنظر إلى عجائب هذه السورة وما تضمنتها • أنظر كيف ذكر فى أوائلها بدء الحق وهو بعيد • وكيف  
 جعل الشمس ضياء والقمر نورا • وكيف قدر المنازل وعلم عدد السنين والحساب • وذكر اختلاف الليل  
 والنهار وأخذ يذم الذين هم عن آياته غافلون وجعل لهم النار بما كانوا يكسبون • وأنظر كيف ذكر فى  
 خواتمها كما ذكر فى أوائلها • ذكر أنه جعل جنة فرعون للوضوعة فى نجوة أى مكان مرفوع من الأرض  
 آية وذم المعرضين عنها كما ذم المعرضين عن آيات السموات والأرض • فهناك يقول - إن الذين لا يرجون  
 لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا ولم آمنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون • أولئك مأواهم النار - وهنا يقول  
 - وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون - فجعل الغافلين عن آيات الله فى الأمم كالفافلين عن آيات الله فى  
 السموات والأرض • عجب عجب للقرآن وسكته الهيبة • وهنا أمر بالنظر فى السموات والأرض وأوعد  
 الذين لا يقاتلون فقال - ويجعل للرجس - أى العذاب والحذلان على الذين لا يقاتلون أى لا يستعملون عقولهم  
 فأنظر كيف كانت أوائل السورة تحوأتيها • نظر وفكر وتعقل • وذم للغافلين • وأنظر كيف  
 سوى بين الجهل بالعالم العلوية والسفلية والجهل بأحوال الأمم كآفة المصريين • فهذه من القرآن دلائل  
 واضحات • إن علوم قماء المصريين وغيرها علوم الفلك والطبيعة من تركها من الأمم أصبحوا فى أسفل  
 سافلين ولهم جهنم فى الآخرة وهم فى الدنيا أيضا معذبون لأنهم جهلاء - ومن كان فى هذه أعمى - لا يعرف  
 العلوم الكونية والنظامية والسياسة - فهو فى الآخرة أعمى - لا يرى طريق النجاة والمقصود أن تكون  
 هذه العلوم قائما بها طوائف من الأئمة لكل علم جماعة • فمن قرأ تاريخ للمصريين فهو قارئ آيات الله  
 ومن قرأ علومهم فهو مطالع آيات الله وكذلك الآشوريون والبابليون وجميع الأمم • ومن درس ما عرفه  
 الألمان والإنجليز والأمريكان من علوم الفلاحة والسياسة والتجارة والتجارة والحداثة والاباغة وماها كل ذلك  
 كان مطالعا على آيات الله بمرسه للعلوم التى يرضاها والحكمة التى للعباد أهداها • فويل للمسلمين الغافلين  
 وويل ثم ويل لهم إذا غفلوا بعد ما بيناهم وهلاك لهم إذا ناموا بعد ما بيناهم

فيا ليت شعرى ماذا يريد المسلمون أول يكفهم أن الله سبط عليهم أوروبا فلكت بلادهم شرقا وغربا

وهم نائمون . أولم يكفهم أنه ألم طائفة من المسلمين الآن فنبهوا المسلمين أن جميع العلوم والصناعات واجبة فرض كفاية وهم غافلون . أو ما علموا أن العذاب حل بهم وهم لا يشعرون . وسلام ثم سلام على من يهيمون المسلمين في الأقطار الاسلامية واجباتهم وعلومهم التي حرموا منها وهم لا يعلمون . وكما فصل ذلك في هذه السورة فصل في سورة الأعراف فجعل في أوائلها ذكر الريح والسحاب والمطر والماء والخرات وفي أولها النظر في ملكوت السموات والأرض وحذرهم من اقتراب آجالهم . هكذا فعل في الأنعام فجعل في أولها خلق السموات والأرض والظلمات والنور . وفي أوائلها أنه أنشأ جنت معروشات وغير معروشات وأنه رب كل شيء . وفي المائة ذكر في أوائلها حلّ للأنعام وحرمتها وقصة ابني آدم المشتملة على أن الانسان يتعلم من الحيوان . وذكر في أوائلها أنه له ملك السموات والأرض . وفي سورة النساء ابتداء بذكر خلق الانسان وأنهم من نفس واحدة . وجعل في أوائلها ذكر السموات والأرض مكررة وهكذا سورة آل عمران ابتدأها بوصف الله بأنه الحي القيوم وكيف خلق الجنين في بطن أمه وصوره وجاء في أوائلها - إن في خلق السموات والأرض إلخ -

وهكذا البقرة جاء في أوائلها - يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والدين من قبلكم إلخ - وفي أوائلها - لله ما في السموات وما في الأرض إلخ - فهذه السور من ابتداء البقرة الى هذه السورة هذه كانت مبادئها وهذه كانت خواتمها كلها حاشية في أوائلها وأواخرها على النظر في علوم السموات والأرض . فأما هذه السورة فقد أبانت أن الغافلين عن علوم الأمم السالفة ملومون غافلون والنافلون معذبون في جهنم والعذاب هنا في ترك فرض الكفاية . اللهم ألم أنتنا الاسلامية عقولا راقية وقوما كبيرة . فوائدها لأن لم يفت علماء الاسلام عن هذا التفسير لتكون في هذه الأمة في المهالكين ويستبدل الله بها غيرها - إن يشأ ينهبكم ويستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم -

فياجب لأمة الاسلام . كيف ينامون . كيف ينفلون . وهذا القرآن بين أيديهم يقرؤنه صابحا ومساء . ولتعلم أيها النبي المطلع على هذا الكتاب أنك مسؤول عن هذه الأمة وإليك أن تقول من أنا فانك متى كنت مغرما بقرأة أمثال هذا الكتاب فلا جرم تكون نفسك من ذوى الجدة والعلم الذين يعرفون قيمة أنفسهم وهم مصلحون فلنكن مصلحا ولترشد الناس بقلبك ولسانك وحديثك ولتحرص الأمة على حوز العلوم . فلمعمرى لقد قابلت طوائف هذه الأمة للسكنة من أهل جلوه وسومطرة وبلاد الملايو وبلاد سيام وبلاد الغرب وغيرهم من الأمم والممالك ومن بلاد الصين فوجدتهم جميعا خاملين خامدين نائمين لم يفتنوا وذلك لما رسخ في عقول علماء الدين أن الدين بعيد عن العمران . بعيد عن الأوطان . بعيد عن العلوم . بعيد عن الصناعات فشاوا بذلك وأضلوا وهم لا يشعرون فلتنقذ الأمة من ضلالها ولتنشلها من وهديتها ولتطلمها على دينها الصحيح في نحو ما سطرنا وفي مثل ما كتبناه والله هو الهادي الى سواء الصراط . ثم تفسير سورة يونس عليه السلام

## ﴿ سورة هود مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية ﴾

﴿ وهي أربعة أقسام ﴾

- ﴿ القسم الأول ﴾ في المقصود من الرسالة من أولها الى قوله - ليلوكم أياكم أسن عملا -  
 ﴿ القسم الثاني ﴾ تأنيبهم على استبعادهم البعث والالاع الى قصص الانسان ومقاصد أخرى من قوله - ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد موت - الى قوله - هل يستويان مثلا أفلا تذكرون -  
 ﴿ القسم الثالث ﴾ من قوله - ولقد أرسلنا نوحا الى قومه - الى قوله - بش الرعد المرفود - في قصص الأمم والأنبياء  
 ﴿ القسم الرابع ﴾ في طريق هداية الأمم الى الفلاح من قوله - ذلك من أنباء القرى نصبه عليك - الى آخر السورة

هذه أقسام السورة . ولقد كنت تلخصتها منذ ١٤ سنة وأنا مدرس بدار العلوم وقسمتها على هذا الخط ولكن القسم الثالث تبعه قسمان موضحان له تابعا له فصارت الأقسام ستة . ولما كان للانسان في كل سن من أسنانه عمل يناسبه وانشاء بلائمه ورأى بواقعه رأيت أن أكتب ذلك الملخص لتطلع على ما كتبتة إذ ذاك وأنا مدرس بدار العلوم وتوازنه بما أكتبه الآن فستجد أن الرأي اللاحق هو السابق فساد ذكر ذلك للملخص ثم أتبعه بتفسير السورة إن شاء الله . هاك ما كتبتة إذ ذاك لتطلع على مجمل تفسيرها كأنه مرآة ثم أذكره مفصلا في اللاحق

﴿ تفسير هذه السورة . مقاصدها ستة . المقصد الأول من أول السورة الى قوله - ليلوكم أياكم أحسن عملا -  
 ابتداء الله عز وجل هذه السورة بالمقصود من الرسالة وهو عبادة الله عز وجل والانابة اليه بالتوبة وهذه المؤمنين الثانيين بالفوز في الدارين والسعادة في الحياتين الدنيا والآخرة والندارهم بالعذاب إن أعرضوا فقد جمع بين الانذار والتبشير والاختار والاطماع وهذه هي الطريقة المثلى وذلك في قوله تعالى - الر . أحكمت آياته - الى قوله - عذاب يوم كبير - ثم أخذ يشرح سعة علم الله واحاطته بالكانات فلا تخفى عليه خافية بما أبان من اطلاعه عليهم وهم مستغشون بتيابهم في اختلاطهم وفي أسرهم وعند نومهم وبقتلهم وعلى السوابق ذلرية والبحرية في غموضها ورواحها ولبها ونهارها وتقديره أرزاقها وقبامه بما يقم به أودها ويبقى حياتها ويحفظ نسلها الى أجل مسمى . ثم شرح قدرته عز وجل بما أبلغ من عجائب السموات وغرائب الأرض ولم تكن شيأ مذكورا حينما كان عرشه على الماء فما قدمناه منحصرا في العبادة والتوحيد والانذار اجالا والتبشير . ولقد كانت العناية بصفات الله أتم والاهتمام بشدته وعلمه أعظم ليكون ادعى للمضوع لظلمته واليقان بصله وحكمته وذلك ادعى لاجلاله والخوف من عقابه وهيبه سلطانه وامتنال أمره واجتناب نهيه والايقان بديع حكمته حتى لا يكون العالم بلا غاية ولا أعمال العباد بلا نتيجة

والمقصود الثاني وهو من قوله - ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت - الى قوله - هل يستويان مثلا أفلا تذكرون - . أخذ فيه يؤنيهم على استبعادهم البعث بعد الموت ووصفهم له بالسعرواضط - لئلا عذاب الدنيا إذ يقولون - ما يعجبهم - وما أجمل أن يشرح خلق الانسان العام وما فيه من النقص والجهل فهو اليؤس من الفرج . الكفور بالله اذا أصابه الضر وهو الفرج البطر الفخور ان أذاقه الله لعمه . ذلك لجهل الانسان وتصغر نظره الحيواني الطيبي . ولا مفر من هذه الخلة الشائنة إلا بالصبر في الضراء والسراء بالصفة والكينة والوقار و ضبط النفس في الفنى والتعالى عن الانتناس بالمادة وأن يغفر في زوال الحياة وفناء اللذات وانتقال للمال من يد الى يد وتصير الآجال وذهاب الأموال وسرعة قلب الأحوال وضبط النفس

في الحالين من فقر وغنى يصير الانسان رجلا كاملا • وما أنسب أن يسأل النبي ﷺ عما يشق به صدره بما يقولون عليه تسليلا وتثبيتا لفقوده فأُزيل عليه ما شلج صدره إذ قال - فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك - الى قوله - إنما أنت نذير -

ثم شرح حال المرأتين والمنافقين والمشركين وأبان أن أعمالهم حابطة وأظهر ما عليه المؤمنون والنبي وصحة حجته ووضح طريقهم وتبليغ نور شمسهم وانهشاع النور بأضوائه ووضح الحق بالقرآن وطلوع النور بالبيان بقوله - أفن كان على بينة لئح - ولم يبق من أنواع الإيضاح إلا أن يمثل أولئك الذين لم يروا شمس الهداية ولم يتبينوا نور العلم والحكمة وطلوع الحق الواضح في القرآن بأنهم عمى لا يسمعون وهم لا يسمعون والآخرين مبصرون سامعون • فتعجب كيف تخرج من أول السورة الى هذا المقام من حال الى حال فتوحيد يتبعه عبادة يتلوها نظام وعلم يتلوها انذار بعباد من بعد ذلك إيضاح وإيضاح ويان يقفوه بيان حتى صار المفلول محسوسا والغائب مشاهدا فضع بالأمر فوصف قوما بالصم والبصم • وآخرين بالبصم والسمع فالصم عن رؤية السموات والأرض والنواب ومستودعها والصمم عن سماع الموعظة والانذار والتبشير • ولم يبق بعد هذا البيان إلا أن يقص القصص ليحتموا • ويقوم البلدان ليذكروا • ويسمهم التاريخ ليزدجروا لطمعهم يصرون عدا إذ قال - وتلك عاد لئح - ولطمعهم يسمعون ماحل بالأمم الغابرة والأجيال البائدة ولا يكونون مما عن الموعظة عميا فلا يصرون آثار الأمم البائدة وأهلها الهامدة وأحوالها الغائبة ذلك هو الحب الهباب

(المقصود الثالث) من قوله - وقد أرسلنا نوحا الى قومه - الى قوله - بش الرصد المرفود - وفيه تخطيط البلدان التي سكنتها هذه الأمم والألحاح الى تاريخهم • ذكر الله في هذه السورة عادا وثمود وإبراهيم ولوطا وشعيبا • فقوم نوح نبيهم نوح • وعاد نبيهم هود • وثمود نبيهم صالح • وقصص إبراهيم لم يذكر معه قومه فيها • وأهل سدوم بناحية حصن بالشام نبيهم لوط • وأهل مدين نبيهم شعيب • وأهل مصر نبيهم موسى

### (مسكنهم)

أما قوم نوح قبيل الهند • وقيل بالعراق ومالوا لاها • وأما عاد وثمود فهما بجزيرة العرب حوالي اليمن وأما إبراهيم فقد كان في تلك الحال بفلسطين من أعمال الشام بعد أن رحل أبين أخيه لوط من أرض بابل فكان هذا بفلسطين وهذا بسدوم وهي خمس قرى بينها وبين فلسطين نحو أربع فراسخ • وأما أرض مدين فطل شاطئ البحر الأحمر تجاه بلاد صعيد مصر من الجهة الشرقية • وأما أرض القراصة فمعلومة وهي مصر • التي تعجب كيف كانت الأمم للذكورة في السورة محصورة في جزيرة العرب وماحولها داخلية الآن في حوزة الاسلام • ليتعجب طلاب العلم ولتذكروا كيف كانت هذه السورة جامعة لتقصص الأمم المحيطة بالكعبة أو مايقرب منها • وكيف أراد الله إيقاظ أقوام سكنوا تلك الأقطار بعد نومها وحياتها بعد موتها وعزها بعد ذلها وشرها بعد ضمتها • وكيف دخل الاسلام هذه الأقطار وعم هذه الديار فدخل اليمن وماحولها وضم جزيرة العرب ومصر والعراق وبعض أقطار الهند • هذه بعض حكم القصص لم يذكرها الله إلا بإقتضا لأهلها فاستيقظوا وتذكروا لأهلها فتذكروا

### (المقصود الرابع استنتاج الأخلاق مما ذكر في المقصد الثالث)

جرت عادة لله أن لا يهلك أمة • ولا يبيد دولة • إلا اذا عاث أهلها في الأرض فسادا أو بطشوا بطش الجبارين وطفوا وبنوا واستكبروا وأفسدوا فتكون العقوبة الهلاك في البرين والعذاب في الحياتين والنقاه بالويلين • فان الله لا يهلك القرى لكفر أهلها اذا كانوا مصلحين لشأنهم منتظمين مدنهم حافظين لأمرهم

ضابطين لنظامهم قائمين بأعمالهم كما قال تعالى في هذه السورة - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - فأما اهلاك قوم نوح فبسبب الاعراض عن الهدى واستمراء مرمي الجهل والاخلاد الى الأرض والتباعد عن الرشد واتباع طرق الفسق والاستكبار على العقلاء الذين آمنوا واستزداهم واستهزأهم بالعلم والهدى وانفتهم أن يأخذوا العلم عن بشر مثلهم والحكمة عن واحد منهم . الا أن قسوسهم حيوانية وجسالاتهم حجرية كمثل أولئك الذين لا يرضخون إلا لطم غريب عن السيار نازح عن الأوطان لما أنهم لا يسقلون إلا كما تعقل العاتقة الجهاد من الخنوع للجبارين والأخذ عن المجهولين أو السحرة للسكران أو القوم الشاذين لقوة سلطانهم بالترهات وسيلهم بالطلمعات . أما العقول فهم عنها مزولون . ثم إن الكبد والجهل صنوان وهما رضيعا بلان وفرسارهان وخيلان لا يفرقان وعقيدان لا ينفصلان فهلكوا بالفرق وبدؤا بالطوفان وأما قوم عاد فلقد طفوا في الأرض وبغوا وقالوا من أشد منا قوة فأبدتهم الرياح والزلازل وأهلكتهم فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم . وأما ثمود فكفروا النعمة ولم يشكروها وجعلوا بين قبضتين نعمت في طلب الآيات وخولقوا العادات وكفر على نعمة أعطوها فلم يحمدوا الله فشكروها بل ذهبوا الناقة ظالمين وأكفروا لجهلهم كافرين فاصفرت الوجوه ثم احترت ثم اسودت ثم أخلتهم الصيحة التي صاحها جبريل وزلزلت الأرض ورجفت بهم رجفة فأصبحوا هالكين . جمعت ثموديين (الحستين) معاداة العلم والنعمت وطلب الخوارق للعادات والبنى والظلم فقد أساءت في القوة العلمية ولم تحسن في القوة العملية . وقوم لوط فسقوا وأولموا بالشهوات الجنائية فضعفوا ما يبيد النسل وطفوا في شهوة الفرج كما طغى أهل مدين فيما به قولم الأجسام من المكيل والموزون . وما لفيان قوم فرعون إلا كعاد وقوم نوح فالتبعية أن قوم نوح وقوم فرعون وعادا ملكتهم القوة النفسية وأخلتهم النفس الشيطانية . وقوم لوط وأهل مدين ضلوا بالقوة الشهوية هؤلاء فيما بقي الأجسام وهؤلاء فيما يدب النسل . وهؤلاء فيما يبد الجوعة وهؤلاء فيما به يتناسل الحيوان والانسان وقوم شعيب عليه السلام أقمضوا القوة العقلية فاستحبوا العمى على الهدى

هذه جماع علم الأخلاق ذكرها الله في السورة تذكرة لهذه الأمم وإيقاظ لها وإبذانا بأن الأمم التي أهملت شأنها فلم تقو أرادتها ولم تستيقظ عقولها ولم تصلح شؤون قوسها أولئك التي اغترت بأنفسها وفرحت بما عندها من العلم ونامت على مهاد الراحة واستكبرت عن أخذ العلم من أكابر أهل منهم مقاماً وأرق شأنها وأوسع حكمة كملكه مراكش أيام استقلالها وعظمتها أولئك التي أطلقت أيدي العابسين من أبنائها فلم يأخذوا على أيدي الظالمين فساد الفساد بتطيف المكيل والميزان وعموم الرشوة واعطاء المرء ما لا يستحق من الأعمال وبخس الفضلاء حقوقهم وترك حبل الامور على غاربها فأولئك لم يحلوا ذاهبون للدار واقصون في شرك الويل والشبور

( المقصد الخامس استنتاج النظام العام الحالى من هذه السورة في هذه الأمم وكيف كان هلاكهم تابعا

لسقوطهم في الأخلاق والنفسية والآداب . وكيف رجحوا لتاريخهم القديم اليوم )

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت . فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إن هذه الأمم التي قصها الله تعالى في هذه السورة بعد أن هلكوا واستؤصلت شأنهم ملكت أرضهم وسكنها قوم آخرون وهى الآن بلاد الاسلام فنحن أهلها للمالكون وأصحابها للسيطرون . ولما طغى أهلها البائسون أغلقتهم صاعقة العذاب المون . فمنهم من أغرق . ومنهم من أهلك بريح مصرعانية . ومنهم من أخذته الصيحة . ومنهم من خست دياره فصاروا صعيدا جزا . وذلك القصص من للسلطات عند سامى القرائن . فلنقص حالنا اليوم بمن حالنا ديارهم واتخذنا مساكنهم وننظر هل أحسن الخلافة وعرفنا قوله تعالى - عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون -

نرى أن البلاد العربية خاوية من العلوم . خالية من النظام . عريقة في التقاطع والتدابير . وهكذا مصر لما أن رأيت بصيصا من النور لم تعرف كيف تبصر ولم تزن أعمالها وخلطت عملا صالحا وآخر سيئا . وهذا القول منذ ١٤ سنة كما قمت لك . أما الآن فلنأخذ في الاستقلال والرقى . وهكذا أرض بابل ومابين البحرين فان الجهل لا يزال ضاربا أطنابه في ربوع الاسلام فلذلك أحاطت به من كل جانب المصائب وحاق بنا المكروه من كل جانب وهذا مقدمة لعذاب الخزي في الحياة الدنيا مثل ما حلّ بأسلافنا . حنونا حنوم حنوا القذة بالقذة . وما ذكر الهلاك البغي إلا لينثرنا بالهلاك التدريجي والعذاب العظيم باحتقار الأمم لنا واستزائهم بنا . فلقد تركنا عقولنا وغائنا فلم نرب القوة العقلية ولم نتم الفكر الانساني وكثرت الرشا والفساد في المبيعات كما فعل أهل مدين ونجراًنا على المحرمات كقوم نعوذ . والطاقة الكبرى أننا فرحنا بما عندنا من العلم ومصمنا أذاننا عن الحكمة التي أرسل الله أنوار شمسها على أرض المغارب وكساها وجه اليابان والصين وأذاقها لأمة الأمريكان فكبرنا عن العلم ونحن الجاهلون وأعرضنا عن الحكمة ونحن معرضون وغنا والناس مستيقظون . هذا ما كتبه إذ ذاك ولكن الآن دبت الروح في جميع هذه البلاد وعسى أن ترقى هذه الأمم وهم فرحون مستبشرون

( المقصد السادس دولة هذا الداء وخاتمة السورة من قوله تعالى - ذلك من أنباء القرى -

الى آخر السورة )

قد بان لك حالنا اليوم ومأخاظ بنا من مكروه وما نزل بنا من شر . وكيف أصبحت أم الاسلام غارقة في بحار الجهل نائمة في قفار الضلال بعيدة عن طريق الهداية لإقلا . وكيف عكفوا على المجد القديم واستكبروا في الأرض غير الحق واكتفوا بما عندهم من علم قديم وعجد موروث وأهلوا الأخلاق والفضائل وقال قائمهم لمن يسأله عن سبب انحطاط أم الاسلام (انها للعاصي) . ولوسأله أى هي قتال القبيحة والخبيثة والخر وما أشبهه وأكثروهم يجهل أن الجهل أكبر للعاصي وأن نظام المدن ورق التجارة واتقان الصناعة واحكام الزراعة ونظام الامارة من أفضل العلوم والجهل بها أكبر للعاصي وأقبح المخازي وأن عكوف كل امرئ على شأن نفسه وحده وتركه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسوأ أثرا وأكثر خطرا وأعظم ضررا من غيبة ونجاسة . ولا سبيل لصلاح البلاد الاسلامية واسعاد الأمة المحمدية إلا أن يجتثوا في العلوم والصناعات واحكام التجارات والامارات ونظام المدن والجماعات ولم يؤسنا ربنا من السعادة ولم يقنعنا من اصلاح حالنا وتغيير العادة . ألا ترى كيف ذكرى السوء بعد الداء فقال - إن الحسنة يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين . واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين . فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض لإقلا عن أنبيائنا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين - فان معناه هلاكان في الأمم الفائرة والقرون البائدة مرشدون ناهيون وعلماء واعظون وحكام مبصرون ينهون غوغاهم ويرشدون جهالمهم ويضربون على أعقابهم كما ضلت أمة اليابان والصين والأمريكان . فان الأمة اذا اقتربت من العطب وانسل إليها الاهلاك من كل حذب فأيقظ أهلها الموقظون وأرشدوا لموضع الداء الناهيون أرجعت العز الى نفسها ونصرت على عدوها وإذ ذاك لا ينالهم هلاك الدارين ولا يحيط بهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولا عذاب السمير في الآخرة . وتجب كيف يقول بعد أن أتم قصة فرعون - تلك من أنباء القرى قصه عليك منها قائم وحيد - وكيف أرجع الظالم للهيم وقال - وما ظنهم بالحق - ولكن ظلموا أنفسهم فاستغنتهم الآلهة المعبودة . هكذا لم ينفع أهل الشرق اليوم من يمدهم وينجهم من بعض الرؤساء الجاهلين بل زادهم تنبيا . ثم قال أحوال الأمم في الأرض بهذه الأمم للذكورة فقال - وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة - ثم شرح عذاب الآخرة وكيف يسد قوم بلجنة ويشقى آخرون بالسمير

مقاصد الدين ﴿أمران﴾ بقاء الأجسام بنظام اللدنية وحفظ النفس وسعادة الأرواح بالعلوم والشوق الى معرفة الله والعبادة ولا أرواح بلا حياة ولا حياة بلا نظام . لذلك كان جل مقاصد هذه السورة حفظ الأجسام وبقاء المدن ونظام الجمعية وحفظ الأموال لمهت الناس لجعها و يتضافروا على العمران ويكثر النسل فنى الله عليهم البخس فى الليحات واللواط والاستكبار عن العلم النافع . فهذا كله بقاء الأجسام وهو النظام المدنى وقد أرشد الله لحفظ الأرواح وتزكيتها بالعبادة والتوحيد والأخلاق الفاضلة فتجب كيف غفل المسلمون اليوم عن النظام المدنى . وكيف يقرؤن ولا يعلمون ويعيشون ولا يفكرون . إني أنذر المسلمين اليوم كما أنذرهم الله وأقول لهم ليقيم في كل قطر من أقطار الاسلام رجال يحضون على العلوم ليكتبوا ليرشدوا اخوانهم ليأمرؤا بالمعروف لينهوا عن المنكر . أحذر المسلمين أن يهلكوا كما هلك من قبلهم . إني أنذرهم صاعقة المدافع والعذاب الواقع ماله من دافع وحصد النفوس وذهاب القلوس وضايغ القرى ومن يعش يره

﴿ آيات الأخلاق . آيات العلوم . آيات الأحكام . آيات النظام العام ﴾

( آيات العلوم من هذه السورة إحدى عشرة آية )

- الى الله مرجعكم وهو على كل شئ قدير - الى قوله - فى كتاب مبين - وقوله - وقيل يأرض - الى قوله - الظالمين - وقوله - إني توكلت على الله ربي وربكم - الى قوله - مستقيم - وقوله - فان تولوا فقد أبلتكم ما أرسلت به اليكم - الى قوله - حفظ - وقوله - ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة - الى آخر السورة

وهذه الآيات فى الأكثر بيان لعظمة الله عز وجل وجلاله وقدرته وسلطانه وعلمه ورحته التى وسعت كل شئ . ومن أعجب ما فى هذه الاحدى عشرة قوله تعالى - مامن دابة الا هو أئخذ بناصبها إني ربي على صراط مستقيم . - لن يعقل دقائق لحطة الله علما بالبرابرة الا من قرأ علوم الحيوان ووقف على غرائزه ومجابه وبدائع تركيبه ومحاسن صنعه وما أتبع له من أعضاء منظمة وهب من قوى دراية وصور براءة ونفوس عذارة . إن فى الحيوان آيات وفى النحل لحبا وفى النمل حكما . واقرأ إن شئت خمسة الصنكوت ونظام بيوت النمل وبدائع دودة الحرير ونظام الجراد ودود القطن وكيف أكلت مما فليبه ولبسنا مما نسجت أختها دودة الحرير فكيف كانت احداها تخلع علينا لباسها والأخرى تسلبنا مازرعنا للبدنه . إن فى الحيوان والانسان لغرائب - وفى خلقكم وما يث من دابة آيات لقوم يوقنون - . كل ذلك فى كتابي ﴿ جمال العالم ﴾ انتهى

﴿ آيات الأخلاق منها قوله - الزه كتاباً حكمت آياته - الى قوله - عذاب يوم كبير - ﴾

فى هذه الآيات الثلاث خلق التوبة ثم إن قوله تعالى بعد ذلك - ولئن أذقنا الانسان منا رجة ثم زعناها منه إنه ليؤس كفور - الى قوله - وأجر كبير - فيه ذم خلق الأشر واليأس وطلب الصبر على البأساء وضبط النفس فى السراء والغنى وقوله - فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا - الى قوله - وباطل ما كانوا يعملون - فيه ذم صفة الرياء وقوله - ولئن عود الخ - فيها خلق التوبة وشرفه وقوله - والى مدین أخرجهم جميعا - فيه طلب العدل فى الكيل والميزان وقوله - ولولا كلمه سبقتم ربك - الى قوله - لا يضيع أجر المحسنين - فيه الأمر بالاستقامة وترك اللذائنه والزكون الى الظلمة والصدع بالحق - والاستعانة بالله وفعل الحسنات والصبر . أما آيات الأحكام فقوله تعالى - وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إني الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين . واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين - وقد زلت فى عمرو بن عرجة بالغ الثمر وقد قبل اجنبية . وهذه الآية تدل على أوقات الصلوات الخمس . فطرنا النهار الفجر فيه صلاة الفلدة . والعشى فيها الظهر والعصر . ولزلق أى الساعات القريبة من النهار لصلاة المغرب والعشاء



ولا تكفر الصلاة إلا الذنوب الصغار على الأوجه . أما آيات النظام العام فهو غوى السورة ومقصودها والله أعلم

هذا هو للنقص الذي كتبه في ذلك التاريخ . فلا شرع في تفسير السورة تفصيلا بعد ماعرفتها اجالا وقرأت حكمها الشريفة وعجائبها اللينة لتكون على بينة من معانيها وفي الفهم على صراط مستقيم

### ( الْقِسْمُ الْأَوَّلُ )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

الر . كِتَابٌ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ . أَلَّا تَتَذَكَّرُونَ إِلَّا اللَّهُ  
إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ . وَإِنْ أَسْتَفْهِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ يُمْسِكْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا  
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ  
كَبِيرٍ . إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا  
مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَخْفُونَ مِنْهُ يَمْلِكُ مَا يُخْشَوْنَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . وَمَا  
مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ .  
وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُتْلَوْكُمْ آيَاتِهِمْ  
أَحْسَنَ تَمَثُّلاً .

لأبدى الكلام على البسملة وعلى قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها  
ومستودعها كل في كتاب مبين -

جرت عادة العلماء في الاسلام أن يسهبوا في الكلام على البسملة في أول كتبهم ويشرحوا ما يحضها  
من العلوم الاثني عشر الأدبية كالنحو والصرف والمعاني والبيان والبدع والخط والانشاء الخ  
أما في هذا التفسير فاني تكلمت عليها في أول سورة الفاتحة وبينت الكلام في رحمة الله عز وجل أي في  
المقصود من أنزال القرآن الى هذه الأرض . ان أكثر العلماء رحمهم الله أرادوا ترقية العقول واتساع القهن  
بالعلوم التي هي آلات الفهم . أما أنا فاني بحمد الله أكتب هذا التفسير لأناس لم حظ من هذه العلوم فقل  
أن أوجه اللهم الى ما هو للمقصود من ذكر الرحمة قد ذكرت شيئاً منها في الفاتحة وشذرات في سورة آل عمران  
هند قوله تعالى - يبدك الخبر - وقوله تعالى - وترزق من تشاء بغير حساب - فبينت هناك رحمة عز وجل  
في الخشرات وغيرها وأنه سبحانه أخذ بناصيتها وهكذا عند قوله تعالى في سورة الأنعام - وما من دابة في  
الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا أم أشتاكم - وكذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف - ورحني وسعت  
كل شيء - وههنا أقول إن الله ذكر الرحمة في القرآن في أول السور فوق للثنتين وهكذا ذكرها في مواضع  
كثيرة كقوله تعالى - وهو أرحم الراحمين - في سورة يوسف ولم يبق الأمر عند هذا الحد بل قال في نبينا  
ﷺ - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - ولا جرم أنه الآن في العالم الأعلى فوجب أن تكون نحن المسلمين  
على الأرض قاطنين بالرحمة والرحمة على ( قسمين ) رحمة بالحيوان . ورحمة بالإنسان . أما الرحمة بالإنسان

فلن تم لنا إلا إذا أصبحنا عاقلين بقدر طاقتنا بعلوم هذه الدنيا حتى نرقى نفوسنا ورتقى غيرنا . ومستحيل هذا الرقى إلا بنشر العلوم بيننا أولاً وهكذا الصناعات وحيث نرشد غيرنا ونكون راحة • أما الآن فلا فن يجمل الراحة العاقبة كيف يستعملها وكيف ينشرها بين الناس فرجتنا على مقدار علمنا فيها وعلمنا فيها على مقدار علمنا اليوم قليل • وأما الرحمة بالحيوان فانتا معاشر الأمم الاسلامية لم ننشرها بين الشعب بل حصرت في كتب الفقه والأهم الاسلامية ساهية عنها لاهية والقرنجة قاموا بجميعة المحافظة على الحيوان في بلاد الاسلام وهذا بسبب كتبهم التي ألفوها لصغارهم وفيها ما يرقق القلب على الحيوان ويورث الشفقة فلا ذكر هنا ما جاء في الأحاديث الصحيحة عنه عليه السلام ثم أنبه بما يفتح الله به • وقبل أن أذكر الأحاديث أقدم مقامة فأقول

إن العالم على **(قسمين)** عالم لطيف وعالم كثيف • فالعالم اللطيف لا تدرى منه شيئاً إلا العلوم والأنوار والجمال • نحن في هذه الأرض نحسّ بنعمة العلم وبنعمة الجبال وبجمال النور • هذه النعم الثلاثة نحس بأنها خالية من الحزن ومن الكدر والنحس والشقاء • يقف الانسان مبهوراً أمام الجبال فينسى كل حزن ويشعر بسرور وخفة روح ولطف واحبّ الذي سببه الجبال يأخذ بلبّ صاحبه على مقدار الاحساس بالجمال فيغيب عن كل حزن وكدر في ذلك الزمن الذي غشي الحبّ على قلبه • ولقد عرف الناس أن الحب درجات درجة دنيا وهو حبّ الجهال للجمال الظاهري فانه سريع الزوال • وحبّ العلماء لجمال العلم • فهذه درجة وسطى • وحبّ الحكماء وأولى الألباب لخالق الجبال • وهذه هي الدرجة العليا • فالجاهل يليه الجبال الحيوانى في وقت ما عن حزنه وغمه وشقائه • والعالم والحكيم يجدان لذة لا يحسّ بها الجاهل في علمهما وسكنتهما وإدراك منظم هذا الوجود على قدر طاقتهما وهكذا النور الذي هو عالم وسط بين الماديات والمعنويات يسرّ النفس على قدر ادراكها له • هذه مظاهر تبعث في النفوس لرتبها لعالم المجردات الذي لم نلّه في هذه الدنيا • أما عالم الماديات فان الرحمة فيه لا تكون إلا باستعمال الحكمة وإظهار بدائع القدرة واستكمال صور الموجودات بأنواع التنظيم والاحكام • إذ يظهر أن هذا العالم المادى الذى نعيش فيه عالم متأخّر تغلب عليه الشقاوة ولكن يد القدرة ومحجب الابداع والاحكام قرّبه من الرحمة • وفي هذا التفسير من عجائب التدبير لأجل الرحمة ما يمكنى اللبيب مثل ما ذكر في سورة البقرة عند قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - وفي آل عمران عند قوله - يدك الخير - وفي آخرها أيضاً ومثل ما ذكر أول سورة الشورى • وهكذا ما جاء في آية - ورجنى وسعت كل شئ - فلا نعيده ولكن نشير الى هذا الأخير بما ذكره هناك (١) مثل أن الأرض يموزها ما يقلل أو ضرر الموالد لطلبته التي يفسد الحق بقاؤها فيحصل الهلاك • لذلك خلق النبات والجراد ونحوهما من الحشرات (٢) وكثير من هذه الحشرات تضرّ الزرع بجاء البرد أيام الشتاء تقتل تلك الحيوانات (٣) وهذا البرد يضرّ البذر والزرع الناشئ حديثاً زمن الشتاء لاسيما في البلاد التي اشتدّ بردها فجعل لها التلج وإقيا ماتحت من بذر وزرع في البرّ ومن سمك في البحر لأن التلج فوق سطح البحر يمنع البرودة عما تحته فيبقى للماء يندو فيه السمك ويروح برجة الله ثم يشتدّ حرّ الشمس فيذيب التلج فيخرج الزرع نضراً بهياً جليلاً • فانظر لتدبير منظم حشرات لقتال الرطوبة فبرد لقتالها فتلج لاضفاف آثار البرد فتشمس لازالة ذلك التلج ليخرج النبات • هذا مثل واحد من آلاف آلاف الأمثال التي تراها في هذا العالم تدلنا أن النظام والحكمة والتدبير هي التي جعلت في علمنا بعض الرحمة لاسيما • إن أرضنا كثيرة التعرير سريعة التبدل قصيرة الأعمار كثيرة الزلازل منبت بالشرّ بمنزجها بالخير فلا خير إلا بجعل مصحوباً بشرّ ولا نعم إلا مع ضرّ • ذلك كله لأن علمنا غير مستعدّ لتعام الرحمة فاقس من العالم اللطيف الجليل الذى تقول فيه الأعمار ويظهر فيه الجبال ويتلأأ فيه بأهر الأنوار للدهشة بل إن مالدنيا من النور يصرفنا عن

السور به الرزاي الأرضية . هذا هو علنا . لعلك من هذا تفهم الحديث الذي أخرجه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه ﴾

إن هذا الحديث لا يقبله إلا من درس علوم الطبيعة والفلك وكلما ازداد الإنسان علماً ازداد بصيرة . نحن رأينا الناس لا يرتقون في هذه الدنيا في مال أو علم إلا ينصب وتب ورأينا نظام الحيوانات في البرية مبني على المغالبة ورأينا الأساد تأكل الطباء رحمة بالأساد وبالطباء وبالناس فالولا هذه الحصلة لملائ الحيوانات الآفة العشب السهل والجبل وملأت رحماً عند هلاكها أقطار الأرض فكان الوباء فاقتضت الحكمة بقاء العالم . وليس لهذا طريق إلا أن يخلق حيواناً يقلل ذلك التكاثر ويظهر الأرض من الزم فيجعلها في جوفه بحيث يطحنها ويحيلها إلى مادة لا تنض فيها فيكون بعضها من جلة جسمه وبسبها فضلات خارجات من السيلين فهذه وأمثالها تدبير ولطف - إن ربي لطيف لما يشاء - فهذا التدبير يدهش العقول للتفكر وترى فيه ما لا يحضر بهال المشعوذين من الخيل للجهة الناظرين للمهشة للفكرين . ولعل هناك عوالم أظف وأظف فتكون الحياة فيها أشرف وأشرف وأبني وأطول ويكون الأحياء أعلم وأعلم لكما نحن عليه في الأرض من رحمة أقل - وعلم ضئيل حتى خاطبنا الله قائلا - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - قلنا مناسبة لقلة الرحمة الواسلة إلينا التي منعها نفس استعملنا حتى لم نزل من الرحمة إلا واحداً من مائة . وافق الحديث الآتي

الحديث ينص على أن رحمتنا واحد من مائة والآية جمعت علنا قليلاً . قل العلم قلت الرحمة وليس ذلك كله إلا من نقص علنا الذين نعيش فيه ولم نستعد إلا له . إن نينا ﷺ رحمة للعالمين . وقد ورد في الأحاديث ما أوجب علينا أن نحسن خلقه فيها (١) مثل حديث ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عنه ﷺ أنه قال ﴿ الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ارحم شجرة من الرحمن من وصلها وصلها الله ومن قطعها قطعها الله تعالى ﴾ أخرجه أبو داود إلى قوله من في السماء والترمذي بنامه . والشجرة بكسر الشين المهيمة وفتحها بعدها جم القرابة للشبكة كاشبائك القرون . وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ لا يرحم الله من لا يرحم الناس ﴾ أخرجه الشيخان والترمذي . وفي رواية أخرى لأبي داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال ﷺ ﴿ لا تنزع الرحمة إلا من شئ ﴾ وقد وردت أحاديث في رحمة الله تعالى منها الحديث المتقدم الذي جاء فيه ذكر مائة رحمة عن الشيخين والترمذي وورد فيه زيادات لمثل قوله فيها أي في الرحمة الواحدة تعطف الولاية على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض . وجاء في حديث رواه الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قدم على رسول الله ﷺ بسي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها إذ وجدت صبياً في السبي فأخذته فألزقته ببطنها فأرضته فقال ﷺ أمروا هذه المرأة طارسة ولدها في النار قلنا لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه قال فأنه تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها

وجاء في رحمة الحيوان (١) ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ بينا رجل يمشي بطريق اغتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيه فشرب ثم خرج وإذا كلب يلهث بأكل التري من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فلاحظه ماء ثم أمسكه به حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجوا قال في كل كبد مطبوعة أجو . أخرجه الشيخان وأبو داود . وفي رواية أخرى أن امرأة بيا رأيت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلج لسانه من العطش فنزعت له موقها فغفر لها به (اللو الخف) . وعن عبد الله بن جعفر رضي الله

عنه قال كان أحب ما استر به رسول الله ﷺ حاجته هدف أو حائش نخل (الهدف ما ارتفع من الأرض وحائش النخل نخلات مجتمعات) فدخل حائطا (بستانا) فإذا فيه جبل فلما رأى النبي ﷺ من ودفرت عيناه فأتاه رسول الله ﷺ فسبح ذفراه فسكت ﴿ ذفرى البعير للموضع الذى يمرق من قفاه خلف أذنيه ويعمل فيه القطران وهما ذفران فقال من رب هذا الجبل فقال نبي من الأنصار هو يارسول الله فقال أفلا تتق الله في هذه الهيبة التى ملكك الله إياها فانه شكالى أنك تجعجه وتدثبه (تعبه بكثرة استعماله) أخرجه أبوداود • وقال ﷺ ﴿ لا تتخذوا ظهور دوابكم منابر إنما سخرها الله لكم لتبلغكم - الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشئ الأفسس - وجعل لكم الأرض فعليا فاقضوا حاجتكم • أخرجه أبوداود

وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فرأينا حرة (بضم الحاء وتشديد الميم نوع من الطير في شكل الصفور) تعرش (زفر) وترى جناحها وتدنو من الأرض لتقع عليها ولا تقع فلما جاء رسول الله ﷺ قال من جلع هذه بولدها ردوا ولدها اليها • ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال من أحرق هذه قلنا نحن قال انه لا يبنى أن يمدب بالنار إلا رب النار وروى الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ قرصت نملة نيا من الأنبياء فأمر بقرية نمل فحرق فأوحى الله تعالى اليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح ﴾ اه (نظرة في هذه الأحاديث وفي الآية التى نحن بصدد الكلام عليها)

يقول الله تعالى - وما من دابة في الأرض إلح - ويقول هود - ما من دابة إلا هو أخذ بناصيتها - ويقول في سورة الأنعام - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أثناسك إلح - وها هو رسوله ﷺ يقول شكوا الجبل الى - وأمر صاحبه بالرفق به • ويقول غفر الله لى سقت الكباب بخفها • ويقول في الطائر من جلع هذه بولدها • هذه الأحاديث توجب النظر والبحث وتوجب على علماء الاسلام في سائر الأنظار أن ينشروها ويشرحوها ويقولوا للناس في نشراتهم وفي كتبهم ﴿ يبنى عدم أخذ مسفار الصافير والطير من أعشاشها ﴾

### ﴿ خطاب الى علماء الاسلام ﴾

أيها العلماء • ويا أيها المسلمون • أما أن لكم أن تذكروا هذه الأحاديث وتقولوا للامة إياكم وأخذ فرخ الحمام من أمه قبل استكمال تربيته وذبح الجبل مادامت أمه ترضعه • وإياكم وصيد الطيور البرية ما دامت تربي أولادها وتقولوا يجب دراسة علم الطير والبواب والحشرات وفهم طباعها فهما دائما ثم جعل الأحكام مطابقة لذلك بحيث يحرمون الصيد في وقت الترية والبيض وما أشبه ذلك • إن هذه الأحكام يختلف فيها العلماء اختلافا كثيرا ولكن لا معنى للخلاف مع وجود الحديث • ولعل الأمم المسيحية أقرب الى الرحمة منا اللهم إني أبرأ إليك من هذا الجهل القاشى في أمة الاسلام • اللهم قد نهبت وأوهجت وحسنا الله ونم الوكيل • اللهم ان نبيك محمدا ﷺ نبي الرحمة وقد أئذرحذر ولكن الناس أهملوا والأم كلها تيقظت الى هذه الرحمة ونحن اليوم جهلاء بها وأنت أرحم الراحمين فأعلم العلماء في الاسلام اكالم ابتداءه وشرح ما أجهلاه • ألهمهم إلى أن ينظروا في هذا الوجود • ألهمهم أن ينظروا في الأم حولهم ويقرأوا علومهم بلغاتهم فانهم يجدونها قد حفظوا على هذه الحيوانات وفكروا فيها ومنهم من يرجعها وقد ألفوا جاعات تجوس خلال ديارنا لرحمتها وإن كان علمهم أتر وناقصا • ألهمهم أن يفكروا في أمر الاسلام وكيف يكون المسلمون أقل رحمة بالحيوان من غيرهم غفلة وجهالة وبدا عن الحق • وأنت قد ذكرتنا بأن هذه أم أمثالنا وما فرطت فيها وأن عليك رزقها وانك تعلم مستقرها ومستودعها وانك أخذ بناصيتها فإذا كانت هذه منزلتها منك فكيف جهلنا نحن المسلمين منزلتها عندنا • أياح للمسلمون صيد الحيوان بلا قيد ولا شرط وخالفوا

العلماء وخالفوا رسولك القائل ﴿ من جفع هذه بولها رذوا ولدها البها ﴾ هذا الحديث مذكور في كتاب (تيسر الوصول لجامع الأصول) فهو في حكم الأحاديث الصحاح . ألم بأن للمسلمين أن يدرسوا هذه الأم درسا مدققا اننا وإياها نكون أسرة واحدة فهي تساعدنا في الزرع والضرع والسفر وهي المنقيات لنا لتطربنا في حقولنا والمطويات لنا ملابس ومساكن ومناظر جميلة . ومنها القائلات لحشراتنا الفاتكات بزرعنا . وكيف يعرف الناس أن ولد الحمام يخالف ولد البط والأوز والسباج من حيث عطف الأبوين وأن الفريق الأول في حاجة إلى الأبوين معا يطفان عليه لضغفه ويطمئنه وأن الفريق الثاني يخرج قليل الحاجة إلى الوالدين تقوية بالريش والنقار والقوة والاستقلال والجري وراء أمه من وقت الولادة وتعالى الغذاء من الأرض فلذلك لم يحتج إلى عطف ذكر البط والديك بخلاف ذكر الحمام الذي يعاون الأم ويعطفان معا على الولد ويتقطع قلبهما أسفا وحسرة وحزنا إذا فارقهما وهو ضعيف . أقول كيف يعرف الناس ذلك كله إلا بالدرس والعلم . أفلا يحسن أن يأمر العلماء وحكومات الاسلام بعد ظهور ما كتبنا هنا إلى هذا الأمر ويعرّضوا الناس صيد أمثال (الخفاف والصقور والسمان) أيام تربية الأولاد . وهكذا صيد أفراسها الضعاف أي أن يتركوا الأبوين والنزوية أيام الحضنة ثم يصطادون ما يشاؤون بعد ذلك حين استقلال الولد عن الوالدين فيصبح الأفراخ في شئ عن الأبوين فلا يتقطع قلبهما ولا يترك الأفراخ الصغار مقطوعات لأعائل لها

ومنى زال سبب العطف زال التحريم وهناك يكون المسلمون قاتمين بأمر رسول الله ﷺ القائل رذوا إليها ولدها وذلك لسبب الحزن الشديد والعطف من الأم المرفقة . فأما بعد الاستفاء فإن الأولاد تكون مباحة واذن يصبح هناك فرق بين صغار الحمام وصغار السباج فيؤخذ فرخ السباج وهو صغير لأن الأم لا يتقطع قلبها أسي وسرة . أما الحمام فيعكس ذلك . وهكذا بقية الطيور التي يقول فيها الحديث ﴿ رذوا ولدها البها ﴾ ويكون ولد البط كولد السباج لأن للدار على شدة العطف وعده . هذا ما أراه في هذا المقام . إن هذا الكتاب عام للمسلمين من جميع المذاهب فلا هو خاص بأهل السنة ولا بالشعة ولا بالإمامية ولا بالزيدية بل هو تفسير للقرآن مع الاستعانة بالنسبة . فها هو ذا كتاب الله وها هو ذا حديث رسوله ﷺ وها هو ذا وجدانكم ورحمتكم واحسانكم الشريف أيها العلماء وعطفكم ورحمتكم رسولنا ﷺ فهل ترون أننا نكون أقسى الأم ونينا بشرحة للعالمين . البوذية يحرّمون جميع الحيوان . ونحن أمة وسط فأبيع لنا حيوان وحرم عاينا آخر وأمرنا بالنظر والاعتبار ونقدم في سورة المائدة أن هناك حيوانات نافعات لنا منعت حكومتنا للمصرية صيدها بسبب ما كتبناه كما ستره في سورة يوسف قريبا فقلنا فليحرم صيد هذه الطيور لمنفعتنا في حقولنا ولتجعل هذه قاعدة . إن المسلمين يدرسون علوم هذه الدنيا ويحرمون صيد كل حيوان نافع لهم وهذا أمر يجب ألا يختلف فيه العلماء . فمن قطع أصبع نفسه أويده حرم عليه هكذا هذه الاتي تساعدنا فلها حرام لأن ذلك يفتو منفعتها . أما التحريم الذي أذكره هنا فهو للشفقة والرحمة التي تكررت في أول كل سورة وفي كل ركعة صباحا ومساء وفي القرآن وفي الحديث . فمن الجهالة والتقليد الأعمى المذموم الأبله ألا يفرض السلم بين أفراس الحمام مثلا وأفراس السباج فأتأمّر حكومات الاسلام قاطبة بتحريم اصطياد كل طير في فصل الربيع إبان تربية أولادها حتى يستغنى الصغار عن الأبوين ومن هذا الحمام لدى تربيته في منازلنا . فليحرّموا عليهم ذبح صغار الترية مادامت في حضنة الأبوين . فأما الصغار منها إذا استكملت قوتها فهناك يكون آلام الأمهات قد قلّ كثيرا وخفّ فلا بأس إذن من أخذها

قد اعتاد المسلمون أن يقدموا دروس الصلاة والصيام على أمثال هذا . وكان الأجدر أن تؤلف كتب للصغار فيها عجائب هذه الدنيا باختصار ويذكرون فيها بعض الأخلاق ورحمة الحيوان وذلك كله قبل السكلام على أركان الاسلام حتى إذا اشتاقوا لرحم وأحبوه بحمال صنعه وعموم رحته أخذوا يبينون لهم كيف يصلون

ليصلوا اليه وليتربوا منه فيصلون بحب لما يعرفون من عموم رحته لهم ورأته بهم وبالحويان . وهذا ما وقت له اليوم والحمد لله رب العالمين

فعلبك أيها النكي القاري لهذا التفسير أن تنشر هذا بين الناس بقلبك ولسانك ومالك من قوة وقدرة أوامره . فليسلمون اليوم في حاجة قصوى الى الذكرى وأنا أرجو أن يحيي الله بك قلوبا وقلوبا فان الكتاب لا عمل له وانما العمل للرجال والله عز وجل يسألني عن المسلمين ويسألك عنهم مادمت موقفا بما تقرأه في هذا التفسير والله هوالولي الحميد وحسينا لله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى الكلام على البسملة فلا شرع في تفسير السورة

### ( التفسير اللفظي )

قال تعالى (الر) تقدم في أول سورة آل عمران هذا (كتاب أحكمت آياته) نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم من الفساد وليس ينسخها دين بعدها وأحكمت بالفتح والدلائل وبصح أن يقال أنها من حكم بالضم اذا صار حكما فان فيها أتهات الحكم النظرية والعملية كما قدمنا في ملخص السورة (ثم فصلت) كما تفصل القلائد بالفرائد فن دلائل توحيد الى أحكام الى مواعظ الى قصص أو فعل فيها ما يحتاج اليه العباد أي بين رخص وثم لتراخي في الحل لا في الوقت كما تقول محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل (من لدن حكيم) فذلك أحكم الآيات (خير) بتفصيلها فلذلك فصاها . ولما كان في فصل معنى القول بحى، بأن المفسرة في قوله (ألا تعبدوا إلا الله إني لكم منه نذير وبشير) كأنه قيل أى لا تعبدوا إلخ ثم عطف عليه (وأن استغفروا ربكم) من الشرك (ثم توبوا اليه) بالطاعات (يتعكم متاعا حسنا) يطول فنعكم في الدنيا بمتاع حسنة ويشكم في أمن ودعة وعيشة مرضية ونعمة متتابعة (الى أجل مسمى) الى أن يتوفاكم (ويؤت كل ذى فضل فضله) ويعط كل ذى فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهذا وعد للمؤمن التائب شواب الدارين (وان تولوا) وان تولوا (فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) يوم الشدائد في الدنيا بقطع أو قتل كما حصل فقد أكلوا الحيف كما قيل وقتلوا في الغزوات النبوية وفي الآخرة أيضا بهذاب جهنم (الى الله مرجعكم) رجوعكم (وهو على كل شئ قدير) فيمتنع من يستحق بالرزق ويهبط ذا الفضل فضله ويماقب المسىء ويثيب المحسن يوم القيامة . وهذه الآيات دالة على قدرة الله تعالى ثم أتبعها بما يفيد عموم عله كما عمت قدرته فأبان ما كان عليه المشركون فانهم اذا دخلوا بيوتهم يرخون ستورهم ويحنون ظهورهم ويتغشون ثيابهم ويقول الرجل منهم هل يعلم ما نى قلى فرد الله عليهم قائلا (ألا انهم يذنون صدورهم) يعرضون بقلوبهم من قولهم ثبتت عنائي وهم قد أرخوا الستور وأحنوا الظهور واستغشوا بالثياب (ليستخفوا منه) ليطلبوا الخفاء من الله بتلك الأعمال (الأحين يستغشون ثيابهم) ويحنون ظهورهم ويرخون ستورهم (يعلم ما يستر وما يعلنون) فلانهاوت في عله بين سرهم في تلك الستور والقيام وعنهم في الجامع والمخالف (إنه علم بذات الصدور) أى بالأسرار ذات أى صاحبة الصدور واذا علم ما خفى في الصدور فعلمه بغيره أولى . ولما أثبت قدرته وعلمه العاقلين لجميع نوع الانسان شرع يقررها لجميع الكائنات مبتدئا بالذواب التي هي أقرب الى الانسان لمشاركتها له في الحس والحركة منيا بالسماوات والأرض خاتما باستنتاج أنه قادر على البعث فنقل (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) غذاؤها ومعاشها (ويلم مستقرها) في الأصلاب (ومستودعها) في لأرحام فانابت القدرة بصوم الرزق وانابت العلم بأنه يعلم مستقرها ومستودعها كما ذكر في الانسان أنه يتبع متاعا حسنا متى استحق ذلك وانه يعلم ما يستر وما يعلن على سبيل اللب والنشر المرتب (كل) كل واحد من الثواب وأحوالها (في كتاب مبين) مذكور في التلوح المحفوظ قبل خلقها (وهو الذى خلق السماوات والأرض في ستة أيام) تقدم شرحها

فما مضى في يونس وفي أول الأنعام (وكان عرشه على الماء) وقد تقدم تفسير هذا في أول سورة يونس بأن  
لئلا العلم أى وكان ملكه قائما على العلم ولا يزال كذلك وإنما خلق السموات والأرض ليرى ذوى الأرواح  
فيهما بالغدير والنشر وهذا قوله (ليلوكم أيكم أحسن عملا) أى ليختبركم بين الحياة والموت أيكم أخلص عملا  
ولولا ذلك لكان خلق العالم عبثا - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين - بل خلقناهما لترى  
فيهما نفوسا وترى فيها حياة دائمة وغايات شريفة ويكون لها حياة وموت وارتقاء وانحطاط ابتلاء وامتحانا

(لطائف)

(الطيفة الأولى في قوله تعالى - كتاب أحسدت آياته ثم فصلت الخ -)

لما اطلع على هذه السورة بعض العلماء حدثني قائلا

لما رأيت (الر) في سورة يونس وفي سورة هود قد ذكر الله بعدها الحكمة فهو سبحانه يقول في  
يونس - تلك آيات الكتاب الحكيم - وهنا يقول - أحسدت آياته - ثم يقول - فصلت - ثم يصف نفسه  
بأنه حكيم وأنه خبير - ومعلوم أن كلام الله موزون بيزان - ولذا كنا نرى جيع أفعاله موزونة في أسفر  
الترتبات فهكذا قلين كلامه فلماذا أكثر من ذكر الحكمة بعد هذه الحروف

(ج) لو أنك اطلعت أيها الفاضل على ما تقدم في هذا التفسير فيما تقدم لأمكنك الجواب ولعرفت الحقيقة  
(س) كيف لا أعرفه وأما متذكر كل ما قلته أنت في هذا المقام - أنظر ألم قل في سورة آل عمران  
أن - ألم - جات لايحاط المسلمين للفرور الذى فشا في الاسلام كما اغتر اليهود وأن نتيجة ذلك وجوب نشر  
العلوم الفلسفية والطبيعية والرياضية والفنية والا حق كلمة العذاب علينا وهذا واضح في سورة آل عمران  
وأما أنت قلت أن - ألم - في سورة البقرة مذكر بمسألة الجهاد وبمسألة تحليل العناصر ومعرفة حقائق  
المادة بهم الكيمياء الضوئية وغير الضوئية لأن هذه الآيات هناك مبدوءة بهذه الحروف - ألم - فقال تعالى  
- ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم الخ - وقال - ألم ترالى الذى حاج الخ - فصار هذه الحروف مشيرة  
لعلم الكيمياء وللجهاد ولتعميم العلوم وكذلك في - المص - جاء فيها ما يقرب من هذا مفصلا ومنها شارحا  
المقصود من (ص) التى تشير الى القصص وأن تلك السورة قد جاء فيها قصص آدم وبلية من الأنبياء وأن  
هناك استنتاج قد ذكره الله في نفس السورة ليعلمنا كيف نستنتج من القرآن ومن كل شئ كسالة اللباس  
الذى زال عن آدم المذكور بأنه أنعم علينا بالقطن والكتان الخ وأنه أنعم بلباس التقوى الذى هو خير الخ  
وهكذا نالت قصص الأنبياء هناك وظهر أن كل حجة احتج بها المائدون كانت أشبه بحجة إبليس كأن  
يقولوا - هذا ما وجدنا عليه آباءنا - فصار الاغترار بالآباء أشبه باغترار إبليس بأصله وأنه من نار وأن الناس  
على الأرض اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم سائرهم على هذا الخط - فهذا بعض ما تقدم في معاني هذه الحروف  
فكيف تقول انى لو كنت عرفت ما تقدم لعرفت الجواب أما أنا فاني بعد ما تقدم أقول انه لا يكفى للجواب  
فان تكرر الحكمة والتفصيل والتفسير يدل على مغزى أعم مما تقدم وأبعد مدى وأقوى وأهم

(ج) إن هذه الحروف أنزلها الله في القرآن ليخرج بها المسلمين من ظلمات الجهالة الى مشارق النور  
ومباحج الحكمة ومناهج السعادة وبلحات الجبال وساحات العلم والكمال - علم الله عز وجل قبل أن  
يخلق الخلق أن المسلمين سينلمون نوما هيبا وهم غير مقصرين بل هم مخضون لربهم ولدينهم فأزل الله هذه  
الحروف لترفع الفتاوة عن أعينهم بعد نومتها وتوقظ جاعاتهم بعد غفلتها

(س) أما كون هذه الحروف ترفع عن أعينهم الفتاوة وكونهم هم غير مقصرين في نومهم فهذا أمران  
لا أعقلهما وكيف أعقلهما

(ج) أما كونهم غير مقصرين في نومتهم فاني أوضح لك - أنا من البلاد المصرية ولى نظراء من بلادنا

توجهنا إلى الأزهر لتعلم العلم فوجدنا أماننا النحو والفقه والتوحيد وهكذا علوم اللغة العربية وعلم الأصول وما أشبه ذلك تلك العلوم التي اعتصمت بنا عن آياتنا وأجدادنا من عصور مضت وقد سلطت عليهم ملوك وأمراء ووقوفنا وقت في الأم من الضنك ولم يستخلصوا لنا من ظلم الظالمين إلا ما وصل لنا . فصلنا هذه العلوم ثم نظرنا حولنا فرأينا أمما ودولا وعلوما فرجعنا إلى القرآن فوجدنا أن العلم التي ارتقت بها الأمم يطلبها القرآن فضلا عما صريحنا فنصحننا الأمة بذلك للعلوم . أقول لك لولا اطلاعنا على هذه العلوم ما مكنتنا أن ندعو الأمة لما فأسلفنا الدين ورتبوا هذا العلم كان أكثرهم لم يتطلع على هذه العلوم ومن اطلع منهم أقب ونصح الناس بقراءتها ولكن الجاهل كان يمنع الناس من اتباعهم وعلى ذلك تحول أن أحوال الأمم الإسلامية كانت عتمة عليهم أن يعيشوا على هذا المنوال . فإذا كان علماء الدولة العباسية قد حاز كثير منهم للمقول والمنقول ودعوا إليها كالفرازي رحمه الله والرازي ومثلهما ابن رشد بالأندلس وكثير غيرهم فإن المتأخرين ارفعوا أن يتعلموا العلوم العقلية وقلت فيهم العقلية فهم كانوا لا يعلمون . ولذلك ترى كثيرا منهم حاربوا المفكرين في هذه العلوم كما تراه ونحنا في سورة الأنعام عند قوله تعالى - نجعلونه قرطيس تبدونها وتخفون كثيرا - فاذن علماء الاسلام للمتأخرون منهم من عرف ودعا لما عرف ومنهم من جهل ومنهم من عرف أن هذه حق ولكنه خاف على شهرته فحارب القائمين بها وهؤلاء كلهم عند ربهم وهو يجازي كلا بما فعل . فالمدار في الأم على شيوع الفكرة ففي شاع أمثال ما كتبنا في هذا التفسير فإن الأمة تسير على منواله ومنوال أمثاله ولا تقصر . والسؤال الآن عن هذه العلوم أمثالك أنت عن أيقنوا بهذه الفكرة فهم هم المسؤولون كما انتي أنا مسؤول ولكن لله سبحانه أعانني بنشر هذا الكتاب وهو حق سيعينك كما أعانني بأن ننشر الفكرة بين المسلمين فأنا وأنت وكل من عرف هذه الآراء التي رأيتها في هذا الكتاب فهو مسؤول . أما الذي لم يتطلع فكيف يعلم الناس فالتاس على حسب أسانئهم ومن يباشروهم . فعمل الناس فالفقه سائلك عنهم واحسن من التفسير . هذا معنى قولي انهم غير مقصرين في قولهم أي غالبا فتجد علماء الدين الاسلامي اليوم راضون بما حصلوا من العلم وذلك بسبب ما لقوه الأسانئ لهم والخلف يتبع السلف ولكن هذه النهضة الحالية ستقلب التعليم رأسا على عقب ويصبح الجوز الاسلامي جو حكمة وعلم وإبداع واختراع ونظام وإطلاع على بدائع اجمال الالهى ودوائع الاحكام الصمداني وغرائب النور السيلوى . هذا شرح لقولي انهم كانوا غير مقصرين وأما ...

(س) قال أرجو ألا تحجب عن السؤال الثاني أي ان هذه الحروف سبب في ازالة الغشاوة الا بعد أن أسألك في نفس الجواب الأول (ج) سل ما بدا لك

(س) ما أهم الأسباب في جهل المسلمين بجمال هذا العالم الذي نعيش فيه مع أن الله لا يعرف إلا به والحكمة لاتتم إلا به والعقول لا ترتقى إلا به ونظام الأمة لا يتم إلا به

(ج) قد أشرت إليه في الاجابة (س) هذا لا يكفي (ج) قد تكرر ذكر هذا في التفسير في مواضع كثيرة (ذلك) أن الامام الغزالي في كتاب الاحياء شرحه شرحا وافيا وبين أن علماء الفقه في زمانه اعتادوا أن يسموا هذه الأحكام الشرعية بلفظ (فقه) ولفظ فقه كلمة ممدوحة فإن الله يقول في القرآن - قوم بفقهون - فهي كلمة ممدوحة القرآن والحديث تجرت على الألسن بأنها الأحكام الشرعية وصرفت الناس عن جمال ربهم ومحابته ونباته وحيوانه وحشمه وقره ونجومه الباهرات ومحابته الظاهرات وآياته المدهشات وحكمه العاليات ثم دوج الخلف على ما كان عليه السلف وأصبح العالم في الاسلام هو من يتعاطى هذا العلم في ذلك العصر وبه يتولى القضاء ويتصرف في المجالس ويصبح غنيا بلال والعظمة والجاه يحتاج اليه الملوك في تصريف الدولة لأن الفتوى عليها مدار أمر الأمة لأن الدولة اسلامية والأحكام شرعية ذلك هو ملخص ما قاله الامام الغزالي



ثم أخذ ينقهم ويقول هؤلاء يقرؤون هذه العلوم لدنيا لا لآخرة وجعلهم شرا من الشياطين وتند كحمرا وقال كيف يتركون الطب والسياسة وجميع العلوم ويقولون انهم يقرؤون فرض كفاية مع أن فرض الكفاية جميع العلوم والصناعات . إذن هم لا يريدون إلا الدنيا والا فلماذا لا يقرؤون الطب وتركوه في يد النصارى واليهود . هذا ملخص كلام الامام الغزالي فانظر كيف رأينا اننا نحن جشنا في زمان لادولتنا قوة الجانب فتعزز في الدنيا بها ولا نحن متعقلون فغرضي ربنا . فاذا كان العلماء في زمن الامام الغزالي يطلبون الدنيا وكانت عندهم دنيا فكيف تقرأ علم الدنيا الذي لا يأتي بالدنيا أيضا لأن أكثر العلماء من الشافعية والحنفية والمالكية والحنفية في بلادنا المصرية أكثرهم لا يولون القضاء لأن القضاء اقتصر على مسألة الأحوال الشخصية وأصبح القانون الفرنسي هو الساري في بلادنا . وقد علمنا أن بلاد الترك قد جرت على قانون دولة أوروبية فاذا يكون على رأى الغزالي علماء الدين اذا ساروا على نهج المتقدمين أسوأ حالا ألف مرة من الذين كانوا في زمن الامام الغزالي لأن أولئك طلبوا دنيا ولا آخرة لهم فنالوا الدنيا لأنهم لم حولة بصوله الدين . أما التبعرون في هذه للذئاب في هذا الوقت فهم لا يتلون دنيا ولا آخرة إلا على نياتهم فقط . أما الدنيا فلا وظائف لا أكثرهم . وأما الآخرة فانها لاتنال إلا بأعمال تحتاج لها الأمة وعلوم كذلك والأمة في حاجة الى صناعات وعلوم أخرى غير القضاء والعلوم التي تنال بها الآخرة هي الأخلاق وتهذيب النفس ومعرفة عجائب الله تعالى في سمائه وأرضه حتى يكون الانسان موقنا شاكرا

هذا هو السبب الذي حصر علماء الاسلام في البواثر الضيقة . وهناك سبب آخر وهو حصر طائفتين الأمم الاسلامية في حفظ القرآن بلا عقل ولا فهم وهذه أيضا نكبة أخرى بل القرآن يفهم ويعقل إمام الحفظ وهو أفضل وأما بلا حفظ ونتيجة ترقية العقول والعلوم والأمة ومعرفة جلال الله

(س) ماسبب اقتصر طائفة في مصر وبلاد المغرب وبلاد العرب ونحو ذلك على حفظ القرآن بلا عقل ولا فهم (ج) من أسبابه ما جاء في (الاتقان في علوم القرآن) العلامة السيوطي قال في الجزء الثاني صفحة

١٥٥ مانصه

فصل أما الحديث الطويل في فضائل القرآن سورة سورة فانه موضوع كما أخرج الحاكم في المذخل بسنده الى أبي عمار المروري أنه قيل لأبي عصمة الجامع من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا فقال إلى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة ومغازي ابن اسحق فوضعت هذا الحديث حبة . وروي ابن حبان في مقدمة تاريخ الضعفاء عن ابن مهدي قال قالت لميسرة بن عبيد ربه من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا قال وضعنا أرغب الناس فيها . وروينا عن المؤمل بن اسماعيل قال حدثني شيخ يحدثني أبي بن كعب في فضائل سور القرآن سورة سورة فقال حدثني رجل بالمدائن وهو حجة فصرت اليه من حدثك قال شيخ بواسط وهو حجة فصرت اليه فقلت له من حدثك قال شيخ بالبصرة فصرت اليه فقلت له من حدثك قال شيخ بعبادان فصرت اليه فأخذ يبيدي فأدخلني بيتا فاذا فيه من للتسوقة وبينهم شيخ فقال هذا الشيخ حدثني فقلت يا شيخ من حدثك فقال لم يحدثني أحد ولكننا قد رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم الى القرآن . قال ابن الصلاح ولقد أخطأ الواحدى للمفسرون ذكره من المفسرين في إبداعه تفسيرهم اهـ من (الاتقان) للذكور العلامة السيوطي رحمه الله تعالى

فاذا ظهر لك (الأمران) انكباب الناس على الفقه وانكبابهم على حفظ القرآن . فالأول قضاء في القرون المتقدمة وللاتباع وحسن النية في القرون المتأخرة . والثاني لأجل الأحاديث التي أكثرها موضوعة لأجل حفظ القرآن

(س) الآن قد آمنت بأن هذه هي أسباب الفقه وحفظ القرآن فأرجو الآن أن ترجع للوضع الذي كنا فيه فقد صدقك عن اكمال الكلام فانك كنت ابتدأت بحجب عن قولك لماذا كانت هذه الحروف هي التي ستوقظ الاسام

(ج) تبين مما قمتك لك أن المسلمين غالبا تقودهم العادات والانواع والعامة يتبعون العامة والخاصة يتبعون من قبلهم ولا يفكرون لماذا سار الأولون على نهجهم . قال نعم . قلت فهذه الحروف قد أنزلها الله في القرآن وذكر الحكمة والتفصيل وقال - من لدن حكيم خبير - فאלله حكيم والله خبير والله فصل الآيات والله أحكمها . هذا كله ينبثق عن أمر بعيد الغور عظيم المفزى . فان العاقل لذا سمع هذا القول وعرف أنه قول الله يقول في نفسه لماذا هذا كله بعد حروف لا معنى لها فيفكر فيها طويلا ثم يقول إنما أفردتها الله بالذكر في أول السور لأمر علم هام وهو ما أشرت اليه سابقا ألا وهو قراءة جميع العلوم . إن هذا الصرعصر الكيمياء . إن الكيمياء ترجع المركبات الى عناصرها الأولى والعناصر الأولى قد بلغت ثمانين ولها جدول ستراه في سورة (العنكبوت) والجداول عجيب شيق جليل يدلنا على حكمة ونظام بدیع حتى ان من يطلع عليه يدهش هذه الحكم فانك ترى أن كل عنصر له مع العناصر التي قبله في صفه والتي بعده والتي فوقه والتي تحته أى في الصف الأفقي وفي الصف الرأسي ينسب وزنه وأخرى طبيعية وكبائية فسترى هناك أن العناصر التي ينشأ منها الأرض والكواكب والنبات والحيوان مثل الاكسوجين والادروجين الى آخرها عند النظر الى صفاتها الطبيعية والكيميائية والوزنية تصبح متشابهة مرتبة منظمة مصفوفة بحيث لو غاب أحدها لعرف علمه من هذه الصفوف . ولقد أخبر العلماء عن بعض العناصر قبل اكتشافها ولما كشف ثلاثة منها وضوؤها في موضعها فصارت أشبه بجسم انسان واحد عرف موضع عينه وأذنه وبطنه وهكذا فانظر لعناصر متفرقات في البراري والقفار والبحار لما جمعها العلماء شكلت شكلا واحدا في هيئة تدعى العقول

فهذه العناصر هي أصل العالم التي نعيش فيه وهذه العناصر كلها ترجع الى عالم لم يره أحد يسمى (الأثير) وهو عالم واحد لا يشم ولا يذوق ولا يلمس ولا يسمع ولا يرى . هذا هو الذي منه كانت العناصر ومن العناصر كانت هذه السموات والأرضون على رأى العلماء في عصرنا الحاضر الذي هو أقرب الى القرآن وإلى حروف (الـم) و(الـر) التي في هذه السورة . فان القرآن وجميع الكلام في سائر اللغات مركب من الحروف الهجائية ولن تعرف لغة من اللغات إلا بتحليلها الى حروفها الأولية ولا ينسى الكتابة ولا طبع كتاب ما إلا بافراد الحروف ثم تركيبها . فكما لا تعرف اللغات إلا بمعرفة حروفها هكذا لا يعرف شيء من هذا العالم إلا بتحليله ولا يعيش حيوان ولا انسان إلا بتحليل المواد التي حوله والا لم يكن شيء في عالم الحيوان ولا عالم النبات فאלله عز وجل حكم على علمنا الذي نعيش فيه ألا يكون حسن قوام إلا بالتحليل ورجوع المركبات الى عناصرها سواء أكانت أغذية للأجسام أو أغذية للعقول فلا غداء لانسان أو حيوان أو نبات ولا علم لعالم بأمر من أمور هذا العالم إلا بتحليل ذلك للعلوم ولأرق في صناعة أو طب أو زراعة إلا بتحليل الأشياء الى عناصرها

(س) هذا كلام غامض وأرى مناسبة بين العلوم وهضم الطعام ان هذا مما يسمى المقارقات لا للوقات (ج) إن الذي أذكره الآن هو الحقائق وأسأوضحها لك الآن ولتلم أن هذا هو السر الذي زلت له هذه الحروف وهذا أوان ظهوره للناس لأن الله علم أن المسلم متقاد لقرآن وقد جعل الله هذه الحروف لتكون نورا يستضي به المسلمون لأنه حكم ولأنه خير ولأنه حكم الآيات ولأنه ضاهى ومن تفصيل الآيات أنه أتى بحروف الخفاء التي هي أصول للكلمات فكانت الكلمات فصلت الى حروف . وكما أن الحروف أصول للكلمات هكذا العناصر أصول هذه المقارقات . فلي المسلمين أن يرجعوا في فن التحليل والتركيب في هذه العلوم التي هي مركبات من العناصر كما ركبت الكلمات من الحروف . هذا هو السر الذي أراد الله اظهاره

في هذا الزمان

(س) أرجو أن توضح هذا اللقاع من وجهين ﴿أولاً﴾ كيف كان الانسان هو الذي يحلل هذه العوالم  
﴿ثانياً﴾ كيف تستدل هذا الاستدلال وهل رأيت أحداً من العلماء يحا نحوك في هذا الاستدلال

(ج) اعلم أن الله وضع هذا الهيكل الانساني بهيئة ناطقة بما يأتي أي ان الجسم الانساني كأنه الآن أمامي  
بهيئة خطاب من الله للعباد وهذا ما يسهل على الآن بكلام أفصح من كلام اللسان وأسرع قبولاً في الأذهان  
يقول الله . أي عبادي المسلمين . إن العالم الذي تعيشون فيه خلق لأجل أن تحلوه وتركبوه

والا فلا بقاء لكم ولا مساعدة في الدنيا ولا الآخرة . أي عبادي المسلمين . ها أنا ذا خلقتكم على الأرض  
وخلقت لكم النبات والحيوان والمعدن فنفس أحدكم واحدة ولكنها لها قوى ظاهرة وأخرى باطنة . فبالتقوى  
الظاهرة التي لنفوسكم حلتم مركبات العالم حولكم . ألم تروا إلى أسباعكم كيف اختصت بمالم الأصوات التي في  
المادة سواء أكانت حيوانية أم إنسانية أم نباتية موسيقية وغير موسيقية . ألم تروا إلى أبصاركم كيف اختصت  
بالصور والأشكال والألوان والأضواء والحركات والسكنات والأحجام والأشكال والسطوح والقرب والبعد .

ألم تروا إلى أذواقكم للثبات في ألسنتكم كيف اختصت بأن تميز الحلو من الحامض واللحم والحريف ولز والنعف  
والمرز وغير ذلك . ألم تروا إلى حاسة الشم فيكم التي تميز الروائح الخبيثة من الطيبة وإلى حاسة اللمس التي تميز  
الناعم الملمس من الخشن والحر من البارد والثقيل من الخفيف والصلب من اللين

أي عبادي هذه صفات المادة وهي ست وثلاثون صفة مقدمة على حواسكم الخمس . أنا الذي خلقت  
لكل امرئ منكم نفساً واحدة وجعلت لها خمس قوى وقسمت المحسوسات على هذه الحواس . أنا الذي  
حلت هذه المحسوسات بهذه الحواس فهذا نوع من التحليل الذي أودعته فيكم ولكن أكثركم لا يعلمون  
إن العالم الذي أنتم فيه غليظ ثقل كثيف فانظروا رجتي أيها المسلمون كيف تطلعت جعلت حواسكم وأعضاءكم  
فطلعت هذا الغليظ فصالح لطعامكم وللمسك . حلت الغذاء في أجسامكم حتى استحق أن يلتحق بجملة  
أجسامكم وحوّلت صور المودة حولكم إلى عقولكم فكانت مودة لها زيتها ذكاء وفطنة . كل هذا من  
نوع التحليل . أيها المسلمون فلماذا حرمتم أنفسكم من رجتي الواسعة التي وسعت جميع العالمين . ضربت  
لكم الأمثال بأجسامكم وبعقولكم وأربيتكم أي لطفت المادة فصاحت لأغذيتكم وأدويتكم وتعليمكم  
وأدخلتها في عقولكم فلم تزج صور معانيها بعقولكم كما امتزجت لطافت مودتها بأجسامكم . كل هذا  
أبرزته لكم أيها المسلمون في هياكلكم رجحة بكم وحنانا وسعادة وأنتم أيها المسلمون تصرون على الجهالة  
فأبرزت ذلك في الحروف التي في أوائل السور لعلكم تفكرون

يعيش ابن آدم ويموت بل ربما يكون من العلماء وهو لا يدري أي جعلته بطبعه يحلل الخفوقات أمامه  
بحواسه وهو لا يشعر وأكثر الناس لا يشعرون

أي عبادي المسلمين . ها أنا ذا قسمت الخفوقات حولكم على حواسكم فجعلت الشموس والأقمار والنيران  
من قسم الحاسة البصرية وجعلت النفات في الجوف من اختصاص الحاسة السمعية وجعلت الخلاوة وما معها  
كلها من قسم النوق الذي في ألسنتكم وجعلت رائحة الورد العطرية وضدّها من حاسة الألف الشمية وجعلت  
الحرارة والبرودة والنومة الخ من قسم حاسة اللمس . أليس هذا هو التحليل . لا انتقد حاسة واحدة أن  
تقوم بهذا كله ففرقة على الحواس الباطنة

فاذا اجتمعت هذه الصور في عقولكم استخلصت قواكم الباطنة منها صوراً حفظتها عندها فكانت  
هناك رسوم وأشكال في عقولكم فيها تصرفون ومعانيها تتفنون كما أنكم بأجسامكم تعيش أبدانكم .  
فبصور المحسوسات ترتقي العقول والتفنى بها تبقى الأجسام

### ( الأغذية والعلوم لا يتان إلا بالتحليل )

وكانه سبحانه يقول غطابنا لهذا هذه البيئة التي نبش فيها أيضا يقول . أى عبادى هذه الأغذية المحيطة بكم من حيوان ونبات ومعدن بها تعيشون وتتفككون وتتلون وتقرحون وتقرحون وتسرون ولم يتم ذلك لكم ولن يتم إلا بتحليلها الى أصغر أجزائها . ألارون أن الطعام تتناولونه بقواطعكم وأنيابكم وأضراسكم فكل من هذه يعمل في الطعام عمله . فنها ماهو للقطع كالسكين . ومنها ماهو للتمزيق كاللسان . ومنها ماهو للطحن ثم يتل الطعام بالريق فيساعد على هضمه ثم ينزل في المعدة فتقابله الصارات المختلفة فتزيد في هضمه أى رجوعه الى مادة أشبه باللبن قد وصلت الى أقصى تحليلها حتى يمكنها أن تتركب مرة أخرى في أجسامكم فتصبح لحما وشحما وغفرا وعظما وكبدا وقلبا وورثة وكلىة وشعرا وعظاما وعجينا وهكذا فولا رجوعها الى أدق حالاتها بالتحليل ما أمكن أن يكون هيكلها عظما أو وجها جلا أو شكلا بها عجا

أى عبادى المسلمين . هذه أعمالى في بنيتكم تحليل لغذائكم ثم تركيب لأعضائكم . هذا عملى في حياتكم وحياة حيوانكم ونباتكم لولا التحليل التام ما كان هذا التركيب الجليل . هذا هو الذى تشاهدون آثاره . هذا عملى في أجسامكم ويشابه عملى في عقولكم فأنتم قد خترتم صور المحسوسات في عقولكم وريتموها في نفوسكم . وكأ أنى ضلت المحسوسات على حواسكم هكذا صور المحسوسات في نفوسكم قد قسمتها على قواكم الباطنة . فهذه الصور المرسومة في عقولكم التى اقتبستموها عما تشاهدون قد جعلت فيكم قوى في السماع منها ما يحل ويركب لتلك الصور كما تتصورون أعلام ياقوت نشرن على رياح من زبرجد ومنها ما يحل المعانى ويركبها بقوة عاقلة تصرف فيها كعلم المنطق وكشدير المعاش ومنها قوة تحفظ الصور وأخرى تحفظ المعانى لأجل أن تستحضروا ذلك عند الحاجة اليه وهذا كله تحليل . فهذه للمادة لاسلطان لكم عليها إلا بتحليلها إما تحليل ماديا وإما تحليل عقليا والتحليل للمادى إما بالحواس الخمس وإما بتحليل الأغذية . والتحليل العقلى بالخيال وبالعلم

أى عبادى المسلمين . هذا هو فعلى في حياتكم الجسمية والعقلية لاهياة لكم إلا بتحليل الغذاء ولا علم لكم إلا بتحليل العلوم . هذا حاصل عندكم ولكن أكثركم عنه غافلون . لهذا أنزلت هذه الحروف لن هى إلا تحليل للألفاظ لأرشدكم الى مستقبل أمركم . ان مستقبل الاسلام العلم والحكمة وتفصيل هذه العلوم كما فصلت الآيات . ان مستقبل الأمم جاء مرتبط بدراسة نظام هذه الدنيا ولادراسة إلا بتحليل للوجودات المادية والمعنوية . ولاجرم أن الحروف من عالم الكلام وعالم الكلام يكاد يكون وسطا بين عالم الحس وعالم العقل وان كان هو من أعراض للمادة ولكنه لطيف يقرب في لطفه من عالم الضوء الذى يقرب من التأثير فيكون تحليل الكلمات الى الحروف رمزا الى دراسة هذه الدنيا كلها دراسة تامة ترجع الأشياء الى أصلها كما يرجع الطعام الى مادته في أجسامنا وكذلك المعقولات في عقولنا حلت هكذا فليكن مستقبل الاسلام وهو النظر في ملكوت السموات والأرض ولكنه نظريتين ولايتين إلا بتحليل العلوم تحليل تاما . انتهى

ولقد ظهر أن هذا العصر عصر الكيمياء فيها تقدمت الزراعة والصناعة والطب وجميع مرافق الحياة فالكيمياء الآن عليها مدار الحياة . وناهيك مافى هذا التفسير من خبر كشف استخراج السكر من نشارة الخشب ومن الليرة . وكذلك كشف أن الفصح يقرب في تركيبه من البترول وأن كلا منهما يحتوي على كربون وعلى أكسوجين بمقادير مختلفة وأنهم يجتهدون في أن يجمعوا مقدار الاكسوجين في الفصح مساويا له في البترول فيحول الفصح الى بترول وحينئذ يصبح في العالم قوة جديدة لا يستهان بها . ويظن قوم أن الناس سيحدثون حتى يخترعوا قوتا لنا كما نشاهده من أضف للموتة المخروقة . هذا فعل الكيمياء في وقتنا

## الحاضر فهي قوام المدينة الحاضرة

هذا هو الذي يرمي اليه القرآن . هذا هو بعض السر في ذكر هذه الحروف في أول السورة وهذا هو بعض الحكمة التي ذكرها القرآن وهذا هو الزمان الذي ناسب ظهور هذه العلوم فيه . فاذن هذه الحروف خزنت في القرآن لأجل هذا الزمان حفظناها وحفظنا من قبلنا لتوصلها لمن بعدنا مع مقصودها وهو سوز جميع العلوم وما العلوم إلا بعد التحليل والتحليل هو الذي أتت به الحروف قتل مآثف في العلوم وفنش فانك لا ترى علما إلا فيه تحليل فتركيب ولا تركيب إلا بعد التحليل التام وأنها في الكيمياء

إن المخاوف التي حولنا ونعيش بها مآذيا وعقليا كلها ترجع لهذا المعنى . نحن تأكل النبات والحيوان فتغذي بمادتهما ونحل أجزاءها وتركيبها وقتني صورها في عقولنا ونحلها وتركيبها وهكذا فعل في المعاني وذلك لتغذية عقولنا وترانا نذكر الثور والأسد في كلبية ودمية وابن آوى وتتحيل حيل ابن آوى وضحه على الأسد وعلى الثور حتى أوقع بينهما الصلوة فافترس الأسد الثور ثم ندم ثم حاكم ابن آوى فقتله بالجريمة السياسية . وترانا تتخيل الحمام وهو يتخلص من شبكة القانص كأهل مدينة واحدة متحدين وكذلك نرى الغراب والسحفاة والطهي وماشا كلها قد اجتمعت وهي طوائف متنافرة لصلحة وهكذا نرى السنور والفأر لما فاجأهما عدو لهما أخذ الفأر يقرض قيود السنور ولم يأمن لعدوه القديم وهو السنور وأبقى بعض طيات الجبل فلم يقطعها حتى اقترب الصياد خيفة أن يفترسه القط

وهكذا تخيلنا وتصورتنا صوراً شتى في الحيوانات كإبن عرس والناسك الذي رجع فوجد إبن عرس قد قتل اللعنان الذي أراد أن يفتك بإبن الناسك فطلق حاة أن إبن عرس قتل ابنه هو فجعل يقتله ثم تبين له أنه أخطأ لأن إبن عرس حافظ على ابنه فلم يدم شديداً وهكذا من الحكم التي لاحظها الإنسان وتحليلها ووضعها على ألسنة الحيوانات . كل ذلك لصفاء ذهنه وذكاء عقله وجودة قريحته . وكل ذلك لم يخرج عن كونه تحليلاً وتركيباً والتحليل هو الوارد في الحروف التي في أوائل سور القرآن وأعقبها الله بذكر الحكمة والتفصيل والحكمة والتفصيل ظاهراً وضمناً في هذا الوجود المحسوس والمفعل

أنزل الله القرآن وقال أنه أحكمه الخ ومعلم أن الكلام اسم وفعل وحرف والاسم والفعل كلمتان دلتا على معنى والحرف كلفتم يدل على معنى في نفسها . أما هذه الحروف التي في أول السور فهي حروف لاميها لها في نفسها ولا في غيرها فأين هي من الحكمة وهي قد نزلت في كتاب مقس أنزله الله والكتب السابوية تكون لشارتها أبلغ من عبارة غيرها

( أبو بكر الصديق والشافعي وكيف استنتجوا من القرآن فطن الصحابة والمجاهدون لأمثال هذا المقام )  
إن القرآن كتاب مقس والكتب المقدسة شريفة المغزى ولكل حرف ولكل كلمة ولكل آية منها سر يلاحظ ويعلم . وإذا كان الأمراء والملوك ورؤساء الجمهوريات في وقتنا متى جاء دورهم في القول ونطقوا بجملة تحركت الأسلاك البرقية برا وبحرا ونشروها في أقطار الأرض وشرحوها شروحا ويحتوا ودقوا واستنتجوا وأغنوا بمتنطقها ومفهومها ومقدمها ومؤخرها وألقوا عليها ما يحمله بيران وثلاثة إذا جمع ما كتب في الأم كلها غا بالاك بن هو الذي خلق للقول والأم كلها . فإذا تحول في كلامه . فاذن لنا الحق أن نوضح ونستنتج ونفهم ونقول لم جاء بهذه الحروف التي لاميها في أوائل السور بل تقول كيف يفاضل الله هكذا في أول سورنا القرآنية بهذه الحروف وهي التي لاميها ثم نسمعه يقول لنا بعدها إن هذا الكتاب أحسنت آياته وفصلت ويقول انها من لدن حكيم خبير . كل هذا ليفتح لنا الطريق . ناهيك ما استنتجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه استنتج من شئ ليس بحرف ولا صوت ولا فصل ولا اسم بل هو استنتج من تقديم كلمة على أخرى فقط . وماذا استنتج منها . استنتج منها الولاية الأموية والولاية العباسية .

استنتج منها دولا وممالك وملوكا . لولا هذا الاستنتاج لم تكن تلك الدول ولا أولئك الملوك في الأندلس وفي الشرق . ألم ترالى ماورد أنه رضى الله عنه لما وقف في سقفة بني ساعدة وخطب أيلم وفاة النبي ﷺ والأنصار يقولون ﴿ منأبىرو منكم أمير ﴾ قال لهم قولوا أقتنهم . وماذا قال . قال ان الله قتم المهاجرين على الأنصار فتمن الأمراء وأتم الوزراء . فلما قلنا طأطأت الرؤس وخشت القلوب وخضعت الأعناق ورضى الأنصار بخلافة قريش ولم يارضوهم . لماذا هذا كله لأمر معنوى هو تقديم وتأخير . قدم الله كلمة على أخرى فأذلت وأعزت وجعلت دولا وملوكا في قوم وسوت آخرين في زمن ألف وثلثمائة سنة أى ١٣ قرنا . كل هذا لتقديم كلمة على أخرى . وترى الامام الشافى اعتبر هذا في الوضوء فأوجب الترتيب في أعضائه . لماذا . لأن الله رب قدّم عضوا على آخر . فلذلك يجب علينا تقديمه في وضوئنا . فاذا كانت هذه حال الصحابة والمجاهدين قبلنا فالأمر هنا أهم وأعظم ذلك ليس تقديما ولا تأخيرا بل هوانات لأمر عجيبة مكررة في (٢٩) سورة وهى حروف تبلغ نصف الحروف الهجائية وقد كررت في أول القرآن ووسطه وآخره فهذا أمر عظيم أعظم ألف مرة من تقديم أو تأخير بل هذا أمر أعظم فكيف يأتى في القرآن إلا لغاية أعظم وأعظم . إن الغاية والسر قد ظهرا في زماننا . فاذا كان تقديم المهاجرين على الأنصار أنام دولا وأقام دولا فهكذا فليكن ماهو أهم وأعظم وهى هذه الحروف القرآنية المفرقة لا يقاطع المسلمين في آلاف السنين الآتية لدراسة جميع العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والنفسية والعقلية والنقاية . ذلك هو السر المخزون والجوهر للكنون خزنه الله في القرآن لأهل هذا الزمان

(س) هل تريد أن الانسان منا يعرف جميع العلوم

(ج) كلا لقد ضرب الله لنا للشل بأنفسنا فاشكل امرئ منا قس واحدة وقد قسمت العلوم بالمحسوسات على حواس متعددة . فهكذا فتكن الآية بمخصص نواب الأئمة أورئيس الجهور والمالك كل طائفة من الأئمة لاسلم من العلوم خاصة أو لصناعة . وهذا هو المسمى فروض كفايات فكما قام السمع بالأصوات والبصر بالصور والأشكال الخ وكان في ذلك مصلحة جميع الجسم هكذا تكون الأئمة

(س) ان أوروبا قامت بهذا العمل كما عليه الله في القرآن وأبرزه في هذه الحروف

(ج) أوروبا فعلت ذلك بقولها ونم ما فعلوا أما المسلمون فقد أناموا عقولهم وجهلوا دينهم وهاهؤذا الآن قد ظهر سره وسيطلع على هذا السر المسلمون في هذا التفسير وفي غيره ويرؤن العلوم معقولة ومتقولة ويقومون بدورهم في الحياة ويعرفون علوم الأفضس وعلوم الآفاق والجد لله رب العالمين اه  
(اللطفية الثانية في قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها

ومستودعها كل في كتاب مبين )

اهل أن القرآن أصبح اليوم مفسرا بالعلوم التي عرفها الناس شرقا وغربا . وأن العلماء في أوروبا قد تبعوا في علم الحيوان فلما لم يطلعوا على ما كتبوه في كتبهم وما ترجم عنهم ألفينا هذه العلوم كلها مقصود القرآن قتل لى رعاك الله . يقول الله في سورة الأنعام - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم - وهنا يقول إنه - يعلم مستقرها ومستودعها - ويقول عليه رزقها ويقول إن ذلك كله في كتاب مبين . وإذا كان الكتاب الذى فيه رزق الحيوان ومستقره ومستودعه - بينا فان الحيوان يسير على نهج قويم تبع للكتاب الذى ينشأ فيه أعماله . ولقد ذكرت حوادث عجيبة لله حيوان في سورة الأنعام في المجلد الرابع فارجع إليها ان شئت . وههنا أذكر حوادث حيوانية أخرى نعرضنا كيف كان ذلك في كتاب مبين وكيف كانت هذه كلها أما منتظمة للمستقر والمستودع كما سترى في سورة النور عند ذكر الطير هناك أن لمارحة الشتاء ورحمة الصيف كالتي تكون من أواسط أفريقيا الى بلاد الانجليز في فصل من السنة

وهكذا طيور أوروبا تأتي إلى مصر وتونس والجزائر وهو أمر عجيب ستره هناك مفصلا وهكذا النحل والفحل والعنكبوت ومجانبا كل في سورته فانظره واقرا واراق لتكون عليها حكما . هناك ما ذكره لك من عجائب الحيوان ومستقره ومستودعه

### ( الهجبة الأولى قضايا الطير وأحكامها )

اعلم أن الناس في عصرنا الحاضر أدركوا أن للحيوان ادراكا خاصا وتديرا عكسا على قدره فقد رأوا أولا أن الطير قد تقيم المحاكم وتحاكم كالشرفها ما يشاهد في الغربان ذات القنازع التي تكون بجوار (شتلندا) فهذه تجتمع في حقل أو على تل و ينتظر بعضها بعضا يومين أو أكثر عند نوابه عن الحضور حتى تجتمع كلها معا ثم تقرد اثنين أو أكثر منها جانبا وتقيم عليها غربانا تحرسها فتمنعها من الفرار ويشرع ما بقي في التعيق والتعيب جماعات جماعات أو كلها معا مدة من الزمان ثم تهجم على المحجور عليها هجمة واحدة ولا تزال تنقدها وتنقرها بمناقيرها حتى تحرقها كل عرق ويمضي كل منها بعد ذلك في السبيل الذي جاء منه . فالحجور عليها بمثابة المجرمين والحارس لها بمثابة الحرس والجماعات الناعبة والناعقة بمثابة القضاة والمهامين والمنفذين للأحكام . ولذلك زعم المشاهدون لهذه الفعالة أن غربان (شتلندا) تقيم المحاكم وتحاكم كالشرف (٢) ومنها ما يشاهده القس (ألمند قفس) في غربان بلاد الانكليز المعروفة بالفدغان قال كنت يوما راكبا جوادى فسمعت نغما شديدا ملاء الأفاق فالتفت وإذا غدغان كثيرة في حقل فدوت منها ووقفت حيث أراها ولا ترائي وجعلت أراقبها فإذا هي منتظمة في حلقتين حول غدغان في الوسط وكلها تنعق وتصفق بأجنحتها شديدا كأنها تنقد غيظا وتهيج انتقاما والغدغان التي في وسطها ينعق ويصفق مثلها ويقاومها ويخاصمها والحراس تطير هنا وهناك وكأنها لا تنبه إلى ما حولها لاشتغالها بما هو دأبها بين رفقائها ولذلك لم ترني ولم تنسب بالخطر كجاري عاديها . وبعد هنية تغيرت أحوال الغدغان التي في الوسط بفتة فنكس رأسه وخفض جناحه وأقل من التعيب كأنه أقرب بذنبه بقول يطلب الصفع عنه وحيث دوت عليه غدغان الحلقة الداخلية وحزقته بمناقيرها غزقا ونعت الغدغان كلها نغما شديدا وطار بعضها بعيدا وبعضها قريبا اه

والغدغان مشهور بالسرقة والاختلاس فنسطو صفاره على هشاش كباره وتسرق ما فيها من دقاق الحطب وتبني عشاشها بها تخفيفا لمشقة جمعها عنها ولكنها لا تفعل ذلك إلا إذا كانت الكبار غائبة عن أعشاشها فلا تراها . ثم متى عادت ووجدت أعشاشها مسروقة لازال تبحث عن السارق حتى تعرفه فتشكو أمرها إلى جماعة الغدغان فتبعت ثمانية أو عشرة منها إلى عش السارق فتخبره ولا تبقى له أنرا

(٣) حكى بعض المصنفين في جبال (الباب) قال كنت يوما أصعد في جبل من جبال سويسرا فأثبت مطعنا من الأرض قد أحلق فيه ستون أو سبعون غربا يضرب واحد أو أكثر من التعيق والتصفيق كأنها تتشاور في أمره وكانت تصمت أحيانا فيبتدىء هو بالتعيق والتصفيق كأنه يدافع عن نفسه دفاع التهمين أمام المحاكمين . ولا يزال يفعل ذلك حتى تعود جماعة الغربان إلى الصباح والغواء ويضع صوته بين أصواتها فيصمت . واستمرت على تلك الحال مدة . وكأنها رأت ثبوت التهمة عليه فأعملت فيه مناقيرها حتى قتلتها ومزقتها إربا إربا ثم طارت وتفرقت وغابت عن الأبصار . وهل هذا إلا كونها أمما أمثالنا وقدم خلقها مستقرها ومستودعها

(٤) ومن ذلك ما يشاهد في الصافير وهو أنه إذا تشاجر اثنان منها يذهب أحدهما إلى جماعة الصافير ثم يأتي أربعة أو خمسة منها وتنقض على المعتدى وتبادره بالنقد وهي تتوابع بعضها على بعض حتى ينال منها كفاهه . وكأن جماعة الصافير تصفع عنه بعد ذلك فتعامله معاملة من لم يرتكب ذنبا وحكي الألب بوجان الفرنسي أن خلفا بنى عشا فرآه عصفور قد دخل إليه وامتنع فيه عليه فاستغاث

الخطاف برفاقه لجأت مئات وحاولت اخراج الصغور منه فلم تستطع لأنه كان محوطا بالقش من كل جانب وكان ينقد التي تهاجمه من الباب نقدا شديدا فيمدها ويطردها مولوة من الألم . ولما أعياها أمره رجعت عنه وظن الناظرون أن الصغور قوى عليها ولكنها ما غابت حتى رجعت والطين ملأ أفواهها فهجمت على النفذ وسقته بالطين لتقتل الصغور داخله خنقا جزاء اعتدائه ذلك لأنها أتم أمثالنا علم الله مستقرها ومستودعها (٥) ومنها مارواه المرسل الفرنسي لاكروى عن السبيطر وهو أنه كان يوما راكبا قاربا فرأى جماعة من طائر (السبيطر) المعروف (بمالك الحزين) ترمي في الماء الضحاح فقاربها محاذرا لأنها شديدة النفرة والاجفال ولخشبا وراء شجرة بحيث يراها ولا تراه . والذي نبه إليها شدة لغوها ولغظها فلما وقف لمراقبتها سكنت وأحدقت بسبيطار منها من كل جانب ووقف السبيطر ينظر لا يبدى حراكا ثم عادت إلى ما كانت عليه من اللغظ والغلو وبقيت كذلك مدة ثم سكنت فجأة ووثبت عليه وما زالت تنقره حتى قتله . قال لاكروى للذكور وكل من رأى ما رأيت يحكم أن السبيطر المقتول تعدى شريعة جماعته فحكمت عليه بالقتل وقتلته (٦) وروى الكتاب عن (اللقاق) روايات كثيرة تؤيد ما ذكرنا وتدل على أن (اللقاق) شديد الألفة والغيرة على عرضه . من ذلك أن جراحا فرنسيا مقبيا في أزمر برغب في الحصول على لقلق رغبة شديدة فلم يحصل عليه واتفق أنه عثر على عش لقلقين فاخلس بيضهما منه وأبدله ببيض السباج . ولما أفرخ البيض إذا القراخ كلها دباج لا لقلقين فداب الذكر ثلاثة أيام ثم عاد ومعه لقلق كثيرة فنزلت كلها وأحاطت بالأشئ وجعلت تلقق وتلفظ شديدا ثم وثبت عليها ومزقتها تمزيقا وطارت ولم يبق في العش شيء

ومن ذلك مارواه المرسلان سنلى الاسكيزى عن لقلقين في جوار مدينة (برلين) وهما بنيا عشهما على مدخنة بيت فطلع صاحب البيت يوما ووجد فيه بيضة فأخذها ووضع بيضة أوز مكانها ولم يشعر بها ثم أفرخت البيضة أوزة فلما رآها الذكر طار وحلق فوق العش وهو يلقق شديدا حتى غاب عن الأبصار وبقيت الأثى في مكانها ترى فرخ الأوز كأنه فرخها . وبعد أيام سمع أصحاب البيت لفظا شديدا في حقل بجانبهم فنظروا وإذا جماعة من اللقاق قد اجتمعت معا وأخذت تلقق شديدا حتى ست أصواتها الفضاء ثم صمتت ووقف لقلق على عشرين ذراعا منها وجعل يصوت كأنه يحاطبها ثم عاد ووقف آخر مكانه ولقلق لرفاقه كالأول وما زالت تفعل ذلك حتى قارب الزوال ثم طارت كلها معا طالبة العش وأمامها دليل منها هو صاحب العش وكانت أثناء ملازمة عشها وهي خائفة خوفا شديدا ولا تبدى حركة فلما دنا منها دفعها دفعا عنيفا حتى أخرجهما

من العش ثم انقضت اللقاق عليها ومزقتها ومزقت فرخ الأوز معها وأخربت العش وطارت وروى (القس موريس) أن بعضهم أبدل بيض اللقاق ببيض السباج في عش والاشئ لا تدري ذلك فلما فرخ البيض ورأى القلقان أن القراخ فرخ دباج اغتاظا ومزقا القراخ بمنقارهما

وحكى آخر أن رجلا أتى بقلق ووضع مع آخر داجن في بيت فقام الداجن على رفيقه ونقده نقدا مؤلما حتى اضطره إلى الفرار وهو على آخر رمق وبعد أربعة أشهر عاد ومعه ثلاثة غيره فهجمت على اللقلق الداجن وما زالت تنقره حتى أهلكته انتقاما وهذا كله قصير للقرآن وبيان المستقر والمستودع وأنها أتم أمثالنا (٧) إن الذى يراقب طبائع الحيوان الأعجم يحكم أنه يدرك وجوده حتى الإدراك وما يترتب على ذلك الإدراك أيضا . أنظر إلى الكلب مثلا ثم من أفعاله وظواهره أنه عالم بوجود نفسه . طرح له عظمة ينهشها فتعلم أنه يدرك حقوقه ويدافع عنها . راقبه جروا ابن سنة أو سنتين يالعب مع ولد ابن أربع سنوات أو خمس تعلم أنها كاهما يلشرحان باللعب ويفهم أحدهما الآخر فوجدان أحدهما مشابه لوجدان الآخر . وراقبه بالغنا يذهب للصيد مع صاحبه فتجد أنه يفهم ما يجب عليه ففعله ويفعل ذلك الواجب كما يفعله الصياد صاحبه فيصيد كما يصيد ويفرح عند الفوز بالطريدة ويشتاق عند القتل كما هو الحال مع صاحبه



إن الكلب لا يستطيع أن يحول انتباهه للبحث عن قوى عقله والنظر في أفعالها وأن يكشف الشرائع التي هي خاضعة لها إلى غير ذلك من مباحث الفلاسفة وعقلاء الناس ولكن ذلك لا يستطيعه الأولاد الصغار أيضا وربما عجز عنه أكثر العامة الذين لا يهتمهم إلا ملاحظة ماحولهم ولا ينتفون إلى الكليات والبحث عن أفعال عقولهم . فعقل الكلب كما قيل مناسب لحاله كما أن عقل الطفل مناسب لحاله . ولا يمكن أن يعقل الطفل عقل الفيلسوف الكبير مالم يخرج عن الطفولية . وكذلك لا يعقل الكلب عقل الفيلسوف مالم يخرج عن الكلية . فال تفاوت في العقل بين البالغ والطفل والكلب تفاوت في الدرجة فقط ولا يستدل منه على أن عقل الانسان نوع وعقل الكلب نوع آخر أو على أن الوجودان خاص بالانسان دون غيره من الحيوان (٨) قد اشتهر الكلب بالأمانة والوفاء وهما من أجل الصفات وقد ثبت بالتجربة والمشاهدة أن الأصناف العليا من الكلاب متصفة بأوصاف أخرى أدوية فكلاب (نيوفونديلندا) التي تنتشل الفرق . وكلاب (سان برنار) التي تنبش الناس من تحت الثلوج متصفة بعزة النفس فلا يمكن أن تقبل رشوة ولا أن تسرق شيئا ليس لها وهي تموت حبا بالوفاء فتبذل حياتها دون ودعة أو دعيتها والحراس التي تقيمها أسراب الوحش والطير لتحرسها من قسوم مفاجئ عابها تثبت في أماكنها وتقدي رفاقها بأرواحها وتلك صفة من أجل الصفات الأدوية

(٩) إن اناث الوحش والطير تصير على الجوع والعطش والألم لتعلم صفارها وتسقيها وتنجبها من الأوجاع فللم نكن تستطيع ضبط أهوائها وشهواتها ما فعلت ذلك . وأسراب القردة والفيلة وبقرا الوحش والوعول والطيور القواطع ونحوها ينسلط بعضها على بعض وينحضع بعضها لبعض . وكلاب الراعي ينسلط على الغنم وقد يسوسها كصاحبه وهي تنقاد له انقيادها للراعي . ومتى أنفقت القردة على نهب حقل من الحقول يتقدمها كيرها دليلا فيمشي على رجله منتصبا ويتمركز على عصا يديه وهو يتلفت يمينا ويسارا حذرا من عدو يفاجئها وهي تتبعه دابة على الأربع متحذرة حتى تصل إلى الحقل ثم يقم الدليل حراسا منها على أطراف الحقل فتقف تحرس ولا تبتعد عنها إلى ما أمامها وتتفرق البقية في الحقل فتعيث فيه وتمرح وتاكل حتى تشبع ثم يعطف كل منها سلتين أو ثلاثا ويحملها للحراس فتأكلها متى رجعت إلى عيبتها

(١٠) الطائر الذي يبني عشه في مكان ظليل يسقط على الطبيعة وحرا ويردها كالبناء الذي يبني القصور الباذخة . وكل باق وكروقاطن وجرسود على الطبيعة في ذلك لأنه يتخذها لتمام حاجته وقضاء أغراضه وكل صائد وقانص من الوحش والطير يصيد ويقنص ويطلع صفاره باستخدام الطبيعة إذ لاتأنيه الطارئة عفوا وكل من راقب أفعال الحيوان لا يسهه إلا الاقرار بأنه يستخدم الطبيعة على قدر حاجته أيضا . انتهت

الطبيعة الثانية

﴿ الطبقة الثالثة في قوله تعالى - وكان عرشه على الماء - ﴾

لقد تقدم الكلام على هذه الآية بما يشرح صدور الحكماء ويخرج العلم بالدين والحكمة بالقرآن وهناك قد نجح من المعاني ما يبرر الأبصار ويشرح الصدور وفسرت هذه الآية بآيات أخرى في القرآن ولأذكر لك هنا وجه آخر لتفسيرها موافقا للذي ذكرناه مشهورا . روى عن رزين القليل رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عمام مافوقه هواء وماتحته هواء وخلق عرشه على الماء . أخرجه الترمذي . والمعنى مقصودا معناه لاشئ ثابت لأنه مما عسى من الخلق لكونه غير شئ فكأنه قال في جوابه كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شئ غيره ثم قال مافوقه هواء وماتحته هواء أي ليس فوق المعنى الذي هو لاشئ موجود هواء ولا تحت هواء لأن ذلك إذا كان غير شئ فليس يثبت له هواء بوجه

والعماء بالمد السحاب الرقيق وهو حق أيضا فان العوالم المحيطة بنا كانت كالبخار المنتشر الذي يدور ويجري كما في آية أخرى - ثم استوى الى السماء وهي دنان - ثم تكوّن الشمس والسيارات والأقمار . فالمراد بالسحاب الرقيق على هذه الرواية إنما هو عالم الشموس قبل تكوّنهما وقد تقمّ في تفسير البقرة أن علماء الفلك رصدوا الآن ستين ألف سديم في حال التكوّن الآن تدور حول نفسها كما كانت شمسا قبل تكوّنهما وتنام حلما ثم هذه الستون ألفا بعد آلاف الآلاف من السنين ستكون شموسا كشمسنا ولها أقمار توابع لسياراتها وسيارات كما حصل لأرضنا إذ كانت قديما كذلك فكانت كالكسبان المنتشر وهي دائرة ثم تقلصت بعد آلاف الآلاف من السنين حتى صارت على ما هي عليه وهي الآن تتناقص وبعد آلاف الآلاف تخرب أرضنا ثم أخواتها السيارات ثم أممّ الشمس وهذا كله سرّ قوله في الحديث (كان ربنا في عماة قبل خلق السموات والأرض) أي كان مدبرا للسحاب عالما عليه أنه كان فيه كما في قوله - ولأصليكم في جذوع النخل - يعني على جنوبها وهذا أبلغ في التحسّن فأنه تعالى متكنن من هذا السحاب أي البخار المنتشر يصرف فيه ويدبره وينظمه تنظيما عسكيا ويعمله سموات وأرضين ويخلق فيه مخلوقات عظيمة • قال أبو بكر البيهقي (على المعنى الأول) في كتاب الأسما والصفات له وقوله (كان الله ولم يكن شئ قبلة) يعني لا الماء ولا العرش ولا غيرها وقوله (وكان عرشه على الماء) يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل شئ • انتهى

فتجب كيف ورد الحديث بالمد والقصر على اختلاف الروايتين • فاحدهما ذكر فيها أن لا شئ مع الله والثانية أن الله كان مدبرا للسحاب • فاذا لاحظنا أن علما لم يكن موجودا البتة فهناك العما وهو العلم الخفى • وإذا لاحظنا أن علما كان بخارا منتشرا بعد انعدامه فهناك تدير في ذلك البخار حتى يصير شموسا ثم يتم الخلق ويكون على مقتضى العلم • وهذا هو قوله - وكان عرشه على الماء - فالعالم ثم السخان ثم خلق العالم على مقتضى العلم وهو المقصود بقوله - وكان عرشه على الماء - ولا يزال كذلك كقوله - وكان الله غفورا رحيما -

فتجب كيف يطابق الحديث ما جاء في علوم الصر الحاضر وأن العالم كان بخارا وأن هذا أمر مقرر في العلوم الحديثة ثم كيف كان هذا العالم الذي نحن فيه منظما على مقتضى العلم • وتجب كيف اتضح معنى كون العرش على الماء بعد ذلك • ولا يتم لك فهم هذا المقام إلا إذا قرأت ما جاء في سورة يونس في مسألة العرش وهناك ترى الحب الجباب وحكمة الله في القرآن وجمال التمييز وحسن التنسيق • فما أجمل العلم وما أبهج الحكمة إذا ازدادت بالدين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم • انتهى القسم الأول

### ( الْقِسْمُ الثَّانِي )

وَلَيْتَ قُلْتُ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ • وَلَيْتَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى آتِيَةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَلَقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ • وَلَيْتَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ رَفَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُوفُ كُفُورًا • وَلَيْتَ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَةٍ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا • إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ •

فَلَمَّا تَرَاكَ تَرِكًا بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَاتِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ  
جَاءَ مَعَهُ مَلَائِكَةٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ • أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِشَرِّ  
سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَعِظَمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • قُلْ لَمْ  
يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ • مَنْ  
كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَمْهَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْخَسِرُونَ • أُولَئِكَ  
الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • أَفَنْ  
كَانَ عَلَىٰ يَمِينِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ  
يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ مِنْ مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ  
مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ • وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ  
يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ  
• الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ • أُولَئِكَ لَمْ  
يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ  
مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ • أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ  
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْهَمُونَ • لَا جَزَاءَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ • إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ  
كَالْأَمْهِي وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ •

### ( التفسير اللفظي )

قال تعالى (ولئن قلت انكم بمعونون من بعد الموت) أى (ولئن قلت يا محمد ذلك لهؤلاء الكفار  
(ليقولوا الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) يعنى القرآن (ولئن أسوأنا عنهم العذاب الى أمة معدودة)  
يعنى الى أجل محدود • وأصل الأمة فى اللغة الجلاعة من الناس فكأنه قال سبحانه الى اقراض أمة وعجىء  
أمة أخرى (ليقولوا مايجسه) أى أى شئ يحبس العذاب وذلك منهم استهزاء يعنون أنه ليس بشئ (الايوم  
ياتيهم) العذاب (ليس مصروفاً عنهم) أى لا يصرفه عنهم شئ (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أى ونزل  
بهم وبال استهزائهم (ولئن أدقنا الانسان منارحة) رخاء وسعة فى الرزق والعيش وبسطنا له الدنيا (ثم  
نزعناها منه) يعنى سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فاجتاحته (إنه ليؤس) يعنى يظلل قاطناً من رجة  
لله أبسا من كل خير (كفور) أى يجود لثمتنا عليه أولاً قليل الشكر لله بل مبالغ فى كفران ما سلف  
له من النعمة • قال بعضهم (يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من أمن وسعة وعافية فاشكرها ولا

تجسدها فان نزعك عنك فينبئني لك أن تصبر ولا تيأس من رحمة الله فانه العواد على عباده بالخير ثم قال تعالى (ولئن أذقناه نساء بعد ضراء مستى) أى ولئن أنعمنا على الانسان وبسطنا له العيش بعد الضيق والضنك (ليقولن ذهب السبات عنى) أى للصائب التى ساءت (إنه فرح) يطرب بالتم مغتر بها (تطوّر) على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها • وانما عبر باليس والاذقة ليعين أن الانسان يأس ويفضّر لأذى ضر وأذى نعمة ويشير الى أن نعم الدنيا ونعمها قليلة بالنسبة لما فى الآخرة • ثم استثنى من نوع الانسان من صبروا على الضراء إيماناً بالله واحساناً وثقة بعلمه ورحمته وانهم بالضراء يرتقون عنده فقال (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) شكرا لنعم التى ذاقوها فى حالة الدراء (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) وذلك كقوله تعالى - والعصر • إن الانسان لى خسر • إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر - وقوله - إن الانسان خلق هاهنا - ثم فسره فقال - اذا مسه الشر جزوعا • واذا مسه الخير منوعا • إلا المصلين الخ - وهذا المقام قد استوفيته فى سورة البقرة فارجع اليه إن شئت • ولما كان ﷺ كاملا والكمال ينال أعلى الحاصل فيصبر على الضراء نه الله على ذلك تعلمنا لأنّ أن يصبروا على الضراء كما صبر النبي ﷺ على المستهزئين الذين اذا تلا عليهم القرآن قالوا له هلا أنزل عليك كنز لتنفق منه على الأتباع كملوك وهلا جاء معك ملك يصدقك وهذا تنق من الصدور ويعث على كتان بعض القول حتى لا يصاب صاحبه بمكره وهذه الحال جيلة فى النوع الانسانى لأنه يأس اذا مسه الضر وهذا ضر عظيم • قال العلماء ولا يلزم من توقع الشئ لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز أن يكون ما يصرف عنه وهو نعمة الرسل من الحياة فى الوحى قال تعالى (فلعلك تارك بض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل اليه كنز أوجاه معه ملك) يقول الله ان هذه الحال تدعوى الى كتان الوحى وضيق الصدر فان الاستهزاء وما أشبهه يدعو فذلك ولكن النعمة النبوية منعت من الخسلة الانسانية العاقبة وذلك تعليم لجميع أهل العلم فى الأمة الاسلامية أن يصبروا كما صبر رسول الله ﷺ وأن لا يأسوا من روح الله وانهم مستتمتون من هذه الروح الشريفة فليصبروا كما صبر الأنبياء وخاتمهم نبينا ﷺ ليكونوا عن استهزائهم لله فى هذه الآية إذ قال - إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير - ثم قال الله له (أنت نذير) أى ليس عليك إلا الانذار بما أوحى اليك فسواء ردوا عليك أو أقرحوا فأمرهم حين فبالك يضيق صدرك وكيف يضيق وأنت قد أدت ماوجب عليك من التبليغ فليس عليك هذاهم وقد أمرت بصبرك على أذاهم (ولفحة على كل شئ وكيل) فهو يحفظ مايقولون ويفعل بهم مايجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه فما عليك إلا البلاغ بصبر مفترح فلا تنفث الى استكبارهم ولا ميلابة بسفهم واستهزائهم (أم يقولون افتراء) أم منقطعة والها ضمير راجع لما يوحى اليك (قل فأنا ببعشر سور مثله مفتريات) كما افترت أنا بزمكم هذا القرآن وأتم عرب مثلى وفيكم النصحاء والبلغاء والشعراء فاذا افترت هذا القرآن فافتروا عشر سور مثله وأظهروا فصاحتكم وبلاغتكم وقد تحذاهم فى سورة يونس بسورة واحدة فى الاخبار بالغيث والوعد والوعيد والأحكام وما أشبه ذلك لأن الفصاحة والبلاغة بدون ما ذكر أسهل • أما الوعد والوعد والأحكام والاخبار بالغيث فهي دقيقة المعانى تحتاج الى عقول أنضج ونفوس أكل حتى تقبل النفوس على آرائها وشتان ما بين الناعمة والشكلى

فأين التريا وأين الترى • وأين معاوية من على

فلما تقدمهم بهذا الكلام أمره أن يقول لهم (وادعوا من استعظم من دون الله) حتى يعينوكم على ذلك (إن كنتم صادقين) فى قولكم انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) باتيان مادعوتهم اليه والخطاب للنبي ﷺ وأصحابه لأنهم كانوا يشاركونه فى التحدى الذى يثبت يقينهم ويكمل إيمانهم ولأنك رب عليه قوله (فاعملوا

أما أنزل بسم الله ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه إلا هو (وأن لا اله إلا هو) أى واعلموا أن لا اله إلا هو فأما تلك الأصنام فليست بألّة فهي عاجزة عن كل شئ . وفى هذا تعديد واقتطاع لهم من أن يجبرهم آلهتهم من بأس الله إذا جاءهم ودلالة على وجود الله ووحدانيته بصدق هذا الكلام الثابت بهجرتهم عن الاتيان بشعر سورته فى البلاغة بل بسورة واحدة فى الأحكام ونحوها . ولما كان هذا الكلام برهانا على صدق النبوة ووحدانية الله رب عليه قوله (فهل أتم مسلمون) الخطاب للمسلمين أيضا أى فهل أتم ثابتون على الاسلام راستخون فيه مخلصون إذ تحقق عندكم اعجازه كأنه قيل أسلموا وأخلصوا لله العادة . ولما كان الكفر مع وضوح الحجة وظهور المحجة وبيان عجزهم الظاهر من عدم آياتهم بشعر سر مشبه مقريات كما يزعمون مزديا بالقوة العقلية موقفا فى الرياء والتظاهر بخلاف الواقع ناسب أن يؤتى بعدها بما ينفر النفوس من الرياء فوصف المرائين بحمسة أوصاف (الأول) أنهم يوفون أجورهم على أعمال البرّ فى الدنيا بالصحة والعافية والرزق وما أشبه ذلك (الثاني) أنهم لا يبخسون أى لا يتقصون من أجور أعمالهم فى الدنيا (الثالث) أنهم ليس لهم فى الآخرة إلا النار (الرابع) أنهم فى الآخرة حبط ما صنعوه فليس لهم عليه ثواب (الخامس) أن عملهم فى نفسه باطل فترتب على بطلانه ما تقتضى من عدم الثواب عليه . وهذا هو قوله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) يعنى بمله الذى يعمله من أعمال البرّ والطاعات والصدقات كأن يظهر الانسان الأعمال الصالحة ليحسده الناس عليها أوليقتدوا فيه الصلاح أوليقتدوه بالعطاء وكأولئك المنافقين الذين كانوا يطلبون بجزوهم مع رسول الله ﷺ الفناء ولا يريدون ثواب الآخرة وكانهم يعملون العلم لغير الله تعالى (نوف اليهم أعمالهم فيها) أى توصل اليهم جزاء أعمالهم فى الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد وتدفع عنهم للكاره (وهم فيها لا يبخسون) لا يتقصون شيا من أجورهم وذلك القول فى أهل الرياء والمنافقين والكفرة (أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار) فى مقابلة ما عملوا لأنهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت النبات البتة فيستوفونها فى النار . فأما الكافر والمنافق فلهما التأيد . وأما المؤمن فالعذاب منقطع بعد أجل محدود (وحبط ما صنعوا فيها) أى لم يبق لهم ثواب فى الآخرة لأن الثواب على الاخلاص وهو لا اخلاص عندهم (وباطل) فى نفسه (ما كانوا يعملون) لأنه لم يعمل على ما ينبنى وبطلان العمل ترتب عليه عدم الثواب وعدم الثواب ألزّمهم النار فالجلة الأخيرة على ما قبلها وهى على ما قبلها فافهم . ولما كان ما تقدم رافعا لشأن المخلصين فى أعمالهم واضعا لشأن المرائين أرفده بما يفيد أنه لا تقارب بين الطاهتين تأكيذا لما تقدمه فقال أتجملون الفريقين فى منزلة واحدة فمن كان على بينة من ربه كمحمد ﷺ ومؤمنى أهل الكتاب وكل مؤمن مخلص كمن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها . إن بين الفريقين تباعدا وتباينا فالهزة للانكار (على بينة من ربه) أى على برهان من الله وبيان أن دين الاسلام حق وهو دليل العقل (ويتأوه شاهد منه) أى ويتبع ذلك البرهان الذى هو دليل العقل (شاهد منه ومن قبله كتاب موسى) شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ويتلوا ذلك البرهان أيضا من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام وهو التوراة حال كونه أى كتاب موسى (اماما) كتابا مؤتمرا به فى الدين بقوة فيه وحال كونه (رحمة) أى نعمة عظيمة على اللئال البهم لأنهم به يفوزون فى الدار الآخرة (أولئك) أى من كان على بينة من ربه (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به من الأحزاب) من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله ﷺ (فالتار موعده) بردها لالحالة (فلذلك فى مربة منه) من الموعد أو القرآن (إنه الحق) من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) قلّة نظرهم واختلاف فطرتهم ولما نبى التوازن والتقارب بين الفريقين شرع بفصل الكلام على الفريق الكاذب فقال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن أسند إليه ما لم ينزله أو نفي عنه ما أنزله (أولئك يعرضون على ربهم) فى الموقف

بأن يجبسوا وتعرض أعمالهم (ويقول الأَشهاد) جمع شاهد كأصحاب جمع صاحب أو شهيد كأشراف جمع شريف وهم اللاتكة والنبيون والجوارح لأن الأفواه يختم عليها وتساكم الأيدي والأرجل وهذه لا كذب عندها لأن شهادتها فطرية لا تدخل للكذب فيها بخلاف اللسان فهؤلاء كلهم أشهاد يقولون (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) أى فى الدنيا وهذه القضية تكون فى الآخرة لكل من كذب على الله (ألا لعنة الله على الظالمين) وهذا تهويل عظيم لظلمهم بالكذب على الله (الذين يصدّون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دينه (ويغفونها عوجاً) يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب أو يبينون أهلها أن يعوجوا بالردة (وهم بالآخرة هم كافرون) أى والحال أنهم كافرون بالآخرة وكرهم للتأكيد . ثم وصف هؤلاء الظالمين ﴿بثانية أوصاف﴾ فقال

- (١) فهم لا يجزئون لله فى الدنيا أن يساقبهم لو أورد عقابهم
- (٢) وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه وينعمهم من عقابه
- (٣) وعذابهم يضاعف لأنهم أضلوا الناس كما ضلوا
- (٤) ما كانوا يستطيعون استئاع الحق
- (٥) وما كانوا يصرون الحق
- (٦) وهم الذين خسروا أنفسهم حيث اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله
- (٧) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون

(٨) - لا جرم - أى لاعالة - أنهم فى الآخرة هم الأخسرون - أى لا أحد أمين وأكفر خسرانا منهم وهذا قوله تعالى (أولئك لم يكونوا معجزين فى الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب) الى قوله (هم الأخسرون) ثم أتبع هؤلاء بضدّهم فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) اطمانوا له وخشعوا له من الحب وهو الأرض المطهنة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون . ولما وصف كلا من الفريقين بأوصاف على حدة أخذ يضرب لهم مثلاً مجمعين فقال (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع (هل يستويان مثلاً) هل يستوى الفريقان تخيلاً وتشبيهاً وهو منصوب على التخيير (أفلا تدرون) تنتفعون بضرب المثل . انتهى التفسير اللفظي

﴿لطيفة فى قوله تعالى - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها الخ -﴾

لقد حللنا الآية على عموم الكافرين والمنافقين والمؤمنين الذين يطلبون بعملهم الرياء والسمعة

(١) روى عن رسول الله ﷺ أنه قال قال الله تبارك وتعالى ﴿أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيرى تركته وشركه﴾ أخرجه مسلم

(٢) وقال ﷺ ﴿من عمل عملاً ليس لله أورد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار﴾ أخرجه الترمذى

(٣) قال ﷺ ﴿تعوذوا بالله من جبة الحزن قالوا يا رسول الله وما جبة الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم ألف مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء للراؤن بأعمالهم﴾ أخرجه الترمذى

(٤) وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال ﴿إن الله لا يعظم المؤمن حنة يثاب عليها الرزق فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة . وأما الكافر فيطم بحسناته فى الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم يكن له حنة يعطى بها خبراً﴾ أخرجه البغوى بغير سند

﴿تحذير﴾

إياك أن تصدك الآيات والأحاديث الواردة فى ذم الرياء عن فعل البر والطاعات . فاذا خطر لك أمر

فزه بالشرع فإن كان مأمورا بعباد الله فانه من الرحمن فان خشيت وقوعه على صفة منية كعب أو رياء فلا بأس عليك في وقوعه عليها من غير قصد بها بخلاف ما إذا أوقعت عليها فاصدا لها فليك إثم ذلك فستغفر الله منه • قال السهروردي صاحب (عوارف المعارف) لمن سأله (أنصل خوف الهب أولا نعمل حذرا منه • فقال اعمل وان خفت مستغفرا منه • أي ان وقع قصدا • وقد قيل (إن ترك العمل للخوف منه من مكابد الشيطان) كافي جمع الجوامع وشارحه • وهذه إحدى مصائب المسلمين اليوم فالصالحون يخافون الرياء والطالحون يملكون الشر • انتهى تفسير القسم الثاني من السورة

### (الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ • أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ • فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ إِلَّا تَبْمَكُ إِلَّا الَّذِينَ قَدْ أَرَادْنَا أَن يُبَادِيَ الرَّأْيَ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ • قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ يَمِينَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَن آتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَصَبَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَمْزُ مَكْمُومًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ • وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِن أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُّلتَأَمُونَ رَبِّهِمْ وَلِكُنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَعْمَلُونَ • وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ • وَلَا أَقُولُ لَكُمْ مِندَى خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا أَهْلُمُ النَّيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لِيَنَّ الظَّالِمِينَ • قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَدْنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ • قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أُنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ • وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِن أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُصَوِّرَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ • أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَقُلْ إِنِّي جَرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُعْمَلُونَ • وَأَوْحِي إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ • وَاصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّصْرَفُونَ • وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَفَرًا مِنْهُ قَالِ إِن تَسْخَرُوا مِنِّي فَلَئِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ • فَسَوْفَ تَلْمِزُونَ مِن بَيْنِهِ عَذَابَ يُعْزِيهِ وَيَحْمِلْ عَلَيْهِ عَذَابَ مُّثْقَلٍ • حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْزِيلُ قُلْنَا أَنهَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأُهْلِكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ • وَقَالَ أَزْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ

تَجْرِيهَا وَمُزْسَاها إِنَّ رَبِّي لَنَفُورٌ رَحِيمٌ • وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِلْبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ  
وَكَانَ فِي مَزَلٍ يَابِسٍ أَنْ كَبَّ مَتْنًا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ • قَالَ سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَنْصَبِي  
مِنْ الْمَاءِ قَالَ لَا مَحِيصَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ • وَحَالٌ يَنْتَهِمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنْ  
الْمُفْرَقِينَ • وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَالِكِي وَابْتَلَاهُ اللَّهُ مِنْ نَحْوِ الْأَمْرِ وَأَسْتَوَتْ  
عَلَى الْجُودَى وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ • وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي  
وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ • قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ  
غَيْرٌ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ • قَالَ رَبِّ  
إِنِّي أَخُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَنْصُرْنِي وَتَرْجِفْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَالِسِينَ •  
قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمَّا سُتْمُكُمْ فَمَنْ يَسْتَمُهُمْ  
مِنَّا عَذَابُ الْيَمِّ • فَتَلَكَ مِنْ أَبْنَاءِ النَّبِيِّ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ  
مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ • وَإِلَى عادِ أخا نوحِ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ  
مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ • يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي  
إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ • وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ ثُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ  
عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ • قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا  
بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ • إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ  
بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ • مِنْ دُونِهِ  
فَكَيْفَ يُؤْنِسُكُمْ جِبَاعُهُمْ لَا يَنْظُرُونَ • إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ  
أَخِذَ بِتَأْسِيهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ • فَلَمَّا تَوَلَّوْا قَعْدًا أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ  
إِلَيْكُمْ وَاسْتَخْلَفَ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ •  
وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ • وَتَلَكَ  
عَادُ جَعَدُوا يَا بَلَّتْ رَبَّهُمْ وَهَمَّوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ • وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ  
الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ مَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُدًّا لِمَادٍ قَوْمِ هُودٍ • وَإِلَى هُودَ



أَعَاظُ صَالِحًا قَالِ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ  
وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ • قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ  
فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَنْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّ لَنَا لَنِيَ شَيْئًا يَمُنُّ بِهَا نَدْعُونَا أَلَيْكَ تَرْجِيبٌ  
• قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَمِينٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ  
عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ • وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَمَقَرُّوْهَا تَأْكُلُ فِي  
أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَعْسُوهَا يُسْوهَا فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ • فَمَقَرُّوْهَا فَقَالَ تَحْتَمِلُوا فِي دَارِكُمْ  
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَذْهُ غَيْرُ مَكْذُوبٍ • فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ  
مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ • وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْثَةَ فَاصْتَبَحُوا  
فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ • كَانُوا لَمْ يَقْنُتُوا فِيهَا إِلَّا إِنْ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُدًّا لِمُؤَدٍ • وَلَقَدْ  
جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَدْ بَلَغْتَ أَنْ جَاءَ بِبَعْلٍ حَنِينٍ • فَلَمَّا  
رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ  
لُوطٍ • وَأَمَرْنَاهُ فَامْتِعْ فَضَحِكْتَ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَسْقُوبَ • قَالَتْ  
يَا بُولُقَى ءَأَلَدُكَ وَهَذَا بَنِي شَيْعًا إِنَّ هَذَا لَنَفَى • حَبِيبٌ • قَالُوا أَتَسْبِّحِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ  
رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ • فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ  
وَجَاءَهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ • إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أَوْاهٌ مُنِيبٌ • يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ  
عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ • وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا  
مِنْ رَبِّهِمْ وَصَافَى بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ مَصِيبٌ • وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ  
كَانُوا يَعْتَلُونَ السَّبْتَاتِ قَالِ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي  
حُنْنِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ وَشِيدٌ • قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَقْتُلُ  
مَنْ رِيْدٌ • قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ • قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ  
لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَنْسِرْ بِأَعْيُنِكَ بِقَطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرُنَا إِنَّهُ  
مُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِنْ مَوْعِدُكَ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ • فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا مَالِيهَا

سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حَبَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ • مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ  
يَعْبُدُ • وَإِلَىٰ مَذِينٍ أَغَاثُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّبِعُوا  
الْمِكْيَالَ وَاللِّيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ هَذَا بَعْثٌ بِكُمْ يُحْيِي • وَيَأْقُومُ أَوْفُوا  
الْمِكْيَالَ وَاللِّيزَانَ بِانْقِصَاطٍ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ •  
بَقِيَ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ • قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَسْلَٰمُكَ  
تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَدْعُو أَبَاؤُنَا وَأَنْ تَقْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ •  
قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ يَدْتِهِ مِن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ  
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ كُفَّ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ  
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ • وَيَأْقُومُ لَا يَحْزَمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ  
نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ • وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ  
تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ • قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا عِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا  
ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْمُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِّيرٍ • قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ أُعْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ  
اللَّهِ وَاتَّخَذَ ثَمُودَ وَرَأَاهُمْ ظَهْرِيَا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ • وَيَأْقُومُ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنِّي  
عَامِلٌ سَوْفَ تَعْمَلُونَ مِمَّنْ بَيْنَهُ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ •  
وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جِئْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْعَةَ  
فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاغِينَ • كَأَن لَّهُمْ يَنْفُتُوا فِيهَا إِلَّا بَشَادَ لِّمَذِينٍ كَمَا بَشَّيْتُ ثَمُودَ • وَلَقَدْ  
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبينٍ • إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ قَاتِبُوا أَمْزَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْزُ  
فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ • يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ • وَاتَّبِعُوا  
فِي هَذِهِ لَمَنَّا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ •

( قصة نوح )

هذه القصة تبين ما يلاقيه الباطل الى الخير من مصاحبة الظالمين الذين يردون الدعوة ولا يسمعون الحق  
ويردون لو يكونوا بلا علم يسمعونه ولادين ينجونه ولا هدى ولا كتاب منير • فانظر كيف ابتدأ الدعوة  
بالانذار والتخويف • وكيف قاله عظماء قومه بطعنهم أولا في شخصه هو قاتلن اى مزية لك علينا وأى  
فضل • وكيف ينزل الوحي عليك دوتنا ومادنا متاثلين في الحلقة متشاركين في العقل فن ذا الذى يستحق  
بامتيازك علينا واختصاصك بفضية دوتنا • وثانيا ان الذين اتبعوك ما هم إلا سفلتنا وأرذلنا كالطفاكة

والأساكفة وسائر أصحاب الصناعات الخسيسة . فكيف تبعك وأنت ممن معك على ما وصفتنا . ثالثاً إن هؤلاء الأتباع مع خستهم ودناءتهم ما اتبعوك إلا وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم فاتباعهم لك ليس عن روية ونظر وتعق في الفكر وإنما هو عن شيء من لم يدبته فهو لا مع قهرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية فلا جأه لم ولا مال ولا شرف في الحياة الدنيا لم يتبعوك عن فكر ونظر الخ فتقوله - بادي الرأي - من بدا يبدو ظهر أو بدا يبدأ إذا فعل الشيء أولاً واتصابه على الظرف . رابعاً ويلزم من ذلك أنه لا فضيلة لك يا نوح ولا لمن اتبعك ثم إنا فوق ذلك نظنك كاذباً في دعوى النبوة ونظنهم كاذبين في دعوى العلم بصدقك فلا نبوة لك ولا علم لهم بصدقك وهذه هي حجة قومهم وهي موافقة لما يحصل في كل داع وأتباعه فإن الناس لا يزالون يكذبون للهوى ويصفونه بالكذب ونحوه ثم يسطفون على أتباعه فتارة ينتهون بأنهم ليسوا على شيء وتارة بانهم اتبعوه لجهالتهم وقلة عقلهم . فالعلم إما في المتبوع وإما في التابع وإما في العلاقة القائمة بينهما وقد تم كل ذلك في الآية ووضح وهذا تعلم من الله لنا أن نشرع من ساعد الجذب ونقوم بالأمر ولا نبالي بالعلم فينا ولا فيمن معنا من الصالحين ولا في العلاقة القائمة بيننا بل يجب أن تكون تلك الأقوال مشبعة لنا وبحرص على ما أنتم الله بها علينا كما فعل سيدنا نوح فانظر ماذا قال في الرد عليهم فإنه رد على الأول قاتلاً - ولا أقول إني ملك - رداً على قولهم - مارك إلا بشراً مثلاً - . ورد على الثاني وعلى الثالث كما فقال ( ولا أعلم الغيب ) حتى أطلع على ماني نفوس أتباعي وضارهم أي لا أقول عندى خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب ( ولا أقول للذين تردى أعينكم ) أي ولا أحكم على من استدلّ قهوسهم من المؤمنين لنفقرهم ( إن يؤتيهم الله خيراً ) في الدنيا والآخرة طوائفهم عليه مساعدة لكم وزولا على هواكم ( الله أعلم بما في أنفسهم ) من صدق الاعتقاد وإنما على قبول ظاهر أقرارهم إذ لا أطلع على خفي أسرارهم ( إني إذن لمن الظالمين ) إن قلت شيئاً من ذلك وقوله - تردى - من زرى عليه إذا عابه . وقال أيضاً في الرد ( وما أنا بطارد الذين آمنوا ) حين سألو طردهم ليؤمنوا به أتفة من المجالسة معه ( إنهم ملأوا رحيم ) فيشكونني إليه إن طردهم وقال أيضاً ( ويقوم من ينصرني من الله ) من ينحني من انتقامه ( إن طردهم أفلا تذكرون ) تتعلمون . ورد على الرابع قاتلاً ( ولا أقول لكم عندى خزائن الله ) فأدعى فضلاً عليكم بالفنى حتى يجحدوا فضل بقولكم - وما رى لكم علينا من فضل - . وقد تقدم أن القسم الرابع جزآن ( الجزء الأول ) ادعائهم أنه لأفضل لنوح وأتباعه عليهم وهذا رد عليه ( والجزء الثاني ) أنهم يظنونهم كاذبين فرده عليهم قاتلاً ( ولكنى أراكم قوماً تجهلون ) تتساهلون على المؤمنين وتدعونهم أرذل وتجهلون لقاء ربكم كما تجهلون أنهم خير منكم . وهذا هو قوله تعالى ( قال يقوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي ) إلى قوله ( إني إذن لمن الظالمين ) - أرايتم - أخبروني - على بينة من ربي - بيان ويقين من ربي الذي أنذرتمكم به ( وأتاني رحمة من عنده ) هدياً ومعرفة ونبوة ( فصميت عليكم ) أي أغفيت عليكم أو - خفيت - على القراءتين . ومعنى صميت بالتخفيف لم تهكم كما لو عي على القوم دليلهم في المفاضة فبقوا بغير هاد فالتجمل كما تكون بصيرة ومبصرة تجعل عيماً لأن الأعلى لا يهتدى ولا يهتدى غيره ( أنذرهمكم على الاهتمام بها ) ( وأنت لها كارهون ) لا تختارونها ولا تتأثرون فيها ( ويقوم لا أسألكم عليه مالا ) أجراً يثقل عليكم إن أدّيتهم أو على أن أيتهم ( إن أجري إلا على الله ) وبقية الآيات ظاهرة للمعنى فلا تطويل بذكرها وهي آيات اعتراض القوم فقد لحصناها آنفاً وهي مذكورة في المتن . ولما كانت حجة نوح قد وهنت وردت عليهم وقرر الرد وأبان ولم يترك لهم باباً بل أرى عليهم وطوقهم بالبراهين المقتضة ( قالوا يا نوح قد جادبتنا ) خاصمتنا ( فأكثر جدالنا ) كما ظهر فيها تقدم ( فالتنا بما تعدنا ) من العذاب ( إن كنت من الصادقين ) في الدعوى والوعيد . فأما مناظرتك فلا تؤثر فينا ( قال إنما يأتيكم به الله إن شاء ) عاجلاً أو آجلاً ( وما أنتم

بِعِزِّهِمْ) يدفع العذاب أو الحرب منه (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) أي إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي وهو جواب لما أوهوا أن جداله كلام بلاطال ثم قال (هو ربكم) خالقكم والمتصرف فيكم وفق إرادته وقد جرى عليه القديم على مقتضى الحقائق الواقعة الإلهية وأنكم تخلقون على حال لا ينفع فيها النصح (والله ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم . ولما كانت هذه القصة عجبة والجدال فيها مؤثرا ذكر الله ما يحتاج في عقول بعض الكفار أن هذا وأمثاله غشقي مفترى من عند النبي ﷺ فقال تعالى هذه الجلبة المعترضة (أم يقولون افتراه) أي بل أقولون اختلق القرآن محمد (قل) يا محمد (إن افتريته فعلى إجماعهم) إثم إجماعهم . والاعتراف اقتراف البينة واكتسابها . يقال جرم وأجرم أي اكتسب الذنب وافعله (وأنا برىء مما تجرمون) يعني من الكفر والتكذيب . وهذا قول مقاتل وأكثر المفسرين أن الخطاب لنوح عليه السلام . ثم أخذتهم القصة فقال بعد أن انتهى الجدال وجاء القول الفصل (وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) فلا تحزن حزن بالئس مستكين والابتئاس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإذناك فقدحان وقت الانتقام من أعدائك وهذا هو التاريخ العام وكل ملحق في الأرض فأولا نوح له ولأتباعه وللرابطة بينهما ثم الرذ عليهم ثم الصاد التام ثم ظهور الحقائق وانحة جليلة . فذلك دعا نوح على قومه فقال - رب لا تدرك على الأرض من الكافرين ديارا -

### ( فصل )

(١) صنع السفينة (٢) استهزاء قومه به (٣) النجاة من الهلاك برؤوب السفينة (٤) هلاك من عصاه من أهله (٥) المقصود من القصة وهو أن العاقبة للثقين وأن الصابرين ينالون الفوز في آخر الأمر

( صنع السفينة واستهزاء قومه به )

قال تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) أي ملتبسا بأعيننا كأن الله أعيننا تكلفه وتحفظه ثلاثا يريغ في صنعت عن الصواب (ووحينا) وأنا نوحى إليك وتلهمك كيف تصنع (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) ولا تراجني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم (إنهم مفرقون) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجبة القلم فلا يسبيل إلى كفه (ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) استهزؤا به لعمله السفينة في برية بعيدة عن الماء . وأيضا كانوا يقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد أن كنت نبيا (قال إن تسخروا منا فانا نسمع منكم كما تسخرون) إذا أخذكم الفرق في الدنيا وجهنم في الآخرة (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) ويعني به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الفرق (ويجعل عليه عذاب مقيم) وينزل عليه عذاب الآخرة الذي هو دائم وقوله - وكلما مر عليه ملأ من قومه - أي جاعة منهم إلى قوله - عذاب مقيم - جملة حالية فقوله - ويصنع الفلك - متصل بقوله (حتى إذا جاء أمرنا) عذابنا أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد فحى هذه هي التي ابتداء بسدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهي غاية لقوله - ويصنع الفلك - وقوله (وفارالتنوير) أي وجه الأرض أو أشرف موضع فيها

### ( نجاته هو ومن آمن معه )

قال تعالى (قلنا احمل فيها) في السفينة وهو جواب الشرط (من كل) من كل نوع من الحيوانات (زوجين اثنين) ذكرا وأنثى والزوجان كل اثنين لا يستغنى أحدهما عن الآخر كالذكر والأنثى والعينين والأذنين يقال لكل واحد منهما زوج . والنعلان في الرجلين يقال لكل واحد منهما زوج فقوله - من كل - إما منونا أي من كل نوع زوجين ولما غيبر منون أي - احمل فيها من كل - زوجين اثنين - والمعنى واحد على كل وقوله (وأهلك) عطف على زوجين وقوله (إلا من سبق عليه القول) به من المفرقين يريد به ابنه

كنعان وأمه المسبة وإعانة فانها كانا كافرين (ومن آمن) أي والمؤمنين (وما آمن معه إلا قليل) • قبل كانوا (٧٩) زوجة للسبعة وبنوه سالم وحلم ويافث ونسلوهم و (٧٢) رجلا وامرأة من غيرهم • ولقد ذكر العلماء طولها وعرضها ولا فائدة في ذلك لنا • ويقال انه جعل في أسفلها المواب والوش وفي وسطها الانس وفي أعلاها الطير وكانت ثلاثة بطون (وقال اركبوا فيها) أي صيروا فيها وانما سمي ركبوا لأن السفن في البحار كالغواب على الأرض وقوله (بسم الله عجرها ومرساها) جملة حالية من ها أي اركبوا فيها حال كونها اجراؤها وارساؤها كائنان باسم الله على وجه عجرها ومرساها بفتح الميم والراء من جرى مصدرًا ووقت وضم الميم وفتح الراء من أجرى الوقت والمصدر يعني أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن عجرها ومرساها بذكر اسم الله • يقال انه كان اذا أراد أن يجري قال بسم الله فجرت • واذا أراد أن ترسوا قال بسم الله فرست (إن ربي لغفور رحيم) أي لولا مغفرته لما فعلتم من الذنوب ورحته لكم ما جباكم ثم ركبوا فيها يقولون بسم الله كما أمروا (وهي تجري بهسماً) وهم فيها (في موج كالجبال) الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتت عليه الريح فشيء بسماها بلجبال في عظمه وارتفاعه وكل موجة منها تجبل من تراكمها وارتفاعها

(هالك من عصي من أهله)

قال تعالى (ونادى نوح ابنه) كنعان وكان ابنه من صلبه (وكان في معزل) عن أبيه وعن السفينة وعن دين أبيه وهو مفعول من عزله اذا نهاه وأبعد (يا بني) بفتح الياء • وفي قراءة بكسر الياء والاولى اقتصار عليه من الألف لليلة من الياء • والثانية اقتصار عليه من ياء الاضافة (لركب معنا) في السفينة أي أسلم واركب معنا (ولانك مع الكافرين) في الدين والانزال (قال سآوى لي جبل يصمى من الماء) أن يفرقى (قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) أي إلا الزاعم وهو الله تعالى أي لا عاصم اليوم من الطوفان إلا مكان من رحم الله من المؤمنين فلا يصمك الجبل ولا غيره وانما يصمك مكان المؤمنين وهي السفينة ويصح أن يكون الاستثناء منقطعا أي لكن من رحم الله يصميه (وحال بينهما الموج) أي بين نوح وابنه (فكان من المفرقين) فصار من المهلكين بالماء (وقيل يا أرض ابلى ماءك وباسماء ألقى) جعل الأرض والسما كأنهما من العقلاء يطعان ما يؤمران به اظهارا لنفاذ الأمر وسرعة الانجاز وحصول للأمر به حالا كما يفعل المأمور للقهور مع الأمر القاهر القادر • والبيع النشف والاقلاع الامساك ثم قال (وغيض الماء) نقص (وقضى الأمر) وأنجز ما وعد به من هلاك الكافرين وانجاء المؤمنين (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودي) يقال انه جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وقيل بعدا للقوم الظالمين) يقال بعد بعدا لمن لا يرجى عوده ثم استعير لهلاك وحض بدعاء السوء (ونادى نوح ربه) أي أراد نداءه • فقال رب إن ابني من أهلي أي بعض أهلي لأنه كان ابنه (وان وعدك الحق) وأن كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجي أهلي فما بال وعدي (وأنت أحكم الحاكمين) أي أعلم الحكام وأعدلهم فأضلح الحاكم هل غيره إلا بما تجمل به من العلم وما اتصف به من العدل وأيضا انه يحكم بالحقائق لاطلاع على بواطن الامور ودقائقها • أما الحكم الأرضيون فانهم يحكمون بالظاهر وينرون البواطن لمن هو أحكم منهم وهو أحكم الحاكمين (قال) الله (يا نوح إنه ليس من أهلك) إذ لا ولاية بين مؤمن وكافر ثم علل ذلك بقوله (إنه عمل غير صالح) أي انه ذو عمل فاسد وجعل نفس العمل الفاسد للبالغة • وقرئ - إنه عمل غير صالح - أي عمل عملا غير صالح (فلا تسألن) نجاة (ماليك) به علم أنه ليس أهلا للنجاة • وذلك أن نوحا عليه الصلاة والسلام سأل الله أن ينجي ابنه من الفرق وكان من أهل النفاق يظهر الايمان ويخفي الكفر كلنا قعين زمن النبي ﷺ فلم يعلم حتى أعلمه الله كما حصل لسيدنا محمد ﷺ كما تقدم في سورة التوبة فقوله - إنه ليس من أهلك - أي من الذين وعدت النجاة

لهم وهم المؤمنون حقيقة في السر والظاهر وقد خاطبه الله بقوله (ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) ثم اتبع الأمر بعدم السؤال بقوله (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) ومعنى - أعظك - أنهاك وهذا كما نهى رسولنا ﷺ بقوله - فلا تكونن من الجاهلين - (قال رب إني أعوذ بك أن أسألك في الاستقبال (مالبس لي به علم) مالا علم لي بصحته (والا تغفر لي) وإن لم تغفر ما فرط مني من السؤال (وترجئ) برجتك التي وسعت كل شيء (أكن من الخاسرين) أعمالا (قيل يأنوح لهبط بسلام منا) أي أنزل من السفينة إلى الأرض مسلما من المكروه كالفرق من جهتنا أو بتحية منا (وبركات عليك) وهي الخيرات النامية وهي في حق كفرة أولاده وأتباعه فقد جعل أكثر الأنبياء وأئمة الدين من ذريته (وعلى أم عن معك) أي وعلى أم ناشئة عن معك وهم الأمم إلى آخر الدهر لأنهم ذرية من معه في السفينة (وأم ستمتعهم) أي وأم كفرة يحدوثون بعدك ستمتعهم في الدنيا إلى منتهى أجلهم (ثم عسهم منا عذاب أليم) في الآخرة ثم خاطب النبي ﷺ فقال (تلك) أي قصة نوح مبتدأ خبره (من أنباء الغيب) أي بعضها وقوله (نوحيا إليك) خبر ثان (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) وهذا خبر ثالث (فاصبر) على مشاق الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح وقومه (إن العاقبة) في الفوز والنصر والغلبة (للتقين) الذين يهتدون بالشرك والمعاصي . وهنا لطائف

( الطائفة الأولى - وقيل يا أرض ابلى ماءك الخ - )

هذه الآية في غاية النصاحة والبلاغة حتى خصها بعض العلماء بالتأليف لفخامة لفظها وحسن نظمها ودلائلها على الحال مع الإيجاز البديع . فانظر كيف ابتدأ الكلام بلفظ - قيل - بالبناء للجهول فلم يذكر الفاعل لعظم قدره وجلالته . وكيف خاطب الأرض أن تلبع والسما أن تلعق وهو مجاز عجيب . وكيف كان - غيظ الماء - يعني عن جمل كثيرة - وقضى الأمر - قام مقام العبارة الطويلة العالة على هلاك قوم ونجاة آخرين وهكذا فكل جملة كأنها درس خاص مع الجزالة وحسن التعبير وفي هذا المقام من الحسن مالا تمسح للعبارة عنه والتوق كاف فيه

( الطائفة الثانية )

اعلم أن هذه القصة قديمة العهد ذكرت في الكتب السابقة وامتصودها إلا إبراز رجال في الأمم يكونون قنوة للصالحين ومنبها للكمال اليهم تشد الرحال وعليهم يعزّل الرجال وبهم تصلح الحال . ولأنك درست تواريخ النابغين في سائر الأمم والأجيال لم تر أحدا منهم نبغ إلا على مثال نبوغ نوح عليه السلام ولم يخلق الله في الأرض نبيا ولا حكيما ولا علما إلا إذا صادفه مثل مصادفه نوح عليه السلام بل أقول أنظرأيها الذي التقارئ لهذا التفسير . أم تجد في نفسك مثال ماجرى لنوح من بعض الوجوه وكيف قرأت العلوم ودرست الكتب ثم وصلت لهذا التفسير وقرأته ما كان ذلك إلا بعد ما جاهدت جهادا أذاك فيه الأقيرون والفرباء ثم لم تقبأ بذلك ونصرت وفزت بالعلم وضلّ سعيهم وناب فألهم فلعمر ك لم يفز أحد في الدنيا بطائل إلا بعد أن يناله النصب ويضام التلب ويحمل به الألم ويسومه أهله وذووه سوء العذاب . فانظر رعاك الله قصة نوح ووازنها بسيرة سيدنا محمد ﷺ

(١) النبي ﷺ قال له قومه - لولا أنزل عليه كنز أوجاء معه ملك - وقالوا - لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - في مقابلة جدال نوح وقومه

(٢) طلب كفار قريش من النبي ﷺ أن يطرد من معه من المجلس احتقارا لهم وهم يجلسون بهلم فقال الله له - ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي - إلى قوله - فطردهم فتكون من الظالمين - وهذا كقول نوح - لله أعلم بما في أنفسهم إني إنذرتهم إني إنذرتهم من الظالمين -

(٣) يقول الله تعالى لنبينا ﷺ - قل ما أسألكم عليه من أجر - ونوح يقول - ويقوم لأسألكم عليه مالا -

(٤) صنع نوح السفينة لنجاة قومه وأمر النبي ﷺ أتباعه بالهجرة الى الحبشة ثم هاجر هو وهم الى المدينة وهذه في مقابلة السفينة

(٥) - ثبت يدا أبي هب - وهو عم النبي ﷺ وطرد ابن نوح من رحمة الله ولم ينفعه أنه ابن نبي  
(٦) سخر قوم نوح منه فأفهمهم أنه هو الناجي وهم الخاسرون . وقد كان المنافقون يقولون ان محمدا بعدنا ملك كسرى وقيصروا ان أحدنا لا يقدر أن يقضى حاجته خراج المدينة وكان كفار مكة يسخرون منه فكرر في القرآن أن الله سينصره وقد تم ذلك

(٧) حل نوح معه من كل نوع من أنواع الحيوان زوجين ذكرا وأنثى لبقاء النسل وهكذا جيع الأنبياء والمصلحين إنما خلقهم الله في الأرض للنفعة العامة ولإعلامه لرجال الإصلاح والعطاء إلا قصد للنفعة العامة وسيدنا محمد ﷺ في مقابلة ذلك قيل له - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - لافرق بين حيوان وانسان وغيرهما من المخلوقات

(٨) وكما غرق الكفار من قوم نوح قتل الكفار من قريش  
(٩) وكما نجى المؤمنين من قوم نوح نجى المؤمنون من العرب وأصبحت جزيرة العرب كلها اسلاما كما تقدمت في سورة التوبة

(١٠) قال تعالى - فاصبر إن العاقبة للمتقين - أي كما نصرت نوحا وكانت العاقبة له فيكون النصر لك فاصبر الخ

الآن نتجيب من هذا القول كيف كانت هذه السورة تنبئ في مكة ولا جيش ولا جند ولا مال لصاحب الرسالة ثم يتلو عليهم هذا القول ويقول الله له ستكون عاقبتك النصر كما كانت عاقبة نوح وبعد ذلك بزمن قد تم هذا . ولمعنى إن هذه هي المهجزة الحققة فانه قص قصة نوح وقد حصل له مثل نوح أولا وآخره وقد تلاه عليهم في أول أمره بحيث لا يحتج في النفس أقل أمل في نجاح دعوته وأن العرب وغيرهم يتبعونه . ذلك هو المهجزة الصادقة وذلك هو الذي به يصدق العاقلون

### ( مقصود القصة لسائر الفضلاء )

أيها الذي إن هذه السورة تقرأ دائما يقرؤها المسلمون ويكرر نظيرها في الكتب السجادية قبل القرآن بل ان لها نظيرا كما سيأتي في كتب الدين الهندية . فلنذكر ما بقيت هذه القصة في البيانات المتلاحقة على مدى الأزمان لألفاظ يكررونها ولا لجزء آيات يقرؤونها وإنما هي حكم وواعظ وآداب يتحلى بها الفضلاء والنايغون . فإذا رأيت في نفسك ميلا الى فضيلة أو علم أو نفع عام فاجهد في سبيلك واعلم أن الله معك مهما اعتراك من ضيق أو هم أو مرض أو عدولة واعلم أن الله لم يسلط الميل تلك الفضيلة ولم يزرع في قلبك حب ذلك العلم إلا وهو يريد سقيه وازال الفيت عليه لينجيه فاعزم وتوكل على الله واتل قوله تعالى - واصبر إن العاقبة للمتقين - وهذه القصة تنطبق على كل من يقوم بعمل شريف في نفسه وفي قومه . فإذا أراد المرء عملا نافعا لنفسه أو لأولادته لأموه أو لأولادته نفسه لوما شديدا في أول الأمر كجدال قوم نوح ثم يطل الجدل ويجاهد الانسان حتى يرسم له طريقا للخلاص كالسفينه ثم يباديه أهله وولده في الحديث ( أبيض الناس الى العالم أهله وجيرانه ) فليسر في طريقه ولا يبالى بهم ثم يسير في طريق الفلاح وينجوا من الكفاح وهو سفينة نجاة ملاح ويقال له - فاصبر إن العاقبة للمتقين -

### ( الطيفه الثالثة . الطوفان في العلم الحديث )

## ( الطوفان علم وخاص . الطوفان العام )

اعلم أن الأرض مكوّنة من (٢٦) طبقة علّته متميزة وهذه الطبقات تكوّنت في ستة حصور كما تقدم مرارا كل عصر منها يبلغ مئات الملايين بل آلاف الملايين من السنين وهي العصر الأصلي ، العصر الاتقالي والعصر الثانوي والعصر الثالثي والعصر الطوفاني والعصر اللاحق للطوفاني أو العصر الحالي . وفي كل عصر من هذه الصور الستة تكوّنت طبقات في الأرض وهي مختلفة كما قد تقدّم ذكرها في التفسير وإنما الذي يهمنا في هذا المقام العصر الطوفاني فقد قال علماء العصر الحاضر أن تقريبا عظمًا بجائيا طرأ على وضع محور الأرض وقطبها فاندفعت على أثره المياه على سطحها اندفاعا عظيما واغرض في هذا الطوفان كثير من الحيوانات ولجأ بعضها بخلصا من الفرق إلى شقوق ومقار في أعالي الجبال فهلكت جوعا هناك أو باقتراس بعضها بضا أو خنقا في وسط المياه للندفة عليها وقد كشف العلماء كثيرا من تلك المغاور الحاوية عظاما عديدة من الوحوش الكواسر التي عاشت قبل حصول تلك الفاجعة وهذا الرأي هو الذي يفهمنا كيف نقصت الحرارة فجأة في الأقطار القطبية . أنها نكبة علّته مريبة قلبت وجه الأرض وبها اغرضت أنواع من الحيوان على بكرة أيها وتحولت المياه فجأة من مجاريها واندفعت بعزم على اليابسة خلطت على الصخور واقتامت الغابات وجردت الجبال من حلقها السندسية وتركزت رولس جديدة يقال لها في علم الجيولوجيا (الطبقات الطوفانية) وفي هذا العصر بدأ القطبان يكتسيان بالجلد وهذا دليل على تناقص جسم في حرارة الأرض . والتناقص المذكور حصل فجأة وليس بالتدريج فان علماء (الجيولوجيا) استدلوا على ذلك من آثار فية بل أجسام صميحة من (الماموت) كشفوها في وسط الجليد الشمالي حكموا بحصول برد فجائي باغتيا وقتلها قبل أن تتمكن من المهاجرة إلى أقطار أوفر اعتدالا وأقرب إلى مزاجها . ولما استقبت السكينة على وجه الأرض بدأ العصر الحالي وهو السادس وفيه ثبتت اليابسة وازداد الهواء نقاء وأرسلت الشمس أشعتها المنعشة فطابت النباتات وأنس الحيوان وظهر بعدها الانسان . ولا يعلم أحد الآن هل كان الانسان قبل العصر الحالي أي هل كان قبل الطوفان المذكور ولقد وجدوا آثارا تدلّ على ذلك . هذا هو الطوفان العام

## ﴿ أين الطوفان الخاص الذي جاء به القرآن والكتب السماوية كما في هذا المقام ﴾

اعلم أن الطوفان المذكور في الكتب السماوية لم يعلم عنه علماء (الجيولوجيا) إلا ما يأتي وهو أنهم كشفوا أنه كان هناك بحر عظيم يمتدّ قديما من البحر الأسود إلى الأوقيانوس الشمالي وهذا البحر من آثاره بحر الخزر وبحر الأوزوف والبحيرات الكثيرة التي في بلاد روسيا وهي مألحة منتشرة في سهول التتر ومقارز روسيا . ولما ارتفعت جبال القوقاز اندفع قسم من المياه إلى الأوقيانوس الشمالي والقسم الآخر اقبل إلى الأوقيانوس الهندي ففرقت بلاد ما بين النهرين وجيع البلاد التي يسكنها أسلاف الشعب العبراني وقد حفظت هذه الحادثة في تقاليد سائر الشعوب الذين يسكنون تلك القاع . وجاء في أسفار (العقيد الهندية) في هذا المقام ﴿ تحوّل إبراهيم إلى صورة سمكة ﴾ وجاء يقول إلى الملك الصديق (فاغاسواتا) ان زوال زمان العالم قد دنا وعن قليل تبادل كل نسمة من الوجود على وجه الأرض فاصنع لك سفينة تدخلها بعد أن تأخذ معك بزورا من كل النباتات وانتظرن فأوافيك وعلى رأسى قرن تميزني به . فأطاع الملك الصديق أمر إبراهيم وعمر سفينة ودخلها بعد أن ربطها بجبل متين بقرن السمكة فسارت السفينة في الظلمة سنين عديدة في وسط عواصف قاصفة واستقرت أخيرا على رؤس جبال همالايا له

هذا هو العلم الذي يعرفه الناس الآن من علماء طبقات الأرض ومن علماء الديانات . فهأنت ذارأت الطوفان العام الذي هو قبل التاريخ ورأيت الطوفان الذي عرفه بنو إسرائيل عن أسلافهم الذين كانوا بين النهرين وعرفت البحر العظيم الذي خلف بحيرات في أوروبا الآن وعرفت كلام البراهمة عن هذا الطوفان



ثم اعلم أني ما كتبت لك هذا لأفسره القرآن . كلا وإنما أكتبه لتحيط علما بهذه المسألة ولتستحق  
 العلوم وتبحث في عجائب صنع الله وفي تقلبات هذه الدنيا ومجانيها وتجنب من هذه الأرض كيف تنكوث  
 وكيف كان القبطان أشبه بخط الاستواء تعيش فيهما الفيلة العظيمة التي لا نظير لها الآن بل هي أشبه بالفيلة  
 التي كانت قديما تحمل مئات من الناس على ظهرها ثم طرأ عليها البرد فجاءت حالا وقبت الى الآن  
 دلالة على قسرة عظيمة . وكيف كان هناك بحر ثم زال من الوجود . وكيف كانت هذه القصة قد طبع بها  
 أكثر الأمم العظيمة المتدينة

فأما القرآن فانه قصص علينا هذه القصة ليرقينا بها وليدلنا على أن الصابرين فائزون . وقد أبنا هذا  
 أيما تبيان . فافرح بما آتاك الله من فضله . واعلم أن الله عز وجل ما أنزل هذه القصة لأجل المباحث  
 التي ذكرناها ونحوها وإنما أنزلها لما فيها من القدوة الحسنة واليقين . إن الذين هم مصلحون وقلوبهم  
 مغلوبة على الإصلاح فائزون في آخر أمرهم . ولعمرك ان هذه القصة في القرآن تعطى المصلحين إيقانا  
 وإيمانا وعلما أنهم بعد الصبر فائزون . وهذا قد أومئنا تمام الإيضاح . انتهى الكلام على قصة نوح  
 عليه السلام . ثم قال تعالى (وإلى عاد أخاهم هودا) أي وأرسلنا إلى عاد الخ عطف على قوله - نوحا إلى  
 قومه - وهودا عطف بيان (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أأنتم إلا مفترون) على الله  
 لاتخاذكم الأوثان شركاء وجعلها شغواء (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى لإعلى الذي فطرني) وذلك  
 لخطاب نوح لقومه بذلك وخطاب النبي ﷺ لأن النصيحة مادلست مشوبة بالمطامع لاتنفع (أفلاتعلمون)  
 أفلاتستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من الباطل والصدق من الكذب (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا  
 إليه) اطلبوا مغفرة الله بالإيمان به ثم توبوا إليه من ذنوبكم السابقة (يرسل السماء عليكم مدرارا) كثير  
 السور (وزيدكم قوة إلى قوتكم) وكانوا قوما أصحاب زرع وبساتين وكانوا مدلين بما أوتوا من قوته بطش  
 • وقال بعضهم حبس الله عنهم المطر وأعظم أرحام ناسهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الإيمان  
 والتوبة بكثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتنازل • يقال ان الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لحاجب  
 معاوية لما شكاه قلة الولد (عليك بالاستغفار) فكان يستغفر في اليوم سبعمائة مرة فولد بنين ولما  
 سئل الحسن عن سبب ذلك استدلت بهذه الآية وبآية نوح - وعندهم بأموال وبنين - (ولاتتولوا) ولا  
 ترضوا عما أدعوكم إليه (مجرمين) مصرين على إجرامكم وآثامكم (قالوا يا هود ما جئنا بنبية) كما قالت  
 قريش للنبي ﷺ - لولا أنزل عليه آية من ربه - فجحد الطائفتين آيات النبيين (وما نحن بتاركي آلهتنا  
 عن قولك) أي وما ترك آلهتنا صادرين عن قولك . فقوله - عن قولك - حال من الضمير في تاركي  
 آلهتنا (وما نحن لك بمؤمنين) أفتعلوه من إجابته وتصديقه (إن تقول إلا اعتراك) أي أصابك من هراء  
 يعروه اذا أصابه (بعض آلهتنا بسوء) أي ما تقول فيك قوله إلا هذه للقلالة وهي - اعتراك بعض آلهتنا  
 بسوء - فأنت يا هود لست تخالفنا وتسب آلهتنا إلا لما أصابك بعض آلهتنا بخجل وجنون لأنك سببتهم  
 فاتقموا منك بذلك ونحن لانظمهم أمرك إلا على هذا الوجه (قال) هود عجبا لهم (إني أشهد الله) على  
 نفسي (واشهدوا) أأنتم على أيضا (أني براء مما تشركون من دونه) وهي الأصنام التي كانوا يعبدونها  
 (فكيدوني جميعا) احتالوا في كيدى وضري أأنتم وأصنامكم التي تعبدون أنها تقصر وتنفذ فاني أرى انها  
 لا تقصر ولا تنفع (ثم لانتظرون) لانتظرون ثم أكد هذا بقوله (إني توكلت على الله ربي وربكم) أي انه  
 فوض أمره الى الله واعتمد عليه (ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها) الناصية مقدم الرأس وسمى الشعر الناصي  
 عليه ناصية للجارية • وكان العرب اذا أرادوا اطلاق أسير يزوا ناصيته لينوا عليه ويعتدوا بذلك غزا عليه  
 تغالبهم الله بما يعرفون يعني أن الله هو مالكها والقادر عليها وهو يقهرها لأن من أخسنت بناصيته فقد

قهرته . والهابية كل ما يدب على الأرض ويدخل فيه جيع بني آدم والحيوان لأنها جميعها تدب على الأرض (إن ربي على صراط مستقيم) أي إن ربي وإن كنتم مسخرين له مقهورين لا يملككم إلا بالانصاف والاحسان والعدل فيجازي كلا بما فصل الحسن بإحسانه والسيء بإساءته (فإن تولوا) أي تولوا وتعرضوا عن الإيمان - بما أرسلت به إليكم - فلم يقع مني تصدير التبليغ وإنما التصدير منكم (قد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخف ربي قوما غيركم) أي أنكم إن أعرضتم عن الإيمان يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم أطوع منكم وهذا عذاب الاستئصال (ولا تضروه شيئا) بتوليكم عن الإيمان (إن ربي على كل شئ حفيظ) رقيب عليهم مني فما تخفي عليه أعمالكم ولا يفضل عن مؤاخذتكم وهو يحفظني من أن أغشوني بسوء فكم يحفظ أعمالكم ويساقبكم يحفظني من السوء (ولما جاء أمرنا) بأهلاكم وعذابهم (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحة منا) ذلك أن السذاب إذا نزل عمّ فلما أنجاهم الله كان ذلك رحمة من الله وأيضا الإيمان والطاعة من رحمة الله فما تسبب عنهما من رحمة الله لأن كلا من عند الله (ونجيناهم من عذاب غليظ) شديد (ولك عاد) وهذه قبيلة عاد كانت قبل سبوحا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا بقبورها وآثارها ثم وصف حلم قتل (محمدوا) أي كفروا بها (ودعوا رسولهم) لأنهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا قد عصى الجميع (وانبعوا أمر كل جبار عنيد) أي انبعوا أمر كبرائهم الطاغين وعيد من عند عنودا إذا طغى فصوصا من يهديهم وأطاعوا من يعصوهم (وأنبعوا في هذه الدنيا لعنة) أي أرفقوا لعنة تتبعهم واللعة الطرد والابعاد من رحمة الله (ويوم القيامة) أي وفي يوم القيامة أيضا تتبعهم اللعنة كما أنبتهم في الدنيا ثم ذكر السبب لزيادة الإيضاح فقال (الآن عادا كفروا برهم) أي كفروا برهم (الآن عادا) أي هلاكم أوبعدا من الرحمة (قوم هود) عطف بيان لعاد . والقصد من هذا العطف للبالغة في التنبيه لتأكيد . انتهى التفسير للفظة قصة عاد وما قبلها

(جوهرة في معنى قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - ) يعيش الناس ويموتون وتنتاحق الأمم وتتساقب في هذه الحياة ثم يردون أحواض المنايا أمة بعد أمة ودولة بعد دولة وهم يأكلون الحيوان ويشربون ألبانه ويلبسون صوفه وفراءه ثم أكثرهم يموتون ولا يهذب ذكرون لا يذكرون عجائب هذا الحيوان وعجائبه وغرائب النبات ولا الحكمة للدبرة التي خصت لكل طاقة منه لونا وشكلا وأحوالا خاصة . ينظر الناس إلى هذه الصور والأشكال ثم لا يذكرون لم هذا الاختصاص (١) ولم نرى الزنهار مثلا يحلى بشكل جيل مزوقا بهيجا ولكنه يعمل سلاحا يمد به على من يمه بسوء (٢) ونرى الفيران الصغيرة والكبيرة والوطايط إما رمادية اللون أو سوداء (٣) ولماذا نرى بعض السمك مرقشا متقوشا بهيئة بهجة كأنها هيئة البساتين الجيلة . والأكثر على خلاف ذلك إذ يكون ظهروه أزرق مائلا لسواد أو للفضرة وهو من أسفل أبيض اللون (٤) ولماذا نرى الجمل والأسد لهما لون خفيف رملي أو صخري رملي وهكذا من أمثلة كثيرة لا يحيط للناس أن يحكروا فيها وإنما الزاى العلم عند هذا النوع الانساني أن ذلك أمر عادي . والجواب على ذلك هو عين ما نقل عن الكسائي لما سئل لم بنيت أيت على الضم فقال (أي هكذا خلقت)

هذا الانسان أوله وآخره قديمه وحديثه غلبه غالبا وجهله مستور في النطفة والأمراض عن بحث ما حولهم وفهم الشروس التي أنشأها الله عليهم . هذه هي البروس الحققة والسلام التي أنزلها الله للناس وآيات تزلزل عليهم وطلاسم وأنغاز وزينة زين بها الأرض لامتحان عبياده لينظر أفيشكرونها بعمرتها أم يكفرونها بالتلهي يهيجتها والفتنة عن معرفتها ذلك هو مثل للمسلمين وغير المسلمين الحاليين الذين سكنوا هذه الأرض وهم عن

## آياتها معروضون

الهم انك أنت الذي أسكنت أرواحنا في هذه الأجسام الأرضية وأصلطنا بها المخلقت من الجبال وحفظت من الوبال وأصلحتها برحمتك وكلايتها بمنحك فمهي ببنائك وكلاءك في بهجة وسرور ونعم وجور وجلتها بحسب حققتها مكللة بالنور مرموقة بنظرك مكفولة بحفظك وجعلت أعيننا غالباً في غطاء عن جهلها رجة منك لنا وعطفاً وإحساناً . ذلك لأن هذا الجبال الكامن في صورها وخلقها لوتبتدئ لنفسنا دفعة واحدة وعرفناه لسكرنا ولثقلنا ولذابت مهجنا من الاطلاع على أسرارها لأنها من النور خلقت ومن الحكمة صنعت وكيف قوى أرواحنا التي لم يكمل حظها من القوة ولم تصل إلى غاية الكمال أن تفرق في بحر الحكمة الذي ليس له قرار

اعلم أنني لما وصلت إلى هذا المقام حضرنى صديق صالح فاطلع على هذا فقال . هذه اللقمة لم تخرج من مقدمات كثيرة من للتوفيق الذين تشرح صدورهم فينشؤون المقالات تلو المقالات ولم يزيد الناس من مقالاتهم كالأفيال في علم ولا معرفة حقيقة إلا قايلاً منهم - وقيل من عبادي الشكور - . ابتدأت المقال بأشلة في القبران والجبال وأماها ولم تجب عليها ثم أخذت تتفرق في الوجود وهذا الفزل أراك ورثته من كتب المتصوفين . إن الأمم الإسلامية اليوم لن تقوم من كبوتها إلا بعلم يفتح أعينها لهذا الوجود . فأما إذا كثرت في الأغراب وأبليت في الأرقال وزوقت الجبل وجشت رافع الكلام وبديع النظم فما علت حوفا ولازدت للناس ذكراً فاهجم على الحقائق هجوماً كما رأيت في كثير من الأجزاء السابقة في هذا التفسير . إن الكتب إذا دخلت من الحقائق المشاهدة عكف الناس على قراءتها وغفلوا عما حولهم فهل يحب أن يقرأ الناس هذا التفسير وهم مغمضون . قلت له هدي روعك وأحسن ظنك واعلم أن المقال الذي شرعت فيه الآن علم عزيز وفق شريف جميل سيربك

## حكما نسجت يد حكمت . ثم انفسجت بالنتسج

انك ستري من آيات الله ومجائب حكمه ما لم يعلمه أكثر المتعلمين في العالم الانساني . ذلك اني اطلعت على عشرات من عجائب ألوان الحيوان وأشكاله وكيف كان ذلك كله قد وضع بدقة وحكمة وغاية مقصودة اطلعت على ذلك في كتب الفرجة أي في موسوعات علومهم . وهذه الكتب لا يؤلفها إلا المختصون بالعلوم ثم لا يطلع عليها أغلب المتعلمين لأن أكثرهم لا يسي إلا لفضائه ولردائه ولظهوره بين الناس وأمثال هذا إنما تتحلل به العقول وتتاق به إلى الكمال . وأكثر الناس في الشرق والغرب عن هذه المعالي معروضون

## ﴿ تشبيه الأرض بكرة ﴾

إن ما سألقه عليك اليوم هو النور والبهجة والجبال . إن هذه الأرض في حقيقتها بعد ما تسمع اليوم ما أتوه عليك أشبه بكرة بجهة جبلية ثلاثية قد سطت عليها أنوار الكواكب وأشرقت عليها أضواء السيارات يتلاقى على ظهرها ﴿ الجبالان ﴾ جبال الأنوار وجبال النيرة . فترى أرضنا قد امتزجت على سطحها الألوان السبعة التي في قوس قزح بأضواء هذه الجواهر فتدخلت الأشكال وتناجست الألوان وامتزجت الصور في أمواج فوق أمواج وبحار من الصور والأشكال والبهجة والجبال . فك صور هذه الأرض في عقولنا بعد أن نرى ما سألته عليك الآن بل هذه هي الصورة التي ظهرت في خيالي بعد مقارنات هذا الموضوع الذي أنا بصدد ذكره الآن على أن هذا التشبيه دون الحقيقة

نعم الله نور السموات والأرض والنور على ﴿ قسمين ﴾ نور محسوس . ونور معقول . ونور النجوم والشمس والأقار وضوء الجواهر . كل ذلك محسوس ولا مناسبة بين المحسوس والمعقول . إن النور المحسوس بالإبصار قد سبق ذكره في سورة الأنعام وسورة يونس وقد رسمت هناك الصور التشبيهية والأشكال

الكوكبية والجرمة وأنواع السم والقنوان . قد تقدم هذا كله وتقدم شرح ذلك من علم الفلك بحيث يسهل على القارئ فهمه ولكن هذا كله هو النور الحسى . أما النور العقلى فهو أكل وأكل وهو النور الذى أنزل فى هذه السورة (سورة هود) إذ يقول الله تعالى - وللمن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين - ثم يذكر أنه استوى على العرش وأن عرشه على الماء وأنه يدبر بالحكمة . فهذا باب آخر من أبواب العلم وهو علم الحقائق . ويقول هود - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها - الأخذ بنواصى الدواب ليس بالأمر السهل انه يحتاج الى علم الأم كلها ودرس هذا الوجود كله أنزل الله القرآن وقال لنا - هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا - فى سورة يونس ومدح المفكرين فيها وهكذا فى سورة الأنعام وغيرها . ولكن فى سورة هود أتى بما هو أبعد مرمى وأدق مغزى يدل على ذلك قوله - كتاب أحكمت آياته - إشارة الى الحكمة المودعة فى الحيوان وغيره وقوله - ثم فصلت من لمن حكيم خبير - فيه إشارة الى عجائب الوجود التى نبين فيه سيفصلها الله ويظهرها للناس والا فكيف يقول لنا - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها - والناس فى الشرق والغرب لا يرون هذا الأخذ بناصية الدواب لأنهم يرون الدواب ولا يرون الأخذ بنواصيها . فالأخذ بالنواصي لا يرونه ولكن نفس الأخذ بالنواصي هو الممكن للناس معرفته ولا يمكنهم ذلك إلا بالعلوم والحكمة . أنزل القرآن على أمّة العرب وأمّة العرب نشرت القرآن ثم نامت ولكن الله لا ينام لأنه هو القائل - ثم إن علينا بيانه - والقائل - سأريكم آياتى فلا تستهزون - والقائل - وقل لحدّثة سريكم آياته فتعرفونها -

فهاهو ذا أروانا بعض آياته فى كتب أسلافنا المتقدمين وفى كتب للتأخرين من الفرنجة وأولئك الذين عرفوا بعض العلوم ونيفوا فيها ولكنهم لا يصلون أن هذا يطلبه القرآن بل هم فوق ذلك يكتبون العلم تحقيقا لمسائله ولا يفكرون إلا فى السعة أما الصانع فلا يقول أكثرهم على ذلك أثناء كتابتهم . أما أنا فأتى أقول بأعلى صوتى أنها للمسلمون كتاب الله المنزل عليكم لا تدرك بعض أسرارها لإقراءة جميع علوم الشرق والغرب ثم لا يتم مقصوده إلا باجتهد أبناء الاسلام بعد قراءة علوم القوم إذ يزيدون على ما علموه وهم محققون . وأقول أيضا - هذه بضاعتنا ردت إلينا - هى منطقة تمام الانطباق على آيات القرآن . فها أنا ذا الآن أيها الأخ أريك الذهب وستعلم أن هذا من بيان الله الذى سخر له الفرنجة وهو الذى أعترى عليه وهادى لفهمه فهذه بضاعتها يعبر الله قراء هذا التفسير ويحفظها سائر المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ويزيدهم علما بحججهم واجتهادهم أسوة بخوة يوسف إذ قالوا - هذه بضاعتنا ردت إلينا وغير أهلنا ويحفظ أمانا وزداد كليل بمرالح -

فقال صاحب الصالح فاجب أولا عن الأسئلة المتقدمة ثم لذكر ما ريد ذكره من عجائب الحيوان . قلت ان الألوان على (قسين) ألوان براقه بهجة ذلت أشكال تلت الأنظار وألوان خفيفة لطيفة لبس لها يريق ولحان . أما الأولى فالما أعطيت لحيوانات عندها ما يحجبها من أعدائها ويحفظها من المفترين عليها فالألوان الخفيفة اللطيفة فالما تعطى الى الحيوانات التى من مصلحتها ألا تظهر بوضوح لأحد (أسرين) إما لأنها عرضة للمفترين عليها . وإما لأنها لها فريسة . تلطف ألوانها ولطفتها أقرب الى اختفائها من أعين فرانسها فيمكنها أن تنال منها غذاءها ولو نصب وتعب فى العنى والابكار . هذه هى القاعدة العاتية ذكرتها الآن توطئة لما أصله فأقول

من عادة الحيوان أن يكون لونه مشاكلا لما حوله وهذه المشاكلة تكون سببا لبقائه لأنه بها يخفى عن أعين الرقباء

### ( الكلام على الزنبار )

(١) غلب الزنبار مثلا تره زاهى اللون منقشا مرقشا . لماذا لأنه أعطى حة بها بهجم على من يؤذيه لذلك اقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون مظهره المعلوم لأنه لا يخاف عدواً يضر عليه فهو في مأمن سلاحه الذى يحمله . فلزنبار إذن أشبه بالأم القوية إذ يجوس رجلها خلال البلاد في الشرق والغرب ظاهرين لأن لهم دولا تحميهم وتحافظ عليهم . ودولة الزنبار هو سلاحه . فسلاحه يقوم مقام سلاح النول في حفظ رعاياها ألست ترى أن الله أخذ بناصية هذا الزنبار فجعل له شكلا جيلا مزرقا وأعطاه سلاحا وقال له كن سرا طليقا أيها الزنبار لأنى أنا الآخذ بناصيتك وأنا على صراط مستقيم . اللهم إنا نحمدك على العلم ونشكرك على الحكمة

### ( الكلام على القبران والطوايط والبوم )

(٢) وخذ القبران مثلا آخر والطوايط التى تكون إما رمادية اللون ولما سوداء فبب ذلك أن هذه الحيوانات من الحيوانات الليلية غلوصها من الحيوانات القانصة للملكة فهى أبداً في النهار مخفيات فإذا ظهرت ليلا وكان لها لون غير السواد وما قر به ثم ذلك اللون عليها فتمزجها للعب فكانت من المالكات وانظر الى البوم فانك تجد لونه ترابيا فيه بقع ملونة كثيرة لونا خفيفا وذلك ليحصل التشابه بينه وبين قشر الشجر والأرض أثناء النهار ولا يكون كثير الوضوح أثناء الليل . أليس هذا الصنع معناه أن الله أخذ بناصية (البوم) . ثم أخذ بناصيته فلوته على الهيئة التى بها يعيش فبأكل القبران وغيرها ليحصل هذا الخلق . والا فلماذا يختص (البوم) باللون الذى يكون حافظا له وبغير هذا اللون المخصوص يضي (البوم) ولا يكون في الوجود

### ( الكلام على السمك )

(٣) وانظر الى السمك فان الذى نراه لاما بهجا فانه يكون عيشه في قاع البحر محوطا بالجلال الرائع من أشباب بحرية لامعة ومرجلان ناب في قاعها بهيج ونبات من الشقائق بيضاء فيكون ذلك القاع أشبه بمديقة خيالية عبقرية حسنة فيخلق ذلك السمك مناسبا لما حوله حتى يمتزج فيها هناك من الأشكال وبذلك يتوارى عن الأعداء . أما السمك الذى يرى ظهره أزرق مائلا للسواد أو الخضرة وبلونه أبيض فذلك لأنه يعيش أقرب الى سطح الماء في البحر فصار ظهره مناسبا للبحر ولزرق الماء في البحر فيمتزج عن أعين الطيور القانصة للسمك وجعل بلونه أبيض ليختفي عن أعين السمك المفترس فينشابه لون بياض بلونه بالون الماء فلا يفتقره السمك للمرير

### ( الكلام على لون الجبل والأسد ونحوهما )

(٤) أما الجبل والأسد ونحوهما باللون الخفيف الرملي فذلك لأنهما من سكان الصحراء والصحارى لا أشجار فيها ولا مراعى . فالأسد لو كان لونه زاهيا كالزنبار فمتر منه فريسته . والجبل لو كان كذلك لكان عرضه لاقتراس الحيوانات المفترسة تهجم عليه كالغور والأسد والدواب فأعطى كل منهما لون ماحوله من الرمال لينتبه بها بالصخور الرملية التى تحيط به . وهكذا ترى القبران وأنواعا أخرى من الطير وكل ماله فروة من الحيوانات الصغيرة ذوات الأربع وجلد بعض الحيات والنسب . كل ذلك ملقون بلون الرمال وقاية من الله وحفاظا لتلك الحيوانات فببحان الخلاق العظيم . فلما سمع صاحب ذلك قال اتى وجيع للتلميذ من أبناء مصر وبلاد الشرق وأكثر بلاد أوروبا يقولون غير ما تقول . يقولون إن الوسط قد أثر في هذه الحيوانات فهذا أمر طبيعى لا غير . فأما الآخذ بالناصية التى ذكرته فان التلميذ لا يقولون به . قلت له جاك لله وبياك ألم تذكر أنى ميت لك أن هذا العلم لا يكون عند للتوسطين في المعلوم . إن هذه الآراء

أما يعرفها الحكماء في أوروبا وفي الشرق . فأما تلاميذ المدارس في كل أمّة فانهم كالعامة في هذه النظرات بل هم المتحجبون في هذا الوجود ولا يخطئ بالحكمة منهم إلا الأقلون أولئك هم للفكر . وقال هات برهانك وانقل لي ما قلته أكبر حكايتهم في عصرنا حتى لا ننتهم بأنك إنما تحاول أن تجعل القرآن مواظاً للمعالم بالحق أو بالتعادل . فقلت قد جاء في كتاب ( موسوعة العلوم ) للمسي ( ساينس فورال ) في المجلد الثاني صفحة ١٢٨ وما بعدها ما يأتي

( إن الفكر العادي يرى أن ألوان الحيوانات قسمت ووزعت بلاصحة ولا علم . وترى المناطق الحارة الاستوائية كل شيء فيها لونه بهيج زاه زاهر في حيوانه ونباته بخلاف ما عندنا . ثم إن بيان السبب في أن هذا أحر وذاك أبيض الخ . كل ذلك عند أكثر الناس لا يفيد ولا ينتج بل هو عبث . ثم قال وسأبين لك أن حيوانات كثيرة ألوانها نافعة لها بل إن كثيراً منها تتوقف حياتها على حيايتها ألوانها لها ولولا تلك الألوان لافترست تلك الحيوانات وبانت من الوجود ) ثم أخذ يبين تلك الحيوانات واحداً واحداً بدقة وحكمة وقته وتفكير في الهواء والبر والبحر والأطوار الحارة والباردة وفي هذه قال نبهت في جهات القطب الشمالي فإن لون البياض هو السائد في تلك الأقطار . وقد ترى هناك السواد والسمره إذا كان ذلك أصح للحيوان في تلك الأقطار

#### ( الأرنب والقطب القطبيات )

ثم قال كل دب في الأرض أسمر أو أسود إلا دب القطب الشمالي فهو أبيض . وهكذا أرنب القطب واليوم . كل هذه بياض أو قريية من البياض . والقطب القطبي أبيض . والأرنب الذي يسكن الجبال العالية فهذا يتغير إلى البياض زمن الشتاء . وهناك طائر يسمى ( بستمين ) وهذا خير مثال للحماية بالألوان فهو موافق لألوان الأشجار التي يقع عليها ولا يضرها ولا ينفذ الإنسان أن يميز سرباً منه وهو في زمن الشتاء يلوّن بالبياض لأجل حيايته بمساكنه للتلوّج فهو يلوّن في الصيف بلون الأشجار وفي الشتاء بلون الثلج لحمايته أيضاً

#### ( الغم القطبية والسمر والغراب وألوانها هناك )

ثم قال وهناك ( ثلاثة أنواع ) من الحيوان تختلف لون التلوّج في تلك الأقطار ( أولها ) نوع من الغم يسمى ( غم مسك ) فهذه ألوانها السمره مع السواد قستين وتظهر وسط الجليد وسبب هذا أنه يعيش جبالاً وليس لفرد منه أن يعيش وحده فلون السواد والسمره الذي يظهرها وسط التلوّج ظهوراً واضحاً ضروري حتى يعرف كل خروف منها أصحابه ولو كان لونها كلون الثلج لفضّل القطيع وتفرقت واقتربت المفترسات فهذا النوع بين نارين إما حياة مخفية بالسمره مع السواد ليتعارف أفراد السرب الواحد ويختفي في جانب هذا أن ينفرد الواحد بعد الواحد ضالا الطريق أو مريضاً فتختطفه المفترسات كالقطب القطبي . أما أفراد السرب فهي متعاونات لها حراس يعرفون مواقع الخطر فيفرون بالتطبيع كله فيعيشون ويكثرون واملون كلون الجليد به لا يميز بعضها بعضاً فهلك كلها . لاجرم أن أول الأمرين خيرهما وهذا هو الذي حصل في الوجود ( النوع الثاني السمر ) فانه يحتفظ بفروته الطيبة الثمينة الجيدة السمره في أيام هتاء ( سيبيريا ) القارس . وذلك لأنه يلزم للأشجار وبأكل من ثمارها وهو نشط ويختلف الطيور بين الأشجار فيتتبعها فيأكلها ولو كان لونه السواد لميزه الطيور ففرت منه فلم يأكلها ( النوع الثالث الغراب ) انه يكون في أقصى الأقطار القطبية الشمالية ولكنه دائماً أسود . ذلك لأمرين ( أولاً ) انه لا مدوّله خابثه إذا تمزج في وسط التلوّج ( الثاني ) أن فريسته وهي الجيفة لا تفرّ منه إذا أراد أكلها فذلك حفظ له سواده ولم يغير ذلك كله لخدمة الغراب نفسه . ثم قال هذه المسائل الثلاثة من البراهين لك على ما ذكرته من أن الألوان مقصودة



الجزء من المادة والعوالم المادية كأرضنا ترى فيها قوس صغيرة في أجسام انسانية تزداد علما وبضما يرتقى الى أن يصير مع أولئك الجبرتين من المادة من اللانكة ويدبرون كتنديبرهم كل بقدره . فهؤلاء اللانكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون . والقيسح يرجع لمعرفة أن الله متفرع عن المادة وما ينسبها وعن سائر الخلوقات . والتحميد لاحقية له إلا بدارك الحقائق فإن الحد إنما يكون على نعمة . والنعمة ان لم تعرف فلا جد عليها . وكلما كان الانسان أولئك أكثر علما كان أكثر جدا . والجد جاء في اسم سيدنا محمد ﷺ وجاء في قول المصلي قبل كل مكتوبة ﴿ اللهم آت سيدنا محمدا الوسيطة والفضيلة وابته مقاما محمودا الذي وعدته ﴾ فذكر الحد ونكراره في الصلاة والثناء كله راجع للعلم فلا جد إلا على علم والمجهول لاحد عليه . فهؤلاء اللانكة يسبحون بحمد ربهم وهم علماء بما جدوا عليه وهم مؤمنون لأن الحد لا يكون إلا مع ايمان ولكون المؤمنين شاركهم في الايمان انما أخذوا يستغفرون لهم ويقولون - ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما . - فبالتشعري كيف نعلم أن الله وسع كل شيء رحمة وعلما إلا بتسل ما ذكرناه . وتجب من ذكر الرحمة مصحوبة بالعلم لأن الرحم الجاهل لا يقتدر أن يضع الأمور في مواضعها فيعطى السمك الذي عند سطح الماء لون المرقش المزين الذي في قاع البحر الحار فيموت السمك فربة هذا النقش والتصوير والتزيين ويعطى بجعله الجبل لون الطاووس وكذلك الأسد فهلك الأول بالحيوانات المفترسة والثاني بفرار الغزالان والبقرة والجاموس والغنم والمز إذا رأيت في عرض الصحراء . فالرحمة لا تكون إلا مع العلم والرحمة بالعلم حقا وهذا المعنى هو المذكور هنا وهو قوله - إن ربي على صراط مستقيم - ولن يكون على صراط مستقيم أى عدل إلا اذا علم طرق المنافع والمضار فأعطى الأول ومنع الثاني . فقوله هناك - ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما - يقرب من قوله هنا - إن ربي على صراط مستقيم -

فقال صاحب ملبني قوله في أول السورة - كل في كتاب مبين - بعد ذكر أن كل اللوابة عليه رزقها هل الكتاب الذي كتب فيه كل شيء الملعنا عليه وأبان لنا شيئا من تلك العلوم . فقلت كتاب الله ووحه المحفوظ لا يعرفه إلا هو ومن يريد تعليمه ولكن هذا الكتاب له آثار . فقال وما هي الآثار . قلت انظر الى التصوير الشمسى . أنت ترى الناس يصورون الجبال والأنهار والكواكب والمزارع والمحصول بالتصوير الشمسى فيعرفونها معرفة عاتية . قال بلى . قلت فهل الصورة النسبية فيها مزايا الأمل من كل وجه . قال . كلا . قلت هكذا هنا ان الله وان لم يطلعنا على اللوح المحفوظ أطلعنا على الصورة المنطجة في الأرض منه . فهذه الطوائف الحيوانية والنباتية التي قرأت بعضها هنا وفيها تقسم في هذا التفسير والتي ستعرفها ان شاء الله في سورة - قد أفلح المؤمنون - اذا درسناها حتى درسناها أرتنا جلال ذلك اللوح المحفوظ فان الاتقان في الصنع بحيث ترى الفأر والأسد والجبل وطوائف الحشرات والسمك كل واحد منها قد أعطى ملبه حياته . ذلك كله نظام وترتيب . والنظام والترتيب إنما يكون من العلم . فالعلم والحكمة الغيوبان هنا المحفوظان عند الله قد ظهر في هذا الوجود وبنا أيما تبيان لمن يدرسون . أما الذين يمشون وهم ساهون لاهون مكتفون بعلومهم وبعنا نالوا من شهادات من مدارس عالية فأولئك ربما كان غرورهم بملهم القليل يحملهم على انكار ما يعرفوا والتظاهر بالانكار ليدفعوا بذلك الانكار والتكبر الخزي والعار أمام الذين يعلمونهم فلذا شلوا في مثل هذا المقام قالوا هذه أشياء يقتضيا الوسط والبيئة وأحوال الجور وهكذا . واعلم أن الله عز وجل يحب أكثر النوع الانساني من معرفة هذا وأمثاله رحمة منه بهم كما قدمت في أول المقال ولأنهم عرفوا ذلك لسكروا ولا نبهروا فكان فرحهم عظيما لكن الله رحمت شغل الناس بإطعام أنفسهم وبملابسهم وبمداواتهم وأعمالهم فهم في شغل شاغل . كل ذلك ليقوى عقولهم حتى يستأهلوا لمعرفة هذا الوجود ولو عرفوه الآن لدايت أكثر النفوس فهو هنا حجباً ليقربها ولا يعطيها من العلم إلا بمقدار على حسب



قابليتها . فإذا رأيت زيدا يحرق هذه المسائل فلا تعجب لأنه الآن يرى بالنعم والتم والعز والقتل والفقر والنجس  
لنترى قسه في الصف والثناء والحريف والربيع فتشده وتحوي حتى إذا فارقت روحه بدنه استحق من العلم  
على مقدار ما استمد له حجب الناس عن العلم لم يكن بخلا ولكنه يحرمهم منه إلى أمد معلوم لمنفعتهم لا غير  
وإذا رأيت نفوسا متعطشة إلى هذه المنافع وتالت بعضها فاعلم أنها استحققت ذلك . ذلك هو الصراط المستقيم  
والحمد لله رب العالمين

### ( التيسيح والتحميد )

استيقظت قبيل فجر يوم الأحد ٣١ يوليو سنة ١٩٢٧ فظننت أن هذا الموضوع يعوزه القيام فها أنا ذا  
ذاكر ما انشرح له صدى تيمنا لقال فأقول

لقد علمت أن الألوآن جعلت لحماية الحيوان فيها تقم وفيها سيأتي في سور أخرى فاعجب لذلك واعجب  
لقوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم - من هنا فليقرأ المسلمون التسبيح  
والتحميد . التسبيح تنزيه . والتحميد آثر لنعم . هذا هو مقصود التسبيح . أمرنا بالتسبيح في  
صلاتنا وسبحنا في الركوع وسبحنا في السجود في كل واحد (١١) مرة وجدنا في الرفع والاعتدال فقلنا  
( ربنا لك الحمد ) وجدنا في أول الفاتحة في كل صلاة فنحن قوم حادون ونحن الذين قيل لنا - فبما  
الله حين تمسون وحين تصبحون \* وله الحمد في السموات والأرض - وبها في سورة يونس السابقة قوله  
تعالى - وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين - هذا المقام هو سر التسبيح وسر التحميد الذي لانفهمه  
نحن سبحنا وتسبيحنا لفظي . وجدنا وجدنا لفظي . فإذا لم تتبع اللفظ معناه كنا ضالين . ومعنى  
الحمد ومعنى التسبيح يظهر في أمثال هذا المقام مقام الألوآن . الله أكبر جل الله وجلت الحكمة . اللهم  
انك أنت الذي أبرزت هذه الأشكال الحيوانية الآتية صورها فيما سيأتي وأنت الذي رسمت عليها تسبيحك  
وحجلك . فبالأول زعمناك عن العتب في صنعك والبعد عن الصواب في خلقك . لقد كسوت الحيوانات  
أكسية لوتها بألوآن خاصة فكانت وقاية لها . فألبست الدب في الأقطار الشمالية قباء أبيض وخلعت على  
الزنبور حلة مزركشة مزوقة براقه براها الناظرون وحبوت سكان الصحارى من الصواب ألوآن رملها  
وأفضت بنمك على تلك المخلوقات التي هي في كلاءك وزينت بعض الحشرات بزينة تشبه زينة حيوانات  
من نوعها وبهذه المشابهة أوهمت أعداها أنها لها سلاح كسلاح للشبه به اقتصادا منك في حملك ولطفًا منك  
بمخلوقاتك ورحمة بها فحينما من أعدائها بمجرد المشابهة للآتية لها سلاح من نوعها كما سيأتي صور ذلك  
فيما سيأتي من مجلدات هذا التفسير في محله إن شاء الله . وإذا رأينا حشرة كزريق الطير . وإذا رأينا طائرًا  
ليليا يسمى (سكانك) في أمريكا الشمالية قد ازدحمت لونه وجل شكله ضار في الليل ظاهرا وأصفا وقد طال  
ذهبه الأبيض الزاهي الذي هو علمه يرفعه ليعرف . أقول إذا رأينا هذا وذلك فالتنا قول أننا زعمنا الله  
يقولنا لا بألفاظنا فقط . زعمنا عن العتب أي العتب في وضع هذه الألوآن وهذه الأشكال فترى أن شكل  
زريق الطير الحشرة للدكورة إنما جعله الله وقاية لها فليس هذا زرداء واحتقارًا ولها ولها بل الحكمة  
أصبحت مبرورة لنا فإن الطير لا يشك في أن هذا زرقه فيصده عنه فيكون هذا الشكل راحة بالحيوان فإذا  
سمعا الله يقول - وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا \* ذلك ظن الذين كفروا - فنك أن الذين  
كفروا بالله يقولون إن العالم جاء بالصادقات والامتراجات وهكذا ظن جميع الجهال وجميع المعلمين تعلميا ناقصا  
ولكن الذين آمنوا الأنبياء منهم يؤمنون ويستقون ولكنهم لا يفقهون الحقائق ويضطرب أن هذا العالم باطل  
ولكنهم يدفعونه بإيمانهم وتصديقهم والإيمان غير اليقين . وهكذا قول في الطائر المذكور الآتي شرعه في  
المجلدات الآتية إن شاء الله تعالى . قول إن هذا الطائر الأمريكي قد أعطاه الله سلاسا وهو أنه ينشر راحته

كرية بها يدفع كل حاجم عليه لجلل الله هذا الدليل الطويل البهيج الجليل الأبيض ليكون علما له برحمته قناره  
الطيور الكواسر فتقر منه ولا تقربه لأنه تضرعه يقول أنا البطل المغوار أنا الليث الكرار أنا الذي أدفع  
أعدائي بسلاح حبيب النساء غريب . قلدي أناسنا فاخترع الغازات الخافقة وللمعية فأنا أول من حارب  
الأمم بالغاز الكريه شمه وأعدائي من الحيوان ليس عندها وقاية قتها على أنوفها من رائحة الكرية كما  
استعمل جيوش الخلفاء أكنة على أنوفهم في الحرب الكبرى وقاية لها من غازات الألمان الذين قلدوني في  
اختراعي في السبق عليهم في هذه الصناعة . إذا فهمت هذا فهمت معنى قوله تعالى - وإن من شيء إلا  
يسبح بحمده - لجلل التسبيح ملتبسا بالجد وهذا هو الحق فان الحشرة التي على لون زرق الطير قد كتب  
على بدننا مانسه ( أنا أنزه الله عن العبث في رضى على هيئة قنرة فلم يجعل هذا عبثا وإنما جعله لمنفعتي )  
فقول الحشرة إن هذا الوضع ليس عبثا والله لمنفعتها تضمن التسبيح والجد معا لأن النعمة هنا هي الوقاية من  
المهلك والوقاية مرتبطة بهذا الشكل القنر فتقلد الشكل بها النجاة حتى قلنا بها النجاة نزهنا الله عن  
العبث وصارت له منة على الحيوان فالتسبيح هنا ملازم للحمد . فهذا هو سر - وإن من شيء إلا يسبح  
بحمده - فالتسبيح هنا مع الحمد لا ينصل أحدهما عن الآخر . فهذا الشكل أفاذا الأمرين معا تنزيه الله  
عن العبث وفضله على عباده . ومثل هذا قول في الطائر الأمريكي فرأته الكرية التي يطلقها على عنقه  
هي شيء قنر والله لم يخلق هذا القنر الكرية الرائحة عبثا بل جعله وقاية لمن الصف به فحصل ( الأمران )  
تنزيه الله عن العبث في وضع هذا القنر المكروه الرائحة والمنة والنعمة على الحيوان . فالتسبيح والتحميد  
متلازمان وهذا يفهما معنى قوله تعالى في سورة يونس قبل هذه - دعواهم فيها سبحانك اللهم - الى قوله  
- وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين - فهذا المقام فتح لنا باب فهم ذلك على قدر طاقتنا البشرية . إن  
تسبيح أهل الجنة وتحميدهم ليس كتسبيحنا ولا كحمدنا بل هم يسبحون ويعلمون بطريق الإلهام كما  
ورد في الآثار انهم يلهمون التسبيح والتحميد كما نلهم نحن النفس فالتعبير بالإلهام يفيد أن ذلك التسبيح  
وذلك التحميد قد ظهر الآن في هذا التفسير شعاع نور منه فان ألوان الطيور وأشكالها وهكذا كل حشرة  
وكل حيوان جميعا امتزج فيها التسبيح بالتحميد ولكنه مقدر غير مقبول إلا لقليل من الناس وللك قال  
لنا - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - إن تسبيحهم منبج في جدهم . إن هذه العوالم كلها عبارة عن  
كتاب كتبه يدي يدل دلالة أوضح من دلالة ما تكتبونه بأيديكم وما تلتفظونه بألسنتكم ولكنكم تفسرون  
عن ادراك ذلك وأتم في هذه الأرض ولا يفهم بضه إلا أناس اخترعهم لتلك وهم الذين قلت فيهم - إنما  
يخفى الله من عباده العلماء - ولا يتفهم إلا بعد الموت لأولى الأبواب ولتلك جعلت تسبيح أهل الجنة  
مفصولا عن جدهم والتسبيح على قدر التحميد أريد بذلك أن المعاني المقدمة عليكم والمعاني المقبولة في هذه  
الصور والأشكال التي هي حروف وكلمات التي خفيت عليكم وأتم هنا فلا تفهمونها هي التي ستظهر لأهل الجنة  
فيقتلونها بطريق الإلهام فتصل لكم الأشياء تضيلا كما فصلت الجدة هنا عن التسبيح بحيث تفقدون جمال  
وقد قويت أرواحكم فحلت ذلك ضرورت في لغة لا يفهم بها ولا يقدر على تحملها أهل الأرض . هذا تحقيق  
بعض المعاني في قوله تعالى - ولكن لا تفقهون تسبيحهم - الممتزج بالتحميد بخلاف أهل الجنة إذ يسبحون  
ويعلمون بالثهم والفضل لا بمجرد اللفظ كما تفعلون . هذه هي المعاني التي خباها الله في صور الحيوانات التي  
تمش بين ظهرانيها فهو أخذ بناصيتها وهي أنفسها تسبيح وهي أنفسها حمد ونحن اليوم لا نعلمها ونسحقها  
بعد الموت . وإعلم أن هذا التفسير فتح لباب هذه المعاني وسيكون في هذه الأتمه حادون ومسبحون  
بطريق العلم والحكمة ويكونون نورا للناس وتكون هذه العوالم في نظرم جنة عرضها السموات والأرض  
وأعلى جنة وأعلى لغة أبقي وأعلى من الوقوف على الحقائق التي ستكون نورا لنا في هذه الدنيا ويوم

القيامه نتهدى به لما هو أعلى والعلوم هي حقائق التسبيح والتحميد

إذا علمت هذا علمت كيف أمر المسلم بالكثير من التسبيحات والتحميدات بكرة وعشيا . ولماذا يقول **عليه السلام** فاطمة رضي الله عنها لما سأله خدامها كما في البخاري ﴿ إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحدا ثلاثا وثلاثين وكبرا ثلاثا وثلاثين ﴾ ثم ذكر أن هذا خير لهما من عدم . أليس ذلك معناه أن العلم هو القادة القصوى . فإذا كان الجسم راحة بدن الخسوم ﴿ وبسبارة أخرى ﴾ إذا كانت الحياة فيها لذات كالبقاء فيها . وكذلك بلال والخدم والحشم فإن هناك ما هو خير لسعادة الإنسان وهي إدراك الحقائق التي دخل تحت التسبيح والتحميد والتكبير وذلك كله محبوه في العوالم التي نشاهد أمثال هذا الطائر الأمريكي وهو بدن مركب من أجزاء أو كفة مركبة من حروف دخلت على معان لا يفهمها إلا الخاصة ولا يفهمون منها إلا قليلا وفهمها هو عز الدنيا وعز الآخرة وسعادة الروح وسعادة البدن وهذه الكلمة من كلمات هي المذكورة في قوله تعالى - قل لو كان البحر ممدادا لكتبنا لكلمات ربي لنفد البحر قبيل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا - فما أنت ذا أيها الذي أخذت تقرأ في هذا التفسير بعض كلمات الله في الوح للفتوح أمامك وهو هذه الدنيا وأكث الناس حولك لا يعلمون والحمد لله رب العالمين

﴿ للتعلمون تعليما أوروبايا في الشرق يجاهلون حقائق العلم في أوروبا وفي الاسلام ﴾

تبين لك من هذا المقال في تفسير قول هود - إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا أنا آخذذ بناصيتها الخ - أن كل دابة لاتعلمي لونا ولا شكلا إلا لمنفعها بحسب الاستبراء حديثا وهاك ما كتبه الصلاة (روبرت برون) في كتاب موسوعات العلوم المتقدم ذكره قال ما ترجمت في صفحة (٢٨٤) من المجلد الثاني (لقد كتبنا في مقال سابق من صفحة (١٢٨) الى صفحة (١٨٧) أقول هي للمقالة التي استخلصنا بعضها هنا وستذكر فيها بعد) في الألوان المحافظة للحيوان واجتهدنا أن نلقى شعاعا من العلم ووضوح الحقيقة في المقصود من هذه الألوان الخاصة وفي أصولها من حيث انها بها يختفي الحيوان عن أعدائه الأكلات له وعن فريسته التي لا يتقن اصطياها . ولقد أبنا هناك كيف كان موضوع الألوان مقسما مقسما مشعب الأطراف في الطبيعة وكيف ان ما كان يظهر للناس من الألوان انه للزينة والزهوف (١) حينما كنا نبعث الحيوان وهو محبوس في أفاقنا (يريد أمثال الطائوس) (٢) وحينما نلاحظ صورته في دار التحف) ظهر الآن انه خطأ محض وضلال مبين لأن تلك الألوان جميعها لحفظ كيان الحيوان والمحافظة عليه اذا درسناه وهو في وطنه الأصلي أورانياته وهو جسيم للاسترات وقد اتخذ شكلا به ينجمون خطر المحجمات . انتهى بإيضاح قليل

وهذا القول يفيدنا فائدتين ﴿ الفائدة الأولى ﴾ ان الناس في غفلة معرضون عما حولهم وأن للمتعلمين في بلاد الشرق الذين قرؤوا لغة أولفتين مع بعض العلوم هؤلاء هم كأكثر فقهاء الاسلام هؤلاء من قال الله فيهم - وإن قطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرسون - أما طرقت هؤلاء للمتعلمين تعليما أوروبايا فانه اتجه بفرور الى أن ما أخذوا فيه شهادة من مدرس أوروبا هو العلم كله وهم في الوقت نفسه يجاهلون حقائق العلوم عند الأوروبيين فأكابر علمائهم في العلوم الطبيعية قد رأيت الآن نص ما نقلته عنهم ولهم يصيرون الذين يكتبون من الحيوان بطواهره ولا يقولون حقائقه . وأما طرقت الفقهاء فظاهر انهم يتركون النظر في هذا العالم طائنين انهم عرفوا كل شئ فألاؤون منهم كفروا لقلة علمهم والآخرون جهلوا ما يطلبه الايمان ولأن الطائفتين كانوا غير مضموعين لرسوا وحققوا فالكفر في الأولين للفرور والجهل في الآخرين للفرور وهاهي ذه علوم أوروبا التي قلنا انها عن حكائهم في عصرنا فأعداء الشرق هم الفقهاء الغافلون ومعلمو العصر المغفلون فالفقهاء بأذهانهم نصر الدين قد هدموه وهم غافلون والمعلمون تعليما أوروبايا بتركهم الدين واحتقارهم كل دين أعربوا عن جهلهم بعلوم ساداتهم في أوروبا . ويقول الله في

الفاصلين - فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون - وهذا تعلم القائدة الأولى  
 ﴿ القائدة الثانية ﴾ ان هودا عليه السلام كان يناوئه قومه ويعدونه وهكذا سائر الانبياء فهو لا علم لهم قد  
 آذنتهم أمهم فقال لهم هودا لا أخاف منكم - إنى نوكت على الله ربي وربكم - واحتج على ذلك بدليل  
 وهو أن الله أخذ بنصية كل دابة فان وقع في مكروه فهناك أحد ﴿ أسرين ﴾ إما أنه ينجيني منه ولما أن ذلك  
 المكروه يكون سببا في ثواب الآخرة كما قال تعالى على لسان نينا <sup>عليه السلام</sup> - قل هل ترهبون بنى إلا إحدى  
 الحسينين - فجعل النصر حسنى والقتل في سبيل الله حسنى وهذا هو معنى التوكل أى ان الانسان يجتهد في  
 عمله والنتيجة تسلم لله وتكون هي خيرا للانسان بحسب حاله كما اتنا رأينا الطائر الأمريكى قد جعل المكروه  
 من راحته والمحبوب من شكله الزاهى الزاهر كلاهما لحفظه وكما رأينا تلك الحشرة التى شكلها شكل زرق  
 الطيور قد جعل ذلك الشكل القبيح لوقايتها فهنا قبيح وحسن لوقاية الحيوان وقبيح خالص لوقايتها أيضا  
 هذا هو الذى يقصده هود عليه السلام • يقول إن الله تكفل بالحيوان وجعل للمكروه والمحبوب لمنفعة  
 فما أناذا أتوكل على الله وأقول إن المكروه والمحبوب نافعان لى والشئ كالخبر لأن النتيجة هي القائدة لى  
 وربى الذى رأينا جعل للمكروه والمحبوب نافعين للحيوان هو نفسه الذى قتر لى المكروه والمحبوب •  
 فبالتقاس على الحيوان يكون للمكروه كالمحبيب فالأول للذى في الحال والثانى للذى في الاستقبال وهذا هو  
 قوله - إن ربي على صراط مستقيم - اه

﴿ زيادة إيضاح - إن ربي على صراط مستقيم - ﴾

انه يرينا على صراطه المستقيم وهو يهدينا الصراط المستقيم كما قال تعالى - وانك تهتدى لى صراط  
 مستقيم • صراط الله - يقول المسلم - اهدنا الصراط المستقيم - يريد صراط الله الذى له مافى السموات ومافى  
 الأرض وأن الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض يديرهما بالقسط والعدل فيجعل الفأر أسود والزنبر  
 أحر والطائر اللبلى الأمريكى فيما تقم أيضا ذا ذيل طويل والحية والنمب بلون الزمال ولا يجعلهما كالطاووس  
 وهكذا مما لانهاية له فضل ذلك على صراطه المستقيم فلو عدل عن هذا الصراط لفنت الفيران بظهور ألوانها  
 ليل ولولم يسط الزنبر رحلته البراقة الدالة على ماله من سلاح لهجمت عليه الطيور الآكلات للحشرات وهكذا  
 مما علمت • هذا فتح لنا سر القضاء والقدر • القضاء والقدر سرهما محبوب عن الناس جميعا لأننا فى  
 الأرض محبوسون وما أوتينا من العلم إلا قليلا وليس ذلك بخلاف من الله كما لم يكن منع إعطاء الفأر لون  
 الطاووس بخلافه بل ذلك منه فضل ولكن ما ذكرناه هنا فيه بصيص من نور ذلك السر

ذلك أنه جاء فى سورة الأنعام - سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا ولا حرمنا من شئ  
 كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تبعون إلا الظن  
 وإن أتمم إلا تخمينون • قل لله العجبة البالغة فلو شاء لهذا كم أجعين - الله أكبر جلّ لله وجلّ العلم وعظم  
 بعض السر وأذن الله بارتقاء المسلمين وبلوغ كبرهم فى العلوم • إن هذا التفسير منة من الله • ذلك أن  
 أبواب العلم اليوم قد قمت ومن أجلها ما ذكره فى هذا المقام • ذكر الله أن الذين أشركوا سيحتجون  
 بالقضاء والقدر على صاحب الرسالة ويقولون اذا كان كل شئ بمشيئة الله فلم هذا الوعيد والانهذار على الكفر  
 والذنوب ومنهم أكثر المتعلمين اليوم والجهلاء فأجلبهم أولا بالتهديد بأنهم يذوقون البأس كما تلطم من الأم  
 ونانيا يصفهم بالحرمان من العلم ولو كان عندهم علم لهداهم العلم وشئ والظن شئ فالعلم اليقيني هو المنظر فى  
 هذا الوجود والنظر به يكون اليقين الذى تصف به الخليل وهذا اليقين انما يكون بمثل النظر فى ألوان الحيوان  
 للذكورة • إن الناس فى مستقبل الزمان سينالون حظا عظيما من علوم الحيوانات وغيرها وهالك يهرسون  
 بالعلم والحكمة أن الله لم يسط حيوانا لونا ولا شكلا ولا هيئة إلا جعل ذلك نافعا له وعند التحقق من هذا

يزول الاعتراض بالقضاء والقدر لأن التبع والحسن وغيرها كلها لمنفعة نفس الحيوان فهذا هو العلم وهذه هي العلة البالغة التي كتبها الله لنا بحلق صور الحيوان ولست أقول لك إن هذا كل الحق بل هو فتح بابها يبين الله كل سائل متكل على القضاء والقدر بأن العلم هو الذي يرفقه صراط الله المستقيم ومتى علم الناس أدركوا بعض حجة الله البالغة وأتى حجة أبليغ من خواص الحيوان ومجابه

ظهر مما تقدم وما سيأتي في سورة المؤمنين أن كل حيوان يجب أن يكون على ما هو عليه ولاهلك فهمنا أمور (الأول) أن لكل حيوان شكلا ولونا لا يصلح لغيره (الثاني) أن هذا هو العدل وسوله ظم لأنه يترتب عليه هلاك الحيوانات (الثالث) أن النقص لا فرق بينه وبين الكمال والحسن والتبع كذلك فكل ذلك لبقاء الحيوان فيكون نفسه بالنسبة لغيره كالألوان بالنسبة له . هذه هي حجة الله البالغة هداانا الله إلى أوائلها في هذا التفسير . هذا صراط الله المستقيم فكيف يكون صراطنا نحن في قوله لنا

(اهدنا الصراط المستقيم)

قد علمت أن الله يقول لنبيه ﷺ - وإنك تهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله الخ - فصرطانا هو نفس صراط الله ولكن صراطنا على حسب أحوالنا (أولا) أن نعلم أن ما يحصل لنا من الحوادث وزنا قصا لنا أضررا نتيجته المنفعة لنا قياسا على الحيوان الذي عرفنا كيف كان الله على صراط مستقيم (ثانيا) أن نذكر الإفراط والتفريط في الأمور ونكون وسطا في كل شيء في الكلام والأكل والحلب والبض وهكذا وهذا ملخص علم الأخلاق (ثالثا) تزيد علما حتى توقن أن ما أصابنا من مكروه فهو نعمة علينا كما أن سواد الفأر نعمة عليه بل الذنوب التي تورثنا نمار بها كانت سبب اشتراق قلوبنا فاذن لا يكون فرق بين المرض الجسمي والمرض النفسي وهو الذنب في أن كلا منهما قد ينير العقل (رابعا) أن نكون حكياء فلا نقول كلمة أو نعمل عملا إلا إذا وزنا كما رأينا الله وزن الألوان والأشكال ولم يسطر إلا لأربابها فلا يضل عنده ولا هو حائد عن الصراط المستقيم اه

(بهجة الأنوار في مجاب الحيوان)

يظهر لي أن هذه الدنيا لنهاية لمجاهاها ولا غاية لبدائها . هاذا ألمت لي ماستقرو في سورة - قد أفلح المؤمنون - من مجاب الألوان في الحيوان وبعد ما كتبت ذلك عرفت على أمر يدعش العقل ويحير القلب مستقرو في سورة الرعد عند قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب - سترى هناك أمرا عجبا . ذلك أن من النبات ما هو مقترس لا يتغذى من التربة ولا يعطى خلاصة النبات كالخزلان والجال بل لا يأكل إلا اللحم أو الحشرات وله طرق خاصة لصيد فريسته ومنه ما يسمى (بالنبات الجزار) لأنه متى وقعت فريسته في قبضته لم تقل منها بل يفتريها وسلاحه في ذلك (أمران) حسن ألوانه مع الجبال ومقدر من الصل موهوب له من الله . فهذان أعطيا له ليكونا سببا لخداع الحشرات فتسرع إليه فتكون غذاه وهناك ترى صور تلك النباتات وشرحها

أليس هذا من قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها - . أخذاته بناصية هذه السواب النباتية اطلع عليها فلم أنها لا تقوى لها لتتنقل بها من الأرض . فإذا فعل لها . أمر الحشرات أن تطوف حولها وأعطى هذه الدواب المذكورة من نعمه عسلا ومنظرا حسنا ليكونا سببا في دخول هذه الحشرات في اللدغ فلا تخرج منها وأما تدخل في ضمن غذاء ذلك النبات . اللهم إنا نحب من صنعت وحق لنا أن نحب . أخلت بناوصى كل دابة . يعيش أقوام ويموتون من أهل الأديان ومن للمحدين وأكثرهم يفتنون لا يظنون . يسمعون أن ذلك النبات يفتري الحيوان فيمرون عليه مرة الكرم فلا المتدين يدعش لذلك ويكون سببا في بئس وسعادته وجمال العلم في قلبه ولا للملحد يقل كيف خلق هذا وكيف سهلت له الأسباب حتى

حتى حطى بضائه بدون انتقال وعذب الانسان والحيوان في طلب الرزق ولم كان الليل مقدرا بمقدار الحاجة  
عجز النبات الحيواني عن السى فأرسل له ما يأكله بحيل خلقت فيه وأعطانا وأعطى سائر الحيوان قوة فأبعد  
مطالبنا على مقدار قوتنا . اللهم انى أعجب لهذه الدنيا اختلفت أعمالها واتفق نظامها

### ( حياة الأرض )

ثم إلى اليوم نظرت فيما قاله العلامة (مترنك) الذى أبدع في حياة النحل وألف في حياة (الأرض) على  
وزن بقرة وهي دودة عمياء ويسمون هذا النوع بالنحل الأبيض أو النحل الأعمى والحقيقة أنها ليست نحل ولا هي  
بيضاء بل لونها جمع بين البياض والكدر وهو (الأغبس) من النبس وقد هرقت (وبعبارة أخرى)  
لونها لون الأرض التي تعيش فيها وهي الآتية إن شاء الله في قوله تعالى - ما علم على مونه إلا دابة الأرض  
تأكل منسأه الخ - في سورة سبأ فأحييت أن أوجز في وصفها ليزداد علمنا بقوله تعالى - ما من دابة إلا هو  
أخذ بناصبها - يقول هذا العالم إن هذه الدابة عشت قبل الانسان مائة ألف ألف سنة وهذا بحسب ظنه  
وظن علماء زماننا . ويقول إن حضارة هذه الحشرة أقوى من حضارة النمل والنحل وقد درس هذه الحشرة  
علماء مثل (كونج) و (مغرى سينان) وغيرهما من فطاحل العلماء وهو حيوان يتراوح بين (١٠٣) و  
مليمترا طولاً وأغلبه لا يكون له أجنحة وهو بطيء الحركة ولا يعيش في غير البلاد الحارة ولا يرى الشمس  
ثلاثاً يموت ولا يعيش إلا في الرطوبة وهو أنواع كثيرة فنه ماحو بناء يقيم هضاباً فوق الأرض ومنه ما يعيش  
في المرء ويمشى بين صفين من الجنود يحشى بها من الأعداء ومنها ما يفتك بالأشجار وقد تكون ساكنها  
تملأ فوق الأرض أربعة أمتار ومحيط قاعدتها (٣٠) قدماً كأنها قالب سكر ومنها ما يملأ كالقناطر نصبت  
فوق أعمدة متعوجة وقد يستطيع الفارس أن يمشى من تحتها . ومن ساكنها ماشوهد في أفريقيا الوسطى  
ولاسياً في (كنفولبلجيك) حيث يبلغ الطول من ستة أمتار إلى ثمانية أمتار . ومن عجب أن هذه الحشرة  
يظن العلماء أنها قد أعطيت علماً بالكيمياء لم يعرفه الناس فأنها تعيش في أصقاع لا أثر لئاء فيها ولا للحياة  
يقولون انها ربما أخلت (الأوكسوجين) من الهواء وجعته الى (الادروجين) الذي يجده في غذائها النباتي  
ليستكون منها الماء . ومعنى ذلك انها تقدر أن توجد الماء بطريقة كيميائية عجز عنها الناس في الأرض .  
وهذه الحشرة لها ملكة كالنحل سترى رسمها إن شاء الله في سورة سبأ وبجانها الملك فهي علاء اليد وهو  
كالأعنة وحولها الضباط المحافظون على حياتها والكشافه الصفار المحيطون بها وهناك الذين يطعمونها عند فها  
والذين يتلقون يرضها عند مؤخرها ثم انها لاتقوم من مرقدتها حتى آخر أجلها وهناك جنود وعمال والجنود  
والملك والمملكة ليتعاطين الطعام إلا مما تعطيه لهم العاملات اللاتي تنسج من النحل العاملات فيه وهي الشغالة  
ومن عجب أن تلك المملكة المنظمة يقوم بها الملك والمملكة والعمال والجنود في الظلام وقد فتكت بالأشجار  
والمنازل والملابس والقرى ولولا النحل ومحاربه لها لأهلك الحشر والنسل وأخرت كثيراً من بلاد نوع  
الانسان . ومن عجب أن هذه البومة يتربى تحت اشرافها وفي مدينتها في الظلام جماعات كثيرة ذوات عيون  
وأجنحة . فاذا ولي الخريف ودنا موعد المطر وتلك الخلوقات لم تزل في تلك القرية المحكمة السد المسدودة  
الكوى الكثيرة المجنودة ذوى القوة والبسالة اللاتي يلفن خمس عدد القرية . هنالك يحصل أمر عجب لا  
يدرى من أين جاء فما هو إلا أن يرى الانسان هؤلاء الجنود (الذين وقفوا على الفتحات التي تأتي بالهواء ليلاً  
وتهازلا لا يتحركون موقعهم لحظة طول السنة) قد تخلصت عن أمانتها لحظة واحدة في كل باب وخرجت آلاف  
الآلاف من تلك الخلوقات ذوات الجناح والبرعر خرجت هذه الخلوقات فرحات اذا هناك جماعات يظن وقت  
خروجهم من الصافير والحيات والحرة والكلاب وسائر الحشرات لاسيا النحل فتجمع على هذه القرائن التي  
خرجت في الحق كالقرائن لأنها قد أعطيت قوة الكورة والاثونة بخلاف التي في المدينة فان الكورة والاثونة

فيما قد صارت آثارا لا يعمل لها . فهذه المراتب تفتك بها هذه الجيوش التي حضرت لتقاتل منها . وهكذا بنو آدم يحضرون ويقسمون تلك الغنيمة مع الحيوان فيجمع الانسان ما يراه بالمرقة ويأكله بعد التحميم أو يجهنم بالسكر فيصير كاللوز ويبيع في السوق كافي جزيرة (جلوه)

هذا ما أردت ذكره من هذه الأرض التي لا تبتغي ولا تفرح حتى إنها فلتت ملاحدة له من عجائب التخريب فقد تأتي على الشجرة الكبيرة فتأكلها ويبقى هيكلها كما هو فلذا جلس أحد بجانبها واتسكا عليها إنها هارت ووقعت كأنها دنان وذلك لأنها تحاذر أن يكون التلف ظاهرا فهي تأكل جميع ما تحت القشر وترقه ولها كثير من العجائب عسى أن أذكرها هناك في سورة سبأ إن شاء الله تعالى . وههنا يأتي الحب فترجع إلى الفكرة العاتقة في هذا الوجود

### (نظري في هذه الدنيا)

أرجع فأذكر لك أبها الأخ فكري أيام الشباب فقد كنت أقول . هذا الوجود ان كان منظما فله إله وإن لم يكن منظما فليس له إله . وصرت أقول في نفسي ان هذا الوجود إذا كان يصنع معنى على تدبير وحكمة فانا معاشر الأحياء نكون سعداء . ولذا كان هذا الوجود عبارة عن مصادقة عبياء فالحياء عبياء لاقية لها

فلما اطلعت على ملابته في هذا الكتاب وغيره ظهر لي ما يأتي  
لقد تبين لي من صانع هذه الدنيا أنه عمد إلى المادة . وعلم أنها قابلة لما لانهاية له من الصور والأعاجيب فتلطف وابتدع كل وسيلة لبسوغ النهايات المختلفة من الصور . فبينما زاه قد خلق حيوانا يأكل كل الحيوان والنبات إذا به قد خلق نباتا يأكل من الحيوان ويأكل من النبات كما تقدم . والآراء قد جمع بين الضدين أكل وما أكل . ويظهر لي أنه كما سحر عقولنا بما خلق من النبات الذي يأكل كل الحيوان وهو لم ينقل من مكانه سحر عقول عوالم أخرى بخلقنا نحن إذ جئنا نحن في الأرض وفيها للتناقضات . فنحن نحتاج بضنا لبعض في الشرق والغرب وكل لكل عارِب . فإذا اطلعت عوالم أخرى علينا أدهشها هذا الصنع الغريب فيقولون قوم يحتاج بعضهم لبعض وهم يقتلون كيف يمشون . وهكذا يرون فينا أفاين الأخلاق وبدائع المدينيات واختلاف الديانات . وكيف كان فينا من لا يصل إلا شهوانه . ومنا من يدرس الدنيا كلها وهكذا فيجبون من متناقضاتنا عبينا من تباينات الحيوان والنبات

هذا فيما زاه حولنا من هذه الدنيا والمادة التي نعيش فيها وفي أحوالنا العاتقة . فأما أجسامنا نحن وعقولنا فأمرهما عجيب . فعل الله بها ما فعله بالمادة وبالحيوان والنبات . وذلك أنه كما عمد إلى المادة خلق منها مادق من اللرات وماعظم من الجبال وهكذا الصلب والصخر ثم الماء والنور . وكذلك خلق الموز والحنظل والحلوى والمر . أعني أنه استخرج من المادة كل ما يمكن حصوله منها . هكذا زاه خلق فينا المتضادات الصغر والكبر والعز والذل والصحة والمرض والحزن والفرح

هذه هي صفات أجسامنا صفات تملأ على أنه استخرج من أجسامنا وأرواحنا كل ما أمكن حصوله منها فهي قرح وعجز وتمرض وتصح وتضعف وتقوى . إذن أجسامنا أشبه بالأرض فهي مزابع فسكا زرع في الأرض الحلو والمر زرع فينا المحبوب والمكروه وكأنه سبحانه رأى من المعدل أن يصلنا بكل ما نستعد له أي الله يهمننا كل ما نستعد له أجسامنا وأرواحنا هذا هو فعل صانع العالم يستوى عنده محبوينا ومكروهنا كما استوى عنده المر والحلو في الأرض والصلب واللين في المادة والهواء والصخر . إذن صانع هذا العالم يريد أن يستخرج فينا كل شيء كل من في استعملنا أسوة بالمادة التي نعيش فيها . هذا هو النظام الذي رأيناه منذ ههنا في هذه الأرض

## ( إذن ما نتيجة هذا النظم )

نحن الآن في الأرض قد حبسنا فيها وليست عقولنا في السيطرة لأنها محبوسة وإنما يمكننا أن نتلصص الجيوب عما عرفناه في هذه الطبيعة . قد جاء لنا وحى النبيات كلها بأن هناك عالم الآخرة وعالم الآخرة تظهر فيه أرواحنا بمظهرها الحقيقي والذي جاء في الدين كلام اجمالي ونحن الآن نبعث في طبائنا فنقول لعل هذه الأرواح إذا خرجت من الأجساد ينفضها أنها ترى مزرعة القمح والحزن والألم واللذة التي ابتليت بها في الدنيا فيكون ذلك لها درساً . ثم إن حيوانات الغابات تفلّ عندنا الأمراض والشرو والى ابتلى بها الإنسان فكان كثرة الطبع تتبع الرقى والا لكان الحيوان أرقى من الإنسان . وكما أننا في الدنيا نسرنا دراسة الموت والحلو والفساد والموت ونرى في ذلك لنا حكمة . هكذا إذا متنا واطلعنا في قوسنا على ما كانت من ألم وما أصابت من لذة . وهكذا ما أحسن من خير وما أسأت من شر . كل ذلك ليظهر لها مزارع ومناظر تتأثها النفس فترى في ذلك درساً يبينها على رقى أكثر في عوالم أخرى . ولعلنا إذا لم نجرب الخير والشر والضر والنفع والصحة والمرض هنا نجد أنفسنا في قصص هناك ونعسى بجهد عميق لأن الروح لم تدرس نفسها ولم تفعل ما كمن فيها فتكون إذن جاهلة بحال نفسها وهذا الجهل يضرب بها هناك . وربما كانت بعض النفوس ستولى إدارة بعض النفوس أو العوالم بأمر الله تعالى كما تقدمناه في بعض هذا التفسير من الصلاة الزاوي واخوان الصفاء وعلماء الأرواح في أوروبا فر بما كان انصاف الإنسان بالآلام والفتات يطبعه فهما لما ينصرف فيه بأذن ربه فهنا حالان للنفس مكروه ومحجوب كالمرض والموت والصحة والحياة فإذن ظهر لنا أن صانع العالم لما له من العلق والعظمة والكبرياء والبشاشة الشديد مع الرحمة التي لا نهاية لها . قد خلقنا ولم يبال باحساننا بل بنظر نظرة إلهية لانظره يجارى بها حواسنا وهو أطفنا . خلق الحواس والمواليف لأعمال في الحياة ولكنه هو نظر إلى ما هو أسمى . فانظر ماذا نرى . نراه يتلف بالجنين في بطن أمه ويصطف عليه قلب والده ويخلق له اللبن ويحبب فيه للمعين ويخلق الزرع والتجار والجنود . كل هؤلاء للحفاظ بالرحمة . ونراه يتلف مع ( النبات الخضر ) المتشتم فيعطيه العسل خاصة ويجعل لونه ليكون ذلك باباً لرزقه وفتحاً عليه . هذا لطف عظيم ولكنه يأتي بعد ذلك فيقلب الوضع فيأتي للنبات من يقلعه والإنسان من يقتله أو هو يموت فأين هذه الرحمة والطف . إذن نقول نقيس ما غاب عن ماضيه ونقول إذا قلته أو أماته فمتنا أنه جعله في مكان آخر بهال أخرى ثم أتبعه بالرحمة التي كان يكلؤه بها في الدنيا وإذن نقول . بهذا نفهم الحديث الوارد في الرحمة وأنها مائة جزء وقد أذن الله منها تسماً وتسعين في الآخرة وأعطى واحدة لأهل الأرض بها يتراحم الإنسان والحيوان حتى إن الفرس ترفع حافرها عن ولعها خشية أن تصيبه . هذه الآراء التي لاحظناها في هذا الوجود هي التي قد خبئت في قوله تعالى - ونبلوكم بالبشر والبطيرقة ولينا ترجون - أي أننا استخرجنا منكم كل ما كمن فيكم من الشر والخير كما استخرجنا من اللذات كل ما كمن فيها ثم أنكم ترجون لنا وقد عرفتم ما فيكم من الصفات علماً لانتشبهه شائبة لأن أعظم العلم ما كان باحساس الخي نفسه وتجربته هو نفسه . ويظهر أن نوع الإنسان لا يكمل إلا إذا بلغ في العلم مبلغاً به يستوى هذه الموت والحياة تبعاً لسنة صانه هذا هو الحق . أما الإنسان اليوم فهو لا يزال جهولاً كغفراً . إذن عمل الله تعالى هكذا

- (١) أب وأم (٢) زراع تجار وأطباق (٣) حكومات (٤) مملوك (٥) منافع طمة في المخلوقات الحيوانية والنباتية وغيرها (٦) أعداء عارون (٧) هرون وموش (٨) اضطراب (٩) جبل (١٠) الأساد والحيوانات القوية للفسى والطاوون والموت هذان المجلولان وإن كانا ليسا كاملين قد تناولوا على الإنسان فهو حق ميت سعيد شقي مريض صحيح . وإذن الله تعالى من رحته التي هي أعلى من إحساننا قد أحياها وأماناً وأتى لنا بالنتائج وهذا



انما جاء من طريق الوحي . أما من جهة العقل فهو من طريق العقل والقياس فكأننا قمنا على ما شاهد لأن علونا نقتصر على هذا العالم الذي نعيش فيه بالنسبة الى غيره

### ( شرف درس الحيوان ونظام الدنيا )

أما الآن كتابان من كتب الفرنجة أحدهما ( ملكة الظلام ) المسمى أيضا حياة الأرضة المترجم حديثا الى العربية الذي ذكرته قريبا ومؤلفه ( مترنك ) والثاني كتاب ( موسوعات العلوم ) باللغة الانجليزية للعلامة ( روبرت براون ) المتقدم ذكره . وفي الأول ماملخصه ان النمل قد يترك عادته القديمة فيسلك فائدة ما يصنع الناس من أقراص الشمع ليضع فيها العسل فيختصم إذن بعمل العسل وحده وهكذا نراه اذا نقل الى ( أستراليا ) أو ( كاليفورنيا ) إذ يجد نفسه في سيف دائم ويدرك أنه لا يجرم أبدا من الأضرار فيكتفي بكسب قوته اليومي ولا يصنع العسل . هكذا اذا وجد ما يتقاض عنه كما في مصانع السكر ثم يقول ان الخلة عندها حكمة تضاد ما عرفت من تعقل النمل وذكر من ذلك أنها تخزن من الحب ما يزيد عن حاجتها فإذا جاء المطر نبت ذلك الحب فيعمل به الفلاح فيسقم القرية الخ ثم قال هل النمل أقل ذكاء من النمل لاشئ مما نعرفه من حيث ذلك وربما كنا قاصرين عن فهم حاله لأن درس القرية أصعب من درس القفير وأصعب منهما درس الأرضة . ولا يخفى ما في هذا الدرس من الأهمية لأنه متى عرفنا سليقة الحشرات وحدودها وعلاقتها بالذكاء ( وبالعقل العام ) سهل علينا فهم سليقة أعضاء جسمنا التي تخفى فيها أسرار الحياة والموت . انتهى

وهو قد وضع في موضع آخر من الكتاب أن الحشرات في قلبها وتصرفها ونظامها بحكمة وانتظام الجنود والعمال والملك والملكة مع كثرة الأعداد بما لا حصر له لاسيما في حشرة الأرضة المتقدمة لا يمكن ذلك إلا اذا كانت تلك الجوع أشبه بأعضاء الجسم واحد كما أن أعضاءنا كلها متحدة معا مرتبطة غاية الأمر أن جسمنا مندمج وجسم تلك الحشرات متفصل متفرق في الهواء النقي . هذا ما قاله الأول

وجاء في الثاني في المجلد الأول منه صفحة ١٨١ ما ترجمته أن في أجسامنا من الوظائف والأعمال وأنواع الاحساس عجائب وغرائب مذهبات ولكن لما كنا متعادين عليها أصبحت لا تستلفت النظر ولا تدعش العقل فان المألوف يظن أنه معروف لا يتبادر الى البال . وأما الذي يلفتنا فإبراء هذه الأعمال في أجسامنا والاحساس في ادراكنا انما هي المواهب العلمية الخاصة فهي التي تدفعنا أسدلتها العادة على عجائب أعمالنا واحساسنا من الأستار ونوحى اليها جلال أنفسنا وغرائب أجسامنا وبذلك طرق للملاحظات والتفكير فيها حولنا وما يحيط بنا من العوالم

ثم قال . ان دراسة العوالم التي تحيط بنا أسهل تناولنا من دراسة أنفسنا . إن دراسة أنفسنا جسمنا وعقلنا قد عجزت عن إيقاظنا على بعض من عوالمنا للملائمة والعقلية . أما دراسة العوالم المحيطة بنا فهي تدبرنا لدراسة أنفسنا الخ

فهذان النصفان المتضادان يرجعان لفرض واحد وهو أن دراسة هذه العوالم المحيطة بنا نعرفنا دراسة أنفسنا . فإذا درسنا النبات والحيوان وفهمنا قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها - ودرسنا نظير ذلك في أول السورة وقرأنا علوم الأمم في هذا المقام فأتينا نكون إذ ذاك قد فهمنا لماذا قدم الله العوالم الأرضية على النفس في قوله تعالى - وفي الأرض آيات للوقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون - أفلا تنجب من أن يكون علماء أوروبا يقولون هذا القول وهو نفس القرآن . يقتضيه النظر في الأرض على النظر في النفس ويقول علماء أوروبا نفس هذا القول . يقولون ان درس الحشرات يعلمنا علم وظائف الأعضاء ويقولون ان دراسة العوالم المحيطة بنا نعرفنا دراسة جسمنا . الله أكبر جل العلم وجلت الحكمة وأشرقت

## ﴿ لطيفة ﴾

ها أنت ذا رأيت حشرة الأرض وانها تعيش في الظلام . أليست هذه الظاهرة من العجائب التي تقرب لنا حال الأرواح السريرة في الآخرة . هذه الأرض تعيش في الظلام لا ترى النور وهي محبوسة عاملة ناصبة وإذا قايسناها بالطيور كانت الآخرة أشبه بمن في الجنة والاولى أشبه بمن في النار . أنظر الى هذه الدنيا كيف كان الفرق بين حال حشرة الأرض وحال الخلة أو الطيور كالفرق بين الحياة والموت فإذا كان هذا الاختلاف في أرض واحدة صغيرة فكيف يكون الاختلاف في عالم الآخرة بين عوالم كثيرة له

﴿ فائدة هذه المباحث في آيتنا وهو قوله تعالى - إني توكلت على - ﴾

اعلم أن ما تقدم به نعرف نظام هذه الآية فهو يقول - توكلت على الله - والبرهان على أنه جدير بتوكلنا اني رأيت أخذ بنواصي الدواب جميعها فهو يحفظها ويضئها ويرجها كما رأيت في هذا المقام وانما استدلت بالقبول لأنني ألحظها وعسير عليّ أن ألحظ نفسي ففهم رجة الله في الحيوان أسهل من فهمها في الانسان كما أن دراسة نظام الحيوان وغيره حولنا أسهل من دراسة أنفسنا . هذا هو السبب في استدلال هود بالأخذ بنواصي الدواب فانظر وتجب كيف يقول فلاسفة أوروبا قولاً هوالذي فهمناه من نظام الآية وهذا من عجائب القرآن

## ﴿ وحدة هذا الوجود ﴾

ان نظام الأرض المذكورة ونظام الفل والنحل ونظام الانسان بعد أن درسناه وشرحنا كثيراً منه في هذا الكتاب أهدانا أن كل هذه العوالم مشبكة مترتبة يحكم الانسان الحيوان والحيوان الانسان . والأرض مثلاً تراها تصدر آلاف الآلاف كل سنة فتأكلها الكلاب والطيور والحمر والانسان كما تقدم فهدى الأرض تهضم فتات الخشب الجاف من الورق فينتقل الى أجسامها ثم أجسامها طعام لنحو الصافير ثم الصافير طعام للحطاف والانسان وهكذا

فهذا يدلنا أن هذا الوجود كله مدبر بقل واحد كما ذكرناه في غير هذا المقام إذ يظهر أن الله الذي خلق هذه المادة خلق لها أمراً أخريسيه الفلاسفة عقلاً وهذا العقل من نور الله وأشعة هذا العقل وهذا العقل مثل شمس معنوية تصير في كل شيء بحسبه فهي في الجباد تلاقى وجزائية وفي المعدن صلابة ولحان وقوة خاصة وفي الهواء لطافة وفي الماء سلاسة وفي النبات نمو وذبول الخ وفي الحيوان حس وحركة وفي الانسان ازدياد الفكر والعقل وفي الكون سير منظم وحركة دائمة فلعل هذه الأشعة العقلية العاتقة أشبه بما نرى في أجسامنا إذ اننا نرى الرجل الشهوى يقل عقله والضيف الذي حفظ شهوته قد يحفظ عقله . وهكذا نجهمن أنك قواه في عمل ما ظهر أو ذلك في تفكيره فكان في الجسم قوة واحدة اذا مالت الى جهة حرم الأخرى منها فهي في السمع قوة لقبول الأصوات وفي البصر قوة لقبول الصور وهكذا ويحمد الناس أن السمع أذكى من البصرين فكان قوة البصر تأخذ من القوة العاتقة نصيباً فتضعفها . إذن هذا العالم فيه شعاع عقل علم يشكل في كل شيء بحسبه . ولعل ذلك الاشارة بقوله تعالى - ما خلقكم ولا بشيئكم إلا كنفس واحدة - والا فلماذا نرى هذا التعاون مع شدة التناوت وماهنة الباني التي نبينا حشرة (الأرض) المتقدمة التي قد تمتد أميالاً وترتفع أمتاراً وتصبح فيها مراعي خضراء للحيوان أنصب من غيرها ولماذا ينبت المرجان في البحار جزائر ويجزأ يسكنها الحيوان وينبت فيها النبات ثم يسكنها الانسان بر وبحر كلاهما تكون فيه دابة حقيرة تبنى مساكن لتضع الحيوان والانسان وهكذا مما لا ينأى . ولعل هذا الاشارة بقوله تعالى - لله نور السموات والأرض - أي متورها . فها هو ذا أظهر لنا أن نور الادراك والنظام سار في عوالمنا للتجاذبة

المتعانة المتحدة . فالتا نرى الجسم الأكبر كالشمس يجذب الأصغر كالأرض والأرض تجذب ما حولها وتجذب قرها . هكذا نجد العقل الأعلى يجذب العقل الأدنى فكأن أمثال الأنبياء شمس وكان عظماء أهم كالسيارات وهكذا . ونجد المدرسين يتبعهم تلاميذهم والرجل الصالح يلتف حوله ألوف من الناس فدلنا هذا على أن نظام الأرواح كنظام الأجسام الكبير في الأرواح من حيث السكال تنبه الصفاء الصغار في ذلك السكال والكبير في الأجسام حجما تنبه الصغار حجما أيضا فالكبير والصغير في كل بحسب حسا ومعنى

### ( فصل )

(١) الوحدة في العالم اقتضت أن يندى بضمه بضا

(٢) وفي ذلك تعلق وحسن سياسة

(٣) وفاد شئ صلاح آخر

(٤) والامانة شريعة كشرية الحياة . وذلك لتخلو الأرض للباقيين بعد المالكين

ولما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه أحد الفضلاء . قال لو أنك أقلت هذا الباب لكان أولى فقد أثرت نائرة في فسي وأخنت أقول . أليس من الظلم أن يترى الأفواج من حشرة الأرض لتكون طعاما للهرة والكلبة . أولم يكن من الغش والخداع أننا نراها تخرج من قراها مسرعة لتفرح بالحياة الزوجية اذا المنون حاضر لديها . وهل من الصدق أن تخضع الحشرة للسكنة بقطرة من العسل عند النبات الجزار المتقزم وبالون الجبل . إن الذي يقرأ هذه العلوم يضره الشك وينشأ الكفر وكراهة هذا الوجود قلت أما كون الأرض طعاما للكلبة والهرة فهذا هو نظام هذا العالم الذي نعيش فيه وأنا وأنت تقتخر بأن تكون طعاما لحيوان فكيف تنكر ما تستحسن وتظهر الكراهة لما أنت محبة له وتقع في حايوة المتناقضين . فقال هذا لا أعقه وما من جهالة . قلت ألم ترأى أهل الأرض قاطبة أليسوا جميعا يشعرون بانهم يقتسمون أنفسهم للقتل وهم يجاهدون في سبيل حفظ الشرف أولمال أولوطن أولدين ومن ذا الذي يضرب نفسه على حفظ عرضه وشرفه . ومن ذا الذي يرى زوجه أوخته قد أهين شرفها أوست بسوء ثم لا يهجم على من فعل ذلك ولا يقاتله ولذا خر صريعا هو عد ذلك غرا له ولأعقابه الى حين . إن أهل الشرق والغرب يحارب بعضهم بعضا على الوطن وعلى الدين وعلى المال وعلى العرض وهم جميعا متفقون أن هذا شرف وغر للمقاتلين وهكذا أكثر الديانات . ومن عجب أن النصارى دينهم ينههم عن قتال عدوهم ولكن الفطرة غالبية فهم الآن أول المقاتلين للأثم يصدون ذلك غرا سواء أكان ذلك أخذا لثار أم ظلما لاجتياح الديار ولأخذ الدرهم والدينار . فقال إن الأرض المذكورة قد أكلها الكلب أو الهرة أو الانسان وفرق بين القتل واجتياح الحيوان . قلت اننا معاشر بني آدم تقتل في السفن الحربية وتقع فريسة للسماك ونحن جميعا نعلم ذلك ونفتخر به وهكذا تقاتل في الطيارات فهلك فتتخطفنا الطير ويحمل بنا الملاك . فقال نحن نحارب لشرقا مشلا ونموت ولكن لماذا تكون هذه الخدعة في الحيوان فهذه الحشرات الجاربات للملاك بذبح النبات الجزار وأنواع الأرض التي خرجت للعرض صارت فريسة . كل هذه مخدوعات وأين الصدق إذن . قلت له ونحن أيضا مخدوعون ولنا معتزتين على الخداع بل نمته شرفا فان أحدنا يأكل لصحة بدنه فيكون ذلك البدن طعاما للدود ويحارب العدو ليغظه فيكون طعاما للسماك أو العقبان فهو في الأول قصد حياته وفي الثاني اتخا شرفه لا أنه يكون طعمة للسماك وبني الدود ونزع النخل ويجمع بذلك غيرنا بل أعداؤنا . فقال وكيف يصح هذا الخداع . قلت ليس خداعا بل تعلق وحسن سياسة يعيش الحي مطمئنا ولا قلق لبيه ولا اضطراب . وقد تقم في سورة الأتقال كثير القليل وتقبل الكثير للسياسة واصلاح الحال . فقال ولكن هذا لا يشفي . ولماذا يكون الانسان فداه لنيره وهكذا الحيوان . قلت

لوحدة العائمة فالعالم كله كأنه شخص واحد والبض يخدم البعض - ولكن أكثر الناس لا يعلمون -  
واذن تكون هذه الدنيا ليست للحياة وحدها فالحيات بنظام وللموت بنظام وموت الحي لتناول الأرض للباقيين  
ولولا الموت ما كانت الحياة . فاذن أكل السود لحم الانسان وأكل الأسد لحم الفيلان وأكلنا نحن لحم  
الخرفان فان ذلك لتنظيف أرضنا به وتحويله بمدنا ليكثر الأحياء بفضل هلاك الأموات . فلنموت مقصود  
والحياة مقصودة - كل شئ هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون -

( موازنة بين حياة وموت الحيوان ونظيرهما في الانسان )

يموت الجراد بأكل الطيور والانسان له فيحصل فائدتان خلو الأرض منه لما يحفظه وانتفاع الأحياء بحجمه  
لأنه لا معطل في الوجود . أما التقاء الجيوش الانسانية برا أو بحرا فهناك فوائدها  
(١) تعليم الصبر والشجاعة (٢) والصناعات الحربية كالطيارات والسفن العائمة والغاطسة في الماء  
(٣) واسرار الشرف للأحياء (٤) والعطف من الشعب على الأموات في القتال وهذان في الأمم الغالبة  
(٥) ومثل هذين في الأمم للفسادة (٦) وظهور الاتحاد في كليهما (٧) وأن تكون الجنة في  
البحر وفي البر طعاما للسماك وللطيور التي خلقها الله

هذا في القتال أما في حال الطاعون وأكثر الأمراض فان الاقتصاد في طبيعة الوجود قضى أن ترسل  
جماعات من الحيوانات النورية لها نظام خاص في الجسم فتأكل اللحم وتشرب الدم لأنه ليس من الحكمة  
أن يبنى الحي جسمه بالأغذية الجيدة فإذا مات لم تكن له فائدة . كلا بل يرسل تلك الآلاف للمؤلفة فتكون  
طاعونا أو جديرا أو حيا نيفوسية أو نيفودا أو سرطانا أو ما أشبه ذلك فتتسلل وتكاثرت وترى في الأجسام كما  
ترتب الأجسام في الأرض ثم يكون الموت فتتولى تلك الهم حيوانات أخرى أو طوا السود ويقبضه غيره  
كالخنفس ونحوها وهكذا . ذلك لئلا يكون في الوجود معطل إن هذا الوجود مبنى على الاقتصاد

ألا ترى أن اللسان يمزج الطعام وينوقه ويدبر نظام الكلام . فهذه ثلاث فوائد في عضو واحد ظاهرة  
للناس فصانع هذا العالم عظيم الاحكام والنظام متقن حكيم . كل ذلك من قوله تعالى - مامن دابة إلا هو  
أخذ بناصيتها - فها هو ذا قد أخذ بناصية الأحياء اذا صحت أجسامهم وأخذ بناصية الحيوانات النورية العائمة  
في الأجسام التي يراد اهلاكها وهكذا . فلما سمع ذلك صاحي قال إذن الحرب أمر حتم لرقى الانسان لأنك  
أثبت فيه بمجعل الفوائد التي تبلغ نحو العشر مع انك تقول إن السلام أمر لا بد منه في نوع الانسان  
وأيضا ترى البوذية يحرقون موتاهم فأين فائدة أجسامهم التي لم يأكلها دود ولا غيره . فقلت أما الجواب

على السؤال الثاني فهو أن هؤلاء تنفرد عناصر أجسامهم في الهواء والأرض فينتفع بها في الوجود  
فقال وهل هذه شريعة اسلامية . فقلت . كلا ولكن نحن الآن في بيان الحقائق التي نزل لها

القرآن ولكن متى جاء ذكر الشرائع يننا محرم ذلك فالحقائق مطاوعات والشرائع مصونات  
وانذا كنا نجد مسألة الولادة ليست على وتيرة واحدة إذ ترى الانسان مثلا قد عمت الولادة فيه جميع  
الأسرات في العالم ولكنها في الفل وفي الأرض مثلا قد اختصت بها للملكة فأما البقية فقد توافروا على خدمة  
الجموع وبذل كل ما يهب من قوة للجمهور

الانسان لا يعرف اختصاص أحد بالولادة وانتاج النورية ولكن النحل عرف ذلك . هكذا أمر الحياة  
فما من امرئ إلا وهو موقن أنه لابد لكل حي من رأس أو جلد أو أعضاء ودم فكذب هذا تلك الحيوانات  
الذئبية التي لا رؤس لها والتي لا جلد لها كالحيوانات الهلامية والحشرات إذ لا جلد لها ولا عظم ولا دم وإنما هي  
لها قشور حلقة داخلها سائل أبيض لا عظم فيه ولا دم . وترى أمثال ذلك في الرزق فأكثر الحيوان يسي  
اليه على مقتضى احتياجه . وترى النبات الجزر للتحتم نسي اليه الحشرات ليأكلها بجاذب يجذبها من تلك

النباتات التي تأكل اللحوم . فقال صاحبي قد أحسنت كل الاحسان وأنت تعلم جم لم يكن في الحسبان . ولكن أسألك سؤالاً واحداً وهو انك تقول إن الأرض تأكل ماخرج منها فأين هذا . قلت ستراه ان شاء الله عند الكلام عليها في سورة سبأ فأما اذا كان هذا غريباً عندك فلتعلم أنها في ذلك كالانسان لأننا نأكل فضلاتنا وفضلات الحيوان بواسطة إذ نحن نسمد بها أرضنا فتقلب تلك الفضلات في زرعنا حبا وعبا وتقالها وغيرها وترجع إلينا فنحن والأرضة سيان ولكن هي أكلت فضلاتها مباشرة ونحن أكلناها بعد أن دخلت في معامل النبات فرجعت إلينا . فقال صاحبي لله در العلم يقرب البعيد ويجمع المتفرقات - وقول رب زدني علما - والحمد لله رب العالمين

ثم قلت أما مسألة الحرب وانها ترقى الانسانية والتي ذكرت أن السلم أمر لا بد منه . فلتعلم أننا الآن نصفنا وجدناه ونبين حكمة الله فيه كما بينا فوائد اللسان الطاهرة الثلاث فليس معنى هذا أننا اذا متنا لا يكون هناك حكم في حال الروح . كلا بل الحكمة هناك أجل وأعلى ولكننا لانقلها الآن واذا وجدنا ملكة (الأرضة) المتقدمة وكان لأفرادها عقل وسألناها في ذكرت لنا فوائد البراز الذي يكون لأفرادها أشهى طعام ثم هو ملاط لبنائها وسد لشغورها مع الرمل وطعام لصغارها ويقوم مقام الأسفلت في تحسين طرقها . وهكذا من الفوائد . أقول فليس معنى هذا أنه ليس هناك نظام في الوجود أحسن من هذا . كلا . هكذا هنا فان الأمم اذا غيرت أخلاقها وبطلت الحرب حصلت هناك حال جديدة أرقى وأرقى في نظام المدن والأخلاق مثال ذلك في الثاني أن تبدل عاطفة الانتقام من الأعداء الذي يورث الفضائل المتقدمة فضائل العطف مثلا على الضعفاء فيتحدروا رجالاً ثم على رقيتهم يحسن أمة جاهلة ويكونون بالنسبة لهم كالآباء والأمهات بالنسبة لصغارهم وهناك تكون فضائل لاتعد كالفضائل التي تكون للأبوين بالنسبة لأبنائهما كالعطف والحنان وبذل النفس والمعاونة بالنفس وانكار الذات والصبر على هذه المشاق والاتحاد بين هؤلاء المحسنين وحب المحسن إليهم للمحسنين والاتحاد الأمتين وتبادل المنافع ثم مقابلة الاحسان بالاحسان ونحو الاخلاق . وهكذا عما لاحصر له فليس هذا الوجود له حد في تصرفاته وقابلياته

### ( عجائب القرآن وعجائب الطبيعة التي نزل لفهمها القرآن )

فهنا أذكر عجبتين ( العجبة الاولى ) ان القرآن تراه يدخل في غضون الكلام ما هو حكمة بحيث يكون كزهرة في شجرة ويكون هو أهم المقصود من الكلام وهذه الطريقة بعينها هي التي درجت عليها الأمم في فكاهاتها ورواياتها المؤلفة لاستيقاظ الشعوب . فانظر الى قوله تعالى - اذا الشمس كورت - واذا النجوم انكدرت الخ - فانه ذكر الشمس والنجم والليل والابال والوحش والبحر والنفس والصحف والسماء والجحيم والجنة . هذه ذكرها الله على هذا الترتيب ولكن أدخل في غضوننا كلمة واحدة حفظت نصف النوع الانساني من الهلاك وهي - واذا المائدة سئلت - بأى ذنب قتلت - هذه هي الجلة التي أدخلها الله في وسط تلك العوالم للذكورة من أرضية وسماوية فما نطق بها حتى امتنع العرب عن قتل البنات بدفعن في القدي يسمى (وأدا) فانظر لتعليم والتربية . يذكر المخلوقات والمعارف العاتية ويدخل في وسطها جلة قضت على قتل النساء . هكذا فعل في قصة هود وقومه هنا أدخل في غضوننا الأخذ بنواصي السواب . أفلا يكون هذا دافعا للمسلمين الى دراسة علوم الحيوان بعد هذا البيان كما دفع آباءنا الى حفظ البنات وعدم قتلهن بالوآد بحيلة واحدة

هذه هي سياحة القرآن . هاهوذا أتى بقصة عاد يسميها العاقول فيرى ما للذي سيقت له فيرى أجله علم الحيوان . اللهم أنت النور الهادي فاهد المسلمين الى الرق إنك أنت السميع المجيب

﴿ الهيبة الثانية للمادة والكلام . زيادة اصلاح ﴾

أنظر الى ما تقدم من تنوع الحيوان والنبات والابداع وتأمل أحوال اللغات الشرقية والغربية . هأنذا رأيت المادة كيف تنوعت تنوعاً يظنها على سائر وجوهها كما تفحصها . قلبت للمادة على وجوه تظهر كل ما كمن فيها فلم يقينا أن الله عز وجل علم أن أكثر الناس لا يدركون سرّ للمادة التي يشعرون منها . لذلك ألهمهم اللغات ففطنوا بها وقصروا فيها تصرفاً هو عين التصرف في المادة . إن للمادة كما تكون هواء وماء وسحاب وأرضاً وصلباً وحاساً وجواهر وحيواناً مختلفاً أنواعه الخ هكذا اللغات المبررات عن ذلك كله بتصرف فيها الانسان وهي التي تعبر عن كل ما صورته للمادة ولا يدرك تصرفها حق إدراكه إلا علماء الصرف والنحو وللعاني والبيان والبديع أولئك الذين يركبون الجبل المختلفة ويستقون من المصادر أفعالا وأسماء الفاعلين وأسماء المفعولين والصفات المشبهات وأسماء التفضيل وأسماء الآلات وأسماء الزمان وأسماء المكان وهكذا هذا تصرف المفردات فهكذا تصرف الجمل من اسمية وفعلية وشرطية وحالية وماضوية ومضارعية ومؤكدة وغير مؤكدة وهكذا مما لا حصر له . تبارك الله خلق المادة وخلق اللغات وجعلهما في التصريف كخسرى رهان وذلك لحكمة الحكيم . ذلك ليعلم الصغار في أول أمرهم أن اللغة لا تنفك عند حد لأنهم إذ ذاك لا يقدرّون أن يحفظوا تصرف المادة . ولا جرم أن هذا يدّ أذهانهم الى إدراك تصرف المادة اذا كبروا . خلق الله علوم الصرف والنحو وغيرهما ليعلموا القول ولصغار العلماء في الأم لتفتح أذهانهم لمعرفة جلال صنعه وباهر ابداعه وبالغ حكمته في تصرف هذه الكائنات . وهل ترى أبداع وأجل وأشرف وأبهى وأبهر عما رأيت في هذا المقام من جعل النبات لما كور للحيوان آكل له . أوليس هذا بعينه هو ما يفعله علماء النحو إذ يحسمون المفعول فاعلا والفاعل مفعولاً تدرياً للتلاميذ . يقول الأستاذ للتلميذ اجعل للمفعول فاعلا في هذه الجملة مع التصرف فيها وهي (يضرّ الانسان الخمر والخمر والشاي والقهوة ودخان التبغ) فيقول التلميذ هكذا ﴿ متى عقل الانسان ترك الخمر والمختر الخ ﴾ فهذه في التليذ آتى بالجملة مع حفظ المعنى وجعل المفعول فاعلا وهكذا فعل الله في المادة فجعل لما كور وهو النبات آكل للحيوان مع حفظ النظام فجعل لله وجلّ العلم فهذا فليفرح قراء هذا التفسير وليكونوا نورا وهدى للعالمين . وأنا بذلك من اللوقين

﴿ وحدة الوجود والانسان عالم صغير ﴾

لعمري لا يعرف الناس معنى وحدة الوجود ولا أن الانسان عالم صغير إلا بالتبحر في مثل ما ذكرناه لك فيما تقدم

﴿ شمس هذا العقد الثمين ﴾

إن النحل والأرضة والنمل كلها تخرب من ملكاتها وترهب أعمالها وترجع اليها وهكذا جمهور نوع الانسان يفعل مع رؤسائه ولكن هناك في الانسان طاقة هم فوق الجميع يعملون وينصبون وتكون لهم خالوات مع ربهم في قلوبهم يعرضون عليه أعمالهم في بهجة الأنوار وبهاء الأسرار اه الكلام على قصة عاد فلنشرع في الكلام على قصة نوح بتفسيرها اللفظي قال تعالى (والى نوح) أى وأرسلنا الى نوح وهم سكان الجبل (أناهم صالحا) يعنى في النسب لاف للدين (قال يا قوم اعبدوا الله) أى وحدوا الله وخصوه بالعبادة (ما لكم من إله غيره) فهو المستحق للعبادة لا هذه الأصنام ثم ذكر الدلائل العقلية على وحدانيته وكأل قدرته فقال (هو أنشأكم من الأرض) هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم وحواء وهو الذى خلق النطف والأغنية منها تتكون الأجسام وكلها من التراب (واستمركم فيها) أى عمركم فيها واستبقاكم من العمر أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها (فاستغفروا ثم توبوا اليه إن ربي قريب) قريب الرحمة (عجيب) لدايعه

(قالوا يا صلح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) لما ترى فيك من غايل الرشاد والساد فكن تأمل أن تكون مستشارا أوسيدا عظيما ولكن هذا القول أبأسنا منك واقطع رجلاؤنا فيك إذ دعت آهلتنا وخالت ديننا (أنهنا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) ومن ذا يخالف ما درج عليه الآباء (واتنا لفي شك بما تدعونا إليه) من التوحيد (مرحب) فوقع في الزبية من أربابه (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي) بيان وبصرة وأنى بان وهي لشك باعتبار المخاطبين (وأنا في منه رجة) نبوة (فمن ينصرني من الله) فمن يغني عن عذابه (إن عصيته) في تبليغ رسالته ومنع الناس من الشرك به (فأتريدوني غير منحير) فأتم باستباعتكم إياي لأتريدوني غير أن تحضروني بإبطال ملنحني لله والتعرض لعذابه (ويا قوم هذه ناقة لله لكم) حال كونها آية وعاملها معنى الإشارة ولكم حال من آية مقبلة (فغروها تأكل في أرض الله) ترع نباتها وتسريرهاها (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) عاجل لا يتوانى عن مسك لها بالسوء إلا بيرا وهو ثلاثة أيام (ضغروها فقتل تنصوا في دلوكم) عيشوا في منازلكم أوفى داركم لدينا (ثلاثة أيام) ثم تهلكوا (ذلك وعد غير مكذوب) أي غير مكذوب فيه (فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برجة منا ومن خزي يومئذ) أي ونجيناهم من ذلك يومئذ وفضيحتهم • وأي خزي أعظم من خزي من كان هلاكا بفض الله واتقاه (إن ربك هو القوي) القادر على تنجية أوليائه (العزيز) الغالب باهلاك أعدائه (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) أي صيحة أنهم من الهلاك فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء (فأصبحوا في ديارهم جائعين) صرعى هلكي (مكان لم يفضوا فيها) أي كان لم يقيموا في تلك السيلار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان إذا أقت به (ألا إن عمود كفرؤا ربهم ألا بعدا لعمود) أي الخي • واعلم أن هذه القصة جاءت في سورة الأعراف بأحسن تفسير على ما أعلم فأرجع إليه إن شئت

( قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام )

قال تعالى (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبرى للملائكة لفتفت في عدهم فقبل ثلاثة وقبل أكثر باسحق ويعقوب وبهلاكم قوم لوط (قالوا سلاما) سلمنا عليك سلاما (قال سلام) أي وعليكم سلام والجملة الاسمية في الرد أبلغ من الفعلية في الابتداء فافهم (فما لبث أن جاء بهج حنيد) أي فما أبطا في الحمى به ولاخيد للشوى بالمجارة للهمة (فلما رأى أيديهم) أي أيدي الأضياف (لأصل إليه) أي الجهل للشوى (نكرهم) أي أنكرهم وأنكر حلم لامتناعهم عن الطعام (وأوجس منهم خيفة) ووقع في قلبه خوف منهم • والابجاس الأضمار وقيل الإدراك (قالوا) له لما أحسوا منه أثر الخوف (لأنخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط) إنا ملائكة مرسلين إليهم بالعذاب فأما كوننا لم نعد الطعام أيدينا فذلك أننا معاشر الملائكة لأننا كل (وأمرنا قائم) وراء السر نسمع محاورتهم أو على رأسهم للخدمة (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الفساد (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) وإنما خست بالشارة لأنه أولا لم يكن لها ولد وإبراهيم ابنه اسماعيل • ومعلوم أن النساء أعظم سرورا بالأولاد أي ببشرناها باسحق ووهبنا لها يعقوب من وراء اسحق وعلى قراءة رفع يعقوب يكون مبتدأ والجار والمجرور قبله خبره (قالت يوليتا) أصله يوليتاه نداء للتعب وهي كثة يستعملها الإنسان عند رؤية ما يتعب منه مثل إجهاب (أأله وأنا عجوز) • يقال أنها كانت بنت تسعين سنة (وهذا يعلى) يعنى زوجه (شيخة) وكان سن إبراهيم مائة وعشرين سنة يومئذ كما قيل (إن هذا لثنى عجيب) يعنى الولد من هرمين وهذا تعجب بمحب العادة (قالوا أنجبين من أمر الله رجة الله وبركاته عليكم أهل البيت) قالوا ذلك متكررين عليها فان خوارق العادات عند أهل بيت النبوة ليست بدع فتلهم لاستغروا به كأنه قبل إياك والتعجب لأن أمثال هذه الرجة والبركة متكررة من الله عليكم وأهل البيت نصب على الاختصاص (إنه جيد مجيد) أي محمود لأنامه العظيم ظاهر الكرم إذ

أكرمكم بولد صلح (فلما ذهب عن إبراهيم الروح) الفزع وهو ما أوجس في نفسه من الخوف حين نكر أضيافه (وجاءه البشرى) بالولد أقبل (بجاءنا في قوم لوط) أي لما اطمأن قلبه بعد الخوف واستلج حبورا بالبشرى أقبل بجاءنا أي بجادل رسلنا بصورة مجادته إليهم انهم قالوا له إنا مهلكوا أهل هذه القرية فقال أرايتم لو كان فيها خسون مؤمنا أهلكونها قالوا لا قال فأربسون قالوا لا قال فخلأون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرايتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بعن فيها لننجبه وأهله (إن إبراهيم خليل) غير محمول في الانتقام عن أساء إليه (أؤاه) كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس (منيب) راجع إلى الله • والتقصود من ذلك أن الحامل له على المجادلة انما هي رقة قلبه وحلمه ورحمته وجهه للناس قالت الملائكة (يا إبراهيم أعرض عن هذا) الجدل (إنه قد جاء أمر ربك) فتأوه بضالهم من الله وهو أعلم بحالهم (وانهم آتيتهم عذاب غير مردود) غير مصروف بجدل ولا بدعاء • ثم خرجوا من عند إبراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية إبراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ (ولما جادت رسلنا لوطا) لما أتوه ورأى حالهم وهم كانوا على هيئة غلمان حسان (سوى) بهم) أسوون لأنه ظن أنهم من الناس تخاف عليهم أن يفضح بهم قومه مع عجزه عن مقاومتهم (وضاق بهم ذراعا) تميز أي وضاق بمكانهم صدره وذلك كناية عن شدة الاقباض لعجزه عن مداخلة المكروه المتوقع حصوله لهم من قومه بفضل الفاحشة (وقال هذا يوم عصيب) شديد من عصبه اذا شدة • ويقال إن امرأته أخبرت بهم قومها (وجاءه قومه يهرعون إليه) يسرعون كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه (ومن قبل) ومن قبل ذلك الوقت (كانوا يصلون البيات) كانوا يصلون الفاحشة حتى مروا عليها وقلَّ عندهم استقباحها حتى جلاؤهم مجاهرون بها يهرعون إليها (قال يا قوم هؤلاء بناتي) أي هؤلاء نسائكم اللاتي هن بناتي فإن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة والترية • وفي قراءة ابن مسعود - وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم - أو هؤلاء بنات قومي (هن أمهر لكم) أنظف فصلا (فاتقوا الله) بترك الفواحش (ولا تخفون) ولا تهابون ولا تفسحون من الخزي (في ضيق) في حق ضيق لأن من خزي ضيفه أوجره فقد خزي وذلك من دواعي المروءة والكرم (أليس منكم رجل رشيد) أي رجل واحد يهتدي إلى سبيل الإرشاد فيكشف عن فصل السوء (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) حاجة لأننا نودى الاقتراب من الذكور لأن البنات (وانك لتعلم ما تريد) وهو اتيان الذكور (قال لو أن لي بكم قوة) أي لو أني أقدر أن أتقوى عليكم (أو أدوى إلى ركن شديد) أي أو أنضم إلى عشيرة يمنعوني منكم وجوابه لقائتكم • قال أبو هريرة رضي الله عنه (ما بعث الله نبيا بمسدة إلا في منعة من عشيرته) وقال رسول الله ﷺ (يروح الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد ولوليت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الهامى لأجته) فالمراد بالركن الشديد هوائه كما قال عجي الدين النورى في الحديث فانه أشد الأركان وأقواها • روى أنه أغلق باب دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فسقروا الجدل فلما رأت الملائكة ما حل بلوط من الكرب (قالوا يا لوط) ركنك شديد كما مر في الحديث (إننا رسل ربك لن يصالحوا اليك) بكمروه فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به في عقوبتهم فأذن له فضرب بجماعه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال تعالى - فطمسنا أعينهم - فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا به وهم يقولون النجاء النجاء إن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض وقوله - لن يصالحوا اليك - جملة مفعلة لما قبلها (فأسر بأهلك) أسر بأهلك ويقال أدب بهم (تقطع من الليل) في بعض من الليل أي آخر الليل عند السحر (ولا يلتفت منكم) ولا يتخلف منكم أو لا يلتفت إلى ما وراءه أو لا يلتفت بقلبه إلى ما خلف (أحد إلا إسرائيل) منصوب على الاستثناء أو مرفوع على البذل من أحد • فكانه قيل لا يتخلف منكم أحد إلا إسرائيل فإني



لا أنهاها عن ذلك (إنه مصيبها ما أصابهم) أولا يلتفت منك إلى ما وراءه أحد إلا امرأتك فلما استفتت فأنما  
 لا أنهاها - إنه مصيبها الخ - والهي لما لا يفيد \* روى أنه أنزجها معهم وأمر ألا يلتفت منهم أحد إلا  
 هي فلما سمعت هذه العذاب التفت وقالت يا قوماء فأدركها حجر فقتلها \* وروى أيضا أنه أمر بأن خلفها مع  
 قومها فان هواها اليهم فلم يسرها فأصبحت هاتان الروايتان محتملتين فلما أن تكون بقيت ولما أن تكون  
 خرجت والتفت \* فاحدى الروايتين عليها المعنى ولازال مبهما \* هذا تحقيق المقام وإليك أن تظن أن مثل  
 هذا التحقيق هو المقصود من القرآن بل المقصود هو ما في القصة من الحكم فلنسر في طريقنا ولنجد في هذه  
 السورة من الحكم والجانب ما يبرر لأبصار قريبا \* روى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا (إن موعدهم  
 الصبح) فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح ب قريب \* فلما جاء أمرنا) عذابنا (جعلنا عاليها  
 سافلها) قلبها جبريل فجعل أسفلها أعلاها إذ رفعها إلى السماء ثم قلبها عليهم (وأطردنا عليهم) على المدن  
 (حجارة من سجيل) من طين متحجر \* وسجيل أصلها سنككل فمرَّب (منضود) نمت لسجيل أى  
 متتابع أو مجموع معدَّ للعذاب (مسومة) نمت لحجارة أى معدلة للعذاب (عند ربك) في خزائنه أوفى حكمه  
 (وماهى من الظلمين بعيد) أى وماهى من ظالمى هذه الأمة من مشركى مكة وغيرهم - بعيد - فما من  
 ظالم إلا وهو معرض للعذاب للعبر عنه بقطوع حجر عليه \* روى أنه عليه الصلاة والسلام سأل جبريل عليه  
 السلام فقال بئنى ظالمى أنتك ما من ظالم منهم إلا وهو معرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة (والى  
 مدين) أى وأرسلنا إلى مدين (أناهم شعيبا) اسم مدينة بناها مدين بن إبراهيم عليه السلام أى وأرسلنا إلى  
 أهل مدين \* وقيل مدين اسم للقبيلة التى هى من ذرية مدين بن إبراهيم (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم  
 من إله غيره) وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره \* ولما شرح أمر العبادات شرع يذكركم بما يفعلون من  
 قص الكيل والميزان فقال (ولا تنقصوا الكيل والميزان إلى أراكم بخير) بسطة نفيتكم عن البخس أو  
 بضمه من الله حقها أن تقابل بغير ما تنقلون (والى أخاف عليكم عذاب يوم محبط) مهلك كما في قوله تعالى  
 - وأحبط جزره - وأصله من لحطة العدو وهو لما عذاب الاستئصال في الدنيا ولما عذاب الآخرة (ويا قوم  
 أوفوا المكيل والميزان) أتموها (بالقسط) بالعدل والنهى للتقسط تصحيح البخس والتنفير منه والأمر هنا  
 لترغيب في الفعل الحسن وهو إيفاء الكيل والميزان فهناك للتنفير من الشر وهنا لترغيب في الخير وبهما معا  
 يستدل الناس ويتم الوعد فليكن القسط والعدل بلا نقص ولا زيادة فالزيادة وإن كان مندوبا قد يكون محرما  
 إذا كان كيلا أو وزنا لينبى أوفى مال الحكومات أو كان البائع كيلا \* فكل ذلك تكون الزيادة فيه حراما  
 فوجب العدل (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أموالهم وغيرها سواء أكان بكيل أم بوزن أم بزرع أم بمساحة  
 أم بتقدير فضل في أعمال عاتكة كالنظر في رجال الحكومة وتقدير قيمهم وأحوالهم وكفا آتهم وما أشبه ذلك  
 مما لا يحدده الحصر (ولا تشروا في الأرض مفسدين) المني والعيث أشد الفساد كالسرقة والغارة وقطع السبيل  
 ويشمل البخس والتطفيف فانه عنى في الأرض وإفساد فيها \* ومن العنى للكس (بقية الله) أى ما أبناه  
 الله لكم من الحلال بعد التزهد عما حرم عليكم (خير لكم) مما تجمعون بالتطفيف وبالبخس (إن كنتم  
 مؤمنين) أى إن كنتم مصدقين لى في قولى لكم ويصح أن تكون البقية الطاعة فيها ذكر وغيره قوله تعالى  
 - والباقيات الصالحات - (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظكم من القايح وأحفظ نعم الله عليكم وما أنا إلا لاصح  
 أمين وقد أعزرت حين أتت (قالوا يا شعيب أصلاتك) أى كثرة صلاتك (تأمرك أن تترك ما يبعد آياتها)  
 من الأصنام (وأن فعل) أو ألا تفعل (في أموالنا ما نشاء) من البخس في الكيل والوزن (إنك لأنت  
 الحليم الرشيد) السفيه الضال \* وهذه تسمية مقلوقة استهزاء به كقوله - ذق إنك أنت العزيز الكريم -  
 وهذا رد لما طلبه من عبادة الله وحده ومن العدل في الكيل والميزان (قال يا قوم أرايتم إن كنت هل بينة

من ربي ويزقني منه) من لفته (رزقا حسنا) وهي النبوة والرسالة وللحال الحلال بلا غش ولا تطفيف . يقول  
 أنجبوني إن كنت على حجة ظاهرة من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أليقي بي أن لا أترككم بترك عبادة الأولاد  
 والكفة عن المعاصي . وهل بث الأنبياء إلا تلك . ولست أنعمكم عن تطفيف الكيل وبغشه وعن  
 غش الناس أشياءهم وأنا أسبغ بذلك . كلا (ومأريد أن أخالفكم إلى ما أنتمأتم عنه) يقال خالفتم هذا  
 إلى كذا إذا فصلتموه وهو مولع عنه وخالفتم عنه إذا وليت عنه وهو قاصد (إن أريد إلا الإصلاح) ما أريد  
 إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمرى بالمعروف ونهي عن المنكر (ما استطعت) أي مدة استطاعتي  
 للإصلاح وما دمت متمكنا منه (وما توفيقي إلا بإله) وما توفيقي لأصابة الحق فيها أفلعل وما أترك إلا بمعوت  
 (عليه توكلت) اعتمدت (والله أنيب) أرجع في السراء والضراء . ثم أعلم أن جرم مثل كسب يعقبي إلى  
 مفعول وإلى مفعولين كما في قوله تعالى (ويقوم لايجرمكم) لا يكسبكم (شقاقي) خلافا (أن يصيبكم)  
 أصابة العذاب (مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أوقوم هود) من الرجم (أوقوم صالح) من الرجفة  
 وإن وصلنا ثاني مفعولي جرم (وماقوم لوط منكم بعيد) في الزمان فهم أقرب المالكين منكم وفي المكان  
 فنأزلم قرية منكم (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود) عظيم الرحمة فاعل بهم من اللطف  
 والاحسان ما يفعل الكثير للوذة بمن يوده . وذلك وعد من الله أن يقبل التوبة بعد وعيده للذين على  
 أصرارهم على المعاصي (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) استهانة بها وعدم مبالاة (وأننا نراك فينا  
 ضعيفا) لا قوة لك ولا عز فينا يبتنا فكيف تقدر على الامتناع منا (ولولا رهطك لرجمناك) ولولا عيرتك  
 لقتلتناك بالرجم وأنت قتل شر من الرجم وكان رهطه على دينهم فلذلك أظهروا الميل إليهم (وما أنت علينا  
 بعز) فضعف ذلك لم يكن لعزك علينا وإنما يعز علينا رهطك (قال) في جوابهم (يا قوم أرهطى أعز  
 عليكم من الله) أي أهيب عندكم من الله حتى تركتم قتل لعزته رهطى عندكم فكيف لم يكن حظي لأجل  
 الله لا رهطى فكيف تركتم أمره (واخذتموه وراءكم ظهريا) أي بذمت أمر الله وراء ظهوركم وتركتهموه  
 كأنه شئ ملق (إن ربي بما تعملون محيط) أي عالم بجميع أحوالكم لا تخفى عليه خافية منها فيجازيكم عليها  
 (ويا قوم احملوا على مكائسكم) أي اعملوا قارنين على جهنم التي أتم عليها من الشرك والشنائن لي وهي  
 مصدر مكن مكانة فهو مكن إذا تمكن من الشئ (إلى عامل) على مقتضى ما يأتيني الله من النصرة والتأييد  
 ويكتفي (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) من استهفائية عقلت فعل العلم عن عمله أي سوف تعلمون  
 أين يأتيه عذاب بفضحه وأين هو كاذب وهذا هو قوله (ومن هو كاذب) عطف على - من يأتيه - أي  
 سوف تعلمون من المصنوب والكاذب متى ومنكم وكان مقتضى الظاهر أن يقال ومن هو صادق لينصرف  
 للأول لهم والثاني له لكنهم لما جلاوه كاذبا قال - ومن هو كاذب - أي في زعمهم (وارقبوا) وانظروا ما  
 أقول لكم (إلى معكم رقيب) منتظر والرقيب المراقب (ولما جاء أمرنا) بذبأبهم وهلاكهم (نجينا شعيبا  
 والذين آمنوا معه برجة منا) يعني بفضل منا لأننا هديناهم للإيمان وجعلناهم مطيعين (وأخذت الذين ظلموا)  
 أي ظلموا أنفسهم بالشرك والبغس (الصيحة) إذ صاح جبريل عليه السلام بهم صيحة تغربت أرواحهم  
 وماتوا جميعا وأوتهم صيحة واحدة من السماء (فأصبحوا في ديارهم جائعين) أي ميتين . يقال جئ الطير  
 إذا قعد ولما بالأرض فهو هنا استعارة (كأن لم يفتوا فيها) يعني كأن لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر  
 من غنى بالمكان إذا أقام فيه مستغنيا به عن غيره (ألا بما لم تدبر) البعد والبعد الملاك كشره والرشد (كما  
 بعثت نوحا) قوم صالح وكان عذاب قوم شعيب بالصيحة من فوق رؤسهم وعذاب قوم صالح بالصيحة من  
 تحت أرجلهم إذ أصابهم حر شديد . قال ابن عباس (لم تصيب أمتان قط بذبأب واحد إلا قوم شعيب  
 وقوم صالح . فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم . وأما قوم شعيب فأخذتهم الصيحة من فوقهم)

(ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) بحجبتنا والبراهين التي أعطيناها للعالة على صدق نبوته (وسلطان مبين) ومجزة ظاهرة دالة على صدقه (إلى فرعون ومثله) أى أتباعه وأشراف قومه (فأتبعوا أمر فرعون) أى ما هو عليه من الكفر وترك الإيمان بما جاء به موسى (وما أمر فرعون برشيد) أى وما طرقت فرعون بسديد ولا محمود العاقبة (يقدم قومه) يتقدم ويقود قومه (يوم القيامة) إلى النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال . يقال قدم بمعنى تقدم (فأوردتهم النار) جعل بصيغة الماضي كقوله تعالى - أتى أمر الله - وجعل النار بمنزلة الماء فسمى أتباعها موردا ثم قال (وبئس الورد) المورود (المورود) الذى وردوه لجعل فرعون كالفارط الذى يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالوردة ثم قال - بئس الورد المورود - الذى يردونه النار وكيف لا يكون كذلك . والورد إنما يراد لتسكين العطش والنار بضد ذلك (وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) أى يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة (بئس الرشد للرغود) زفدهم أى بئس العون المعان أو بئس العطاء للمعطى . انتهى التفسير اللفظي

( يا قوتة مضئبة في قوله تعالى - إن ربى رحيم ودود - على لسان شعيب عليه السلام )

اعلم أن المودة إنما تكون غالبا بين اثنين لهما علاقة واتصال وتجانس وتشابه في الطباع والعادات والأخلاق . ولذلك ترى المتشركين في صناعة أو علم أو لغة أو وطن أو دين أو جنس أو أمر ما فانهما يتولدان ويتحابان وذلك لاقتراب الصفات . وكلما تباعدت الصفات تباعد الود . ولذلك نجد الأم اليوم في عصرنا رجعت إلى الجنسية فالألمان والفرنسيون واليابانيون والصينيون كل يقترب من جنسه بعد أن كانوا قديما يتولدون بالبيانات وهذا كله قديما وحديثا دال على أن المودة تابعة لتقارب الصفات . هذا هو العلم في الأم قديما وحديثا ولكن الله تعالى إذا وصف نفسه بأنه رحيم فانا نفهم ذلك على معنى أنه يفيض الاحسان وهذا أمر مفهوم فانا نرى الملك والأب والأم وأمثالهم يفيضون الاحسان على الرعية والولد وهكذا فالأعلى يرحم الأدنى ولا غرابة في ذلك . فانه رحيم . أما الود فأمم . مشكل إذ للمودة إنما تكون بين المتجانسين وقال في سورة مريم - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا - فذكر الرحمة هناك كما ذكرها هنا وأتبعها بالود ولكن الود هناك مفهوم لأنه بين متجانسين في الدين إذ الانسان كلما عمل الصالحات اقترب من أهل دينه للتجانس . أما الود هنا فهو الذى يحتاج إلى بيان . أقول ان هذا يحتاج لدرس العلوم جميعها من فلك وطبيعة وطبقات أرضية وعلم الحيوان والنبات والتشريح . هذه هي العلوم التي تعرفنا معنى الود في هذا المقام

إن هذا التفسير فيه نبذ كثيرة من هذه العلوم والذكر إذا قرأها أصبح عنده مجموعة سهلة فيها خلاصة العلوم . هذه الخلاصة هي التي تفهمنا معنى الود أى ود الله للخلوقات . أنظر إلى السمك وإلى النحل وإلى الجراد وإلى البود وإلى النعامة وإلى السجادة وإلى النبات والأزهار وإلى الانسان فسترى في سورة النمل . كيف ترى أن لها قرى ومساكن وجيوشا منظمة وأطرا راجع غلث وحجرا على مقدار أسنان الأطفال كما يفعل الناس إن خافى العالم لما خلق النمل أعطاهما من القوى والقدر والعلم على مقدار ما يناسبها . فكما يقول الحبيب لحبيبه أنا أقدم لك هدية من الفاكهة التي تحبها فيزيد ذلك في المودة لعلم كل من الغيليين بما في جبهة الآخر من المعاشرة . هكذا هنا أعطى الله النمل جيوشا منها على مقدار طاقتها وألهمها أن تتبع ملكتها وتنظم الحشرات وترتب القوية كل منها في حجرة خاصة كأنها مدارس فجعل مدارسها على مقدار حاجاتها ولم يجعلها مالا تطيق من مدراس الانسان وجيوشه وأساطيله ولم يحشمها مشاق السفن والأساطيل البرية والبحرية وهكذا سترى في سورة النحل ما أعطاه الله من قوت وما آفاه عليها بما يلائم حاجاتها . ألا ترى إلى ما سيأتى في سورة الجبر عند قوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح - من جمال الزهر وبهجته وكيف لونت

الأزهار بألوان جسيمة ليحشى النحل ذلك الجبال فيطير سراجا يشرب من الرحيق المختوم في أسفل الزهرات ثم يطير إلى أخرى وقد حل على جسمه غبار الطلع فوضعه في الزهرات التي فيها أعضاء الاناث وألهم النحل أن لا يدخل ويخرج من زهرة إلى زهرة إلا إذا كان من نوع واحد ليسهل الأمر عليه فلا يصادف عناء في معالجة فتح الزهرات في ذلك اليوم . ومعنى هذا أن النحل أعطى ما يوافق مزاجه من الصل ومن ألوان الزهر ومن نظام الزهرات ليسهل عليه . ومن الألغام أن لا يدخل زهرة غير التي هي من جنس مادخلها أولا ذلك ليكون متمتعا بالنعمة والسعادة ويكون ذلك أصون لطلع الله كور من ذلك النوع من الزهر ليوضع على الاناث منه ليدوم النبات كل سنة بالاتحاق رجة بالفحل أيضا . أليس الرجل يقول لابنه اني سأعطيك ثيابا فاخرة وهديا اذا جمعت في كذا وكذا . ويقول التلميذ لصاحبه أنا قرأت كتاب كذا وهو أسهل فافراه . كل ذلك للشاكلة والمقاربة . إن المودة تقتضي أن يتلفط الودود لصاحبه بما يلائم طبعه لأنه عرفها بكثرة الخلطة . وترى الجراد ألهم أن لا يدخر وأن يضع بيضه في أرض صالحة له على بعد مخصوص من سطحها بحيث تصلح الأرض لأن تكون له كالحرم لتحتفظه الى وقت الحاجة . وانما ألهم أن لا يدخر لأنه هو وأمثاله من النباب والناموس التي ألهمت أن لا يدخر لتعيش الى عام قابل فان البرد والحر يتعاقبان عليها فهنالك فاذن سمها فلا دخر عبت فلذلك لم تلهم الادخار . أما النحل والفحل فانهما يعيشان سنين فاذا جاء الشتاء نامت ولكن لا تموت كما يموت الجراد والنباب والناموس . لتلك ألهم هذان النوعان الادخار وأزل الله سورتين باسمهما سورة الفحل وسورة النحل فتيها على الفرق بينهما وبين غيرها من الحشرات . ويقول الله تعالى - وأوصى ربك الى النحل الخ - وهذا الوصي للنحل وللنمل وغيرها وصي بما يلائم كما يفعل الصديق الودود بصدقه . وترى النمل لاحاسة له لإحاسة الجلس فلا سمع ولا بصر ولا ذوق للطعام ولا شم . وانما حاسة اللمس له هي القائمة بتدبيره بل هي وزارة المعارف العامة للودود بها تتمتع ماحولها من الرطوبات ونسج في بطن البقرة والأسد والانسان وفي لب الفخر وفي دود المشي وهي فرحة سعيدة بما يناسب مزاجها وكان الله بؤده لها منع عنها ما يزعجها عما لا يحتاج اليه . فالسمع والبصر والشم والنوق والقوة العاقلة والمدارس كل هذه عبء ثقيل عليها فلما أعطيت ذلك لكان لا فائدة منه بل يضرها ولا تعيش به . وترى النعامة في العراء تقسم بيضها ( ثلاثة أقسام ) فتخزن بضا وتجمل بضا قوتلنرتيها وبضا آخر تعرضه للحشرات فتقع عليه فتعلمه لتزيتها اذا قويت على أكل تلك الحشرات . وترى النجاسة لم يساعدها الديك في تربية أولادها لما أعطيت الأفراخ من قوة الريش والعدو السريع وعكس ذلك الحمام . وترى أمر النبات كله عجبا ويقول المحققون ان له نوعا من الاحساس والشعور على مقدار طاقته . وتراه في أثناء هذا التفسير في مواضع منه ولقد نال لطفان الله . ألا ترى الى ماسترقوه في سورة الحجر من الزهر وكيف تنوعت أشكاله تنوعا بديعا ولكل نوع منها حشرات خاصة تنام اذا أغضض الزهر أعضائه وتستيقظ اذا فتحت الأكمام وتحسكت الأزهار وهناك تأتي تلك الحشرات وهي تنفي فرحات برائس الزهرات ذات الخلل السندسية والروائح العطرية والولائم الصلبة والمحاسن والبدايع الهندسية في الأوراق والأزهار ونظامها هكذا نراه يفعل مع الانسان في نظام جسمه وعجيب تركيه في إلهام العقلاء فكما يلهم النحلة عملها نراه ألهم الناس فصنعا ما يلائمهم من جرى السفن في البحار والقطرات في البر بالبخار والكهرباء وألهمهم أن يقطعوا البحار لطلب الزرق والحرب ويجوبوا الفياق ويغوصوا على السر والمرجان في البحر ويحفروا في الجبال وغيرها فيستخرجوا المعادن

أعطى الله العدة رطوبات . والنحلة زهرا وعسلا . والانسان معادن وكهرباء . وألهم كلاما هذه الخلوقات ما استعنت له . هذا هو ذوق الله لخلقاته . وهو معكم أبنا كنتم - فكما أن الصديق مع صديقه يعرف ما يلائمه هكذا نرى صانع الكون لكونه مع كل مخلوق أعطاه ما يلائم طبعه وأبعد عنه ما يلائمه وتلك

نراه لما علم أن عقولنا قاصرة لأننا في العالم الأرضي الضعيف حجب عنا معرفة العوالم التي تسكن في المرح أو المشتري مثلا وهكذا التي تسكن الكواكب الثابتة الكثيرة . علم ذلك من طباعنا لأننا لو عرفناها ولطعنا عليها لعلنا من ذاك الجبال ولعلنا عقولنا ولا نهربنا فنعنا عن ذلك كما منع البود أن يعرف السمع والبصر والا لم يخلق ذلك - ولاتف مالميس لك به علم -

فلله ودود ومن وده ما ذكرناه . واعلم ان كل من قلد الله في الود كان أقرب اليه . فكلما كان الانسان أكثر نفعا كان أكثر للناس ودا . ان الأم والأب يترتبهما لولدهما قد ودا ولدهما ودا شريفا لأنها قد جاوزا سته فهما أهل منه وقد تنزلا اليه وتطلقا فهما بهذا قد ارتقيا الى نحو الود الالهي . هكذا العلماء والحكماء والمؤلفون يتنزلون لعقول الشعب وعلى مقدار تنزلهم يقتربون من ربه

إن الانسان على مقدار منفعة وعموم فضله للناس يكون قد اقترب من الود الالهي وعلى مقدار اتصافه بهذه المودة العاتقة يقترب من ربه كما ان الأب والأم اقتربا من ربهما على مقدار ماعلا ولدهما . هكذا سائر الصالحين . إن الرحمة والود مقرونان في قرن فالذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا على مقدار ما قاموا به للنافع العاتقة . فالرحمة هنا تساعد على الود لأن الودود يسلي من يوده ما يناسب . وهذه المناسبة تقتضي الرحمة ولكن الرحمة أعم فكما تكون مع الود تكون مع العذاب . فكمن من عذاب في التعليم وبالضرب كانت نتيجة العلم والرقى كما قال (أرسطاطاليس) في كتابه الى اسكندر للقسوى تلميذه ﴿ إن الأمة اذا أرخت لها اللسان والترف أهانتها البطنة والناس لا يحتملون الراحة ولكنهم يحتملون المشقات في الحرب وغيره فهم في حربهم نشطون فرحون وفي أمنهم ودعهم أشرون بطرون ثم يهلكون ﴾ اذا فهمت هذا عرفت بعض سر قوله تعالى في سورة صريم - يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن - فان اقتران العذاب بالرحمة هناك راجع الى ما ذكرنا . فالأمة للعذبة بالحرب والضر وكثرة الأعداء تكون مستيقظة نشطة كما قاله علماء الألمان قبيل الحرب الكبرى ﴿ لذا أردت رقى أمة فأوقد لها نار حرب فانها تسبقظ من سباتها ﴾ وقال تعالى فيها - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا - فالرحمة جاءت مع العذاب كما علت وجاءت مع الود . إذن الرحمة عاتقة والود فرع من فروعهما . وهما شيع عليه السلام يقول - إن ربى رحيم ودود - ومن وده أنه أعلمني أن أعلمكم الدين لأرقيكم وعلى مقدار مودة الأنبياء والحكماء والعلماء بالتعاليم يكون قربه من ربهم وشرفهم . انتهى القسم الثالث

### ( القسم الرابع )

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ • وَمَا ظَلَمْتُمْ وَلَكِنْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ • وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ • وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ • إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ • وَمَا نُوحِئُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدَّدٍ • يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ • فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنَادُونَ نَارَهُمْ فِيمَا زُفِرَ وَتَضَعُونَ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَصَالٌ لِمَا يُرِيدُ • وَأَمَّا الَّذِينَ سُيِدُوا فَيَنْجُو

خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَحْذُورٍ • فَلَا تَكُ فِي  
 مِرَّةٍ يَمَّا يَتَّبِعُ هَوْلًا مَا يَسْتَلُونَ إِلَّا كَمَا يَبْدُو آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُونَ بِمَا نَعْلَمُ مِنْهُمْ غَيْرَ  
 مَقْصُومٍ • وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ  
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ • وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لِيُؤْيِسَهُمْ مِنْ رَبِّكَ أَمْحَاهُمْ إِنَّهُ يَمَّا  
 يَسْمَلُونَ خَيْرٌ • فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ •  
 وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا  
 تُنصَرُونَ • وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُ بِهَا السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ  
 ذِكْرَى لِلَّذِينَ كَرِهُوا • وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ • فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ  
 مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْ أَتْبَعْنَا مِنْهُمْ • وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ  
 ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ • وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُنتَهِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ  
 • وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَمَعَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوْكَ مُتَعَلِّفِينَ • إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ  
 خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ • وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ  
 مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْحِطَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ •  
 وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَصْلَحُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ • وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ • وَفِيهِ  
 حَقِيبُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ فَاَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ  
 عَمَّا تَعْمَلُونَ •

### (التفسير المفصّل)

قال تعالى (ذلك) النبأ مبتدأ خبره (من أنباء القرى قصص عليك) خبر بعد خبر (منها) من القرى  
 (قام وحيد) أي بمضاهيها وبمضاهيها على الأثر كزجر القائم على ساق والدي حصد وهذه الجلة مستأنفة  
 (وما ظلمناهم) بما هلكنا إياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بأنهم كذبوا ما به أهلكتهم وذلك لما جئت نفوسهم  
 عليه من النقص التي هو نتائج أسباب خافية وظاهرة في هذا العالم الذي فطر على الخير والشر ولكن الشر  
 جاء مرضا ولا يترك الخير الكثير للشر القليل ككفر هؤلاء فلا بد من نفاذ أمرنا لأن فك هي حقائق الوجود  
 الثابتة التي تملق علينا بها فهكذا علمنا وهكذا خلقنا وهكذا ربنا ونظلمان الخلوقات (فما أغتث عنهم) فما أنفستهم  
 ولا دفعت عنهم (آلهم التي يدعون) يعبدون (من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك) عذابه وما  
 منصوب بما أغتث (وما زادهم غير تزيين) تخدير • يقال تب إذا خسرت به غيره أو وقع في الخسران أي  
 ملأفت عنهم عبادة غير الله شيأ بل أهلكتهم (وكذلك) أي وبمثل ذلك الأخذ ومحل الكلف الرفع (أخذ

ربك إذا أخذ القرني أي أهلها (وهي غلاة) حال من القرى (إن أخذهم شديد) مؤلم صعب غل المأخوذ وهذا تحذير لكل قرية غلاة من كفار مكة وغيرهم فليبادر الظالمون بالتوبة ولا يفرحهم الاضلال (إن في ذلك) فيها قصة من قصص الأمم الهالكة وفي غيرها من السور (آية) لعبرة (لأن خاف عذاب الآخرة) أي اعتد محبة وجوده . فأما من يرى أن العالم لا فاعل له وإنما هي ذرات تتكاثرون وتنحل فلا يقول بحساب ولا عقاب فليس لهذا عبرة عنده (ذلك) أي يوم القيامة (يوم مجموع له الناس) أي يجمع له الناس لا محالة والناس لا ينفكون عنه (وذلك يوم مشهود) أي مشهود فيه أهل السموات والأرضين وقد اتسع فيه بأجزاء الظرف يجري المفعول به . وليس المقصود أن اليوم مشهود في نفسه والا لبطل الغرض من تعظيم اليوم بتجيزه فإن سائر الأيام مشهودة (ومانؤخوه) أي اليوم (إلا لأجل معدود) الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهائها (يوم يأتي) يحذف الياء وبأبائها - يأتي - والحلف في مثل هذا كثير في لغة هذيل ونظيره قوله - ما كنا نبغ - والفاعل ضمير يرجع إلى قوله - يوم مجموع له الناس - (لا تكلم) لا تتكلم (نفس إلا بذاته) أي لا يشفع أحد إلا بذن الله - من ذا الذي يشفع عنده إلا بذنه - (فهم) أي من أهل الموقف وهم الناس للذكور في قوله - مجموع له الناس - (شقي وسعيد) فهم معذب ومنهم منم (فأما الذين شقوا في النار) لم فيها زفير) هو أول نبيق الحار (وشيق) هو آخره أوهما استواج النفس وردة والجلالة حال والعامل هو الاستقرار المقتر في النار (خالدين فيها) حال مقدرة (مادامت السموات والأرض) أي مدة دوام السموات والأرض وذلك للتأيد ونفي الانقطاع كما تقول العرب (ملاح كوكب) والمقصود التأيد (إلا ما شاء ربك) هو استثناء من الخلود في عذاب النار فإن أهل النار يخرجون من النار إلى الزمهرير وأنواع من العذاب غير النار . وكذلك أهل الجنة يتصلون بجناب القدس وبرضوان الله وهذا أعلى من الجنة أو ما شاء بمعنى من شاء وهم قوم يقال لهم الجهنميون يخرجون من النار ويدخلون الجنة فهم مستنون من أهل الجنة أيضا لخارجتهم إياها بكونهم في النار إياها فهو لا لم يشقوا شقاء من يدخل النار على التأيد ولأحدوا سعادة من لم تمسه النار هكذا روى عن ابن عباس والضحاك وقادة وهو لا هم فساد الموحدين \* وقيل إن - إلا - هنا بمعنى سوى والمعنى سوى - ما شاء ربك - من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والأرض فلا استثناء راجع إما (١) لنوع العذاب كما يرجع لنوع النعيم فيها سيأتي فالتقصود أنهم يتناولون من عذاب إلى عذاب كما إن أهل الجنة يتناولون من نعيم إلى نعيم

(٢) أولئك المعذبين منهم من لا يخلد في أحدهما كأهل المعاصي للموحدين

(٣) أولئك التي تزيد على زمن السموات والأرض التي نشاهدها وتكون - إلا - بمعنى غير

(٤) وهناك وجه رابع وهو مدة لبسهم في الدنيا والبرزخ فليسوا في جهنم ما داموا فيها والاستثناء إذن

من أصل الحكم

(٥) وقيل الزفير والشيق هما اللقيدان تلك المشيئة لا الخلود فالزفير والشيق دائمان إلا في أوقات

يلهما الله

ثم قال تعالى (إن ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض لأنه بناء على الحكمة العاتية في العالم وليس للناس ما يؤهلهم للوقوف على تلك الحقائق كاملة (وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) وقد تقدم أنهم قوم موحدون عاصون لا يدخلون الجنة إلا بعد العذاب إذا كانت - ما - بمعنى من أو أنهم يتناولون ما هو أعظم من الجنة وهو رؤية الله تعالى ورضوانه (ههنا غير مجعود) غير مقطوع فهذا الثواب لا ينتقطع (فلاتك في حربة مما يعبد هؤلاء) أي فلأتلك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وأنهم آتولون إلى الهلاك وأن الأنبياء ومن تبعهم ناجون في الدنيا والآخرة وهذا

عدة بالانتقام منهم ووعيد لهم ونسبة للنبي ﷺ ولكل من سار على قسمة من المؤمنين وأن الله ناصرهم وناصرهم وخال أعدائهم وأعدائهم كما جربناه في هذه الحيلة مرارا وهم ما يصبون إلا كما عيد آبؤهم من قبل وقد قصصنا عليك منازل بآبائهم فيصالحهم مثله فإن المشاحة في الأسباب تستدعي المشاحة في المسببات وقوله - كما عيد آبؤهم - أى كما كان عيد آبؤهم وهذا قوله تعالى (ما يصبون إلا كما عيد) إلى قوله (وانا لموفوهم نصيبهم) من العذاب (غير متقوص) حال من النصيب لتقييد التوفية دفعا لما يحتمل أن التوفية تكون للبعض مجازا (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فآمن قوم به وكفر قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى كلمة الانظار إلى يوم القيامة (لتقضى بينهم) بين قوم موسى وقومك بالعذاب المستأصل (وانهم) وإن كفار قومك (لن شكت منه) من القرآن (مرتب) موقع للرؤية (وان كلا) وإن كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين (لما) إلا والله (ليوفينهم ربك أعمالهم) وقرىء - لما - بالتخفيف فاللام إذن موطة للقسمة والثانية للتأكيد ومازادة للفضل بينهما (إنه بما يمدون خبير) فلا يخفى عليه شيء . ولما أبان الله في هذه السورة كيف كانت عاقبة العصاة وخاتمة الصالحين أمر نبيه ﷺ ومن اتبعه قائلا (فاستقم كما أمرت) أى استقم على دين ربك والعمل به والثناء إليه كما أمرك ربك أى دم على ما أنت عليه من الاستقامة (ومن تاب معك) من الشرك والكفر وهو عطف على ضمير الرفع في استقم (ولا تظنوا) ولا تخرجوا عما حدث لكم أولا تظنوا في الدين فتجاولوا ما أمرتكم به (إنه بما تعملون بصير) فيجازيكم عليه وهذا في معنى التعليل للأمر والنهي . قال ابن عباس ما زلت آية على رسول الله ﷺ هي أشد عليه من هذه الآية ولذلك قال شيبني هود وأخواتها (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) ولا تميلوا إليهم أدنى ميل فإن الركون هو الميل اليسير كالزنى يزهم وتعظيم ذكرهم والميل بالقلب إليهم وطاعتهم ومداومتهم وتكثير سوادهم والرضا بأعمالهم (فتسكن النار) أى فتصيبكم النار بحرها كما يحصل اليوم في الأقطار الإسلامية من التشبه بالفرجة وتقليدهم ومداومتهم والزنى يزهم واحترام تجاراتهم وآرائهم وأخلاقهم وفسوق الفاسقين منهم . فلذلك حكم الله على أكثر الأقطار الإسلامية أن يصيبها نار الاستعباد في الدنيا والذل والفقر والاحتلال والاختلال والندالة والنسف والخبث والخوف وهذه مقدمة لعذاب جهنم - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا -

وقد بينا في هذا التفسير في مواضع كثيرة أن القرينة تحكوا على ذقون الشرقيين الغافلين وألبسهم ثوب المذلة والعار ومزقوهم شر ممزق وكل ذلك لأنهم ركنوا إليهم وصدقوهم . ولقد قُتِمَ انهم أشبه بالسيخ السجال فانهم يظهرون جنة اللذات ويخفون نار الاستعباد . وقد ركن كثير من الأمراء إلى نار شهوات المال الذي يسلطونه لهم والألقاب الخفية الكاذبة التي يسمونها بها أو الواسطات التي يملقونها على صلورهم فأوقعوهم في نار الاستعباد والمذلة والغزى المين . هذا كله سر هذه الآية ثم قال تعالى (ومالك من دون الله من أولياء) من أنصار يعضون العذاب عنكم والاستعباد والاحتلال واستنزاف الثروة وحلول القربى في الدنيا (ثم لاتنصرون) أى ثم لا تعبدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله أى عذاب يوم القيامة وفي الدنيا الذى هو مقدمة لعذاب الآخرة وفيه وعيد لمن ركن إلى الظلمة أوردى بأعمالهم ومن عجيب الأمر أن النبي ﷺ يقول شيبني هود وأخواتها . ولعمرك ما شيبني هود وأخواتها إلا لما في هذه السورة من العذاب الذى حاق بالأمّة الإسلامية أسوة بالأمة الأخرى

(مصدق هذه الآية في تاريخ الأندلس وفي السيرة العباسية بغزوة التتار)

وتعجب كيف تم ما قاله الله تعالى وهو أن الركون إلى الظلمة يعرض المسلمين إلى الهلاك والدمار ثم يقول الله - ثم لاتنصرون - ولقد حصل ذلك وأصبح أكثر المسلمين غير منصورين بل هم في قبضة القرينة



كل ذلك جاء مصداقا لهذه الآية . يقول الله - ثم لا تنصرون - وقد حصل ذلك وأصبح أكثر المسلمين كميدهم للفرجة لأنهم ركنوا اليهم وولفته لم ينج من مللة القرينة إلا القليل استقلوا بأعظامهم وتركوا الزكوة اليهم ورجعوا الى أنفسهم ولم يشكوا عليهم واعتبر ذلك في الأمة الأندلسية إذ كانوا في أول أمرهم حين كان الاسلام عزيزا مهابا محافظين على أخلاقهم القومية وعاداتهم العربية وشيخهم النبوية ثم تحولت الحال وسامت وأصبح للمسلمين بعد الألفة والعزة والشرف أسرى الأوهام . ومبدأ ذلك أن القرينة تعاملوا مع أمراء الأندلس ورئيسهم ابن عباد . وتلك المعاهدة احتوت على ما يأتي ( أولا ) حرية الدين ( ثانيا ) حرية التجارة ( ثالثا ) حرية التعليم . ولما تمت تلك المعاهدة أقام ابن عباد احتفالا ومهرجانا وأفراسا دامت عشرات الأيام وقد حضر الأمراء جميعا تلك المعاهدة ووقعوا عليها وكان بعضهم قد ركبوا على جياد نعالها من ذهب . ولما تمت تلك الوثيقة والأيام الرافضة رجعوا الى ديارهم كثنين مطمئنين ولم يرفض التوقيع على هذه المعاهدة إلا ابن مصعب فانه قال ( ويحكم يا أبناء العرب وعظماء الاسلام كيف يبيعون حرية التجارة والتعليم في دياركم . أفلا ترون أن القوم سيصلون أبناءكم تاريخ أمهم ويعقرون آباءكم . أولادهم أن انجر يباع في بلادكم بعدد الآن حرية التجارة وينشر في البلاد الترف والنعم ويكثر للمتفرون والفسقة والفجار والخلاعة وينتهي الأمر بفساد البلاد وخراب العباد وطرد العرب من الأصقاع الأوروبية . فلما سمع القوم مقاتله هزوا ساخرين ونبذوه أجمعين وقالوا لست في العير ولا في النغير وهل يطالع قصير امرأ أو ينام لفبير رشيد وزن - وجعلوا أسابعهم في آذانهم واستشفوا ثيابهم وأصرتوا واستكبروا استكبارا - وقالوا إن هذا كلام الذين لا يعرفون السياسة ولا هم من السياسين ) . فإذا جرى بذلك . قضيت سنون ثلث سنون وصح ما ننبأ به ابن مصعب وانتشر الخمر والفسوق وصار ( كتاب الأغاني ) هو المصدا في البلاد وانتشرت اختلاعة والفسوق وصار الشبان يغازلون القتيات في الطرقات شارعين وشاربات وسكرين وسكرات وكثر الترف والنعم ولبسوا الحرير وتختصوا بالنعب وصارت اختلاعة مشرب الأدباء وخلق الكبراء فنهبت النخوة والدين وسرى ذلك من الأحداث الى العظماء والكبراء حتى أن أحد أمراء بني ذي النون اخطف فتاة رومية من أيبها وأدخلها قصره فلجأ الى أمير آخر مسلم فأذنه مروءته أن يكتب ابن ذي النون ذاكرا له عظم هذا الذنب وقبحه فأبى أن يقبل قوله فاعتد ذلك الأمير مع بعض بارونات أوروبا وهجموا على ذلك الأمير ومزقوا شمله ومزقوا قصره وأول الأمير للمغالبة للقرينة المحتشرين معه ولجئة دامت أياما فرحا بالاتصال وانظها للافخار والأمة العربية إذ ذلك في انتحار وهي لا تعلم ماخباء لها الزمان وكان العربي إذ ذاك في الأندلس يحقر نسه وأخلاق آباءه وأزلامهم وتاريخهم ولا يأنس إلا بالأوروبيين الذين ربوه في مدارسهم . ولقد تجاوز هؤلاء الأساتذة حد العادة في تغيير أخلاق المسلمين حتى أن راهبا في قرطبة من أساتذة المدارس التي يعلم فيها للمسلمين اشترى غنم قرطبة كله وصره خرا وحلف أن لا يبيعه لأحد إلا لتلاميذه من أبناء المسلمين لحبه إياهم فصار الخمر من مستلزمات المدينة والعرمان . فإذا جرى . سارت الأمة شوطا بعيدا حتى قرعت القارعة ووقعت الصاعقة وأتى الملك ( فرديناند ) والملكة ( ايزابله ) وقصا ظهر البلاد وأزالا ملك بني عباد وأمراء الأجناد وقبروهم أجمعين إلا قليلا منهم رموهم في البحر أجمعين وقاموهم بجندلين - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - وما الله بناقل عما يعمل الظالمون . كل هذا مصداق لقوله تعالى - ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون - ثم يبعد أبناء الأندلس أولياء ينصرونهم لما أحاط بهم الا فرج من كل جانب وهم غافلون لأنهم ركنوا الى القرينة فأصبحوا حبيدا حامدين

## ﴿ التلقر في الشرق ﴾

وقد كان المسلمون قبل ذلك بنحو ثلاث مائة سنة في بلاد الشرق قد غلبوا بزمهم وسكروا بجماهم فلم يظنوا في الأرض قوة أعظم منهم أي لم يقبل أرسلان إذ أرسل اليه (جنكيزخان) المسمى بمجوعين رجالا من قومه ليتاجروا مع المسلمين بأموالهم ومعهم مال عظيم ومناجر كبيرة تغرف تجار المسلمين على أنفسهم وضائع تجارتهم وبخس بضاعتهم لزوجة أولئك الولدين لأن بضاعتهم أجمل وأبهج وأيسر وأرخص قيمة فأرسل هؤلاء التجار الوطنيون رجلا منهم فقال لقطب أرسلان . هل لك أن تأخذ التجارة من هؤلاء الذين حضروا وأن مامعهم يكون غني لقوة الاسلام وعزا وجها للعكوة فتره ما يقول وأخذ المال الذي مع التجار الذي قيل إنه كان كثيرا جدا فأخذ تجارتهم وقتلهم أجمعين . فلما ورد الخبر إلى (جنكيزخان) أرسل له خطابا مع جماعة يحذره من عاقبة ظلمه يقول فيه كيف تسيئون الجوار وتظلمون الناس ونيك عليه السلام لم يقل به وعلى بن أبي طالب كذلك . أول يخبركم نبيكم قائلا ﴿ تركوا الترك ما تركوكم اننا نحن أمته بأجوج وأجوج وقد أوعدكم الله بأنهم سيبسلون عليكم من كل حذب . فلما جاء الخطاب إلى (قطب أرسلان) مرته وصلى أذان الرسل للمسلمين من قبل (جنكيزخان) فسلم هذا الذي يعبد النار ثلاثة أيام تضرع فيها إلى الله أن ينصره على المسلمين الذين هم يفر برون بلاد الله وهو يسى إلى الإصلاح ولم يأكل ولم يشرب في تلك الأيام الثلاثة ثم قام بجموعه وهجموا على الاسلام فأزلوا دولة العباسيين ومرتقوا للمسلمين شر مزمق وانتشروا في الهند وفي روسيا ولا تزال بقليلهم إلى الآن على نهر (قلجبا) وغيره ولكنهم أسلموا بعد حين وهذا مصداق لقوله عليه السلام ﴿ ويل للعرب من شرّ قد اقترب ﴾ ويستضع هذا المقام في تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى - حتى إذا فتحت بأجوج وأجوج وهم من كل حذب يسلبون - وسترى فيه نص الخطاب الذي أرسله (جنكيزخان) لئلا أن المسلمين كما ركعوا إلى أوروبا فزالت دولتهم ركن مسلمو الشرق إلى جوار التجار منهم فسلطوا للملك على إيذاء الجيران فأخوهم فسلط الله عليهم التار . ذلك لأنهم ركعوا إلى الذين ظلموا وهم تجار المسلمين . وأيضا كان المسلمون غافلين جاهلين لم يعرفوا قدرة بلاد التار ولم يدروها فهم كانوا بجغرافية البلاد المجاورة لهم جاهلين فلما آخوهم سلطهم الله عليهم وهم لا يسلطون قوتهم ولا مقدار جيوشهم ولا عددهم ولا صبرهم على القتال . ذلك كله مصداق لقوله تعالى - ثم لا تنصرون -

## ﴿ مصداق هذه الآية في الأمم الاسلامية اليوم ﴾

ولقد قتلت مرارا في هذا التفسير كيف استولت الفرنجة على بلاد الشرق وقتل انهم استولوا عليهم بنفس الطريقة التي أهلكوا بها بلاد الأندلس فظنهم كما أهلكوا الأندلسيين بالشهوات واللذات وفتحوا لهم باب الترف فسكر الدين والاسراف والتجور والمجاهرة باللعنات مع الفانيات وليس الحرير والنعيم والرايا واحتقار تاريخ الآباء وأزائهم وأعمالهم ونصالحهم وماهم عليه من الفسك بالدين وما أشبه ذلك . هكذا فعلوا ذلك مع أهل الشرق من التونسيين ورجال الجزائر والمراكشيين والعربيين بحيث ترى الأغنياء من بلادنا الآن لا يهتمون بطعام إلا في مطامعهم ولا شراب إلا في قهواتهم وباراتهم ولا مخازلة إلا مع نساءهم ولا شراء إلا من محل تجارتهم ولا لباس إلا على زبهم ولا خدمة إلا من أحسن نساءهم ولا استدانة إلا من مصارفهم . وإذا أرادوا هملا عاما لا يكون إلا في أماكنهم التي لهم في بلادنا

لذا علمت هذا علمت جواب رسول الله عليه السلام إلى أبي بكر لما سأله قائلا قد ثبت يارسول الله إذ قال عليه السلام عيني هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون ولذا الشمس كوزت . وفي رواية غيرها ﴿ قال قلت يارسول الله لعل اليك الشيب قال عيني هود وأخواتها الحاققة والواقعة وعمّ يتساءلون وهل أتاك حديث الناشئة ﴾ ويقول العلماء لأن هذه السور فيها ذكر القيامة والبعث والحساب الخ . فهذا صريح في أنه يخاف

عذاب الآخرة • ولا شك أن مما في سورة هود حساب الأمة المحمدية في الآخرة على أنها تركز إلى النبي ظلموا وقد أظهر الله مقدمات هذا الحساب ودلائله فيما ذكرناه • وورد أيضا ﴿ ويل للعرب من شرّ قد اقترب ﴾ وقد حصل ذلك بظهور التثار وغلبهم للمسلمين كما سيتضح في سورة الكهف وكما تقدمناه الآن فليعتبر المسلمون • ولما كان اختلال الأمة ينشأ من ركوبها إلى الذين ظلموا وكانت قائمة الصلوات في أوقاتها مما يجمع القلوب ويؤدي إلى اتحادها أعقب ما تقدم بقوله (وأقم الصلاة طرفي النهار) غداة وعشية وهو منصوب على الظرفية لأنه مضاف إلى الظرف وصلاة طرف النهار الأول الصبح وطرف النهار الثاني الظهر والعصر (وزلفا من الليل) لزلف جمع زلفة من أرزله إذا قربه أي وساعت من الليل قريبة من آخر النهار وهي صلاة المغرب والعشاء (إن الحسنات) كالصلوات الخس (بذهبن السيئات) أي الذنوب • وفي الحديث ﴿ إن الصلوات الخس تكفر ما بينها من الذنوب ﴾ ومثل الصلوات جميع الطاعات • قال عليه الصلاة والسلام ﴿ وأتبع السيئة الحسنة تمحها ﴾ ومن الطاعات سبحانه الله والحمد لله وإلا لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم • وقد ورد في الحديث أيضا أنها مرادة بهذه الآية • وفي البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخس يحو الله بها الخطايا

إن الذنوب الصغار تكفرها الصلوات والطاعات • أما الذنوب الكبار فلا يكفرها إلا التوبة النصوح بالانقلاع عن الذنوب بالكلية والتسليم وبالعزم التام ألا يرجع إلى الذنب • وفي الحديث ﴿ إن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر ﴾ وفي سبب النزول أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال أتى قد أصبت من امرأة غير أني لم أتناها فنزلت (ذلك) إشارة إلى ما تقدم مما في هذه السورة من هلاك العصاة ونجاة الصالحين ومأوى ذلك من قوله - فاستقم كما أمرت - وما بعده (ذكرى للمؤمنين) عظة للتقنين وبصيرة للفكرين فيعرفون كيف تهلك الأم إذا ظلمت وكيف تنصهر النار في الآخرة إذا ركنوا إلى الظالمين وأن الأنبياء الذين ورد ذكرهم في هذه السورة لم ينصروا إلا بعد الصبر ولذلك قال (واصبر) على ما تلاقي من قومك ومجادلاتهم وعداوتهم كما صبر الأنبياء قبلك المذكورون في هذه السورة وقد علمت أمرهم وأنه لم يضع أجورهم إذ أحسنوا في أعمالهم (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) أي المصلحين أعمالهم بالاستقامة وعدم الركون إلى الذين ظلموا واقامة الصلاة وفضل الحسنات وجميع الأعمال الظاهرة والباطنة فأحسن العمل الباطني يرق أخلاقنا وإصلاح العمل الظاهري كالصناعات يرفع قدر الإنسان ويرقي عقله ويكسبه الفنى وهذا محمود والله لا يضيع أجره كما هو شاهد محسوس • فكل من أحسن عملا لا يضيع أجره وهذا يوجب على المسلمين أن يحسنوا ما يصنعون في أعمالهم الظاهرة والباطنة

ولما كان القول المتقدم وهو الأمر بالاستقامة للنبي ﷺ ومن اتبعه ونهيه عن الطغيان وعن الركون إلى الذين ظلموا حتى لا تمسهم النار كما مست الأمم السابقة لما طغوا كما هو مذكور في هذه السورة أشبه بالتخليه ثم أمرهم بما هو كالتخليه من الصلاة بالليل والنهار مرتباً على ما ذكر في هذه السورة من إهلاك الأمم السابقة في الدنيا لكفرها وفي الآخرة بالنار • لذلك أيضاً رجع إلى تفصيل الكلام على تلك الأمم قائلًا هلاكان من هؤلاء الأقوال الذين ذكروا في هذه السورة وغيرهم من الأمم السالفة قبلكم رجال أولوا رأى وعقل ينهون الناس عن إفسادهم في الأرض بتطيف الكيل والميزان ونحسهما وفعل الفاحشة التي لم يأتها أحد من العالمين والكفر والمعاصي الكثيرة • نعم إن بعضهم نهى عن الفساد في الأرض فنجيناهم • فأما الأكثرين فانهم لم ينهوا عن الفساد في الأرض وأتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه بالتمتع والترفيه وحب الرياسة والقروة وطلب أسباب العيش المنيه ورفضوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبدوه وراء ظهورهم (وكانوا

عجربين) وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون وهذا قوله (فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية) من الرأى والعقل أو أولوا فضل وانما سمي بقية لأن الرجل يستحق أفضل ما يفرجه . ومنه فلان من بقية القوم أى من خيارهم (ينهون عن الفساد فى الأرض الا قليلا عن أئمتنا منهم) أى لكن قليلا منهم أئمتناهم لأنهم كانوا كذلك فالاستثناء متقطع فهو لا المستثنى منهم لم ينهوا عن الفساد فى الأرض (وانبعض الذين ظلموا) أنفسهم فلم ينهوا الناس عن الفساد (ما أترفوا فيه) أى ما عرفوا فيه النعم والثروة الخ (وكانوا مجرمين) ولما كان ما تقدم يستدعى سؤالاً فيقال يا عجباً إن الله عز وجل رحيم وكيف يهلك الناس إذا كفروا . وهانحن أولاء نرى الحيوانات راتمة فى الماء والهواء والتراب فلم خص الانسان بالهلاك فى الدنيا فليكن الكافر فى الأرض كالحيوان أفلا يسمع الله هؤلاء فى أرضه فما باله يهلكهم فى الدنيا وينزع ملكهم ويشمت مشملهم . ذلك قال الله (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) بشره (وأهلها مصاحبون) أى وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم إذا كانوا مسلمين بأن يعامل بعضهم بسنا بالصلاح والساد . ولذلك قيل (الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم والمعاصي) . وكأن هذا تقرير لما تقدم فى السورة كأنه يقال إذا أهلكت قوم لوط وقوم شعيب وغيرهما فأنما أهلكهم للذنوب المخلة بالامن والضارة بالجموع . وإذا كان المجموع فاسدا فلا بقاء له بل يكون كالجسد الميت تنان رائحته . فالأمة التى تكذب ونظم وتفسى ويرتدى حكمها وتضل فى أعمالها ولا تحسن عملا حكمت عليها بالهلاك لأنها مجموع مختل غير منظم وهذه قاعدة طبيعية فالأمة كالجسد إذا اختل خلا عظام رئيسها مات وهذه حال كثير من أمم الشرق والاسلام الآن وسيغير الله الحال بل ابتداء سبحانه بفعل ذلك الآن . ولما كانت الأمم الاسلامية اليوم قل فيها علم الأخلاق والعمل بها صارت قلوب أهلها متباعدة متباعدة وهم لا يحسنون كثيرا من الأعمال وهى بأيدى غيرهم سيطر الله عليهم الفرنجة لأنهم لا ينهون عن الفساد فى الأرض وقليل منهم الآن انتظموا فى أعمالهم فاستقلوا فى بلادهم وطردوا الفرنجة والحمد لله . فتعجب كيف أبان الله فى هذه الآيات أن خراب الأمم تابع لظلمها الداخلى فى أعمالها لا إيمانها وعلى ذلك لا يبالى بإيمان بلا عمل صالح بل ينزل بأهل العذاب الشديد فى الدنيا كما أشار إليه فى قوله تعالى - ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار - ومن الظلم ترك النهي عن المنكر . واعلم أن الفقهاء لأجل هذه الآية قدموا عند تراحم الحقوق حقوق المباد على حقوق الله تعالى

واعلم أن هذا المقام يقتضى أن يسأل سؤال فيقال إذا كان الله هو الخالق للعالم المنظم له وهو واحد فلم تطورت الأمم وكانوا مختلفين أخلاقا وديانات وآراء وكفرا وإيمانا . وهلا جعل الله الناس أمة واحدة ولم هذا الاختلاف . واعلم أن هذا السؤال يرد على عقول كثير من الناس وهو بهذا المقام أبقى لأنه فى مقام هلاك الأمم وبقائها وتقرير حقائقها وقد تم البحث هنا ودقق فيما تدقيق . واعلم أن العالم لو لم يكن مختلفا لكان معدوما . ألا ترى أن الحكماء قد قرروا أنه لا يتساوى اثنان فى الوجود فلا رجل ولا امرأة من الناس يمانلان غيرهما من الرجال والنساء بل كل فرد من الناس والحيوان والنبات والمعادن والكون لانظير له فى الوجود . وقد برهنوا على ذلك ببرهان قاطع لا محل لذكره هنا . فإدام هناك خلق فلا بد من اختلافه فالاختلاف ملازم للعقل . وما دام هناك خلاف فهو فى الأجسام والألوان والعقول والآراء والديانات والأحوال وفى كل شئ . فالعقل الحكيم يستد أن لا يكون وجود بغير اختلاف الموجودات والجاهل يقول لم خلق الله الاختلاف مع أنه لا يمكن الخلق إلا مع الخلاف . ولا فرق بين الخلاف القليل والكثير . فكما يأتى بإساعات النهار المختلفة أمواتها يأتى بالليل الذى هو غاية الخلاف مع النهار هكذا يفعل فى الديانات فكما يخلق تقيين متقاربين كأتى بكر وعمر وهما كساعتين بخلاف كفرهما ومؤمنا كأتى بكر وأبى جهل كما خلق الليل والنهار فالنظام واحد فى الأطوار الانسانية والأحوال الكونية ونتيجة ذلك هو أعلم بها وهذا قوله

(ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) متفقين في الإيمان والطاعات ولكنه لم يشأ ذلك لأن المشقة تتبع العلم والعلم يتبع للمعلوم والمعلوم ليس يكون إلا على النظام الأكل والنظام لا يأكل أن يكمل فيه جميع الأحوال كما كملت أحوال الليل والنهار بالظلم والنور المتباين النتائج والفترات (ولا يزالون مختلفين) في دينانهم كما اختلفوا في جميع أطولهم وهذا الاختلاف يخلق رماحهم ويضع قوسهم ويكون سبب النزاع فيما بينهم (الآن من رحم ربك) من أناس يكون اختلافهم غير داع إلى النزاع بل هو كالوقواق حيناً يرتقي نوع الإنسان ويكونون كآسرة واحدة يحب بعضهم بعضاً ويكون اختلافهم في جميع أحوالهم ليستكملوا به ولكل منهم عمل خاص ينتفع الجميع به فيكون الاختلاف فيما بينهم كاختلاف البنية والابوة والذكورة والانوثة كل له عمل ينفع به المجموع وتكون جميع أهل البيانات على حال لا يلحق بعضهم بعضاً بل يكونون أشبه بأعضاء أسرة واحدة . ذلك هو العصر الذهبي الذي عبر عنه بأنه ينزل فيه عيسى ابن مريم فتصلح القلوب بالحجة ويصبح الناس - أخواناً على سرر متقابلين - في الدنيا . وقد ورد أن دين الإسلام يوم المسكونة إذ ذاك . ولما كان الخلاف في جميع الأحوال أمراً طبعياً أعقبه سبحانه وتعالى بقوله (ولذلك خلقهم) أي خلق الناس (وتمت كلمة ربك) وهي قوله لللائكة (أملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لتقصانهم وبعدمهم عن الكمال فلأن أضعفهم في المنازل التي استأهلوا لها كما أخلق السود في الطين والحيات والعقارب في القرباب والحشرات في القاذورات ولقد أكرمت في الدنيا من هذه المخلوقات في تلك الأماكن ثلاثاً يبقى مكان في العالم معطلاً بلا خلق ولم أخلق الخلق عيشاً بل كالحكمة فأما لا أذر الروث والطين للنتن والقاذورات بلا مخلوقات فأكرمت خلقها فهكذا . إن أكثر النفوس الانسانية تموت ناقصة فأضعها في قاذورات العالم الثاني لأعمال أن بها علم فتكون معذبة وعذابها بحسب استعدادها كما خلقت السود في الرقة وكما أن الناس يأفنون من الروث ويقولون لو خلقنا دوداً لتمينا للموت ولكرهننا الحياة والود محصور مضمور مسكين يعيش كأنه ميت ولا يلم من الحياة إلا ما يمس جلده فهو خال من السمع والبصر والشم والذوق . هكذا يكون في الآخرة خلق من الناس يأفأ أهل الجنة أن يكونوا معهم لما هم فيه من العذاب بالنار والجحيم فضلاً عن حصة الحياة ودنائة الموقف وعذاب المنزى واللذة والحفاة والضياح وتصغار القوى وانحسار النفوس . وإلى هنا قد تم الكلام على الأمم وأحوالها وما استنتج الله منها وعلم نبيه وأتمته وعوض وذكر وحذر وأبذر . ثم شرع سبحانه بين النبي ﷺ وأتمته مقصود هذه القصص وأمثالها وأن المقصود من هذه الأخبار تثبيت قواده ﷺ وقواد كل مؤمن يقرأ هذه القصص فإن الإنسان إذا علم ما أصاب المصلحين قبله من البأساء والضراء ثم تم النصر لهم في آخر الأمر ثبت قلبه وهكذا ﷺ لما علم من هذه السورة كما علم من غيرها كيف كانت عاقبة الأنبياء وعاقبة أممهم من الأتباع والكفار تأسى وصبر وثبت قلبه لعله بالعاقبة وهذا قوله تعالى (وكلا) وكل نبأ (تقص عليك) وقوله (من أنباء الرسل) بيان لكل وقوله (مانثب به قوادك) بدل من - كلا - (وجاءك في هذه الحق) أي في هذه السورة (وموعظة وذكرى للمؤمنين) وتثبيت قلبه معناه زيادة يقينه فإن تكرار الأدلة أثبت للقلب وهكذا توارد القصص المتشابهة المنزى في موضوع واحد توجب الاستقناس . هكذا قراءة المؤمنين لأمثال هذه القصص تورثهم موعظة من المعاصي وتذكركم أحوال الأمم فيقيسون عليها أنفسهم ولما كان ما تقدم نافعاً للمؤمنين أمره أن يخاطب الكافرين قائلا اعملوا على حالكم وجهنكم التي أتم عليها (إننا عاملون) على مكانتنا وهذا كقوله - لكم دينكم ولي دين - (وانتظروا) بنا للموت (إننا منتظرون) أن ينزل بكم مثل ما نزل بالأمم السابقة كما قصه الله في هذه السورة من الهلاك اللاحق بهم لما كفروا كما كفرتم . ثم ختم السورة بالتوسيد وإرجاع الأمور كما هي عليه تعالى فقال (وقه غيب السموات والأرض) وحده لا يخفى عليه شئ فيما (واله يرجع الأمر كله) ومنه أمركم وأمرهم فينبئك ويعاقبهم

(فاعبد وتوكل عليه) أى فمن كان كذلك فهو مستحق للمعابة لاغيره فاعبد وحده - وتوكل عليه - ونفى به في جميع أمورك فانه يكفيك كما في قوله - إياك نعبد وإياك نستعين - (ومبارك بغائل عما نعمان) أنت وهم وجيع الخلق فهو يحفظ أعمالهم جميعا لايعنى عليه منها شئ فيجزى المحسن بأحسنه والسيء بإساءته ولفظه أعلم • انتهى التفسير اللغوي

### ( لطيفتان )

( الأولى ) في قوله تعالى - فأما الذين عقوا الخ - ( الثانية ) ما أهمّ العلوم التي كان يرى إليها الأنبياء في هذه السورة وكيف خزنها الله في القرآن للسلين في هذا الزمان وكل زمان

### ( اللطيفة الأولى )

اعلم أن من علماء الأمة الاسلامية من نظروا في هذه الدنيا ونظامها وحكمة خالقها ورحته التي وسعت كل شئ • وأن رحمة سبقت غضبه • وأن أول كل سورة بسم الله الرحمن الرحيم وصلاة السلم كلها دعوات تسند جميع أعمال الخلق الى الله تعالى • وهذا كله مما يوقع في النفوس أن خالق هذا العالم عنده رحمة عظيمة فوق رحمة الناس وفوق ما يعرفه الناس • كيف لا وهو القائل في هذه السورة - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها - وهو القائل على لسان بعض رسله - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - فالتنظر في العالم والنظر في بعض الآيات والأحداث جعل بعض العلماء يفكر في هذه الآيات ويقول إن العذاب ليس يكون بلا نهاية • قال الصفي التلساني اذا بلغ الاتقام الغاية قلب رحمة • وقام المصلح <sup>عليه السلام</sup> جنانة فقالوا انه يهودى قتل أليس لك ملك معها ألبست قسا قال العلامة زين الدين محمد المدعو عبد الرؤف الحدادي القاهري المعروف بالناوى المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٣٩ هـ في شرحه على ( قصيدة النفس ) لابن سينا ما نصه

قال في الفتوحات للكنية ( هذا أرحم ما تمسك به أهل الله اذا لم يكونوا من أهل الكشف والاعتراف الإلهي في شرف النفس الناطقة وأن صاحبها وإن شق بدخول النار فهو كما يشق هنا بأمراض النفس والعقل والمهموم وأن ذلك كله غير مؤثر في شرفها إذ كانت من العالم الأشرف فقام لها لكونها نفسا أي لئانها وهذا يؤذن بتساوي النفوس

وفي رسالة القشيري عن بعض الصلحاء أنه ذم من رأى نفسه غيرا من فرعون • قال وهذه مسألة من أعظم المسائل تؤذن بشمول الرحمة وعمومها لكل نفس وإن عمزت النفوس الفارين • ولا بد من محاربة الفارين كما ورد أن الله سبحانه لا يعبده إلا أهل الله فانه من الأسرلر المخصوصة بهم • فكأن الحد يجمعهم كذلك لتمام يجمعهم لئانهم إن شاء الله تعالى • وقال تعالى في الذين شقوا - إن ربك فعال لما يريد - ولم يقل - عطاء غير مجنود - كما قال في السعداء • وقال أيضا - رحمتي سبقت غضبي - وقال - ورحمتي وسعت كل شئ -

كل ذلك منه منة فانه كتب على نفسه الرحمة • قال المناوى الى هنا انتهى كلام ابن عربى أقول ولم يقتصر الأمر على الصوفية رجعهم الله بل تعداهم الى غيرهم • قال ابن زيد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بالنبى يشاء لأهل الجنة فقال تعالى - عطاء غير مجنود - ولم يخبرنا بالنبى يشاء لأهل النار وروى عن ابن مسعود أنه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحوالاً • وعن أبى هريرة نحوه • وقال للمناوى انه قد جاء في بعض الآثار ما يدل على خلاص الكل وأن النار تفتى ويزول عنها بها دين الجنة • قال ابن تيمية قتل ذلك عن عمر وعن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم • وأخرج عبد المجيد بن جيد عن عمر بن عبد الله بن جهمان قال ( أوليت أهل النار في النار كمد

رمل عاجل لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه ﴿ وتداوله أئمة غير مقابلين له بالانكار قال أغنى ابن تيمية وإنما أرادوا جنس أهل النار الذين هم أهلها وأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علموا هم وغيرهم أنهم لا يلبثون قمر رمل عاجل ولا قريبا منه . ولفظ أهل النار يختص بمن هذا المؤمنين كما يشير إليه عدة أحاديث ولا يناقشه قوله تعالى - خالدين فيها - وما هم منها بخارجين - إلى أن قال . لكن إذا أفضى أجلها وفيت كما نفى الدنيا لم يبق ثلر فلم يبق عذاب . قال وورد في عدة طرق عن ابن عمر ﴿ وليأتين دلي جهنم يوم تصفى فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا ﴾

وجاء نحوه عن ابن مسعود وأخرج عبد بن حميد عن الشعبي ﴿ جهنم أسرع للدارين عمارا وأسرعها خرابا ﴾ ثم إن ابن تيمية رحمه الله أورد قول من يقول إن الاجماع على خلاف ما ذكر ونحوه ورد هذا القول قائلا إنما يظن الاجماع من لا يعرف النزاع . والمسلمون جميعا أجمعوا أن عذاب جهنم دائم لا ينقطع . هذا قائم عليه الاجماع . ولكن إذا بطلت جهنم بالكلية لا يقال انهم خرجوا من جهنم بل يقال انها ذبت فهم يمدبون مدامت باقية فإذا خربت فأين يمدبون وقرى بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يطل حبسه بخراب الحبس . هذا ملخص ما قلناه للناويزي . ثم قال حكى ذلك كله ابن القيم وأطنب فيه ودفع قوادسه في نحو كراسة . ثم قال والذي نفتقده ما عليه هذه الأمة وجهور الأئمة أن النار لا تنفى ولا يزول عذابها . قال ووافق ابن القيم على نحو ما ذكره جمع من الصوفية كما تقدم له

هذا وإنما أريتكم هذه الآراء المختلفة في هذا المقام لتعلم مقبل ما وصل إليه علمنا والمحققون منهم في هذا المقام والله يتولى هدايتنا

### ﴿ العليقة الثانية ﴾

اعلم أن هذه السورة أشبه بجرة الجوز المقسمة إلى بيوت كل واحد منها فيه اللب الشهي النافع للأجسام للنفسي لنوع الانسان . وإنما شبهتها بتلك الفرة لأن الجوز له قشر يحيط بلبه وفي داخله بيوت منظمة محتوية على اللب المطاوب للآكلين . هكذا هذه السورة فيها القصص الدالة على نجاة الطامعين وهلاك العاصين . ولقصود من ذلك كله العلم بنظام العالم وجهاته وبدائع حكمته وغرائب خلقته . ولطك قول . بالحبب كلما وصلنا إلى آية أو قرأنا حكمة أرجعنا إلى الحكم الكونية والغرائب الخلقية . فبالت شعري مالتصة نوح في سفينة وهود في قبيلته وصالح وناقة وإبراهيم وإسماعيل ولوط وقرته وشعيب وجاشته وموسى وبنوته فأين قصص هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأفلاك في دوراتها والأسماك في بحارها والنباتات في حقولها والحيوانات في فلواتها . والذي يخيل لي أنك مغرم بالجهاب الكونية تدور حولها كلما سمعت سائحة أو برقت لك بارقة

إذا قلت هذا أيها الذي أقول لك لا تهمل وانظر ما أقول ابتداء الله السورة بأن الكتاب حكم الآيات مفصل كما تفصل الفرائد وهو حكيم خير . وأفاد أن علمه يعم ما بين وما ظهر . وأن عليه رزق جميع السواب وهو العالم بمستقرها ومستودعها وأن ذلك عنده في كتاب وقد أسس ملكه جميعه على العلم فلا دابة في الأرض من طير بطير وبهيمة تسير وسماك يجرى وحشرة تسرى إلا وهو قائم بنظامه عالم بما يحتاج إليه رازق له منظم لأعضائه وحياته مطيع رزقه . فاذن ليس لدابة في الأرض إلا خلقها ومنها الانسان وهو أشرف المخلوقات . فهذا أساس هذه السورة . الآتري إلى قول هود - إني نوكت على الله يري و ربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - . أنظر كيف استدل بعم السواب وأن الله قابض على ناصيتها عالم بمستقرها ومستودعها . أليس هذا ترددا لما في أول السورة دلالة على أنها مؤسسة على هذا الأساس مبينة على هذا للبدأ قائمة على قرار ممكن من علم شامل وعمل دائم وحكمة عالية

هانذا الذي هو يقول - إني توكلت على الله الخ - وما برهانه إلا ملجأه في أول السورة وهو جودها ومقصودها . فيقول ان الله معك بنوامي السواب ويعلم مستقرها ومستودعها فكيف أكون نيا وأخاف من المخاوف والله أخذ بناصيتي وربي على صراط مستقيم لا ينيق إلا ما كان أفع في الوجود . ولا شك أن العلم أبقى على الملائين والجهل أرداً للخالقين وأنا قد أرسلت بالعلم فهل يغفل الله للمصلحين وينصر الجاهلين كلا ثم كلا . وانظر الى نوح كيف يقول الله له - واصنع الفلك بأعيننا ووحينا - وذلك لئلا يفتن في الحفظ والرعاية كأنه يراه بعيون كثيرة على سبيل التفتيل حتى لا يلحقه ضم فهو للنجي له . وهذا كقوله في البدء - ويعلم مستقرها ومستودعها -

وقال الملائكة للوط - إنا رسل ربك لن يصاوا اليك - ولقد نجى الله شعبا وبقية الأنبياء . فانظر كيف رجع أمر الأنبياء جميعا الى مراعاة الله لكل مادي على الأرض من الانسان والحيوان وحفظه لها وأخذ الأنبياء يردون ذلك المعنى حتى قال لرسوله محمد ﷺ في آخر السورة ما جمع ذلك كله فقال - والله غيب السموات والأرض - وهذا كالنبي ذكر في الأساس من عموم علم الله وقوله - وتوكل عليه - هو عين ما قاله جيع الأنبياء لرسامهم وقوله - وما ربك بغافل عما تعملون - هو كقوله تعالى - ويعلم مستقرها ومستودعها - . فأقول الأمر وآخره في هذه السورة أن الله محيط بعالم الحيوان وغيره قائم بتدبيره وأن الأنبياء جميعا قد حققوا هذه الفكرة وعرفوها بما أوحى اليهم فلا يلبثون بأعدائهم وهم متركون على الله والآية التي غنمت السورة أنت بمجعل ملجأ فيها . هذا هو مقصود السورة . وهذا هو الباب

واعلم أن لرسال الأنبياء والقصص الواردة في الكتب السبلوية والأمر والتهى وغيرها ليس يقصد منها إلا ترقية الانسان واتجاهه من ظلمات الجهالة بالعرفان وكل ماورد من علوم الأخلاق والآداب لم يقصد منها إلا ترقية العقول بالعلوم . وههنا قد وصلنا الى المقصود فنقول . كيف يعرف الانسان أن الله أخذ بنامية كل دابة وأنه يعلم مستقرها ومستودعها إلا بدراسة علم الحيوان . يعاجبها كيف يعرف الناس أن الله أخذ بناميتها إلا بالمراسة التامة . ومماثل الناس في أدعائهم أنهم يعرفون علم الحيوان وهم لم يدرسوه الا كتل الجبال والبر إذ تزعم أنها تعرف الحيوان المحيط بها من الجبال وبقية السواب . أوكتل من يظن أنه عالم بالنمس والقمر والكواكب وهو لم يعرف إلا صورها الظاهرة . ولم يدرس من علم الفلك درسا واحدا . فكيف في الأرض من مغرورين . وكف في بلاد الله من غافلين . وكف من هم بكهم فهم لا يعقلون

أنزل الله سورة هود وبنى حجج الأنبياء على التوكل عليه لأنه القادر العالم الخالق العظيم بأحوال الحيوان فعل المسلمين دراسة علم الحيوان كما يدرسون علم الفقه كلاهما فرض كفاية . فلا ذكر لك أنها لذلك في هذا المقام عشرين عجيبة من عجائب الحيوان بعد ما قرأته في هذا التفسير وبعد ما ينته في هذه السورة نفسها تكون أنسا لك وجالا وكالا ولتقبل بقلبك على دراسة العجائب الالهية وتكون من المؤمنين

### ( خزائن الجواهر في سورة هود )

اعلم أن هذه العجائب الكونية الحيوانية الآتية وغيرها من جواهر مخزونة في سورة هود مقصودة لنفسها فلم يترك ليس يراد من الانسان إلا كماله الجسمي وكماله العقلي والأخلاقيا مقامها ولن يتم ذلك إلا بنظام هذا العالم . ومن نظامه الجواهر التي خزنها الله في سورة هود . نعم خزنها للأجيال المقبلة وبض الذين سبقوا من أولى العلم والحكمة الذين هم لله شاكرون - وقليل من عبادي الشكور -

وأكثر الناس لا يشكرون الله لأنهم جهلاء بالحقائق مكتفون بالظواهر فلا يعرفون من سورة هود مثلا إلا التاريخ وتطبيقه والتحو وإعراجه والبيان ومجازيه والمعاني وحقايقه والبدع وجناسه ويتلهون بالبالغة وأن القرآن مجزئ الملائين نارة بعشر سور وتارة بسورة واحدة من مثله . كل ذلك اكتفى به أكثر الناس



عن الحقائق وضادوا طريق البقاى وما وصلوا الى ما هم له طالبون . ولعمرك لم يتعد أمثال هؤلاء أول الطريق ولا قاموا الدين بادن نصيب وما نالوا من ذلك كله إلا تصديق النبوة ولكنه تصديق يتبعه الأعمال والعلوم ، أما الأعمال فكالأخلاق التى تؤخذ من هذه القصص . وأما العلوم فهناك هذه العشرين بحية تذكرة وبشرى للعاقبين الذين درسوا هذه الكائنات وأحكموها وقهوها بض أسرار هذا الكون وأدركوها وهم طوائف من أم شتى وأزمان مختلفة . اختلفت دياناتهم وشرائعهم وبلدانهم وأزمانهم وهم فى الحقيقة متحدون لأن علمهم الذى حصلوه هو نظام هذا الوجود ومحجبات هذا الملك غناها عشرين بحية عسى أن تكون من أولئك الذين قال الله فيهم - إلا من رحم ربك - فانهم لما أدركوا محجبات صنع الله لم يختلفوا فيها بل اتحدوا وعرفوا بواطن الامور ولم تلهم القشور

### ( البحية الأولى . لغات الحيوان )

من غرائب أمر الحيوان أن لأنواعه طرقاً لتأدية المراد كما أن أهل العلم والاختبار وقد شاهدوه فى أدنى الحيوان كالنمل والنحل وقالوا ان النمل يفهم أمثاله بطريقة اللس بالقرون وفى تلك القرون من قوة اللس ما ليس للانسان . ويحكى أن (فرنكلين) كانت هندة جرة من القند (عسل قصب السكر) ازدحم النمل فيها فغشى (فرنكلين) على قنده فعلق الجرة بحبل من السقف فرأى نملة خرجت من الجرة وصعدت على الحبل وبعد نصف ساعة رأى ما لا يحصى من النمل نازلاً على الحبل الى الجرة وكانت النملة حين تنسج تخرج تاركة مكانها لغيرها . وظل النمل ين ساعد وهابط الى أن فرغت الجرة من القند . اهـ  
وعلى ذلك نقول ان النملة أخبرت النمل حتى جاء الى الجرة . وليس يلزم من قولنا ان للنمل لغة أن تكون لغتها كلفاتنا بل المقصود أن يفهم عنها ما يلزمها . فالمراد باللغة هنا كل ما أفهم المراد . ومن هذا نفهم - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويسلم مستقرها ومستودعها - ومن هذا وأمثاله فليفهم القرآن . وبهذا وأمثاله فليترق المسلمون

### ( البحية الثانية . نظار النمل )

قال بعض علماء العصر الحاضر . ان رؤساء العمل فى النمل تضرب بقرونها حثاً لعملة فتسرع وتبذل كل مجهود فى العمل . ولقد شاهد ذلك فى حرب النمل فتدنى أنه عند التقاء الجيشين يضرب أمراء الجيش الأرض بقرونها فتلتهم الحرب ويشد الكرب ويعظم المول ويحصى الوبليس وتقوم الحرب على قدم وساق وتفتك الأبطال بالأبطال ويكثر الزوال ويحمل الجفلى على الجفلى وتحتجب الجنود فى ظلام القسطل وتظل نار الحرب تطفى الى أن يتم النصر للقائدين وهم الغانمون ويجتمع النمل على مدبة كنعف محيط دائرة وينطح المنفردين (بفتح الذال)  
وبهذا نفهم - وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب - أى اللوح المحفوظ - من شئ -

### ( البحية الثالثة لغة النحل ولغة النمل متقاربان )

يقال ان لغة النحل ولغة النمل متقاربان كالألمانية والفرنسية . وذلك أن هؤلاء العلماء جئوا حتى سمعوا الأصوات منهما بطرق طبيعية ووجدوا لصوتها ولغوتها متشابهة

### ( البحية الرابعة . حكاية نملة )

استيقظت نملة صباحاً نحو الساعة السادسة من لقاء نفسها بلامبه فضلت وجهها وأصلعت من شأنها بالفرشة والمنشأ الذين وهبا لها من لغة بحسب جبلتها وهما فى طرف قائمتها المقلعتين ثم نظفت القائمتين بشما وخرجت فى سرب من أخواتها ماشيات فى بعض دهاليز المنزل نحو غرفة لللك فالتقت بأسراب أخرى

سائرة إلى أشغال أخرى . وبينما هم سائرات وقفت هذه الغفلة فزعت قشة علفت بيدن إحدى أخواتها في أثناء الطريق كما ينقطع الرجل خيطا على برداء صديقه . فلما فرغت من ذلك أسرعته للحاق بسائر الرفاق فاعترضتها في أثناء الطريق تنف من القش . فنظفت الطريق منها وهي مع ذلك تقسم القرص للبحث على ما قد تعثر عليه من أطراف الجذور أو قطع الأوراق أو غير ذلك لتتحررها لعلها له

### ( الهبة الخامسة . الزناير وتسلها )

ومن يجب أن المسلمين في أمحاء الكرة الأرضية إلا قليلا ينظرون الزناير السود والصفر والحر وهم عن أياها معرضون ويتردونها عن النحل وهم يلهو بها هلون . تبارك الله عز وجل . فانظر أياها الذي كيف تبيض الأتي وكيف يخرج السود ويأكل ما تنصه الأم لموكيف تسبح البودة بعد ذلك ( شريف لجة ) وكيف تسير بعد ذلك زنبورا كمل على بطير بجانحين . إن الأتي قبل أن تبيض يبيض الذي لا يعتوى على غذاء لصغارها كما يعتوى يبيض السبلج . ويض الأوز تذهب فتقتص بعض الطولم كالخنافس والذباب والفراش والبومض أول البدان أو العناك . وتختلف القرية باختلاف أنواع الزناير فإن أنت الأم بالقرية ميتة فيها ونعمت وإن كانت حية أفرغت عليها من ابرتها ما يكرها ويخدرها فتقطع حركتها وهي محبوسة في نفقها المبني ليضها ثم تلقى يبيضها على تلك القرية وتلد القير سدا عكسا . وبعد يومين أو ثلاث يقض البيض وتخرج ديدان تقتنى من جسم الحشرة التي هي عليها حتى تقضى للدة البودة ثم تسير شرقا ثم تسير طائرا فتطير وما ذلك الطير إلا الزنبور

فانظر يا ربك الله كيف علمت أني الزناير بالعلم ولا كتاب ولا نبي أرسل إليها ولا دراسة ولا تجربة . ان يبيض الذي ستقيه لا قوت فيه لأبنائها وكيف ألهمت أن تعرض بده خنافس أو ديدان أو ذبابا وكيف أعطيت مادة سمية لتخدر بها تلك القرية وكيف ألهمت استعمالها وكيف كانت تلك المادة السمية لا تقتل الحشرات ثلاثين جسما ولا تبقها قوية ثلاث تهرب أو تكثر الحركات بل بقيت بين بين حتى يحصل المقصود للدود الذي يخرج من البيض وكيف تأكل من البيرة وهي في عيشة راضية مرضية . فانظر هذه الحكم الستة في الزناير التي تعيش في سقوفنا وحيطاننا ونحن غافلون والله يقول - وكأين من آية في السموات والأرض يحررون عليها وهم عنها معرضون -

### ( الهبة السادسة . زنبور يلع دودة )

لبعض الزناير طريقة عجيب في قتل الحشرات التي أعتها لصغارها فانه يختار دودة لها نحو ( ١٣ ) حلقة ومعلوم أن اسكل حلقة مركزا عصبيا ولا بد من لسعها في جميع هذه المراكز وأما ما بين الحلقة الثالثة والرابعة فانه في السود أشبه بالنخ في الإنسان فان هذا النخ إذا أصيب مات الإنسان حالا . يعلم ذلك الزنبور علما حقا اجابا بالفرزة فيأتي إلى البودة ويقاطها وينافسه مرات كثيرة حتى إذا أحسنت نصف عن المقاومة رفضها إلى أعلى وطرحها على الأرض ثم لسعها في الحلقة الثالثة والرابعة فتخرج صريعة مختلة ثم ينيق الزنبور ساكنها محل به من التبع حتى يستعيد قوته فينقض عليها ثانية وهي ناشطة فيلسعها فيها بين الحلقة الثالثة والثانية ثم فيها بين الحلقة الثانية والأولى ثم يطير حولها مدة ويود إليها ويلسعها فيها بين الحلقتين فتخشع خشوعا تاما مختلة ساكنة وتبقى حية على الأغلب لتكون غذاء لصغار الأولاد

### ( الهبة السابعة . الحشرات الصائدة بالونها للشبه الزمرة )

كل فلاح في بلادنا المصرية وغيره رأى حشرة تطير بين الأشجار يسميها الناس في بلادنا ( فرس النبي ) ويسمياها ترنسفالينون والافرنج ( الجندب الملصق ) ويسمياها غيرهم ( فرس الشيطان ) وهذه العابرة قادرة على الاحتيال بما يجير الأبواب فهي تتلون بلون ما تقع عليه فهي خضراء على الورق الأخضر حمر على

الزهر الأحمر كثيرة الألوان على الزهر للتلون . وربما رأيتها على غصن من الأغصان أعجب بزهرة من الزهرات بحيث لا يفرق الناس ولا الحشرات ما بينها وبين زهرات تلك الشجرة حتى إذا جاءت ذبابة بقرها انقضت عليها ففحصتها . ومن عجب أمرها أن حينئذ تم بكأها فإذا تشككت بشكل الزهرة وهي على الغصن صارت من الشجرة في جميع أطوارها فحركاتها الطبيعية معدومة فهي أبدا ساكنة وإذا هبت الرياح والمواسم والزعزاع تحركت كأنها زهرة تلعب بها الرياح كما تلعب بغيرها . وهذا يفهم من قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - وقوله في هذه السورة - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - ولقد تقدمت قريبا في هذه السورة مجاء في العلم الحديث أن ألوان الحيوان إنما جاءت لحمايته ولبقاء حياته

### ( الهجينة الثامنة . الحباب )

وتعريف الحباب أنه ذباب يطير في الليل له شعاع في ذنبه كالسراج وهذا النوع في العلم الحديث ظهر منه أنواع كثيرة تشترك كلها في الاضائة بأشعة تنبع من بؤرة في ذنبه وليس لها مظهر إلا بالليل كالنجم والنجوم . وقال العلامة (شوزر) ان للذكر منها يؤرئين واحدة منها وراء الأخرى وكل منهما مركبة من (طبقتين) عليا يشع منها النور وسفلى يطلق انها تعكس الى ماحول الحشرة ويقال ان الأني لافضى وقد وجدت الأني في إيطاليا كذكر في الاضائة . وأعظم الحباب ما وجدت في جزائر الهند الغربية بأمر دكا الوسطى يسمونها (ذبابة المصباح) لأنها تنير كالصباح وأهل تلك الجزائر في كوبا وجليكيكوسان دومينيكو يستخدمونها كالصباح والسياح يستخدمون هذه الحشرة لاضائة السبل فيعلقون واحدة أو اثنتين في أذنهم فتضيء الطريق أمامهم وهي كما تكون هدى للسافرين جعلها النساء زينة لهن وجلا في كوبا يفرسها في شعورهن بين الضفائر بدل الحل من ألماس وعقيق وذهب . وهذه تكسب نساء (كوبا) جمالا وبهجة وحسنا يفوق الجواهر للمدينة والأحجار الثمينة

وأهل تلك البلاد ينتفعون بهذه الحشرة في الاستضاءة ليلا للخياطة فلورأيت ثم رأيت جماعة من هؤلاء وقد علقوا قنديلا في سقف البيت بينهم وليس فيه إلا تلك الحباب والضوء مشور عليهم وهم يحيطون بهم فرسوخن بلا كهرباء ولا نار ولكن بالحباب السارة للناظرين . وهذا من سر قوله تعالى - لئن لم نره في السموات والأرض -

### ( الهجينة التاسعة . صاحب السفينة )

إن في الحيوان لهبا وأي عجب . فيينا تراه ذا فقرات كالإنسان وذوات الأربع والسماك والطير وأكثر الحيوانات والزحافات ترى منه ما ليس له فقرات ولا عظم له البتة . وهذه الحيوانات تسمى بالحيوانات الرخوة . فانظر كيف كان العمود الفقري والعظام عليها مدار القوة والحركة . فأما هنا فقد انعكس الوضع وأعطى بدلا من الهيكل العظمي كساء خارجيا متصل به الضلالت للحركات المتعاقبة وهذا الكساء الخارجى الذى قام مقام العمود الفقري والعظام إما أن يكون جليدا ولما أن يكون كالنضروف ولما أن يكون كالعظام وهو عبارة عن كساء كلسى ولما أن يكون أصلب من العظم وهو الصدف وهذه الحيوانات تسمى ذوات الأصدف ومن أنواعها (١) القواقع التى منه الخلدون المعروف في البحار . ومنه الأبواق الكبيرة الهائلة . وهذا الكساء إما مستدير كالصحن وهو طبقة أو طبقتان مثل (أم الخلدون) و (الكندوفلى) و (البطلينوس) وقد يكون هرمي الشكل كالأبواق وقد يكون حلزونيا وقد يكون مستطيلا كالأنيوب ولذى يهنا في هذا المقام أن نذكر هذا الحيوان الذى نحن بصدده فانه من الحيوانات ذوات الصدف والصدف هنا في هذا الحيوان كالسفينة يستخدمها كما نستخدمها نحن . انه يعوم بها فوق الماء في بحر الهند خصوصا بجوار (جزيرة ملقا) وقد أعطى ثمانية أصابع منها اثنان يجهلها كشرام السفينة ينشرهما في الهواء وبهما تدير السفينة كما يريد وهو يحولهما نحو الريح كما يحب . وأما الأصابع الست الباقية فانها

جعلت للمجاديف يرسلها على الجانبين وبها تسير السفينة بقوة التحريك وبسرها الشراعان بقوة الهواء الضاغط عليهما وهما منشوران غشائيان . فاعجب لسفينة حقيقية لم تلتصق بجسم الحيوان لها شراعان غشائيان كأنهما من نسيج القطن أو الكتان والمجاديف تحيط بها والنورق يعيش فيها . ومتى طرأ عليه خطر أو أخطأ بأي مؤذ قبض للمجاديف والشراعين واختفى في الصدفة وغاص في قاع البحر ونجا من الخطر فلهامهم - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون -

### ( الهجبة العاشرة • سمك بطير )

ان من السمك ما يعيش في مياه الولايات المتحدة والبرازيل وفي البحر الأحمر يبلغ نحو سبعمائة ألف جيلة زاهية سبوية فضية وله زعانف بها بطير في الجوف أسرابا مسافات طويلة ثم ينحوض في الماء ويعود فيطير . ومن عجب أن هذه الموهبة الهجبة والنعمة العظيمة وهي تمتص بالهواء في جوف السماء وسعادته بولوج ماء البحر قد قوبلت بما يناسبها من المهالك فهو يكون فريسة السمك الكبير في البحر اذا غطس في الماء ونصيده طيور البحر اذا علا الى الجوف وانظر قوله تعالى - ووضعت الميزان • ألا تظنوا في الميزان - فقد وزنت النعمة بالنعمة ليعتدل العمل ويقوم الأمر بالقسط • فاذا أعطى السمك الطيار نعمتين فقد سلطت عليه نعمتان - وماربك بظلام للعبيد - وانما يضع الموازين القسط

### ( الهجبة الحادية عشرة )

( الحيات التي لاسم لها أكثر من ذوات السم والثعبان الذي لاسم له ولكنه يتلع الانسان ) قرأت في قصة ( روبنسن ) السويسري للترجم بقلم المرحوم صديق صالح بك حدى حاد • قال ان الحيات الساتة تبلغ نحو مائة صنف من الحيات • أما الحيوانات التي ليست بساتة فهي تقرب من أربعة عشر نوع • ثم قال ان الأصناف الساتة تعيش عادة في الأعراش الكثيفة والمستنقعات الدائمة والسم الذي فيها لا يكون إلا من تعاطيا الحشائش الساتة والأشجار الخبيثة والروائح الكريهة في الهواء الفاسد في تلك المستنقعات وكذلك ما ينبعث من الأراضي الرطبة التي لم تزرع فذلك كله يحدث السم في تلك الحيات • ومتى أصلحت الأرض التي تأوى اليها تلك الهوام وزرعت وعمرت بالسكن والقرى اختفت منها تلك الأنواع ومن أهم الحيات التي لاسم لها ( البوا ) وهو عظيم الجثة يختطف الرجل والحمار كما اتفق لروبنسن أن حماره كما في قصته الحياتية اختطفه ذلك الثعبان العظيم وأبتله من قبل رجله حتى اذا انتهى الى رقبته ضربه ( روبنسن ) وأرداه بالبنديقة ففر صريحا

وأقول ان المسافرين الذين يحومون الأفطار التي يسكنها يعرفون طبعه وأنه يقتنص الانسان من جهة رجله فاذا نام الرجل منهم وسع ما بين رجله فاذا جاء ذلك الثعبان وابتلع رجله النائم استيقظ حالا وسل مديته وقطع بها - اقومه فيموت حالا - إن ربك هو القوى العزيز -

### ( الهجبة الثانية عشرة • الصغور الخياط )

مالى أرى أئمة الاسلام قد نامت نومة عميقة • لماذا لا يدري المسافرون العالم التي بها أمر الله • يا عجب كيف يعنى الانجليز في متعهم البريطاني بأنواع العنق الذي يحيطه ذلك الصغور • ليستيقظ عقل الشبان لما في هذا العالم من الجبال وأمة الاسلام نائمة عاكفة على الجهالة في النوم العديم • ان نوعا من الصغور التي أنم عليها بطول ذبولها تحيط أعشاشها خيطة يحار فيها الناس بلا لابة ولا خيط ولا آلة خائفة • فيحمد الصغور الى ورقة شكلها أشبه بالزح وهي في غنصها ثابتة ويأتي الصغور بركة أخرى أمصر منها ويحيطها عليها بقطع من عيبدان دقيقة على نسق عجيب • فاذا فرغ الصغور من الخيطة عمد الى القطن خشا به وذلك كله قيل وضع الأثني قطنع عليه ايضا ومتى قفس عاشت القراخ أيامها الأولى على ذلك القراخ النائم

في بيت معلق في الهواء يتحرك بأخف النسيم

﴿ الهجية الثالثة عشرة • الصفور النساج ﴾

إن من الصافير نوعا يصنع عشه كهية الجراب قد نسجه من قطع القش وأقامه بين الأغصان وهو كروي أو أهليلجي أو مخروطي وله فتحة يدخل منها الصفور إلى أفراخه وفي الجدار من دقة الصنع وحسن الصورة العملية ما يدهش أولى الأبواب

﴿ الهجية الرابعة عشرة ﴾

( الصفور الذي يبني بيته ويصنع له بابا يقفله عند الحاجة فهو أرقى من بعض التوشحين والصفور الذي يحبس زوجته )

إن هذا الصفور يبني عشه في أواسط أفريقيا فيفتح باب عشه ويقفله متى أراد • وقد رأى العلماء من الناس من لا يصنعون لمنازلهم أبوابا • وذكر العلامة (جبرون) في كتابه للمسعى (طيور الهند) أن بعض الصافير إذا آن زمن التفريخ استعملت له كما يستعمل الناس زمن الحبل فترى النساء يحضرن الفائف قبل الوضع وترى اللبن يتقاطر إلى ندى للمرأة شيئا فشيئا • فهذا النوع إذ ذاك يحبس ذكره أثناء في عشها ويقفل عليها بابا من الطين وفيه ثقب لا يسع إلا متقارها لتلقط به الطعام وليدخل منه الهواء • أما الأنثى فانها لاتأكل إلا ما يحضره لها الذكر فتلقطه بمقارها والصفافير في هذا أشبه ببعض الناس إذ يتجنبون للمرأة أيام تناسها وهذه الأنثى لاتزال محبوسة حتى يتم الأفراخ وبعد ذلك يتعاون الزوجان على كسر ذلك السجن

﴿ الهجية الخامسة عشر • الصفور الذي يصنع عشا كالجيب ﴾

ذكر العلماء ومنهم الرحلة (سوزرات) الرحلة الشهير طيرا يجعل عشه كالقنينة الكبيرة أو كالجرة ويتخذ له مكانا في داخله عند مدخله ليكون حارسا لها وحافظا لأولادها وذلك لأن الأنثى إذا آن زمن وضع البيض اختفت في عشها لاتخرج منه حتى يتم التفريخ • فياحبها نوعان من الصافير اتفاقا أن أنثى كل منهما تبقى محصورة بطبعها جاثمة على بيضها وأحد الذكرين يحمى بها بأن يسد عليها الطين والآخر يحمى بها بأن يحرسها في باب عشها حتى لا يغابها خطر • وهذان النوعان من الصافير أشبه أولهما الناس حين يتخذون الحصون رداً يتقون بها الخطرات • والثاني أشبه الناس حين يفتحون حصونهم ويوقفون جنودهم وهم شاكوا السلاح ومن العجيب أن النوع الثاني الذي نحن بصدده الكلام عليه إذا أراد الزوجان سياحة أو خروبا لغرض ضرب الذكر بجناحيه باب العش فينطبق على مافيه من الفراخ حتى يرجعا وهما آمانان على الأفراخ فانظر كيف قام الصنف الثاني بالطريقتين • فأحدهما حين وجود أنثاه • والثانيتهما عند خروجهما من المكان فيجعل العش حسنا للزينة حتى يرجعا إلى المكان

﴿ الهجية للمحققة الخامسة عشرة كيف تعيش جماعات هذا النوع من الصافير ﴾

إن جماعات هذه الصافير تعيش أسرابا وتكون أعشاشها مدينة عامرة حول جنح شجرة ضخمة وقد يجتمع حول ذلك الجذع نحو (٣٠٠) عش صغير • وقد قل بعض العلماء عشا من هذه من أفريقيا وقد جعلها بضعة رجال وقتل في مركبة خاصة في سكة الحديد • ومن نظر إليها من بعد خلها سقوا معلقة بمجنوع الشجر والصفافير تلعب فوقها

﴿ الطليعة السادسة عشر • العنقاء ﴾

هل العنقاء موجودة • كلا • هذا هو الرأي المعروف في العالم الانساني ولكن الذي ظهر وتحقق الآن أن العالم الأرضي كان فيه حيوانات كبيرة من سائر الأنواع ثم اقرضت عنها (الموت) وهو القيل العظيم الجنة لم يبق إلا آثاره • وقد عثر الاستاذ (اوين) في زيلانده الجديدة على عظام من طيور وتقلها إلى كلية الجراحة في لندن فوجدوا فيها هيكل عظم لطيور كبير ارتفاعه عشرة أمتار وأدق عظامه وأصغرها لا ينقص عن غلد الانسان القوي وهذا الحيوان يسمى (الدينورينس) وقد اقرض من أجل غير بعيد وسكان زيلاندا

يتناقلون خبره فيما بينهم . فأى مانع يمنع أن تكون العنقاء قد اقترضت من بلاد العرب وبقى الناس يتناقلون أخبارها وأصبحت خرافة وليس ينقص تحقيقها إلا العثور على بقايا عظامها كما عثر على طير زيلاندا وبالييت شرى أى عظمة للعنقاء وأى غرابة فيها بسد مائتين أن هناك طيوراً هائلة بقيت آثارها الآن وهي أعظم من العنقاء . وأن هناك في متحف باريس بيضة لطيور منقرض يسمى (ايورنيس) كان في مدائن سكر وحجم هذه البيضة يزيد على ستة أضعاف بيضة النعام الكبرى وهي تساوى (١٢٠٠٠) بيضة من بيض الطيور الصغيرة وتغذية قشرتها تساوى مليمترين بحيث لا تكسر إلا بالمطرقة ففى ذلك تكون قوة ملسر فرخ هذا الطائر عند خروجه من البيضة كقوة المطرقة حتى يتيسر له الخروج من البيضة بمنقاره

فاذا سمعنا القزوينى يقول العنقاء أعظم الطير جسداً وأكبرها خلقه تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الغار لم يكن في ذلك بعداً لأنه مبالغ فيه ويكون ذلك حيواناً اقترض أشبه بما ظهر اليوم في العالم كما قسم . ويقول علماء طبقات الأرض إنها كانت في غابر الدهور أوفر حرارة وأقوى حيوانات وكان نباتها وحيوانها أعظم جداً من النبات والحيوان اليوم . وكلما مرت عليها دهور صرفت حيواناتها . ويقول علماء الأرواح أن الأرضين التي حول الشمس مثل أرضنا تكون الأجسام فيها أعظم في أول أمرها . فاذا جاء دور انحلالها أخذت الخواص التي فيها تصغر أجسامها ولكن عقول العقلاء فيها تقترب من عالم الأرواح وتكون أكثر صفاء وأجل أخلاقاً وأحسن علماً - والله يعلم وأتمم لاتعلمون -

#### ( الهبة السابعة عشر . الحرباء )

هذا الحيوان ودع جبان يعيش في الأقاليم الحارة مثل أفريقيا وإسبانيا وأمريكا وهو من رتبة الورل رأسه كبير بالنظر إلى جسمه وظهره فؤاسنان وذنبه ولسانه طويلان وطول لسانه يساوى طول بدنه . وفي هذا الحيوان ( ثلاث عجائب ) أصلية لسانه . وتغير ألوانه . وطول أذنيه وصبره . أما لسانه فهو عدة حربه يقوم مقام المدافع والأساطيل والجيش لفتح المدن لقصد تحصيل الغذاء . لعمرى لم يحارب الناس ولم يجمعوا الجيوش إلا لصدة عمدة أوجز مخم . وكل ذلك لقصد الحياة . فهذا الحيوان إذا جمل على غصن يوقع في وهك أنه مات . ذلك لأنه يبقى زناً طويلاً لاحتكاكه به وليس له رائد إلا عيناه يلقبهما ليراق حشرة طائرة ومتى مرت به فإهو إلا كلعج البصر حتى يختطفها به ويبتلعها ويتغذى بها وذلك أن لسان هذا الحيوان مكسوف في آخره بمادة لزجة متى لامست حشرة انصفت بها بسبب تلك المادة . ولهذا الحيوان أربع أرجل لكل رجل خمس أصابع وهذه الأصابع حزمات متقابلتان . وبهذه الأرجل وأصابعها تثبت بالأغصان وإذا اتقل فاعلم يكون ذلك ببطء وحذر فلسانه وصبره هما عدته لاجتلاب الغذاء . أما عدته لمنع الأعداء فهو تغير ألوانه . إن لون هذا الحيوان يتغير تبعاً لما يحيط به وقد قالوا إنه يغير لونه كيفما أراد في أى وقت شاء وذلك ليشاكل ما يحيط به من الخواص فان كان بجانب شجرة صار أخضر مشاكلاً لها . ذلك ليكون بأمن من مفاجأة العدو للغير فلولاً للون وتغييره لأصبح فريسة الحيوانات القانصة ولكن ذلك مفزعاً للحشرات فلا تقرب منه . وهذا الحيوان إذا أخذه الإنسان باليد صار أبرش وأكملونه وظهر في جسمه بقع سود وحر وما بينهما وإذا غضب اشتكت سمته حتى يصير أسود اللون . وقد تتأذى في الحزم بالحرباء ومن أمثالهم أيضاً ( أصرد من عين الحرباء ) أى أبرد يضرب لمن أصابه برد شديد لأن العرب تعتقد أن عين الحرباء تدور مع الشمس ويستقبلها بعينه ليستدق بها . ولذلك شبه ابن الرومي الرقيب بالحرباء . قال

مابلها حلت وإن رقيبها • أبداً قبيح قبح الرقيب

مذاك إلا أنها شمس الضحى • أبداً يكون رقيبها الحرباء

فانظر كيف كان الصبر والإناة وسكون الحركات سبباً لاقتراب الحشرات منه . وكيف طال لسانه حتى

يخطفها • وكيف انتهى بمادة لزجة فالتصقت بها الحشرات • وكيف تفان في ألوانه ليشاكل ماحوله دفعا للعلات وطلباً للحيوات فأقرأ - وما كنا عن الخلق غافلين - وأقرأ - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وأقرأ - سبح اسم ربك الأعلى • الذى خلق فسوى • والذى قتر فهدى - فهذه هي الهداية وهذا هو قوله تعالى - وبما ننزل فى الأرض إلا على الله رزقها - فأقرأ القرآن فى هذه الهبات ولا تسكن من الغافلين النائمين

### ﴿ الهيبة الثامنة عشر • من أهم سلاح بعض الحيوان الجلود المثينة ﴾

إن لكل حيوان سلاحاً فالفيلة بالخرطوم والانسان بالعقل والسلاح المشهور والوحوش بالأنياب والسباع بالبرائن والفيان ونحوها بالعدو والطير بالتحليق فى الجو والثور بالقرن وما أشبه ذلك • وهناك حيوانات لا سلاح لها إلا جلودها كالتمساح انه لا يغترق جسمه الرصاص وكذا السلحفاة فإذا مشى ترى عليها قبة قوية مثينة فإذا خافت مما يؤذيها انكمشت وأخت رأسها وأرجلها فى ذلك الحصن الحصين • ومن هذا النوع السرطان والقنافذ وغيرها

### ﴿ الهيبة التاسعة عشر شريعة الغرابان ﴾

وقد تقدمت فى هذه السورة فلانميدها

### ﴿ الهيبة العشرون • الفرس الحاسب للمتم ﴾

كان قديما العلماء يقولون إن الحيوان يتقابل مع الانسان فى أوصاف شتى فى الميكل الظاهرى كالفرد وفى الذكاء كالفيل وفى الأدب كالفرس وفى التطق كالبيضاء وفى حمل الأقال كالجمال • فكل حيوان من هذه اقرب من الانسان بمصلحة ولم يقدر حيوان ما أن يشارك الانسان فى سائر أحواله • ولقد كان الفريجة فى أول نهضتهم يظنون أن الفرد وحده قد اختص بالقرب من الانسان • ولكن لما استمروا يجهلون فى العلم الحقوا به الفرس والكلب والحر والفيل • ولقد كان العالم الألماني المسمى (هرفون أوستين) يقم فى شتال برلين متفرغاً لفرس طبائع الحيوان مدة (١٤) سنة ووجه عنايته الى فرس عنده وعلمه فنجح غير نجاح وقد سعى هذا الحصان (حنا النبيه) ولقد علمه على أحدث طريق تعليمى مدرسى بالطباشير والألواح السوداء والخز وبلاوائح العطرية والألوان وعلمه الحساب بالأرقام فعلمه الجمع والطرح والضرب والقسمة والكمسور العشرية وغير ذلك • ولما شاع أمر هذا الفرس شكلت لجنة من علماء الحيوان فاستحنوه فأقرّ العالم (هرشيلنس) أشهر علماء الحيوان فى (برلين) أن هذا الحصان يقرأ الخط ويعرف الأعداد والنقود وكل الساعة دقائق وساعات وأجوبته على مسائل الحساب بالضرب على الأرض بحافره • وإذا أراد تأكيده الجواب ضرب الأرض بحافره الأيسر ورفض رفساً عديداً • ولما غالط أستاذة إذ قال له اثنين واثنين عبارة عن خمسة ضرب بحافره الأرض أربع مرات ومع كل منها ضربة بحافره الأيسر • وسأله فى عملية حسيية طويلة فأجاب ولم يخطئ • وملؤا قفة خوقاً بألوان مختلفة وسأله عن كل واحدة بألوانها فكان يجيب ولا يخطئ وسأله كم عدد الذين يتقلدون النظارات • وعن السيدة التى على رأسها قبة خضراء فأجاب ولم يخطئ • واللجنة لما رأت هذه النباهة أخرجت الأساتذة الذين سأله وابتدأ غيرهم فى السؤال فتقدم أحدهم له رايلاً وقال متى الساعة فم يجيبه • وقال بعضهم نظف مطلق بخرقة وأما أزيد فى حلفك فالتفت بيما وشمالاً حتى وقع نظره على خوقة أمام الأستاذ (شيلنس) فالتقطها بفيه وأسرع الى الاصطبل وأخذ يمسح مطنه بتلك الخرقه - حتى نظف تماماً ثم أعاد الخرقه • ولقد أتوا له بثلاثة أسلاك فى واحد أربع كرات وفى الثانية ست وفى الثالث ثلاث كرات وعلقوها بين يديه وطلبوا منه جمعها ف ضرب الأرض بحافره ١٣ ضربة • وهو يعرف الحروف بالأعداد فلكل حرف عنده عدد • وأتوا له بصحيفة عليها رقم خمسة وسأله كم واحدة من

هذه تساوى عشرين فحضر برجله الأرض أربع مرات وقد ميز أعلامهم بين الذهب والفضة والنحاس وجعل للذهب ضربة وللفضة ضربتين . وأروه ساعة وكان الوقت ١١ ونصفا فحضر أولا ١١ ضربة وصعد قليلا ثم ضرب ثلاثين ضربة . وقال العلماء ان نبأه هذا القرس تقابل نبأه الانسان وعمره ١٣ سنة وكان يوم امتحانه مشهودا حضره الأطباء والعلماء وأعضاء الأكاديميات العلمية وكثير من الأمراء والأشراف وكان أمرا عظيما . ولما عرف ذلك واشتهر طلب أحد الأمريكان أن يشتريه بمبلغ (٥٧٠٠) جنيه فلم يقبل صاحبه وقال أنا لا أبيع به بأى ثمن لأنى لا أطيق فراقه . ووقع العلماء والفضلاء ورجال الأكاديميات على الشهادة بما شاهدوه من هذا التلميذ النبى

ولقد أجمعت جرائد برلين أن «حنا النبى» يمثل أعظم حادث يتعلق بعلم النفس فى المملكة الحيوانية هذه هى العجائب العشر التى وعدتكم بها تذكرة لقوله تعالى - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها - فبمثل هذا يدرس القرآن . وبمثل هذا فليترقى المسلمون . وبمثل هذا يكون مصداق قوله تعالى - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون - . بمثل هذا يا أئمة الاسلام ترقون وعلى ذلك فلتعملوا هو خير مما تقرأون من العلوم القشرية . فإياكم أن تحفوا على القشور فاخترقوها واطلبوا الألباب . هذه هى الخزانة الالهية فى الآيات القرآنية . انما مثل سورة هود كمثل قصر مشيد فيه حجرات فاخرة فى كل حجرة ماغلا من الابواب وماجل من المتاع وفى داخل تلك الابواب الجبلية جواهر بقيمة كل جوهرة منها فى حجرة وتلك الجواهر هى عجائب الحيوان كما نمت عند ما نزلت تلك فجرة الجوز فن اكتفى بالابواب غابت عنه الجواهر فلم ينلها وخرج صفر الدين منها . إن القرآن يقرؤه الناس ويكتفون بظواهر القصص وهم عن الجواهر معروضون . انما هذه القصص بحر فيه أنواع المخاوف ولكن أجعلها وأغلاها وأضوأها وأبهرها الجواهر المكنون فى مسدها فهذه الجواهر فى القرآن

لقد ضل قوم انصرفوا عن الجواهر الى الأصداف فقال الله فيهم - يضل به كثيرا - واهتدى قوم الى الجواهر فقال الله فيهم - ويهدى به كثيرا -

إن الكثير من المهتمين سيكونون من الآن الى مستقبل الأزمان . إن المسلمين سيقوم فيهم جيل جديد يتبعه أجيال وسيكون هذا التفسير وما ماته فى أم الاسلام من أنجح الوسائل لترقية المسلمين . إني بذلك موفق ولولا إيقاني به ما كتبت حرفا ولا أضمت وقتا . ومتى أراد الله أمرا حيا أسبابه

وقبل ختام التفسير فى هذه السورة أذكر «حادثين» الأول) انى قرأت فى الجرائد هذين اليومين أن الأب (موفيه) الفلكي الشهير ومدير مرصد بورت صرح بنبوءة أحدثت جزءا . ذلك أنه تنبأ بوقوع حرب كبرى سنة ١٩١٨ أو أزمة خطيرة فى العالم وقال إن الأمم تتأثر بنشاط الأفلاك فى حركاتها ومواقع الشمس والنجوم وكذلك الأفراد . وقد حذر الأب (موفيه) للذكور حينما كان فى بروكسل سنة ١٩١٠ حكومات أوروبا من مصاب هائل يوشك أن يعصف بالعالم ما بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٨ وها هو ذا الآن بحذر العالم من جديد . ويقول ان الاضطراب فى مواقع الشمس يؤثر فى الجهاز العصبي الانسانى كما يؤثر فيه الاقليم وهذه المقالة كتبت فى جرائدنا يوم ١٢ أكتوبر سنة ١٩٢٤ وانما كتبتهما لمناسبتها لما نحن فيه . ألا ترى أن هذا العالم فى نظر الحكماء بكسهم واحد وحيوان واحد وانسان واحد - ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة - والا فبأنه أى فرق بين تأثير الزنبور فى البودة كما قد تمنا وتأثير الشمس فى الأمم والأفراد . إن العالم كشخص واحد فالسكواكب والأقمار والنجوم لها ارتباط بكل حيوان وكل انسان تلك هى الوحدة العاتقة فى العالم والمحرك لها نظام واحد لا يغفل - وماتل الزنايزر للبود ولا تفتك الأسا دبالفرلان والذئاب بالجلان إلا حركات متصلة بالبدن الأعلى فظاهاها اختلال وبلطنها حساب ونظام



### ﴿ أعمال تطابق غرائز الحيوان وديانات الانسان ﴾

ومن هذا المقام أن ذلك المبدأ الأعلى أوحى الى أمثال تلك الزناوير قتال لها متى اقترب زمان بيضها أن اقتضى الشباب واصطادى العنكبوت وأجذبيها وأمثالهما الى منزلك للنظم وأزلى عليهما مذهبك من الملائة الساقطة وأتركهما ثم يبيض عليهما فإذا فعلت ذلك باضت وتركت بيضها لتفنى دودها الذى سيخرج من البيض مما تحته من هذا الصيد . إن هذه الحادثة التى قمنا ذكرها وما مثاتها فيها ذكرناه ترينا نظاما واحدا فكل حيوان نظام تام يعيش به وليعد العدة لأولاده . باض الطير فألم أن يجم على بيضه أيا ولم يعلم أن يجتذب حشرات لأولاده لأن مافى البيضة من الغذاء كاف . حلت البقرة والشاة والمرأة ولم يحتجن قط الى ما احتاج اليه السجاجة من حضنها بيضا ولا حشرة الزنبور من احضار الصيد لأولادها ذلك لأن اللبن عندها قائم مقام ما ذكرناه . يا أيها الناس . يا أيها الأذكىاء . انظروا كيف تم هذا النظام . كيف ألم كل حيوان قبل وجود آبائنا بما قصرت فيه الطبيعة فأحضره لتربيته المقبلة . انظروا لهذا النظام . انظروا كيف كان الألهام مطابقا للاحتياج ولا يلهم الحيوان إلا حاجته ويمنع عنه ما ليس اليه حاجة . نطق على الانسان ونظر فنجده من أول التاريخ الى الآن لا يزال يحذى في العبادة وينصب التماثيل تارة ويوجد تارة أخرى وترسل له الأنبياء فيقولون أيها الناس هناك عالم آخر فاستمعوا له فتراهم يعبدون ويوحنون ومهما سافرت في البلاد واخترت الطرقات وجبت للدين لم تجد إلا ما ذن شائعة ومساجد مشيدة وكنائس مبنية ويعا منسوبة وآيات مكتوبة وأذكارا مقروءة ودعوات مطلوبة وأروادا متلوة ودروسا مفهومة وعلاوما مرموية وأحاديث مرفوعة وكتابات مقسمة مسموعة وأواقيس مدقوقة ومؤذنين يؤذنون وقراء يترلون وصواميا يجمعون وقواما بالليل يصلون . أليس ذلك من الاستعداد للعالم الذى ينصل اليه بالوحى والألهام كما استعنت الطيور في أعشاشها والحشرات في أماكنها للتربية المستقبلية . وإذا كان الجراد لا يضع بيضه إلا على بعد مخصوص في مكان مخصوص ثم يتركه ويموت ويكون هذا الوضع وفق المطلوب وبه يعيش الجيل الجديد فكيف لا يكون الانسان وأنبيأؤه قد استعدوا للمستقبل كما استعد أقل الحشرات وسائر الأمتها مستقبل الأبناء والبنات

إن صفار العقول من بنى الانسان قد استهزؤا بشيانات وقدموها لنظام الأرض والسماوات ونظام النكران والإناث من أنواع الحيوان وغفلوا عن قوله تعالى - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها - ثم هو لا يلهمها إلا على مقدار احتياجها فألم الانسان ميعاده كما ألم الحيوان ما يرى أولاده هذا هو المعنى من هذه الآية . وهذا هو الذى قصده الأنبياء إذ استدلوا بهذه على الله وعلى الميعاد وتمت السورة بقوله تعالى - وفيه غيب السماوات والأرض الخ - فهل يصق الحيوان ويضلع الأنبياء والانسان وهما في النظام سريان وفي الخلق صنوان وهل يصق للفضول والفاضل في بهتان إن العدل يشكر ذلك وللبزاة (الحادثة الثانية) أن سيدة من أشرف السيدات طلعت على ما كتبت هنا في أمر الحجاب فدهشت وقالت يا عجبا إذا كانت الحجاب هكذا تضيء على الناس فكيف يكون نور الله فكثرت في قضى وقلت ان الحجاب المضيئة من العالم الأرضى والأرض مشتقة من الشمس وهذه الحشرة أضادت أنها الكبرى وهى الشمس ونسبة ضوء الحجاب الى ضوء الشمس كنسبة الحجاب قسها الى الشمس . إن عقولنا لها نور معنوى فنورها مستمد من نور معنوى أوسع ونسبة ادراك عقولنا الى ذلك العقل العالى المستمد من الله للمدبر للعالم كنسبة ضوء الحجاب الى ضوء الشمس . هاتان الصكاحتان ختمت بهما تفسير هذه السورة والمجد لله رب العالمين

( ثم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السادس من كتاب (الجواهر) في تفسير القرآن الكريم  
وبيله الجزء السابع وأوله تفسير سورة يوسف عليه السلام )

( الخطأ والصواب )

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	٤	رأبك	رأبك
٨	٣	الأول بالانجليزية والثاني بالفرنسية	الأول بالفرنسية والثاني بالانجليزية
٩	٩	لصفا النفوس وللرودة	لصفاء النفوس وللرودة
٩	١	كان	كانت
٩	١	يؤدى	تؤدى
٩	١٣	يعلم	علم
١٥	١٣	نعم	وانما
٣٤	١٤	لوكان	توكان
٣٦	٨	(شكل ٨)	(شكل ٩)
٣٦	٩	(شكل ٩)	(شكل ١٠)
٥٤	١٧	المية	المية
٦٣	١٧	العلم	العلم
٦٩	١٣	للمسول	للمسول
٧١	٧	الانكارى	انكارى
٧٩	١٣	فيكون	يكون
٩٤	٣١	وكرهوا	وكرهوا
١٠٠	٥	الحرايه	الحرايه
١٠٠	٣٥	وبالقرآن بحصر الفكر	بحصر الفكر وبالقرآن
١١٤	٢١	للقرون	العروق
١١٦	١٠	يُمر	يُنْبِه
١١٨	١٣	فيا تقيم	راضين
١١٩	٢٥	راضون	راضين
١٢١	١٣	بنسب	نسب
١٢٣	٣٥	كما	كما
١٢٥	١٨	آلية	الآلة
١٢٩	١٦	العماد	العمى
١٦٦	٤	فوقع	موقع
١٦٩	٣٦	واظفروا	واظفروا
١٧١	١١	الحاجة	معلوم
١٧٤	٣	الحاجة	الحاجة في هذه
١٨٠	١٦	ان	انا
١٨٤	٣٤	جبلتها	جبلتها

## ﴿ فهرست الجزء السادس من كتاب (الجواهر) في تفسير القرآن الكريم ﴾

صفحة

- ٢ قسم سورة يونس الى ﴿ ستة أقسام ﴾ وتحديد كل قسم منها وبيان مقصوده اجمالاً
- ٣ ﴿ القسم الأول ﴾ من أول السورة الى قوله - أن الحمد لله رب العالمين - مكتوباً مشكلاً • ثم بيان اتصال أول هذه السورة بآخر ما قبلها
- ٤ تفسير (الر) وبيان بعض سر هذه الحروف وتفسير ألفاظ هذا القسم
- ٥ تفسير بعض الألفاظ وبيان قوله تعالى - في ستة أيام -
- ٦ بيان أن خلق السموات والأرض في ستة أيام كان معروفاً وذلك جاء صلة للوصول • وذكر ما جاء في الاصحاح الأول من سفر التكوين في التوراة وبيان قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - العرش إما البناء وإما الملك والعرش مقرون بالتدبير • وتبين أن ما غلب فيه يبقى وذلك كالماء الذي جاء أنه استوى عليه العرش مع أنه قد يفرق الناسك والمرأة المجوز إذ أن الملك مبنى على علم والصلم به يصطفي ما غلب فيه • جال في الشراق شمس المعارف من قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - • وشرح شجرة (الكاونشوك) الأسيتيك وأن السائل اللبني المستخرج منها يحفظ الأسلاك البرقية في البحر ومنه إطار الهلات والمربات والسيارات وقلل الماء الدافئ والوسائد ذات الهواء والأنابيب لاطفاء الحريق وللعاطف المانة للطرولسقي الحدائق وهذه المادة مع الكبريت تكون مساطر ومقايض الخ
- ٩ رسم شجرة (الأسيتيك) بالتصوير الشمسي وبيان تدبير الله فيها الذي جاء في قوله - يدبر الأمر - فانه خلق منفعتها في حفظ الأسلاك في البحر قبل أن تظهر الكهرباء ولائى يستمد هذه الشجرة في حفظ كهرباء الأسلاك البرقية والله خلقها في أقطار بعيدة وعرف الناس بها وأخرجهم إليها لخالوها بمشقة وعمل ليرتقوا وينشطوا
- ١٠ آراء نوع الانسان في مثل هذا المقام وانه ﴿ ثلاث درجات ﴾ دنيا كالعاقلة ووسطى وهم أكثر المتعلمين وعليا وهم الحكماء • والقسم الأولان لا نظر لهما في التدبير العام • والنسم الثالث هم قواد الأمم وهم الأفلون كقلة هذه الشجرة ولكن علمهم يم كما تمت منافعتها وقل وجودها • وبهذا المثال ظهر أن العالم بكسب انسان واحد أو حيوان واحد كبيره مرتبط بصغيره ارتباط العين بأصبع الرجل مثلا
- بيان تفصيل الآيات • وبيان آراء علماء القرن التاسع عشر وآراء القرن العشرين والآخرين هم الناظرون في التدبير العام كنص الآية مثل (ويسان) و (سبنسر) و (كاميل فلامبيون) و (فون باير) و (جينو) وغيرهم وأن آراءهم ترجع الى قوله تعالى - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - وإن كانوا هم لا يعلمون ذلك
- ١٢ الأرض كأم تربي أولادها إذ يخلق للأُم التليان قبل خلق الولد وهكذا خلقت هذه الشجرة قبل ظهور الكهرباء ومثل ذلك لإلهام الحشرات وناظر الحيوانات التي استدل بها علماء القرن العشرين على وجود مدبر للوجود • وبيان أن هذا التفسير ظهر قبيل ظهور فائدة من الأمم الاسلامية كما ظهرت الشجرة للتقدمة قبل ظهور الكهرباء فهذا التفسير من دلائل النهضة القرية في بلاد الشرق
- فريدة في التدبير العام • وبيان أن القوى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ قوى الفرائز الحيوانية وقوة العقل والقوة القدسية والعقل فوق الفريزة وهو ينظر في الذي جاء به الوحي والإلهام في كل أمت بحسب طبايعها

- ١٤ الكلام على تدبير الملائكة فكما كان الأعلى في القوى فيسد الأدنى كالقطر بالنسبة للفرجة وكوحى الانبياء بالنسبة للعقول هكذا في الملائكة بعد الاكبر منها الاصفر كالشمس بالنسبة للأرض تطبقها الضوء الخ
- ١٥ لاسمط في الوجود . ان ما يزيد من الانهر أيلم الفيضان يكون في البحار العظيمة طبقات في القاع لتكون أرضا يابسة في المستقبل وجبالا كفضة الرجل والمرأة يتكون منهما ذرية تبقى كما كانت الجبال من فيضان الانهار . لزيادة الناس على الكرة الأرضية . ويبان أن الناس قريبا ستحاسب كل أمة غيرها على ما عملت من منافع مولاتها وعقولها وتبين أن ملابس صبي واحد قد أخذت أجزؤها من كل دولة من الدول . واجب المسلمين الذين ألف لهم هذا الكتاب أن يفكروا في تدبير الأمر في الآية والأمة قد أحلت بهم فليدرسوا هذه الدنيا كالآدم وهذا التفسير مقدمة لهذه النهضة
- بيان - وقرره منازل - وأن القرامل الشهور والاسابيع . ويبان آراء الأمم في اليوم ومبدئه كالفرس واليهود وأهل إيطاليا وأمة العرب وفرنسا وأن أسماء الأيالم في الاسبوع مشتقات من أسماء الكواكب السيارة مثل (الثلاثاء) من مارس أى للمريخ الخ
- ١٧ بيان السنة عند الفرس والمصريين والشهور مثل توت وبابه الخ . والسنة عند الصليبيين والعرب واليهود وقسماء الرومان والكلام على الشهور عند الفريجة . ويبان أن الاصل في هذا كله سير القمر الذي اضطر الرومان إلى الرجوع إلى (١٢) شهرا كبقية الأمم والذي تظن لهذا (يوليوس قيصر) الذي سمي باسمه الشهر المعلوم وهذا سر قوله تعالى - وقرره منازل لتعلموا الخ -
- ١٨ السنة الشمسية الكيسية والبسيطة وشرح قاعدتها والتمثيل بسنة ١٩٢٤ وهي سنة تفسير هذا المجلد وحسابها بالحق . والكلام على تعديل (جريجوري ليبيوس) العلياني وكيف قبلت الأمم هذا التمهيد . لا ثلاث أم . ويبان أدوار السنين الكيسية والبسيطة في الحساب العربي وهي ٢١٠ سنة من ضرب ٧ في ٣٠ سنة أى ان الدور الكبير سبعة أدوار صغيرة
- ١٩ بهجة العلم في هذه الآيات . تقدير المنازل جعل الناس آمنين على (أمرين) حساب الفرجات الأرضية وحساب الميزان والكيل والمساحة . فالأول جاء من فكرة كروية الأرض التي أول من فكر فيها (أراتوستانس) سنة ٢٧٦ ق م إذ قال ما بين مدينة اسوان والاسكندرية وبهذا عرف كروية الأرض وأن المسافة بين اسوان واسكندرية جزء من خمسين من محيط الكرة الأرضية . ذلك بسبب الصعود الذي نصبه عند الاسكندرية وقاس ظله الخ
- ٢٠ ويل هذا فصل في الكلام على الخلاف بين الأوائل والآخر في الافلاك ومسألة الدوران وهل الشمس هي الدائرة أم هي الأرض من كتابي (جواهر العلوم)
- ٢١ فيثاغورس كان يعلم تلاميذه في مدرسة (كروتونيا) بإيطاليا على طريقة حركة الأرض حول الشمس سنة ٥٠٠ ق م وأن الأرض والسيارات كلها تجري حولها وأن الطبقات سبع وهي الأقدار الستة ثم السابعة التي لا تراها الخ فهذه سبع سموات الخ
- ٢٢ وجد بطليموس سنة ١٤٠ ق م فمكس الوضع وحكم بدوران الشمس وظهر ذلك على يد الفارابي وابن سينا حوالي القرن الرابع الهجري إذ يقولون أن الأرض ساكنة والشمس دائرة هي والكواكب حولها وهناك حركتان إحداها قسرية والاخرى اختيارية لنفس الكوكب الخ فهذا المذهب كان ضربة القسيمة الاسلامية وفيه أخذ ورد . وظهر (كوبرنيكوس) ببلاد لهستان من سنة ٥٠٠ إلى سنة ١٥٣٠ ميلادية وهي سنة ٩٣٧ هجرية ورجع إلى رأى فيثاغورث وقد سبقه في ذلك عند المسلمين

عبد الرحمن بن أحمد التوفى سنة ٧٥٩ هجرية وشارحه السيد الشريف للتوفى سنة ٨١٦ هجرية

لهمما قالا بديوان الأرض لا الشمس وقد سبقا (كورنيكوس) بأكثر من قرن

٢٣ بيان الآلة العلمية على دوران الأرض من مسألة وضع الزيت في الكؤول ومن ذنبه البندول ومن تفسير ظل الأرض ومن أن الجسم الأكبر لا يدور حول الأصغر ومن التشابه للكواكب في دوراتها حول نفسها

٢٤ أن علماء الاسلام قد كرهوا المذهب القديم لأن فيه التحس والحد وفيه أنه لا خرق ولا التماس في النتائج وأن الأفلاك لها نفوس وأن بعد الهواء كسرة النار وكل ذلك باطل عند المسلمين إذن للمذهب الجديد هو الموافق للإسلام . الشمس وشفاء الأمراض

٢٥ الاستنفاء بنور الشمس . الحمام الشمسي وذلك بتعرض الجسم للشمس بلا حائل بالتدريج بحيث يرفع ملابسه عن يديه وساعديه وقميصه وساقيه خمس دقائق وفي اليوم الثاني عن أطرافه العليا والسفلى خمس دقائق وفي الثالث يرفع عن البطن الخ وهكذا الى السابع فيعرض الجسم كله ساعة فذلك قوة لجميع الجسم ظاهرا وباطنا . ويان أن هذا الأمر عثم في أوروبا لتقوية الأطفال صورة أوجه القمر (شكل ٢)

٢٦ المقام الثاني وهو بيان أن المساحة والميزان والمكيال في بلادنا المصرية ثابتات لسير الشمس وأن الرطل والأوقية والراقيت والدرهم والقطر والكيكة والملاوة والأردب والقصة والقندان والقرع النيلي والقرع البلدي والمهندسة . كل هذه مبنية على سير الشمس ذلك لأن محيط الهرم الأكبر جزء من مليار من محيط مدار الشمس السنوي . ويان ارتفاعه وخط الارتفاع وخط الهرم ونسبة القرع البلدي اليه وأن الهرم منسوب لربع القرع البلدي للمكعب والأردب ذراع بلدي مكعب والقندان (١٠٠) هندسة في (١٠٠) هندسة الخ

٢٨ والقرع النيلي . من ٦ من الهندسة . هذا فعل قديما المصريين وهو نفسه قول الله - تعلموا عدد السنين والحساب - والكلام على المتر وهو مقياس الفرنسيين وأنه منسوب لمحيط الكرة الأرضية وعلى اليارده عند الانجليز وهي منسوبة لسانق المعدني قدي هو رقص الساعة المجهنوب بالجذب العام

٢٩ من النار على السلم أن يوت وهو لا يعلم أن الكيكة والقرع البلدي الخ لها اتصال بدوران الشمس تذكرا للأمة المصرية والأمة الاسلامية وفيها صورة للذكرة المرساة لجلس الشيوخ والنواب والوزراء في اصلاح التعليم الثانوي وأن الاجتهاد ليس كافيا لاتخاذ القول والعالي للاختصاص والثانوي هو الثاني يحل القول ويعترها وهو في زمن الاحتلال ضعيف فقه العلوم الطبيعية والفلكية . فالطالب يجهل مافوقه ويأمنه وإن لابد من رجوع هذه العلوم التي كانت قبل ٣٥ سنة في بلادنا

٣٥ جوهرة سنية في أن جبال الكواكب قبة من عوالم الجنات هبت في هذه الدنيا والجبال على قسمين جبال يثير الشهوات وهذا عذاب معجل في الدنيا كجبال بستان فلكه بخلافه تكاليف الحياة وهوها وجبال بستان عام فلاحه فيه ولا تكاليف . ومن هذه البساتين المصنعة للجمهور في كل أمة لراحة الناس من مشاق الحياة وهذا الجهاد وهناك بساتين للحكام هي النجوم الجلية التي تظهر ليلا

الكواكب جنات هبت للفكرين ولكن أكثر الناس عنها محجوبون ويان أن الصائفة إذا فرحوا بلزهر فاعلمة بالنجوم بدل الأزهار . ويان أن من الكواكب ملاجسل ضوءه البنا إلا بعد آت ألف سنة وستين ألف سنة وقد يكون الكوكب أضوا من الشمس ثمانية آلاف مرة بل أكثر

من ذلك . ثم ذكر ربيس الجنات التي أعدها الله في هذه الدنيا للعافرين

٣٣ طريق التوبة وهي الجيزة وعدد كواكبها ٢٤٢ ألف ألف شمس . ورسم صورتها (شكل ٣)

وهذه الربيس (ثلاثة أقسام) قنوان يمكن تحليلها . وقنوان يحل بعضها . وقنوان لا تحلل

٣٤ المجموعات الكوكبية . اسم بعض المجموعات الكوكبية التي في الجنوب (شكل ٤) وأشهرها

قنوتوكان (شكل ٥) . القسم الثاني السلم التي يمكن تحليل بعضها مثل (شكل ٦) وفيه ست

مجموعات في الجوزاء وفي الحمل وهكذا . وشكل ٧ يقرب من المستقيم الخ

٣٦ السلم الذي لا يحل مثل (شكل ٩) ومثل (شكل ١٠) . سديم المرأة للسلسلة وسديم الأسد

٣٧ وبيان أنهم كشفوا نحو (ألف ألف) سديم وبعدها عنا (١٤٠) مليون سنة وفي كل سديم منها مادة

تكفي لتكوين مليون شمس مثل شمسنا وهذا قوله تعالى - أقم نظروا إلى السماء فوقهم الخ -

جوهرة في اشراق نور العلم في القلوب بأشراق نور الكواكب

٣٨ مدة الجيزة هي كعبة عدس قطرها (٥٠) ألف سنة نورية . وهناك عالمان آخرون يبعدان نحو ٢٠٠

ألف سنة نورية والكلام على سديم المرأة للسلسلة المتقدم وأنه يبعد عنا مليون سنة نورية وقطره ٥٠

ألف سنة نورية وفيه ألوف الملايين من النجوم وهي شمس أضواء من شمسنا أضواء مضاعفة . هذا

معنى قوله تعالى - ويخلق ما لا تعلمون -

٣٩ بيان أن هذا معنى - إن الذين لا يرجون لقاءنا الخ - وذكر أن المسلمين في حياة المؤلف وبعد موته

سيهرون إلى بناء المرصد الفلكية وأنهم كانوا أول المسلمين لأوروبا كما قال (سديو) ثم جهلوا غربت

بلادهم وهاهوذا أن يجدهم ويرقيهم

٤٠ (شكل ٨) وهو السلم الحلقى . (اللطيفة الأولى) النبات المغترس في أمريكا الشمالية

(اللطيفة الثانية) النبات المائي الذي زهرته الأتي فوق الماء أما زهرة الذكر فأنها قريبة من قاع النهر

فندد الاقحاح تفصل وتذهب مقطوعة حتى تصل إلى الأتي

٤١ شجرة قفرس انسانا . اختلاف الخلوقات باختلاف الفصول كتلاؤل الزرع وكسج الأثمار في الصيف

وصرم الشار في الخريف وفي الربيع وتساقط ورق الشجر في الشتاء

٤٢ بيان قوله تعالى - إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا - ومناسبة هذه لما قبلها وأن الأعمال

موزعة على الأشخاص بالاستعداد وأن عشاق هذا الجبال في العالم مستنون له بعد الموت والذين

لا يعلقون إلا الملائكة البهيمية يكونون أدنى

٤٣ قسمت الآية الناس (قسمين) من لا يرجو لقاء الله ومن يرجو وهو له ثلث درجات يصفون

الله بصفات التنزيه . ويعي بعضهم بعضا وتحميم الملائكة وتشهد تلك روح (غالبو) الفلكي الشهير

إذ قالت إن أرواح هي العالم تتفرج على الكواكب كما تتفرج نحن على الزهر

٤٤ مناسبة هذه السورة لما قبلها وهكذا مناسبات آخر القاضية لأول البقرة وآسر البقرة لأول آل عمران

وهكذا إلى آخر التوبة وأول يونس . بيان الفارق بين توكل نبينا ﷺ وتوكل هود وأن الأول توكل

على ذي العرش العظيم . إذن هو مستمع مع أئمة حفظ كيانه الأم ذوات العروش . والثاني توكل

على من يسده نواصي كل دابة يطلب حفظ نفسه وقومه وكل منهما نال مطلبه فليدبر المسلمون الأمر

فليصلحوا أولا تلبسوا علما ثم يسوسوا العالم مع الأمم هذا هو الاتي بهم ولن يكون ذلك طرفة كلبين

القائد القاصد للملائكة لاصلاح الأخلاق والمسيح لاصلاح العمل

- ٤٦ ( القسم الثاني ) من قوله تعالى - ولويدل الله للناس - الى قوله - فينبعثكم بما كنتم تعملون -
- ٤٧ التفسير اللفظي لقسم الثاني
- ٤٨ تفسير قوله تعالى - وما كان الناس إلا أمة واحدة - فاختلّفوا باختلاف الأشجار في البستان وهذا الخلف سبب الجدل
- ٤٩ تفسير قوله تعالى - وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضرّاء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا - الى قوله - بما كنتم تعملون -
- ٥٠ يعلم المؤمن في صلّاته ٢٦ مرة الخ وهذا السلام ( ثلاث طرق ) اسناد الأمانة . أن يرى كل مكروه ظاهراً محجوراً باطناً . الصبر والزمّة . فعل الإنسان ثلاثة أمور أخلاق وعلم ومنفعة الناس
- ٥١ الابتغال في الشدائد دال على وجود صانع للعالم
- ( القسم الثالث ) - إنما مثل الحياة الدنيا - الى - وضلّ عنهم ما كانوا يفترون - . التفسير اللفظي
- ٥٢ تفسير - ولله يدعو الى دار السلام - . حديث النظر الى وجه الله وأن ذلك له مقتضات في الدنيا هي المعارف والمعلوم
- ٥٣ تفسير - ولا يرضى وجههم قر ولا ذلّة - الى - وضلّ عنهم ما كانوا يفترون -
- لطيفة في النظر لوجه الله . اعتراض على المؤلف بأن العلم ليس هو النظر والجواب بأن ازدياد علمنا بأخلاق محبوبينا من الناس يزيدنا حياء . فكيف نزيد الله بمعرفة جمال صفات الله ومبدأ ذلك علوم هذه الكائنات . والتفسير في علوم الكائنات يحرم أحياء المسلمين من الغلبة وأمواتهم من النظر لوجه الله تعالى
- ٥٤ شرح هذا الموضوع ( القسم الرابع ) - قل من يرزقكم من السماء والأرض - الى قوله - بما كانوا يكفرون - . التفسير اللفظي من الأول الى - آمن لا يهدى إلا أن يهدى -
- ٥٥ التفسير اللفظي من قوله - فإلّكم كيف تحكمون - الى قوله - بما كانوا يكفرون -
- غرائب القرآن في سورة يونس وهو د يوسف عليهم الصلاة والسلام
- ٦٣ السر في سورة يونس راجع الى تدبير الأمر العام وهو في سورة هود راجع الى أن كل دابة في الأرض على الله رزقها الخ والسر في سورة يوسف راجع الى الآيات العاتقة في السموات والأرض
- ٦٤ مقاصد قصص القرآن هي أشبه بأشجار . فسار العلماء يكتفون بظواهرها والخسائر يستخرجون ثمرها . ضرب مثل لهذا المقام وهو الاستدلال بمشاهدة التدبير . الفترة العملية لتلك التدبير . والألم ( قسبان ) أم قامت بالعدل فكثرت . وأم لم تعدل فقلت . كل ذلك سرّ التدبير والنظام فمن قلّ تدبيرهم عوقبوا بقتال من تمّ تدبيرهم اقتداء بعمل ربهم . كيف يشهد الناس التدبير في هذا النظام . لطيفة في قوله - ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم - وتحقيق هذا المقام
- ٦٥ أولياء الله هم المتحابون في الله . في الولاية معنى القرب وذلك بالعلم بشاره الولي بارزاً بالصالحه
- ٦٦ الرؤيا الصادقة تدلّ على أن الله يعلم الأشياء قبل وقوعها وعلم الله ربط الأشياء ببعضها والمسلم في الصلاة يقول - اهدنا - ولا يقول اهدني ويقول المحامد لله كلها . الاستغراق في معرفة الله لحظة ما يحصل الولاية ثالثة
- ٦٨ حكاية عن إبراهيم الخواص . الناس في الدنيا ( أربعة أقسام ) ملأى . مؤمن بالله وهو غافل . مؤمن تقي . مفكر عارف بالله

- ٦٩ ( القسم الخامس ) قصة سيدنا نوح عليه السلام وتفسيرها اللفظي
- ٧٠ ( القسم السادس ) قصة موسى عليه السلام مع فرعون من قوله - ثم بئنا - الى قوله - فبا كانوا فيه يختلفون - والتفسير اللفظي
- ٧١ طمس أموال قلعاء المصريين وأربط على قلوبهم ظهر أثر الأول في الكنوز التي ظهرت حديثا وظهر أثر الثاني بمكوفهم على الخائيل وعبادة الحيوان حتى اتخذ (قبير) ذلك ذريعة لفتح مصر بوضع الحريرين السفين
- ٧٢ تفسير الآيات من قوله - فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم - الى قوله - لتكون لمن خلفك آية - بيان أن جث المصريين من آيات الله بقيت للناس وأن للسليق مقصرون فيها موازنة هذه القصة بأحوال الأمة الاسلامية وذكر ١٧ حالا من أحوال من دعاهم موسى الى الإيمان وذكر ١٧ نظيرها في الأمة الاسلامية . لطيفة في قوله - وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون -
- ٧٣ ( النبة الأولى ) محاوره فلسفية بين مصري وروحه . ( النبة الثانية ) لم يكن للمتقن من أمتنا الاسلامية يعلمون كما نعلم عن الجث المصرية لذلك ذكر بعض المفسرين ما لا ينطبق على الواقع كما ظهر في كنز (توت هنخ آمون) وبيان أن كشفه (هوارد كارتر) . وبيان اهتمام أهل أمريكا وأوربا بهذا الكشف
- ٧٤ ( النبة الثالثة ) أقدم كتاب في العالم نضاح الحكيم المصري (آتي) وذكر ١٥ حكمة مصطفاة من نضاحه لقراء هذا التفسير . وهناك نضاح لرجل يسمى (قافنه) وله ٤٤ لوحة وذكر بعضها
- ٧٥ ( النبة الرابعة ) ذكر اعتقاد المصريين القدماء في النفس وذكر ٤٧ قاضيا وذكر الميزان عندهم والحساب والجنات . وأن عملية التحنيط كانت منذ سنة ٤٥٠٠ ق م ولها قصة خرافية ترجع الى لوزوريس ومعه توت فتحا البلاد فخذ (سيت) أخاه وجعله في صندوق وبحت (إيزيس) عن زوجها وخبائه وذهبت تبحث عن ابنها (موريس) ثم ان (سيت) قطعه ١٤ قطعة لجثتها (إيزيس) فن هنا جاء التحنيط . هل فرعون موسى وجد بدنه وهو الآن بالمتحف المصري هكذا يقول نجيب بك مفتش الآثار
- ٧٦ دخول البرانيين برأس الوادي بمصر أيام العساقه . ذكر ألقاب الملوك كفرعون لمصر وكسرى للفرس وهكذا وبيان معنى فرعون - رمسيس ربي موسى وابنه (ريان با) هو الذي غرق في البحر مقياس جسم فرعون موسى . صورة خطاب أرسله أحد العمال لرئيسه محفوظ في ورقة البردي وكذا حجر بالمتحف المصري فيه ماذ كر (منفعة) وهو فرعون موسى وإذلال بني إسرائيل
- مسلة المطرية فيها وصف الآلوهية الملك في الأسرة الثانية عشرة . خطاب مصري اسمه (كانيزاك) الى رئيسه جاء فيه ذكر تسخير بني إسرائيل . مدينة (رمسيس) التي بناها بنو إسرائيل إما سان اعجز بالشرقية ولما بالسخوة بها أيضا
- ٨٠ ذكر ورقة من البردي فيها قصيدة شاعر مصري وصف مدينة رمسيس بعد فراغ الملك رمسيس من ولاية عظيمة فيها تربي موسى ونحت مصر إذ ذاك (طيبة) بالصعيد . جدار معبد الكرنك عليه نصوص تعذيب الأسرى ونص في سطر ١٦ أنه خاطب جيوشه بما يقرب من الآلوهية وهو نفس فرعون موسى
- بيان أن هذه النصوص واجب علمها تصديقا للقرآن
- ٨١ الكلام على محاسن قلعاء المصريين العلمية . نظام السموات عندهم وعلم الفلك



٨٦ أن أول من تظن رفع الحجاب عن جبال السماء هم قدماء المصريين • هيئة السماء في صندوق حتر  
أساء البروج خيالية للاحقية • ذكر اختلاف أم الأرض في أساء هذه البروج كأهل الصين وسكلا  
الحند القدماء والاسكيو وهنود أمريكا • وصف ماوجد من البروج والكواكب على صندوق حتر •  
القرآن وأمر بالنظر لكل ما هو محكم الصنع سواء أكان بفعل الله أم بفعل الناس لئلا يفتخروا به  
وأعلم شرح ماوجد على صندوق حتر من الكواكب والبروج وغيرها ورسم صورة ماوجد على صندوق حتر  
٨٧ رسم منطقة البروج التي وجدت في هيكل (ذفره) وقد أخذها الفرنسيون من مصر بأمر محمد علي  
بها وفيها بيان الجهات وقد قسمت (٣٦) قسما وكل قسم (١٠) أقسام فجميع (٣٦٠) قسما  
٨٨ شرح صور البروج للرسمه فيها كصورة الحمل والثور الخ وشرح السيارات والتوابت المرسومة فيها  
وهكذا هنا تجلت معاني القرآن الخ

٨٩ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في فوائد ذلك للسلمين وأن ذلك داخل في قوله تعالى - أفلم يسيرا في الأرض  
فتكون لهم قلوب يعقلون بها الخ - ولذا كان سليمان عليه السلام علم منطق الطير وفهم لغة الحيوان  
وعذ ذلك نعمة عليه فهكذا فلفهم كلام الحكماء نعمة علينا من باب أولى كقدماء المصريين وغيرهم  
٩٠ ذكر آييم الشباب ونحسر المؤلف على نفسه وعلى الأمم الإسلامية بسبب جهلها إذ سمع التاديبات  
وعسره الله آييم للشباب على نعمة العرفان والعلم بجمال السماء وآثار الأنم  
ذكر مايجوز من الصور ومايجتمع وأن الصور منها ما هو مذكور في الأحاديث كالصور التي لها ظلة والتي  
لاظلة لها وصور لم تذكر وهي الشمسية وهي صور رسمها الله بنسبه ومن حومها خرج من عقله ودينه  
معا • إن التوحيد هو العلم بما في هذا الوجود • ملخص ما تقدم  
٩٢ كلب الصيد وكلب الحراسة يجوز اقتناؤها فمن باب أولى يجوز تصوير الحيوانات القرية للملكة لآلاف  
الآلاف من المسلمين لتحترس منها وتقتلها • ذم الأغنياء وأن من ينصرهمين بطريق الجهل أضرت  
عليه من أهدائه

٩٣ آراء بعض هيته كبار العلماء في الأزهر أن التصوير الشمسي مباح ورأى المؤلف أنه واجب في التعليم  
٩٤ تكثير القليل وتقليل الكثير في غزوة بدر فتح باب للتصوير الشمسي الذي يصغر الكواكب والبلدان  
والممالك فتدبرها ويكبر الحيوانات القرية فتفهمها وتحترس منها  
٩٥ ﴿ الفصل الثالث في بناء الأهرام ﴾ لأنه من أسباب النجاة لبعض أبدان الفراعنة • ادريس هو  
هرمس المثلث (خنوخ) وبيان معنى (نوت) والكلام على الشعرى وإنها كعبة المصريين القدماء  
وذكر الأهرام الثلاثة وأن نور الشعرى كان هوديا عليها وأن محمود باشا الفلكي عرف مدنة البناء من  
ذلك النور والموازنة بين الكعبة وكوكب الشعرى وأن كوكب الشعرى لكونه جيلا قد سحر عقول  
القوم حتى عبدوه • أما الكعبة فلا تسحر العقول ولا تقتها فلذلك اختارها الله قبة لنا

٩٨ صورة الحرم بالتصوير الشمسي • ذكر ما فقهه للأمن من فتح باب الحرم • يذكر المؤلف أيضا حوله  
آييم الشباب على جبهه هذه العوالم وإعطاء الله عهدا أنه إن عرف الحقيقة نشرها للسلمين بعده والله  
يحمد الله في المتشبه على أن ذلك يتم الآن وبيان الله كيف أعق الإسلام الأمم من الخرافات وبيان  
آراء قسما المصريين في الروح بعد الموت وخطاب مصري قلبه مكتوب على ورق البردي  
ذكر تمتد الألهة عند قدماء المصريين ثم التثليث للفتح عند المسيحيين ثم التوحيد عند المسلمين  
١٠١ ميت مصري قديم وجهه يبدل للمؤلف بالشرقية متجهة جهة الجنوب نحو الحرم

جلال هذا العالم في نظر المؤلف أيام الشباب والشيب وكتاب الله تعالى وأمر الاسلام وأن عشقه لهم في الشيب أكثر منه أيام الشباب وكان يسمى الطوق في شبابه بمن يصدقون بالدين وانهم لا دليل عندهم بل هم مهلكون . يحض المؤلف علماء الاسلام على وضع صور في الكتب جيلة للأطفال مع حكايات جيلة . ( القسم السابع ) - فان كنت في شك - الى آخر السورة . التفسير اللفظي

١٠٥ خاتمة في مجانب السورة . بيان أن أوائل السور المتقدمة وأواخرها تحت على النظر في هذا العالم  
١٠٧ سورة هود وتقسيمها أربعة أقسام وذكر ملخص تفسير السورة كلها وهذا الملخص ست مقاصد ( لتقصي الأول ) من أوّلها الى قوله - أيكم أحسن عملا - ( والثاني ) من قوله - ولئن قلت أنكم مبعوثون من بعد الموت - الى قوله - هل يستويان مثلا أفلا تذكرون - ( والثالث ) من أوّل قصة نوح الى قوله تعالى - يئس الرعد للرعد - ( والرابع ) استنتاج الأخلاق من القسم السابق ( والخامس ) استنتاج النظام الحالى العالم من هذه السورة في بلاد مصر وأرض بابل وما بين البحرين ( والمقصد السادس ) دواء هذا الداء وأن أشنع داء في هذه الأمم ترك العلم والصناعات واحكام التجارات والامارات الخ . آيات الأخلاق آيات العلوم آيات الأحكام آيات النظام العالم . هذا هو ملخص السورة جاء فيه معناها كلها لا لفظها

١١٢ التفسير المفصل . ذكر آيات القسم الأول من أوّل السورة الى قوله - أيكم أحسن عملا - مشكلة كنهانه . تفسير البسملة مع قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - . وبيان أن الرحمة مكررة في أوّل السور فوق مائتى مرة وأن نبينا ﷺ رحمة للعالمين والرحمة على ( قسمين ) رحمة للحيوان ورحمة للانسان فمن جهل الرحمة العاقبة فكيف يستعملها وكيف يتصرفها  
١١٣ المسلمون مقصرون في الرحمة . يئس الناس بنعمة العلم وبنعمة الجبال وبنعمة النور وهذه أقرب الى عالم المجرذات والرحمة في الماديات باستعمال الحكمة مثل افناء الحشرات للرطوبة وافناء البرد لها ووجود الثلج لمنع تأثير البرد الخ

١١٤ حديث ( جل الله الرحمة مائة جزء الخ ) . وبيان أن هذا الحديث لا يستعمل إلا من درس الطبيعة والفلك الخ وحديث ( الراجون يرحمهم الرحمن ) وحديث آرون هذه المرأة طارحة ولها في النار الخ وحديث الرجل الذي سقى الكلب وكذلك البني التي سقته وحديث الجبل الذي شكاه صاحبه للنبي ﷺ وحديث حرق النمل وخطاب الى علماء الاسلام وأنه يجب دراسة هذه الحيوانات . وكيف ألبح المسلمون الصيد بلا قيد والنبي ﷺ يقول من لجم هذه بولدها ودّوا ولدها لها . وهناك فرق بين فرخ السباجة وفرخ الحمامة في الاستغناء عن الأم والرحمة تختلف باختلاف الأحوال بل يجب أن يحرم المسلمون صيد كل نافع لهم كما سيأتى في سورة يوسف وجوب تأليف كتب للأطفال في الحيوان ومحامات هذه الدنيا ليحبوا ربهم ويرحوا الحيوان

١١٧ التفسير اللفظي - الر . كتاب أحكمت آياته - الى - أيكم أحسن عملا -  
١١٨ الطيف الأولى - الر . كتاب أحكمت آياته ثم ضلت - وبيان سر هذه الحروف  
١١٩ السؤال عن الأئمة هم المطلقون على أمثال ما كتبتاه . من أهم الأسباب في جهل المسلمين بجمال هذا العالم . فهم لفظ الفقه على غير وجهه

١٢٠ سبب اقتناع بعض المسلمين على حفظ القرآن بلا عقل هو الحديث الطويل فضائل القرآن الذي اخترعه شيخ صوفي بمبادان قمرآ الى لغة ليصرف قلوب الناس الى القرآن

١٢١) العناصر قد بلغت ثمانين وترتيبها ونظامها الآتي في سورة التنبؤ مدحش كأنها انسان واحد منتظم الأعضاء وجميع المركبات من سموات وأرضين راجعة اليها كما رجعت كل الصائم والخلب والديانات الى الحروف . اللغة لا تصرف إلا بتحليل ألفاظها الى حروفها وللمادة لا تعرف إلا بتحليلها الى عناصرها ثم ذكر أنه حكيم وخبير وأنه فصل الآيات ودبر الأمر . كل ذلك ليشير الى الحكمة في التركيب وفي العناصر الجسم الانساني كأنه خطاب من الله لعبد أسمعه واكتب عنه إذ يقول سبحانه أي عبادي المحسوسات ١٢٢ التي تحيط بكم (٣١) كالأصوات والألوان الخ وقد قسمت على الحواس الخمس فهذه صفات للمادة أما نفس المادة فهي محمل في باطنكم فظاهرها محمله حواسكم وحقاتها محملها آلات مضمك إذن الأغذية والعلام لا تم إلا بالتحليل وهكذا قواكم العقلية وزعت عليها للعلامات . لهذا رمزت لكم بالحروف المفرقة وأفهمتها لكم الآن وهذا زمان عصر الكيمياء التي دخلت في جميع مرافق الحياة ويشار لها بهذه الحروف (الر) . أبو بكر الصديق والشافي واستنتاجهما من ترتيب الكلمات هالوما وهما نحن أولاء نستنتج من حروف مفرقة في أكثر السور

اللطيفة الثانية في قوله تعالى - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها الخ -

١٢٦) الهيئة الأولى في قصايا الطير (١) الغربان ذات القنازع في جزائر (شتلندا) تتحاكم وتقتل المجرم ولها جنود يحرسون المجرم أن يفر الخ (٢) وهكذا غربان في بلاد الانكليز تحكم على المجرم أيضا (٣) وكذلك غربان في جبال (سويسرا) (٤) وكذلك الصافير تعاقب وتطو (٥) مالك الحزين حكمت على واحد قتلته (٦) وهكذا اللقاني لما استبدل الجراح الفرنسي بيضة من بيضة بيضاء أخرى وخرج للفرخ قتل اللقاني الأثي الخ (٧) الكلب ابن سبتين يلعب مع ولد ابن خمس سنين وينشرحان معا باللعب ويهضم كما يفهم إذن عقل الكلب أشبه بعقل الانسان صغيرا (٨) الأمانة في كلاب (نيو فونلندا) (٩) إناث الوحش تصبر على الجوع والطقس لاطعام صغارها

١٣٣) اللطيفة الثانية - وكان عرشه على الماء - وحديث (أين كان ربنا) وتفسير العمى والماء من العلم الحديث (القسام الثاني) القرآن مشكلا من قوله - ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت - الى قوله - أفلا تدكرون - ثم التفسير اللفظي لهذه الآيات

١٣٤) اللطيفة في قوله تعالى - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم الخ - وأحدث الزياء وتحذير المسلمين من ترك الأعمال خيفة الزياء

١٣٤) (القسام الثالث) - ولقد أرسلنا نوحا - الى قوله - فأس الرعد المرفود -

١٣٩) صنع السفينة - استهزاء قومه به - النجاة من الهلاك بركوب السفينة - هلاك من عصاه من أهله - المقصود من القصة وهو أن العاقبة للتحسين وهناك لطائف اللطيفة الأولى - وقيل يارض ابلي مادك - اللطيفة الثانية ذكر أن هذه القصة عبرة لجميع الناس المحسنين وذكر عشر أسواق في قصة نوح وما يؤولها من أحوال النبي ﷺ مثل قوله - فاصبر إن العاقبة للتحسين الخ - الطوفان في العلم الحديث

١٤٣) الطوفان العالم - الأرض ٣٦ طبقة في ستة بصور - الطوفان الخاص الذي جاء به القرآن وذكر البحر العظيم الممتد من البحر الاسود الى الاوقيانوس الشمال وأكثره ظاهرة مثل البحيرات في بلاد روسيا ومالبا في أسفار القيدا وأن السفينة قادتها سمكة واستقرت على جبال همالايا

١٤٤) - ولما عاد أخاهم هودا - تفسير هذه القصة اللفظي

١٤٥) جوهره في معنى قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بما صنعها الخ -

- ١٤٦ الأرض تشبه درة بهجة الجبال مع نور المشرقات عليها فهناك نور على نور
- ١٤٧ النور (نوران) حسي وعقلي والثاني كما في نظام المواب • الألوان على (قسمين) خفيفقوامنة براقه والأولى تكون حيوان مضطر للفريسة أو للهرب من مفترس
- ١٤٨ حلة الزنبور بسبب أنه له سلاح يحميه والغيران والطوايط الخ اسودت ألوانها لتخفي عن المفترسات عليها والسماك التي في قاع البحر الجليل الأشكال يكون مثل ألوانه لحفظه • وهكذا الذي عند وجه الماء ليسا كل الجوز يظهره والماء يطنه وخف لون الجبل والأسد ليختفي الأول عن مفترسه والثاني عن فريسته
- ١٤٩ أكثر تلاميذ المدارس لا يعرفون ما في موسوعات العلوم في أوروبا • لون الأرب والذهب والثلج في القطبين والغنم القطبية والسمور والغراب وأن هذه الأنواع الثلاثة ألوانها مغايرة للثلج هناك لحماية الحيوان
- ١٥٠ سبب الألوان يرجع لحماية الحيوان لا للوسط الذي يعيش فيه أيوان كما هو الرأي المشهور الخاطئ العرش والرحمة والعلم • لا تكون الرحمة إلا مع العلم
- ١٥١ التسبيح يرجع لمعرفة التنزيه والحمد يرجع للعلم
- الطائر الأمريكي الذي جل لونه وطال ذيله وأعطى راحته بها يصد عدوه
- ١٥٥ زيادة إيضاح - إن ربي على صراط مستقيم - وأن ما نكتبه هنا فتح لباب سر القضاء والقدر وأن هذا بعض سر العلم في قوله تعالى - قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا -
- ١٥٦ بهجة الأنوار في مجامع الحيوان والكلام على النبات الجزائر الذي يغرس الحيوان
- ١٥٧ حياة الأرض وقد كتب عليها علماء في أوروبا مثل (كوبنج) وغيره وهذه الحشرة أرق من النمل والنحل في مدنتها ومنها ما تشي بين صفين من جنودها ومنها ما تبني هضابا تعلو فوق الأرض أربعة أمتار وفي كنفها البلجيك (٨) أمتار ولها ملك وملكة كبيرة تملأ اليد وحرها الكشافة والضباط وما يعطيها العلم وما يتلقى أيضا وتصدر آلاف الآلاف منها كل سنة لتأكلها بعد خروجها من المدينة بعض الطيور
- ١٥٨ نظرة في هذه الدنيا عجب لها نبات يأكل حيوانا وبالعكس الفاعل مفعول والمفعول فاعل • صانع هذا العالم استخرج من المادة كل ما تستعمله كالحلوى والمزج المتناقضين ومن أنفشنا كذلك كل مرض والصحة الخ ولم يبال باحسانا وعواطفنا ليكون ذلك أشبه بجزعة نظير مختلف ألوانها بعد الموت كما رأينا في الحياة غنفل الزرع في الأرض وكأننا نحس بنقص فينا إذا لم نعلم ذلك كله في أنفسنا فنحن بين متناقضات كالأيوين للرحمة والأعداء للنقمة الخ
- ١٦٠ شرف دوس الحيوان ونظام الدنيا • أمالي الآن (كتابان) كتاب ملكة الظلام تأليف (مترلك) وكتاب موسوعات العلوم تأليف (روبرت براون) وأن الأول يرى أن الحشرات في قلبها أشبه بجسم واحد له نفس واحدة والا فلماذا تعرف هذه الجوع كل ما ينفع قراها وسائر نظمها وفي الثاني أن دراسة ماحولنا تعرفنا نظام جسمنا لأن نظام الجسم عسر صعب لا يشبه إلا بالعلوم المحيطة بنا فهذان النصفان هما مضمون قوله تعالى - وفي الأرض آيات للوقنين • وفي أنفسكم أفلا تبصرون - والأول مقدمة الثاني كقص الفلوسة الحديثة
- ١٦١ جشرة الأرض في الظلام تمثل حال أهل جهنم بالنسبة لطيور والانسان
- ١٦٢ العقل الأكبر يجذب الأصفر والجسم الأكبر يجذب الجسم الأصفر والحشرة تخدعها على النبات الجزائر فيأكلها كما يجنى الانسان جسمه ويحارب لحفظ الشرف فيأكله السود بعد الموت في الأولى ويدين طعاما للسماك في الأخرى في حرب البحار وليس هذا خداعا بل هو سياسة ولطف

- ١٦٣ موازنة بين حياة مومتي الحيوان ونظيرهما في الانسان . في الحرب تسع خصال من أنواع الكمال الخ
- ١٦٤ مجانب القرآن ومجانب الطبيعة التي نزل لهما القرآن في غرضون سورة التكوين
- ١٦٥ للمادة والكلام وأن بينهما مشابهة فقد تصرف الله في المادة لجعل النبات لما كَوَّلَ أكلا كما يجعل التلميذ في القرن المفعول فاعلا وأن اللغة وعلومها قد جعلت لصفاء العلماء ولأطفال تمرينا على التنوع لأن تنوع المادة أصعب . شمس هذا العقد . التفسير اللفظي لقصة نوح وقصة ابراهيم وقصة لوط وقصة شعيب وقصة موسى الى قوله . بلس الرشد المرفود . والكلام على الوعد والرحمة وأن وعد الله لكل حيوان كامل والنحل والانسان ليس كودنا مع بعضنا ومعاملة الله للنحلة والجرادة والنملة والنامة والوردة وأن الانسان كما كان أكثر نفعا كان أقرب الى ربه والوالدان يقتربان من ربهما في الوعد على مقدار رتبتهما لأولادهما ( القسم الرابع ) من قوله . ذلك من أنباء القرى الى آخر السورة
- ١٦٥ مصادق هذه الآية وهي . ولا تركنوا الى الذين ظلموا الخ . في تاريخ الأندلس وفي لهولة العباسية بغزو التتار
- ١٦٦ معاهدة أسراء الأندلس ورتبهم ابن عباد مع الفرنجة بحرية الدين والتجارة وحرية التعلم واعتراض ابن مصعب عليها ونبذ قوله . وظهور أثر ذلك بعد مدة في الاسراف والسوق والخلاعة والمفاولة في الطرقات
- وامسان الخرم اكنح الملك (فرديناند) وزوجت الأم الاسلامية من تلك البلاد وطردهم أذلاء
- ١٦٧ التتار في الشرق ورتبهم (جنكيزخان) أغاروا على المسلمين وأزالوا الدولة العباسية بعد أن أهلكوا الحرث والنسل بسبب أمرين (١) أن الملك قطب أرسلان ركن الى دسيسة التجار من المسلمين قتل تجار التتار والمفول (٢) وأن للمسلمين كان رؤسائهم يجهلون جغرافية بلاد التتار وقوتهم . مصادق هذه الآية في الأمم الاسلامية الحاضرة فانهم قد ركنوا الى الفرنجة في مصر و بعض شمال أفريقيا وغيرهما من البلدان وانكلوا على صناعاتهم وتركوا مواهب أنفسهم فقلوا إلا قليلا منهم
- ١٦٨ بيان أن الاختلاف عام في كل عروق ومستحيل وجود إلا مع الاختلاف بالبرهان . وبيان من هم هؤلاء الذين لا يختلفون أو يختلفون ويكون خلافهم نعمة عليهم
- ١٨١ هل العذاب مؤبد وكيف ذلك والله رحيم وماذا قال علماءنا وماذا قال ابن عمر في حديث أن النبي ﷺ قام لجنزة يهودي وقال الضيف التلساني ( إذا بلغ الانتقام الغاية اهتلب رحمة ) وقول ابن تيمية ان النار تنفى ورواية عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم . وهكذا كلام ابن القيم في ذلك . هذه السورة أشبه بجنة الجوز الخ
- ١٨٣ هذه السورة من أولها الى آخرها ترجع الى أمر واحد وهو مراعاة الله لكل مادي على الأرض من الانسان والحيوان وحفظه لها . فيقول الله لوط . لن يسلوا اليك . ويقول الله لنوح . واصنع الفلك بأعيننا ووحينا . ويقول لنبينا ﷺ . والله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده . وتوكل عليه . . خزان الجواهر في سورة هود
- أكثر الناس يتلهون بعلوم البلاغة والنحو والصرف والتاريخ وهم عن الحقائق معرضون
- ١٨٤ ذكر عشرين محبة من مجانب الحيوان . محبة لغات الحيوان . ومجانب نظار النمل وأن لغة النحل ولغة النمل متقاربتان . حكاية نمل





